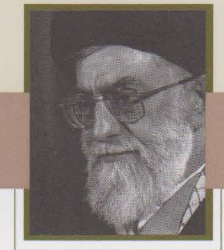


دراسات في فكر
الإمام الخامنئي




أدبيات النّهوض

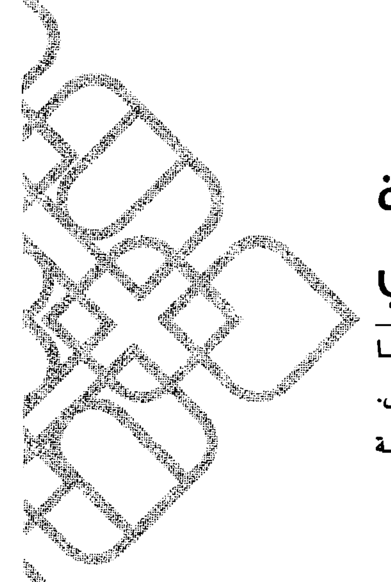
# الهواجس الثقافيّة
## عند الإمام الخامنئي

إعداد وتدوين:
مركز صهبا



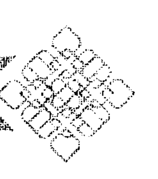
دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



# الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي

شرح مَزجيّ لإحدى الخطب المحوريّة التي تفضّل بها الإمام الخامنئي حفظه الله عام ١٣٧٣هـ.ش. بالاستفادة من خطب أخرى له في تواريخ مختلفة



جمع وتنظيم النص: مركز صهبا

اسم الكتاب: **الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي**

إعداد: **مركز صهبا**

ترجمة: **علي الحاج حسن**

مراجعة الترجمة: **عزّة فرحات وعباس نور الدين**

الناشر: **دار المعارف الحكميّة**

إخراج الكتاب: **Idea Creation**

عدد الصفحات: ٤٠٨

القياس: ٢١,٥ × ١٤,٥

تاريخ الطبع: ٢٠١٤

الطبعة الأولى
ISBN 978-614-440-003-6

[١٤٣٥ هـ. - ٢٠١٤ م.]




العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي
تلفاكس: ٥٤٤٦٢٢- ٠١ - Email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحيم

# الفهــرس

## إشـــــارة

يهوى الإنسان، بطبيعته، البحث عن الكنوز، فهي إمّا تحت الأرض مدفونة في التراب، أو تحت مياه البحار يغطّيها الصدأ. وحتّى نجد هذه الكنوز، ينبغي أن نبحث عنها شبرًا شبرًا؛ تحت التراب، وفي أعماق البحار. أمّا الكنز الذي وجدنا، فهو ليس تحت أرض ولا في بحر، إنّه على وجه الصعيد، قد لمع لنا من بعيد، تتبّعناه فاكتشفناه، لم يغطّيه تراب أو يعلوه صدأ، جُلّ ما كان يحيط به شيء من الغبار بسبب مرور الزمان وعدم التفات المارّة.

وجدناه، اهتممنا به بمقدار استطاعتنا، لا بل ونرغب في أن يكون في متناول الآخرين ليستفيدوا منه. فقط لدينا وصيّتان في هذا الشأن بعنوان التمنّي؛ الأولى: انظروا في هذا الكنز بدقّة وادرسوا النقاط الظريفة فيه. والثانية: حاذروا من أن يعلوه الغبار مرّةً أخرى.

### تسويغ الكتاب

قبل خمس سنوات من كتابة هذا الكتاب، طالعت في إحدى المنشورات العامّة نصًّا من خطب الإمام الخامنئي حفظه الله، يحمل عنوان «الهواجس الثقافيّة». كان النصّ ملفتًا وباعثًا على التأمّل بشدّة، وهو، في الواقع، يُعتبر خطًّا محوريًّا في تغيير مسيرة حياتنا ومصيرنا.

لذلك، عملت على الحصول على النصّ الكامل، ثمّ قمتُ بدراسة كافّة النصوص التي تدور حوله، والتي هي عبارة عن خطابات قدّمها الإمام في ذاك العام، إلّا أنّني وجدتها لا تصل من حيث الأهمّيّة إلى مستوى النصّ الأوّل الأساس، الذي كان في الحقيقة فريدًا لجهة حجم المضمون، والبيان، والأبعاد.

## في المنهج

بما أنّ النصّ جاء في إطار خطاب، فهذا يعني أنّ هناك العديد من الأبحاث التي قد تُثار وتُحرّك الأسئلة في الأذهان، [وهي تحتاج إلى شرح وتوضيح]. من هنا، حاولت المزج بين النصّ الأساس والنصوص الأخرى التي شكّلت بمجموعها نصًّا جديدًا يُطلَق عليه الشرح التركيبيّ أو المزجيّ. وهذه الطريقة استُخدمت في العديد من الكتب، ولعلّ أبرزها كتاب **شرح اللُّمعة**[1].

هذا، ومن المعروف أنّ كتاب **اللُّمعة الدمشقيّة** للشهيد الأوّل من أشهر وأبرز الكتب الفقهيّة الشيعيّة، وقد دُوِّن في مدّة زمنيّة قصيرة جدًّا، لا تتجاوز الأسبوع الواحد، لذلك قام الشهيد الثاني بشرح هذا الكتاب، ولكنّ شرحه جاء بأسلوب مزجيّ. لقد عمل الشهيد الثاني على تدوين عباراته داخل وفي ضمن عبارات الشهيد الأوّل، أمّا المميِّز بين النصَّين، فكان أن عمد [الشهيد الثاني] إلى وضع هلالَين على عبارات الشهيد الأوّل.

طبعًا، طلبة العلوم الدينيّة مطّلعون على هذا الأسلوب، بينما الأشخاص الذين لم يأنسوا هذا النوع من الكتابة قد يجدون صعوبةً في الانسجام مع هذا النوع من الكتب، إلّا أنّ المطالعة المستمرّة، والتدقيق في المعاني وعمق الكلمات، يساهم في تقبّلهم للأسلوب الجديد.

أمّا عن طريقة إنجاز هذا العمل، فقد عمدنا، بدايةً، إلى استخراج الكلمات المفتاحيّة والأساسيّة التي استخدمها الإمام حفظه الله، ثمّ قدّمنا تحقيقًا يتناول مضمون بعض الكلمات. ويشكّل التحقيق، أو الدراسة المضمونيّة، أساس الشرح التركيبيّ للنصّ الأساس؛ أي إنّنا استعنّا بخطابات الإمام لشرح النصّ الأساسيّ. وقد عملنا على جمع الكتب

---

(١) كتاب الروضة البهيّة في شرح اللُّمعة الدمشقيّة، للشيخ زين الدين بن عليّ الجباعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني.

والخطابات القديمة للإمام القائد، فوجدنا الكثير منها.

وفي هذا الإطار، طالعنا العديد من الكتب التي تحتوي على خطابات متفرّقة للإمام، تعود إلى مرحلة ما قبل القيادة، والبعض منها يعود إلى ما قبل انتصار الثورة، فوجدنا فيها كلمات ومطالب جميلة وجذّابة حول الموضوع عينه. طبعًا، عملنا على حذف بعض المقاطع ذات العلاقة بتلك المرحلة الزمنيّة، واكتفينا بتلك المناسبة للموضوع.

كما أنّنا حافظنا على أصل ظاهر الوثيقة، ودوّنا تاريخ كلّ مقطع من خطابات الإمام القائد في نهايته.

وفي أثناء قراءة الخطابات، طالعتنا العديد من الأسماء، والوقائع، والأعلام، والتي تدلّ على سعة علمه، لذلك قمنا بتوضيح هذه الأمور بالرجوع إلى المصادر المختصّة بها، مثال ذلك، تحدّث الإمام مرّات متعدّدة حول المرحوم السيّد جمال الدين الأسد آبادي، والمرحوم الدكتور شريعتي، فحاولنا توضيح رؤية الإمام القائد المتعلّقة بهاتَين الشخصيّتَين العظيمتَين، وذكرنا هذه الأمور في نهاية الكتاب.

## مناسبة النصّ

يعود النصّ الأساس إلى لقاء جرى بتاريخ ١٣٧٣/٤/٢٢هـ.ش. بين الإمام حفظه الله ومجموعة من المثقّفين الثوريّين، وحضر الجلسة بعض المسؤولين الذين يعملون في الشأن الثقافيّ، وبعض المثقّفين المستقلّين.

وفيه يوجّه القائد كلامه للجميع، سواءً الذين حضروا أو الذين لم يحضروا، والذين هم على قيد الحياة أو مَن لم يولدوا بعد، مَثَله في ذلك مثل أمير المؤمنين عليه السلام الذي تحدّث بعد حرب الجمل فقال: «ولقد شهدَنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعُف



بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان»[٢].

من هنا، يمكن القول إنّ كلّ مَن يطالع هذا الكتاب سيجد نفسه واحدًا من الذين خاطبهم الإمام القائد ومن الذين حضروا تلك الجلسة. وتُعتبر كلمات الإمام القائد، في هذا الإطار، مشعل نور لحلّ الكثير من الإشكاليّات ذات العلاقة بالجبهة الثقافيّة، حيث يجب على كلّ واحد منّا أن يعمل على تطبيق كلمات وعبارات الإمام القائد مع ظروفه الفرديّة والاجتماعيّة.

## وصف آليّة العمل

تعرّضنا، في الفصل الأوّل، لمعالجة وتوضيح الهموم الثقافيّة، ثمّ أردفناه بثلاثة فصول أساسيّة لاستكمال البحث، تحدّثنا فيها حول تاريخ الحركة الثقافيّة في إيران بعد دخول الإسلام حتّى انتصار الثورة.

كما تحمل هذه الفصول العناوين الآتية: «منشأ الثورة الإسلاميّة»، «الثقافة والفنّ الإيرانيّ والثورة» و«الحركة الفكريّة التنويريّة المريضة».

وإنّ كل مَن له اطّلاع على خطابات الإمام القائد يدرك أنّه تحدّث كثيرًا حول الثورة الإسلاميّة، حيث درس هذا الموضوع من أبعاد متعدّدة.

كما أنّ بحث «الحركة الفكريّة التنويريّة المريضة» يدور حول ثلاث حركات فكريّة تنويريّة ظهرت بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، وهي: الحركة الفكريّة المريضة، الحركة الفكريّة التنويريّة الدينيّة، واستمرار الحركة الفكريّة الأولى. يتعرّض هذا الفصل لدراسة جذور هذه الحركة ويقدّم المعلومات الضروريّة حولها وعلاقتها بالثورة الإسلاميّة.

نصل بعد ذلك إلى بحث التهديدات، التوقّعات، والنتائج. وقد تمّ

---

(٢) الإمام عليّ بن أبي طالب، نهج البلاغة، تحقيق هاشم الميلاني (النجف الأشرف: العتبة العلويّة المقدّسة-مكتبة الروضة الحيدريّة)، باب "المختار من خطب أمير المؤمنين وأوامره"، الخطبة ١٢، الصفحة ٦٣.

تنظيم هذه الفصول بناءً على الخطاب الأساسيّ للإمام القائد. حافظنا على الخطاب الأساسيّ ولم نحذف منه سوى تلك المقاطع ذات العلاقة بالمصاديق والأشخاص غير المرتبطة بالبحث.

وفيما يلي أقدّم بعض النقاط التوضيحيّة التي تجعل الاستفادة من هذا الكتاب أكبر:

١. الهامش: الهامش أسفل الصفحة عبارة عن نقاط ومسائل قصيرة تساهم في فهم المطالب. والمخاطَب يحتاج عادة لهذه الأمور باعتبار أنّها أعمّ من توضيح معاني بعض الكلمات الصعبة أو ترجمة نصوص الآيات والروايات.

٢. الملحقات: هي عبارة عن مطالب تساعد المخاطَب في فهم النصوص، وتقدّم هذه الملحقات توضيحات حول الأشخاص والحوادث التي ذكرها الإمام القائد في خطاباته. وقد وضعنا رقمًا لكلّ كلمة تحتاج إلى توضيح، ثمّ ذكرنا التوضيحات في نهاية الكتاب.

٣. الرموز: ذكرت هذه الرموز عن شكلين إما داخل النص أي إلى جانبه أو على شكل فهرس تفصيليّ آخر الكتاب حيث يمكن للمخاطَب الرجوع إلى الاثنين معًا.

وأوصي المخاطَب أن يقرأ الكتاب بدايةً من دون الملحقات، لأنّ كثرتها قد تؤدّي إلى عدم الاستفادة المطلوبة من الكتاب. وبعد ذلك، يمكنه مطالعة الكتاب من جديد ومراجعة الملحقات المتعلّقة بالكلمة التي يجهلها.

# مقدّمة

## الانهمام الثقافيّ ومشروع بناء حضارة الوعي عند الإمام الخامنئي

الشيخ شفيق جرادي

مهمٌّ أن نعرف المعنى والمقصود من أيّ مصطلح نستخدمه؛ بما في ذلك المعنى والمقصود من كلمة "الثقافة". إلّا أنّ في حياتنا النظريّة أو العمليّة أمورًا نتداولها، بحيث إنّا نعي معناها الذي نريد، دون أن نتكلّف عناء البحث عن اشتقاقها اللغويّ ومداولاتها الاصطلاحيّة عند أهل هذا الفنّ أو ذاك. والثقافة من الأمور التداوليّة في حياتنا، لذا ليس من الواجب أن نتوغّل في مصطلحها لنعيَها، بل أكاد أقطع أنّ عصرنا ببنيه، على اختلاف شرائحهم، يتفاعلون مع الثقافة وكأنّها جزء من حياتهم الخاصّة، حتّى باتت عند كلّ قوم أو شريحة من الناس تعني وعيهم ومعرفتهم. أن يتحدّث الرياضيّ عن الثقافة فهو يعني مضماره، وأن يتحدّث الفنّان عنها فهو يقصد المعرفة الفنّيّة، وكذا العالم والفيلسوف والسياسيّ.

بناءً عليه، فإنّ الثقافة في مضمونها التداوليّ باتت تعني الانهمام المعرفيّ، العامّ واليوميّ، عند الإنسان، ولكي تعرف مقصود هذا أو ذاك بها، فما عليك إلّا أن تعرف الهمّ المعرفيّ الذي يعيشه. طبعًا، قد يقول قائل: إنّ الثقافة هي نحو من المعرفة بكلّ ما سبق من أمور فنّيّة ورياضيّة وعلميّة وغير ذلك. وهذا صحيح بوجه، إذ مثل هذا النحو من الاهتمام هو اختصاص بعينه، يسمح لك أن تتحدّث عن حقل خاصّ اسمه الثقافة بما تعنيه من معارف إجماليّة ومتنوّعة بالعديد من الأمور والاختصاصات، دون أن تكون متخصّصًا بواحد منها بعينه. لكن مثل هذا التعريف لا يمكننا



الاقتصار عليه لأنّه يحجب حقيقة انتشار الانهمام الثقافيّ في الدوائر الأصغر والأضيق.

والأهمّ من كلّ ما أوردناه حتّى الآن، هو ما يعكسه الانهمام الثقافيّ المتخصّص أو المنتشر من قيم مكوِّنة للرؤية، وباعثة على السلوك أو النمذجة (من النموذج).

وهذه القيم قد تكون مباشرةً قائمةً على النفعيّة أو الفردانيّة، وقد تكون غير مباشرة تقوم على فلسفة ما، أو معتقد، أو دين، أو رسالة.

وبهذا المعنى، فإنّ ما قدّمه الإمام الخامنئي من نظرته لمعنى الثقافة هو أقرب ليكون موقفًا رساليًّا ملتزمًا منه ليكون تعريفًا فنّيًّا.

فالثقافة عنده همّ رساليّ مبنيّ على إيمان عقديّ وقيميّ وشرعيّ، كما أنّه مبنيّ على معرفة بأحوال المجتمع في مصالحه وصداقاته وخصوماته، وهو مبنيّ أيضًا على تجربة تولّد أحاسيس خاصّة وتحيّزات خاصّة في المواقف تجاه الأمور والمفاهيم والقيم والأوضاع.

لهذا كلّه، تحدّث عن ثورة ثقافيّة، وجبهة فكريّة تنويريّة، بالإضافة إلى جبهة فنّيّة، وكلا الجبهتين إنّما ولدتا ونمتا في ظلّ أمرين:

**الأوّل:** الجهاد الثوريّ الذي خاضته فصائل الإسلام المحمّديّ الأصيل في إيران بقيادة الإمام الخميني (قده).

**الثاني:** الفطرة السليمة المبنيّة على لطف الله وعنايته.

وهذه الثورة البانية "تعطي فكرًا، وكذلك شعارًا، وفيها العقيدة، وكذا الشعور". فهي، إذًا، عمليّة تؤالف بين البعد الفكريّ والعقديّ، والبعد الشعاراتيّ الوجدانيّ. والحاكم في ارتباط الناس الثوريّين، رغم اختلاف حقولهم المعرفيّة الفكريّة منها أو الفنّيّة، هو هذه الثورة الإسلاميّة،

إنّ عندنا جبهةً فكريّةً تنويريّةً داخليّة، وجبهةً فنّيّةً داخليّة، نشأتا من الثورة وكان منشؤهما طبيعيًّا. ففي جميع ساحات مجتمعنا نما أفراد تحت المطر المبارك للثورة ومن أرض الفطرة الإنسانيّة الخصبة [...] هاتان الجبهتان، أو هاتان الفئتان مستقلّتان عن بعضهما؛ لأنّ الفكر التنويريّ يختلف عن

الفنّ، فكم من فنّان ليس بمفكّر متنوّر، وكم من تنويريّ ليس بفنّان، إلّا أنّهما قد تجتمعان معًا [...] لقد أعطيت الاهتمام للحدّ المشترك بينهما[٣].

تشي هذه المقولة من قائد الثورة الإسلاميّة بجملة أمور منها:

**الأمر الأوّل:** وسمه الحقل الفكريّ والفنّيّ بالجبهة، ليؤكّد على البعد الجهاديّ والنضاليّ في هذا الحقل الثقافيّ.

**الأمر الثاني:** اعتباره أنّ الفكر غير الفنّ من حيث التخصّص، إلّا أنّ الجامع بينهما هو البيئة التي تولّدا منها (الثورة والناس)، والهدف الذي يمكن أن يخدماه (الرسالة والأمّة).

**الأمر الثالث:** إعطاؤه صفة الجبهة الداخليّة عليهما لتأكيد الخصوصيّة فيهما، لذا اعتبر أنّهما تولّدا ونميا كجميع ساحات المجتمع الرساليّ من مطر الثورة والفطرة الإنسانيّة الخصبة.

**الأمر الرابع:** أخيرًا، يعلن ويؤكّد القائد على اهتمامه الخاصّ بهاتين الجبهتين.

ممّا يدعونا لنسأل عن مدى اهتمامه، وعن سبب هذا الاهتمام.

وهذا ما يتحدّث الإمام الخامنئي حوله:

لا يوجد لديّ أيّة هواجس في عالم السياسة، لأنّ وضعنا جيّد جدًّا [...]إنّ جبهتنا السياسيّة قويّة جدًّا [...] وفيما يتعلّق بالقضايا الاقتصاديّة فليس لديّ أيّ قلق في هذا المجال [...] سوى ما يعتصر القلب من معاناة الفقراء [...] إنّ عملًا جيّدًا بات على مشارف الإنجاز [في الجانب الاقتصاديّ]. أمّا في المجال الثقافيّ، فأنا أشعر بالقلق بكلّ ما للكلمة من معنى، لا بل وأحمل الكثير من الهواجس في المسألة الثقافيّة[٤].

أمّا مدى هذا الاهتمام ومستواه ونوعيّته، فهو "من النوع الذي يؤرّق صاحبه بحيث يوقظه في منتصف الليل ليتضرّع إلى الله تعالى". وهذا

(٣) هذا الاقتباس، وكلّ ما سيلي في المقدّمة من اقتباسات للإمام الخامنئي، هي مقتطفات من نصّ الخطبة الأساسيّة التي يتمحور الكتاب حولها.

(٤) الثقافة هنا تعني الجبهة الفكريّة والجبهة الفنّيّة.

المستوى من القلق لا تثيره إلّا المخاوف الرساليّة على أصل الهويّة والواجب المنوط بالعقديّ تجاه حفظ أمّته وشعبه في وجودهم وقيمهم وتديّنهم وانتمائهم. المسألة، إذًا، جدّيّة للغاية، بحيث يستشعر المرء أنّ مصبَّ القلق يتّجه نحو مبدإ قيام الثورة الإسلاميّة بفاعليّتها وتأثيراتها التي صنعت إنسانًا رساليًّا مجاهدًا ومدافعًا عن الحقّ الذي آمن به، الثورة التي أعادت لإنساننا المسلم ثقته بنفسه.

ومن المعلوم، حسب نهج الإمام الخميني (قده)، أنّ أصل النجاح والنصر المؤسِّس للاستقلال والحرّيّة والازدهار إنّما يكمن في خروج الإنسان من التبعيّة والانسياق خلف الغير إلى رحاب الثقة بالله وبالذات، بحيث يستطيع أن يبني هويّته الخاصّة الرساليّة والثقافيّة، وأن يبني من هذه الثقة بهذه الهويّة، هويّته الحضاريّة الناشئة.

كما أنّ من مصبّ القلق ما يتّجه نحو الدور المطلوب من هاتين الجبهتين الثقافيّتين (الفكريّة والفنّيّة)، وهو الدور الرياديّ الذي يحقّق إنجازات على صعيد اهتماماتهما الثقافيّة وتكتيل العناصر والكوادر المفيدة والمبتكرة ممّن يتوفّرون على العمق والأصالة والجاذبيّة.

وهنا يُعلن الإمام الخامنئي صراحةً "أنّ سنان الثورة الفكريّ والفنّيّ كان الأبطأ من بين جميع أسلحة الثورة وأدواتها الأخرى".

وهو بهذا الإعلان لا يريد إحداث إحباط، بل إحداث صدمة طاقة في جسم الحقلين الفكريّ والفنّيّ. لذا، فإنّه قام بالخطوات التالية:

١. إلقاء مسؤوليّة الاستنهاض الثقافيّ على المشتغلين في هذا المجال: "لا يوجد لدينا اقتراح عمليّ ولا تتوقّعوا منّي أن أجلس لأقدّمه لكم، أنتم من يجب عليه تقديم الاقتراح العمليّ والعمل به". وإيلاؤهم هذه المسؤوليّة من باب القناعة لدى القائد والثقة بقدرات هؤلاء الناس على تحقيق الإنجازات، وهذه الثقة هي التي تصنع المعجزات، لذا يقول الإمام الخامنئي:

لذلك أرغب، انطلاقًا من هذا الإحساس حولكم، أن أجعل تلك القلادة المعنويّة، أي ذاك التكليف الذي يقع على عاتقكم، أكثر ثقلًا واستحكامًا. هذا هو تكليفي، وهذا هو معنى التكليف من الأساس؛ هو المشقّة التي يحملها الإنسان على عاتقه. إنّ الله تعالى هو أكبر مكلِّف، والإنسان أفضل مُكلَّف [...] اليوم وباعتباري عبدًا لله أريد أن أجعل تكليفكم ثقيلًا.

الثقافة رسالة حيّة وحراك جهاديّ، وليس ترفًا ذهنيًّا، أو تراكم معلومات بلا مضمون وأثر. إنّها تكليف مصدره الله، وهدفه إحياء الإنسان بالحياة الإلهيّة، والمكلَّف بذلك هم أفراد أو جماعات من الناس.

لذا، من أراد العمل الثقافيّ فعليه أن يتّقي ربّه، ومن يتّقِ الله يعلّمه الله. وهل من مخزون ونتاج فكريّ أو فنّيّ إبداعيّ أرقى من ذاك الفائض من ملمح الغيب والفيض والعطاء؟

٢.تبيين أسباب التردّي في تحقيق الإنجازات الثقافيّة، وهي تنبع من جملة أمور، منها:

أ.المعرفة الدقيقة بمزاج من ينبغي التأثير فيه، وما هي الأمور المؤثّرة في تلك الحالة:

لو فرضنا أنّنا لم نتمكّن في وقت من الأوقات من جذب روح حسّاسة فليس السبب أنّنا نتحدّث بشكل سيّئ أو خاطئ، بل السبب أنّنا لم ندرك الحالة الخاصّة والمستوى المناسب لجذب تلك الروح الحسّاسة.

ب. أنّ الإسلام ليس مجرّد صيغ اجتماعيّة وسياسيّة، بل هو التزام عقديّ وشرعيّ عميق. لذا، فقد نجد من يتناسب مع الطروحات الثوريّة والسياسيّة إلّا أنّه يرفض الالتزام الشرعيّ والعقائديّ، وهذا ما يسبّب عدم انضمام الكثيرين إلى الجبهة الإسلاميّة الثقافيّة، الفكريّة أو الفنّيّة، الخاصّة.

إنّ الإسلام له خصوصيّته، فهو لا يكتفي بالمسؤوليّات الاجتماعيّة، بل يتحدّث أيضًا عن المسؤوليّات الفرديّة. فمن جملة القيم الإسلاميّة



أن لا يكون الشخص من أهل الفحشاء [...] هذه القيم موجودة، فهل يمكن حينئذٍ لذلك الفنّان الذي هو إنسان صحيح ونبيل جيّد، لكنّه من أهل هذه المنكرات أن يرافق هذا النظام؟ بالطبع لا يقدر، إلّا أن يكون هناك تجاوز، حسنًا لا ينال الجميع مثل هذا التجاوز.

ت.من الأسباب قلّة اهتمام المسؤولين من أصحاب النفوذ والاقتدار بالمشاريع والمؤسّسات والإنجازات الفكريّة والفنّيّة والإبداعيّة.

ث. الاهتمام بأصحاب الشهرة، والتغافل عن "البراعم المنفتحة حديثًا".

ج. "الانهزام النفسيّ في عناصر جبهتنا أمام الشخصيّات الموجودة في جبهة الأعداء"؛ وهو ناتج عن عدم المعرفة بهم، والتأثّر بالأجواء الإعلانيّة والإعلاميّة المواكبة لهم، كما أنّه ناتج عن اختلال في معايير التقييم، فكم من فنّان أو مفكّر يتحدّث عن الإنسانيّة والقيم والأخلاق، وهو خالٍ من كلّ تلك المعاني والقيم. لذا، فلو عرف الواحد منا أنّ الأصالة هي في عمق البعد الإنسانيّ والثبات على الحقّ، لعلم أنّ هذا الأصل بإمكانه أن يوفّر لنا شخصيّات مبدعة فريدة بتوازنها ونتاجها.

ح.وجود أجهزة تحكّم أمنيّة وسياسيّة تحرّك الحقول والمؤسّسات والشخصيّات الثقافيّة، الفكريّة، والفنّيّة، وهي أجهزة معادية للرسالة والمشروع الإسلاميّ والثوريّ، "يكفي أن يقوم الغربيّون بمدح فنّان موجود في إيران لنشاهد الشابّ ينجذب إليه مباشرةً". "هكذا جماعة تتمّ إدارتها بواسطة أياد أمنيّة-سياسيّة طبقًا لفكر معدٍّ ومنظّم مسبقًا ليكونوا معادين للجمهوريّة الإسلاميّة، حيث إنّهم يدركون تأثير الثقافة الإسلاميّة، ويلمسون التأثير الثقافيّ على المجتمع".

خ. التشكيك بكلّ وسيلة وطريقة بأصول ومرتكزات وشخصيّات

الثورة والإسلام.

د. الاستفادة من بعض المشاكل والنزاعات الحزبيّة في الجمهوريّة، وتصويرها وكأنّها ناتجة عن أصل الثورة وطبيعة الالتزام الإسلاميّ.

ذ. تأمين الجبهات المعادية، الزينة الدنيويّة لأهل الثقافة والفكر والفنّ، سواءً عبر المال أو الشهرة أو المتعة واللذّة.

ر. الترويج لثقافة النقد السلبيّ والتشكيك بكلّ شيء، بحيث تصبح هويّة المثقّف صنو النقد للنقد، وهذا ما يتمّ توظيفه للتشكيك بالإنجازات والمرتكزات والأصول.

٣. اقتراح خيارات عمليّة لاستنهاض المشروع الثقافيّ.

انطلق الإمام الخامنئي حفظه المولى في رسم خيارات استنهاض المشروع الإسلاميّ الثقافيّ من جملة وقائع وحقائق، أهمّها:

**أوّلاً: تقييم واقع المشروع المعادي ومدى قوّته الظاهرة، وقوّته الحقيقيّة.**

لقد لجأ العدوّ في هذه الفترة من الزمان إلى خندق الحرب الثقافيّة مع الجمهوريّة الإسلاميّة، والعدوّ يمتلك أدوات عديدة. نعم، هو فاقد للإيمان، ولا يقين في قلبه، ولا يعتمد على السنن الإلهيّة. كيده كيد الشيطان، ولذلك فهو ضعيف، أمّا جهده فحثيث، ووسائله حديثة، وماله كثير، وإذا تمكّنّا من الوقوف مقابل هذا الهجوم، فالعدوّ بالتأكيد سيخيب، ولكن إذا أبدينا أيّ ضعف فسيتمكّن العدوّ من خلال هذه الحملة من إلحاق الخسائر في صفوفنا على صعيد البعد الثقافيّ [...] وتلك الخسارة التي تطال إيمان جيل الشباب هي أمرٌ لا يعوّضه أيّ شيء آخر.

في هذا النصّ تحديد لجبهة صراع متقدّمة بين المشروع الاستكباريّ والمشروع الإسلاميّ، وقد عمل فيها المشروع الاستكباريّ على غزو ثقافيّ لمجتمع إسلاميّ مقاوم، وجيل إسلاميّ مؤمن وثوريّ. وقد تسلّح العدوّ بأمور ووسائل ذات تأثير بالغ في حربه هذه. والإمام الخامنئي يعترف بواقع الجهد الحثيث للعدوّ، والمال الكثير الذي يبذله، والوسائل الفتّاكة التي يعتمدها، والتي إذا حقّق العدوّ مكتسبات من خلالها فإنّه سيوقع في



المجتمع الإسلاميّ خسارةً لا تُعوّض، وهي تشويه هويّة وإيمان جيل إسلاميّ واسع.

إلّا أنّه، وفي الوقت نفسه، فإنّ جبهة أهل الثورة إن استطاعوا، ولو بالحدّ الأدنى، إيقاف وتعطيل مفاعيل هذا الغزو الثقافيّ، فإنّهم بذلك سيوجّهون صفعةً مصيريّةً لهذا المشروع، وأبناء الأمّة وقادتها قادرون على ذلك؛ أمّا سبب يقينه من القدرة على مواجهة هذا المشروع، فلأنّ العدوّ مهما استطال وتعملق من حيث الشكل، فإنّه هزيل وضعيف من حيث المضمون، وهنا أهمّ مستند لدى الإمام الخامنئي ثقته بقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[٥]. من هذا المستند المبنيّ على إيمان القائد بثقافة النصّ ومعياريّة هذه الثقافة في الحكم على الأمور، حَكَم سماحته أنّ الفرص واسعة للقضاء على أهل الكيد الضعيف.

وبتأويل للنصّ، استنتج سماحته أنّ هؤلاء الجماعة كالشيطان بلا إيمان ولا يقين، وبلا توكّل على السنن الإلهيّة. واجتراح الأعمال الكبرى التي تصل حدّ الإعجاز إنّما تحتاج إلى هذه العوامل الثلاث: الإيمان، اليقين القلبيّ، الاعتماد على السنن الإلهيّة. وهي عوامل متوفّرة في جبهة الإيمان الثوريّ المرتبط بالنصّ الوحيانيّ، والمدد الإلهيّ في عالم الحياة ودنيا الشهادة.

**ثانيًا:** تأكيده أنّ الغزو الثقافيّ الذي يقوم على "الإعلام، الفنّ، الكتاب، المقالة، القصّة، الأفلام المستوردة، وغيرها من الأمور"، لا يصحّ مواجهته بأدوات غير ثقافيّة، إذ "إنّ أداة الثقافة ضروريّة". وأهمّ حقل ينبغي الاهتمام به هو "ذهنيّة المجتمع"، فهل ستكون ثوريّةً إيمانيّة، أم متحلّلةً ميّالةً للدعة؟ وأهمّ إنجاز يمكن تحقيقه في المجتمع المانع للغزو الثقافيّ الغربيّ هو إرساء الحساسيّة السلبيّة والمفرطة تجاه الطاغوت والظالم والمستكبر.

**ثالثًا:** وهي نقطة بالغة الأهمّيّة، مفادها أنّ من عادة المشتغلين بالثقافة

---

(٥) سورة النساء، الآية ٧٦.

إذا أرادوا توفير أيّ إنتاج أو عمل أو إصدار ثقافيٍّ أن يسألوا أنفسهم من المُخاطَب بهذا العمل؟ وبحسب المُخاطَب يُحدّد مستوى العمل ونوعيّته وتشكّله وعناصر الجذب والإثارة فيه وإلى ما هنالك.

وأحيانًا كثيرةً إذا كان المقصود من العمل هو الدخول إلى عالم أهل الفنّ والفكر العالميّ مثلًا، أو التخصّصيّ، فإنّ أهل الفنّ والفكر يقدّمون الأمور بالطريقة التي ترضي مزاج وشروط أهل التحكّم في شروط العمل الفكريّ أو الفنّيّ. وهنا، قد يقولون ما يرضي معايير الحَكَم، وقد يبرزون قيمًا وصورًا وأنماطًا ونماذج لا تمتّ بأيّ صلة إلى روح الأهداف المتوخّاة رساليًّا.

وهذا ما يجعل العمل الثقافيّ في خدمة الأهداف الأخرى والمشروع الاستكباريّ المُعادي. لذا، فإنّ الإمام الخامنئي يقترح هدفًا آخر للناتج الثقافيّ وهو بدل أن يكون كيف نحاكي المُخاطَب، فليكن كيف نبني ونؤسّس لمُخاطَب جديد. وهذا ما يمكن أن ينقل العمل الثقافيّ من دائرة الترويج إلى دائرة التكوين؛ تكوين الذهنيّة، والقيم، والمزاج، والجيل. هذا فضلًا عن أنّه يُخرجنا من أسر الشروط الآسرة لنا من قبل غيرنا، إلى حال نؤسّس فيها نحن المعايير والضوابط والشروط، وهو ما يساهم بالاستقلال الفكريّ والفنّيّ المبتكر. ومن ذلك، على سبيل المثال، فلسفة نقل الواقع كما هو، التي تسود الأعمال الفنّيّة، والتي صارت رغم فظاعة ما تنقله وتأكيدها على موضوعيّة هذه الفظاعة السيّئة، هي المعيار الحاكم على نجاح أيّ عمل فنّيّ وبدون الالتفات إلى المؤثّرات التربويّة السلبيّة التي يروّج لها هذا العمل. من هنا، فإنّ الإمام حفظه المولى دعا لوضع معايير تحتضن نحوًا من المثاليّة التي تطمح إليها مجتماعتنا ورسالتنا الدينيّة، وأن يتمّ تقديمها بطريقة جاذبة ومؤثّرة. ومن هذه القيم وصناعة المُخاطَب، فإنّ الأصل في خطابنا وعملنا الثقافيّ ينبغي أن يكون المجتمع الداخليّ، ومنه ننطلق نحو الأفق العالميّ الآخر، لكن بشروطنا نحن.



ابدأوا من أنفسكم وتابعوا العمل ضمن الظروف الموجودة، ومن جملة الأعمال التي ينبغي القيام بها هي أن تقوموا بصناعة وإيجاد مُخاطَبيكم.
وأنا لا أقول أن تجعلوا مُخاطَبيكم من الجبهة الموافقة فقط، فليكن مخاطَبوكم من كافّة البشر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[٦]، بل حافظوا على مميّزاتكم في نداءاتكم ودعوا مُخاطَبيكم يتذوّقون هذا الطعم ويستلذّون به.

وهكذا، فإنّ الثقافة عند الإمام الخامنئي هويّة أمّة، ومشروع رسالة للعالمين، وبمقدار الإيمان بهذا المشروع الثقافيّ يمكن للأمّة أن تحفظ وجودها وخصائصها وحيثيّتها. ومن أهمّ ما تحتضنه الثقافة هو القدرة الإبداعيّة على تبيان فرادة الذات وقوّة حضورها الحضاريّ الفاعل. وإنّنا في معهد المعارف الحكمية، إذ نرى في هذا الكتاب توجيهات حقيقيّة لبناء مشروع ثقافيّ-حضاريّ أصيل، فإنّنا نتشرّف أن نضعه بين يدي القارئ كواحد من أهمّ ركائز بنائنا الثقافيّ الرساليّ.

---

(٦) سورة سبأ، الآية ٢٨.

## لقاء الإمام الخامنئي حفظه الله ومجموعة من المثقّفين الثوريّين بتاريخ ٢٢ / ٤ / ١٣٧٣ هـ.ش

إنّني مسرور جدًّا لأنّه، وأخيرًا، تمّت إقامة جلسة كهذه، فلطالما رغبتها منذ أمدٍ بعيد. وقد لا توجد معرفة شخصيّة بيني وبين أكثر الإخوة والأخوات الحاضرين؛ ولكنّني في الإجمال أعتقد أنّ الجميع يشكّلون قسمًا مهمًّا من الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا من بدريّي هذا العصر.

ليس المروم من عقد هذه الجلسة بيان مسائل جديدة، بل إنّي أعتبر، في الدرجة الأولى، نفس هذا التجمّع ضروريًّا، فكلّما مضى الزمن، أشعر أنّ اجتماع أصحاب الحقّ أوجب وأكثر إلحاحًا. وثانيًا، لما سأذكره اليوم في هذا الجمع من كلمات تأتي على بال العبد مرارًا وتكرارًا، أسردها أحيانًا بشكل فرديّ لبعض الأصدقاء من سالكي هذا الصراط.

بدايةً، وأنا الذي يحمل العبء الأثقل من بين المسؤولين في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة، وإنّي أستشعر ثقله بكلّ وجودي؛ ليس لديّ أيّة هواجس في عالم السياسة، لأنّ وضعنا في هذا الميدان اليوم جيّد جدًّا، وقد تمكّنّا من جعل العدوّ يتبعنا. نحن في موضع الفعّاليّة، والعدوّ، برغم ما يملك من حجم عظيم وتسلّط في عالم السياسة ضدّنا، في موضع الانفعال.

وأحمد اللّه على أنّ جبهتنا السياسيّة قويّة جدًّا، هذا هو إحساسي الحقيقيّ وليس مجرّد كلام. فالواقع أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة، بما هي عليه، بالنسبة إلى المشهد العالميّ اليوم، لا تواجه أيّة مشكلة في عالم السياسة. صحيح أنّ لدينا أعداء كثر، وفيهم أشخاص عاقلون مجرّبون وبارزون، لكنّ اللّه تعالى قدّر لأيدينا أن تعلو على أيدي أعدائنا في هذا الميدان. ولو دقّق شخص في هذا العالم، فسيشاهد علامات قوّة هذا التفوّق واضحة.

وفي هذا الإطار، هناك حركة سياسيّة سلسة، ناضجة ومحسوبة، يقوم

بها مسؤولو البلاد؛ من مواقف تُتَّخذ، وتصريحات، وذهاب وإياب، وعقد اجتماعات. ونحن لا ندّعي عدم ارتكاب الخطإ لأنّ ذلك غير متوقّع وغير ممكن سوى للمعصومين، ولكن مع القليل أو الكثير من الأخطاء، يوجد سعي حثيث لإنجاز عمل سياسيّ جيّد، ما يعني أنّ هذه المسائل في البلد غير متروكة، وأنّ كلّ الأعمال محسوبة. بدايةً، يتمّ تصوّر الفائدة في العمل أو ما يدفعه من ضرر، ثمّ الإقدام عليه. كلّ الأعمال هي هكذا إلّا ما يُستثنى ممّا قد يخرج عن السيطرة، تمامًا كما قد تصدر عن الإنسان، أحيانًا، سلوكيّات وتصريحات وكلمات خارجة عن إرادته، وفي هذه الحالات تظهر الأخطاء. كلّ اشتباه يحصل هو من هذا القبيل. لكنّ تأثير هذه الوقائع في العالم بارز جدًّا، ويستوجب شكر الباري عزّ وجلّ.

أجل؛ يسعى الأعداء، في بياناتهم، وتصريحاتهم، وإعلامهم، وفي إذاعاتهم، إلى إظهار ضعف الموقف السياسيّ للجمهوريّة الإسلاميّة. لكن احملوا كلّ ما تسمعونه من العدوّ على أساس العداوة. أنتم ترون أنّه في ميدان الحرب، حينما يهجم المقاتل في ساحة المعركة، فإنّه يتلفّظ، أحيانًا - وفق العادات القديمة - ولأجل تحقير خصمه، بكلمات من قبيل: "سأضربك! سأقتلك! سأجتثّ أصلك! أنت لست شيئًا!".

حسنًا، فالساحة ساحة حرب، وهذه الوسيلة هي إحدى وسائل إضعاف معنويّات الخصم. ما تسمعونه اليوم في العالم ممّا يُنسب إلى الجمهوريّة الإسلاميّة: بأنّ نظام الجمهوريّة الإسلاميّة ضعيف، ويوجد خلافات في داخله، هناك إشكال بين فلان وفلان، وبين هذا الجناح وذاك، وهذا النظام سيزول؛ وقِس على ذلك، هو في الواقع من مصاديق مقولة "الباطل يموت بترك ذكره"، إنّه يزول ويندثر بترك تكراره. أحمد اللّه أنّ الوضع السياسيّ في الداخل والخارج، من جهة الطريقة التي تتّبعها الحكومة والمسؤولون، والنظام العامّ للمجتمع، وضع جيّد، ولا يوجد ما يدعو للقلق.

أمّا فيما يتعلّق بالقضايا الاقتصاديّة - وهي تشكّل فصلًا مهمًّا من

قضايا البلد - فليس لديّ أيضًا أيّ قلق في هذا المجال. فما يجري من عمل في هذا الميدان عمومًا ليس بالعمل السيّئ. تعاني كافّة المجتمعات اليوم من مشاكل اقتصاديّة، حتّى أولئك الذين يسعون لنقل ما يعانونه من ضغوطات إلينا، لديهم معاناة صعبة. وبالطبع نحن لسنا مستثنيين من ذلك. لكن في المجال الاقتصاديّ، ليس لديّ أيّة هواجس أو قلق، سوى ما يعتصر القلبَ من معاناة الفقراء والطبقات الضعيفة في المجتمع، وهو ألم يستشعره أيّ مسلم. وبالرغم من ذلك، فلديّ أمل مشرق بأن يتمكّن مسؤولو البلد من التغلّب على المشكلات الاقتصاديّة وحلّها. تشير البرامج إلى أنّنا سنصل إلى مرحلة حلّ المشاكل، وإن لم يكن ذلك في المدى القريب. فقد انطلقت اليوم حركة جيّدة في المجالات الاقتصاديّة. وإنّ الذي يمتلك بصيرةً في هذا المجال، وينظر بتفاؤل، ويتجاوز الشعارات الصحفيّة التي تنطلق من هنا وهناك، ويترك بعض حالات الغضب الناشئة من عدم معرفة الحقائق، أو من الجهل بقضايا البلد والمسائل الاقتصاديّة، سيرى أنّ عملًا بنّاءً بات على مشارف الإنجاز. وعلى أيّ حال، يبقى ذلك الألم الذي ذكرته فيما يتعلّق بطبقات المجتمع الضعيفة في قلوبنا.

أمّا في المجال الثقافيّ، فأنا أشعر بقلق شديد بكلّ ما للكلمة من معنى، لا بل وأحمل الكثير من الهواجس. إنّ هذه الهواجس هي من النوع الذي يُؤرّق صاحبه بحيث يوقظه في منتصف الليل ليتضرّع إلى الله تعالى؛ أنا لديّ مثل هذه الهواجس. بالطبع، لن أتحدّث عنها للناس في الخطابات العامّة، ولكن لا يمكنني أن أكتمها عنكم، فأنتم القيّمون على القضايا الثقافيّة، ويجب أن تطّلعوا على هواجسي هذه. أنا لست ممّن لا اطّلاع لديهم على المسائل الثقافيّة، وكذلك لم أكن بعيدًا، في أيّ حال، عن معرفة قضايا البلد. ولهذا، لديّ في الحقيقة عميق القلق فيما يرتبط بالثقافة. بالطبع، وعلى أثر التربية الإسلاميّة الأولى، انبعث فينا إحساس مبارك، ثمّ منّ الله تعالى بعد ذلك علينا بشخص كالإمام، أحيا بوجوده وحركته إحساس الأمل بالمستقبل.

وأشكر اللّه تعالى أنّني لم أفقد الأمل، ولو للحظة واحدة، في هذه المجالات، فإذا كنت أعمل وأتحدّث وأقدم على بعض الأمور، فذلك كلّه ناشئ عن ذاك الأمل. وإن شاء اللّه، وبفضل منه تعالى، سأضاعف هذا الجهد والإقدام والحركة يومًا بعد يوم. كما أنّني، وبفضل ذاك الأمل، قد نمّيت وطوّرت سعيي وحركتي في هذا الطريق بصورة حثيثة منذ بداية الثورة وحتّى يومنا هذا.

مع ذلك كلّه، فإنّ تلك الهواجس، المشابهة لهواجس ساحات الحرب، ما زالت موجودةً ونعايشها. ففي ميدان الحرب، وأغلبكم من الذين شاركوا في الجبهات حتمًا، تعلمون أنّ هواجس ساحة الحرب ليست، بالتأكيد، بمعنى ترك المتاريس والتراجع واليأس، بل هي هواجس أخرى، ترافق الشخص في الخطوط الأماميّة أو في المقرّات. وقد تواجدت في كِلا المكانَين، وعايشت هواجس هذه الساحة بجدّيّة.

بالإضافة إلى هذه المسائل، هناك اليوم مجموعة من الحقائق التي ينبغي أن نتحدّث عنها. ولا يوجد لديّ أيّ اقتراح عمليّ، ولا تتوقّعوا منّي أن أجلس لأقدّمه لكم. أنتم مَن ينبغي عليه تقديم الاقتراح العمليّ والعمل به. بحمد اللّه كلّكم مسؤولون، وحديثي حول مسألة الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا في البداية لم يكن من باب المجاملة، بل هذا هو اعتقادي بالأشخاص الذين أعرفهم من بينكم، وهو أكثر رسوخًا من الأشخاص الذين لا أعرفهم. لذلك أرغب، انطلاقًا من هذا الإحساس، أن أجعل تلك القلادة المعنويّة، أي ذاك التكليف الذي يقع على عاتقكم، أكثر ثقلًا واستحكامًا.

وباعتبارنا عبيدًا للّه، أريد أن تشعروا اليوم بثقل تكليفكم. لذا، سأصرّح ببعض الوقائع التي أعرفها وأنتم، بكلّ الأحوال، تعرفونها أيضًا، إلّا أنّ في الاستماع أثرًا غير موجود في المعرفة.

أودّ أن أبيّن لكم أنّ عندنا جبهةً فكريّةً تنويريّةً، وأخرى فنّيّةً، نشأتا بشكل طبيعيّ من الثورة. ففي جميع ساحات مجتمعنا، أفراد نمت تحت مطر

بركة الثورة ومن أرض الفطرة الإنسانيّة الخصبة، فتشكّلت جبهتاها: الفكريّة التنويريّة والفنّيّة. وهاتان الجبهتان، أو لنقل، الفئتان مستقلّتان عن بعضهما لأنّ الفكر التنويريّ يختلف عن الفنّ؛ فكم من فنّان ليس بمفكّر متنوّر، وكم من تنويريّ ليس بفنّان، إلّا أنّهما قد تجتمعان معًا، واليوم هاتان الفئتان هما مورد اهتمامي، وبتعبير أوضح لقد أعطيت الاهتمام للحدّ المشترك بين هاتَين الفئتَين.

لقد تشكّلت على أثر الثورة جبهة بنفسها، ولا يمكن لأيّ شخص أن يدّعي أنّها جاءت نتيجةً لجهوده ومساعدته. في الواقع، هذه الجبهة نشأت كما الغابة التي تنمو من تلقاء نفسها، لم يقم أحد بغرس شتولها، وإنّ ما كان له دخالة في تحقيق هذا الأمر بالتأكيد هو مطر الثورة والفطرة الصافية. فكما تعلمون أنّ من خاصّيّة الثورة أنّها تربّي وتنشئ.

وعلى كلّ الأحوال، نشأت، في مقابل جبهة عظيمة، جبهة جيّدة وواسعة في نفس ميدان الفكر والفنّ، لم يكن أعضاؤها يؤمنون بالثورة، بل كانوا كافرين بها.

لقد وُجدت جبهة تلقائيّة في مواجهة تلك الجبهة العظيمة، إلّا أنّ سنان الثورة الفكريّ والفنّيّ كان الأبطأ من بين جميع أسلحة الثورة وأدواتها الأخرى! لقد تمكّنت الثورة من النفوذ إلى جميع الأماكن حتّى وصلت إلى ساحات الحرب والعسكر الطاغوتيّ. لم يكن أولئك العسكريّون الطاغوتيّون الذين أصبحوا ثوريّين من الأعماق قلّةً، وليسوا قلّةً الآن. لكنّا لا نجد بعدد العسكريّين الذين أصبحوا ثوريّين، ولا حتّى أقلّ بكثير، عددًا صار ثوريًّا في جبهة الفكر التنويريّ. ليس الأمر أنّني أنا لم أجد بل لا أحد قد وجد.

لم تتمكّن ثورتنا من الظفر في تلك الجبهة، ولذلك أسباب بالتأكيد. وحيث إنّكم فنّانون ومفكّرون فإنّكم تستشعرون المسائل المطروحة في هذا المجال، ويمكنكم بسهولة أن تكشفوا هذه الأسباب.

يُبتلى المفكّرون المتنوّرون بتعلّقات تشكّل حيازتها عائقًا ولو كانت في



فكر زلال نظيف خالص. يعني لو فرضنا أنّنا لم نتمكّن في وقت ما من جذب روح حسّاسة، فليس السبب أنّنا نتحدّث بشكل سيّئ أو خاطئ، بل السبب أنّناً لم ندرك الحالة الخاصّة والمستوى المناسب لكي نجذب تلك الروح الحسّاسة. إنّ الروح التي تكتئب وتتلاشى بمجرّد عبوس أو تأخير أو عدم اهتمام لا يمكن أن نتوقّع أن يجذبها الفكر الصحيح.

النتيجة التي نخلص إليها هي أنّ سبب عدم انجذاب المفكّرين التنويريّين للثورة لم يكن نقصًا في فكرها وعقيدتها؛ ففي السابق، انجذب المفكّرون إلى جهاز لا يمتلك فكرًا وعقيدةً، وأقصد جهاز الحكم البهلويّ، وكم من شعراء الدرجة الأولى ومن فنّاني ومخرجي وموسيقيّي الدرجة الأولى في هذا البلد انجذبوا إلى الجهاز البهلويّ وعملوا لذاك النظام بكلّ وجودهم.

نحن لا نريد القول بأنّهم كانوا لا يعتقدون بذاك النظام. لأنّ المسألة ليست في الاعتقاد أصلًا، بل تكمن في الحميميّة والرفقة والتعاون. فأيّ اعتقاد يمكن الحديث عنه؟ عندما يكون في النظام عقيدة يصبح الحديث عن الاعتقاد به موضوعيًّا، لكن عندما لا يكون هناك عقيدةً أو فكرًا فلا معنى للاعتقاد. في النظام البهلويّ لا وجود لشيء يرتبط بالاعتقاد، ومع ذلك نجد أشخاصًا عملوا له بكلّ وجودهم، وأنا كنت أعرف الكثير من هؤلاء عن قرب وأعرف ما هو عملهم؛ كانوا يدافعون حقيقةً عن النظام البهلويّ ويحبّونه فعلًا ويعملون لحسابه.

حسنًا، وأيّ فكر ونمط ومسلك سيكون أعجز وأكثر تخلّفًا من فكر ونمط ومسلك حكومة أسّست على القهر والفساد كالنظام البهلويّ حتّى نقول إنّ النظام الإسلاميّ والثورة الإسلاميّة هما على هذا النحو؟! إذًا فهذا ليس دليل نقص في الفاعل بل دليل وجود حالة خاصّة في القابل.

يوجد أحيانًا في شريحة ما حالة لا يمكن التغاضي عنها بسهولة، مضافًا إلى ذلك أنّ للإسلام خصوصيّته، فهو لا يكتفي بالمسؤوليّات الاجتماعيّة، بل يتحدّث أيضًا عن المسؤوليّات الفرديّة. فمن جملة القيم الإسلاميّة أن

لا يكون الشخص من أهل الفحشاء؛ فلا يشرب الخمر، ولا يفسد جنسيًّا، ولا يكذب. هذه القيم موجودة أيضًا! فهل يمكن حينئذٍ لذلك الفنّان الذي هو إنسان سويّ ونبيل وجيّد، لكنّه من أهل هذه المنكرات، أن يرافق هذا النظام؟ بالطبع لا يقدر إلّا أن يكون هناك تجاوزًا. ولا ينال الجميع مثل هذا التجاوز.

تعرّف إلينا أحد المفكّرين المتنوّرين أوائل الثورة وكان قبلها من الناشطين المعروفين ويكتب مقالات جيّدة كان ينشرها في الصحف تحت اسم مستعار. أنا كنت أعرف هذا الشخص من بعيد وأجهله عن قرب.

ذات مرّة، كنّا أنا والمرحوم بهشتي والمرحوم باهنر وعدد آخر من الأشخاص في "مجمع التوحيد" عندما قالوا جاء فلان. لم يكن الحاضرون يعرفونه، وبما أنّني كنت أعرفه من بعيد قلت لهم دعوه يدخل. دخل وكان ودودًا معنا واستأنس بجمعنا، كان رجلًا تنويريًّا ذكيًّا ومتعلّمًا، ولم يكن سيّئًا.

لكن عندما طلب لقاءنا في المرّة الثانية، صادف ذاك اليوم قرار الإمام بمنع النساء غير المحجّبات من الحضور في الإدارات. تذكرون ذلك! فقد أصدر الإمام أمرًا كهذا في بدايات الثورة ولا أذكر إن كان ذلك في شهرها الأوّل أو الثاني. جاء هذا الشخص حينها شاكيًا: ما هذا الأمر الذي أصدره الإمام؟ ماذا تفعلون؟ ما هذا الكلام الذي تتلفّظون به؟ دخل معنا في محاججة ثمّ ذهب ولم يعد! تأمّلوا معي كيف جعلت كلمة واحدة من الإمام متعلّقة بحكم شرعيّ إسلاميّ - لا يمكن إغفاله حول حجاب المرأة - الكثيرين يبتعدون عنّا.

أمّا فيما يتعلّق بالقيم الفرديّة الإسلاميّة، فكلّما تقدّمتم خطوةً شاهدتم حالات كثيرةً من هذا القبيل؛ فلان من الناس يودّ شرب الكحول، وشعراؤنا يكثرون من ذكر الخمر في أشعارهم؛ فيتساءلون هل تكون الخمرة ممنوعةً نهائيًّا في الحياة؟! هل يصحّ أن يجلس شخص في خمّارة اعتمادًا على هذا



المنطق؟! الإسلام لا يكتفي بتحريمه، بل يحاسب عليه ويضع له حدًّا شرعيًّا أيضًا.

الإسلام لم يجعل حدًّا شرعيًّا للكذب والغيبة، إلّا أنّه عيّن حدًّا شرعيًّا لشرب الخمر، وعقوبةً على العلاقة مع الجنس الآخر، ولو كانت بنحو رقيق ولكنّه ممزوج بالشهوة، ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك. لنفرض مثلًا شابًّا فلانيًّا تربطه علاقة صداقة ومحبّة شديدة بفلانة من الناس، أليس في البين أيّ إحساس شهوانيّ ولو رقيق جدًّا؟ أيّ شخص يمكنه أن يدّعي العكس؟

حسنًا، الكثير من الأفراد الذين كانوا شبابًا، وحتّى الذين تجاوزوا هذه المرحلة العمريّة، كانوا مبتلين بهذا الأمر ولطالما سرّتهم تلك المشاعر.

الإسلام يرفض ذلك، وكذلك الثورة الإسلاميّة والنظام الإسلاميّ والقيم الإسلاميّة ترفض ذلك، وهذه المسائل لا يقبلها الرسول ولا القرآن. ليس الأمر مسألةً هزليّةً! لم نأتِ بهذه الأمور من أنفسنا! وقد كلّفتنا مواجهة هذه المخالفات عددًا من الأشخاص. لو لم يكن هناك حدود وعقوبات على مثل هذه المعاصي لكان شخص واحد في هذا النظام كافيًا لجذب مئة شخص من عظماء عالم الفكر التنويريّ، لأنّ المتنوّر والفنّان وصاحب الحسّ المرهف يُستمال من هذه الجهة وتلك، وقد يتحقّق جذبه بابتسامة،

به خلق ولطف توان كرد صيد اهل نظر     بـه دام ودانه نگـيرند مـرغ دانـا را

بالخلُق واللطف يُمكن اصطياد أهل الفكر     ولا يصطاد الطائر الحكيم بالفخّ والحبّ

كان ينبغي أن يُقال بدل أهل الفكر أهل الفنّ.

إنّ من الناس من لا يغرّه مقام أو وزارة أو أيّ منصب كان، بل يكفيه ابتسامة والتفات، وأحيانًا، كما نقول نحن طلبة الحوزات العلميّة، قعدة حميمة، لا غير!

عندما أنظر نظرةً مقارنةً إلى الثورة الاشتراكيّة في الاتّحاد السوفياتيّ السابق وثورتنا الإسلاميّة، أرى كم كانت تلك الثورة عنيفةً وغليظةً. وإنّ من يطالع تاريخ أحداث تلك الثورة، سيشعر بذلك العنف، وما يؤسَف له أنّ

أغلب شبابنا لا يعرفون شيئًا عن الثورات الأخرى.

ذلك الأمر يؤلمني أحيانًا؛ إنّهم لا يعلمون أصلًا أيّة مظاهر كريهة حملتها الثورة الاشتراكيّة في الاتّحاد السوفياتيّ السابق، تلك الثورة التي شغلت الدنيا وكانت أكبر ثورة في زماننا المعاصر حتّى قيام الثورة الإسلاميّة. عندما ينظر الإنسان نظرةً مقارنةً بين الثورتَين، يرى أنّ الفارق بينهما كامتداد المسافة بين الأرض والسماء.

لقد قرأت الكثير في هذا الخصوص وأعرف تفاصيل القضايا. أعرف ما حصل في الاتّحاد السوفياتيّ السابق عن طريق الكتابات المباشرة وعلم التاريخ، وكذلك عن طريق الروايات التي كتبت في هذا المجال وتناولت الكثير من الخصوصيّات بنحوٍ أدقّ وأوضح وأكثر تفصيلًا.

على أيّ حال، عندما أقارن بين ثورتنا والثورة الاشتراكيّة في الاتّحاد السوفياتيّ السابق، أرى أنّ ثورتنا أفضل بكثير. ومع ذلك تمكّنت تلك الثورة الخشنة، التي لا يمكن القبول بها، من جذب عدد غير محدود من المفكّرين والمؤلّفين وشعراء الدرجة الأولى في روسيا في تلك المرحلة، حتّى إنّها بعد مدّة جذبت إلى صفوفها من كان يعارضها بدايةً.

ومن جملة الأشخاص الذين انجذبوا إليها ألكسي تولستوي[الملحق ٦٩]، وقد ذكرت اسمه مرّةً أو مرّتين في مناسبة معيّنة بحضور البعض منكم أيّها السادة ممّن جئتم قبلًا إلى هنا، لأنّني معجب به. هو كاتب مبدع له عدد من المؤلّفات، كان حتّى العام ١٩٢٥ مخالفًا للثورة، وقد هرب من البلد وكان كما يقال لاجئًا يتردّد إلى ألمانيا وفرنسا اللتين كانتا تمثّلان في ذلك الوقت العنصر الأبيض. ولكن عاد بعد مدّة إلى روسيا وألّف كتاب درب الآلام *Road to Calvary*. لا أعرف إن كنتم اطّلعتم على هذا الكتاب أم لا؟ هو عبارة عن رواية رائعة حول الثورة الاشتراكيّة في الاتّحاد السوفياتيّ. هذا الرجل الذي كان في البداية ضدّ الثورة كتب روايةً من هذا النوع.

وقد كُتب حتّى الآن الكثير من المؤلّفات حول ثورة أكتوبر، وأنا قد قرأت



روايتَين من الروايات المعروفة والأفضل في هذا الخصوص، وعملت على المقارنة بينهما، وإن كنت قرأت العديد من الكتب حول هذه الثورة. إحدى هاتين الروايتَين رواية الدون الهادئ الشهيرة لشولوخوف، والذي كان – وبلا تشبيه – مثلكم أيّها السادة، أي من نتاج الثورة ويرتبط بجيلها، وكاتب من كتّابها. وحيث إنّه كان في عمر الشباب وفي مرحلة الثورة، فقد كتب هذه الرواية بتأثير من أحداث ثورة أكتوبر ووقائعها.

وأمّا الرواية الثانية فهي درب الآلام لتولستوي، الذي كان في البداية ضدّ الثورة كما قلنا، وهي ليست أفضل من الرواية الأولى من الناحية القصصيّة فحسب، بل حتّى من ناحية التوجّه نحو أصول الثورة والانجذاب إلى أحداثها وظواهرها ورسم حوادثها بفنّ جميل. في الواقع، لقد رسمت هذه الرواية وجه الثورة بنحو جميلٍ وعرضته كذلك.

بالعودة إلى الدون الهادئ، قرأت في أحد الأماكن أنّ شولوخوف عندما انتهى من كتابة روايته لم يُسمح له بنشرها وتوزيعها، إلّا لاحقًا في زمن ماكسيم غوركي – الذي تولّى رئاسة منصب مميّز، لعلّه وزارة الإرشاد في الاتّحاد السوفياتيّ في ذلك الوقت، وكانت هذه الوزارة من بداية الثورة مع الثورة ومحسوبةً لها – الذي أعطى ضمانات بأنّ شولوخوف مع الثورة ومنها واعتبر روايته مؤيّدةً للثورة، بينما كان المسؤولون الروس يقولون بأنّ شولوخوف هو من أهل كازاخستان، ولذلك تظهر في روايته الأحاسيس الكازاخيّة ومحلّيّات منطقة "الدون" الكازاخيّة.

وعلى كلّ الأحوال، كان تولستوي مخالفًا للثورة فأصبح فردًا ثوريًّا، وكتب روايةً كهذه. وهذا النوع من الأشخاص غير موجود عندنا. فرغم أنّ ثورتنا لم يكن فيها كتّاب روايات قبل الثورة، إلّا أنّ التحاق فنّاني تلك المرحلة المشهورين بالثورة كان نادرًا. في الحقيقة، لم يلتحق أيّ شخص من أولئك المؤلّفين شديدي الشهرة أو الشعراء المعروفين أو الكتّاب الساخرين الشهيرين أو الموسيقيّين اللامعين أو صانعي الأفلام ذائعي الصيت – وإن

لم يكن هناك أثر بارز في هذا المجال كما في الشعر والأدب - أو الأدباء البارزين أو من أهل الصحافة المفوّهين، بالثورة!

وبعضهم أقرب وأصفى من الشباب الذين تربّوا في أحضان الثورة، كما أنّ من بين هذه الوجوه أشخاصًا التحقوا بهذه الجبهة، لا أستطيع أن أقول إنّهم جاؤوا من الجبهة المقابلة تمامًا إلى هذه الجبهة، ولكن كمثال أذكر المرحوم قدسي مشهدي - إذا أردنا أن نغضّ الطرف عن الأحياء - فهو شاعر كان في ذلك الزمان ثوريًّا ودخل السجن وناضل. على كلّ حال، لقد وُجِدت جبهة شباب.

لقد عانت جبهة الشباب في بداية نشأتها من مشكلتَين أساسيّتَين: أوّلًا، كان في مقابلها جبهة قويّة عريضة كمًّا وكيفًا، عدّةً وعتادًا. ثانيًا، إنّ العناصر المكوّنة لها لم تكن على الصعيد الاعتقاديّ في مستوًى واحد، أي إنّ كلّ ما قدّمته الثورة لهم تلقّوه وفقًا لقابليّاتهم واستعدادهم. الثورة تعطي فكرًا وكذلك شعارًا، وفيها العقيدة وكذا الشعور، لكن لعلّ الذين ينجذبون إلى مشاعرها وشعاراتها وحوادثها وحربها ومخالفتها لأمريكا أكثر ممّا ينجذبون إلى الفكر المتين والعميق للشهيد مطهّري أو بعض مفكّري الثورة الآخرين.

هنا، في هذه الجبهة الداخليّة، تتمّ غربلة الأشخاص الذين لا يتمتّعون بعمق اعتقاديّ، حتّى وإن كانت مشاركاتهم في التظاهرات الثوريّة جيّدة جدًّا أحيانًا، إلّا أنّ ثبات البعض قليل. لقد تعرّضت هذه الجبهة طوال السنوات الماضية لعمليّة الغربلة "ولتغربلنّ غربلة". هذه الغربلة حصلت في الجبهة الداخليّة.

بحثنا اليوم حول جبهتنا الداخليّة؛ أي عن مجموعة البدريّين الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا. اليوم هو يوم حرب بدر الكبرى، ولعل الذين سيشاركون في بدر الكبرى المعاصرة سيكونون إن شاء الله في عصر ظهور وليّ العصر أرواحنا فداه، من الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا، أصحاب حضرته. الأشخاص الذين هم في هذه المجموعة - إن ظلّوا أحياءً - سيكونون بلا شكّ في تلك



المجموعة إلّا أن تخلو الساحة منهم بالشهادة أو الموت.

إنّني أشعر أنّ هذه الجبهة قد ابتليت بآفّة التآكل.

في هذا المجال، ماذا علينا أن نفعل لنوقف هذا الاهتراء ولنقلّل من حالة الترهّل المتزايدة هذه؟ نريد منكم أن توضحوا وتبيّنوا لنا حقيقة ما يجب فعله.

طبعًا تقف وراء هذا الترهّل الذي يطوّق الجبهة الداخليّة مجموعة من العوامل، فلو أنّكم جلستم لعدّة ساعات وفكّرتم وتشاورتم فبإمكانكم تسجيل لائحة من عشرين عاملًا من عوامل انحطاط قوانا الذاتيّة. وقد تكون بعض العناوين المذكورة في اللائحة صحيحةً وقد يكون البعض منها خاطئًا، وأنا أرغب في الإشارة إلى عدد من العوامل التي ساهمت فعلًا وواقعًا في انحطاط وتفسّخ هذه الجبهة.

من هذه العوامل التي تقوّض الجبهة الداخليّة: قلّة اهتمام مسؤولينا الثقافيّين بها، كوزارة الإرشاد وبعض الأجهزة الأخرى. كان من المفترض، ومن اليوم الأوّل لتأسيس وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، أن تقوم بانتخاب لجنة تسعى لإيجاد أصحاب الاختصاصات من الكتابة، والشعر، وصناعة الأفلام، والموسيقى الحلال، وسائر الفنون الأخرى، بل وتبحث عن الأصوات الجميلة.

إنّي أشاهد في بعض الأوقات شابًّا في التلفزيون يتميّز بصوت جميل، يرتعش قلبي وأتساءل هل من المقرّر أن يصبح هذا الشابّ غدًا أو بعد غد منشدًا في جبهة المستضعفين وجبهة الحقّ، أم أنّهم سيقدّمون له المال ولوالدَيه ثمّ يدفعونه لافتتاح استديو مجّانيّ غريب الأطوار ليضاف شخص إلى ركب الأشخاص الفاسدين.

كان من الضروريّ إيجاد لجنة كهذه في وزارة الإرشاد ليتمّ جذب المراجعين من أصحاب الاستعداد الفنّيّ، أو للبحث عنهم. ولو حصل هذا الأمر، لاستحالت وزارة الإرشاد، التي كانت في يوم من الأيّام وكر مراكز

الفساد الثقافيّ السابق، بالتدريج، إلى مركز للثورة والإسلام والله والحقّ والحرّيّة، وبعد مضيّ عشر سنوات كانت ستقدّم العديد من الشخصيّات العظيمة في كافّة الفروع الفنّيّة، ولكنّها لم تفعل ذلك. الآن من هو المقصّر؟ نحن لسنا في مورد المحاكمة هنا. وما الذي يجب أن نفعله مع المقصّرين؟ نحن هنا لسنا قضاةً. إنّما نحن في الواقع نوصّف الوضع لنرى ما يجب فعله من الآن فصاعدًا.

ومن المسلّم أنّه ما لم يكن هناك مركز ذو إمكانيّات وقدرات مسؤول عن جذب الطاقات كافّة، سواء الحائرة منها أو غيرها، فإنّ هذه الطاقات ستضعف شيئًا فشيئًا، حتّى ينتهي بها الأمر إلى الاضمحلال والهلاك. لقد كنت أشاهد بنفسي أنّ مسؤولي وزارة الإرشاد يتطلّعون غالبًا إلى الماضين. فكما أنّ صاحب الهيكل الضخم والظاهر الملفت يجذب العوام، فهكذا كانوا ينظرون دائمًا كالعوام إلى أصحاب الشهرة، فينجذبون إليهم بشكل ساذج وسطحيّ، ويغفلون عن البراعم المتفتّحة حديثًا وعن تلك الأغراس الغضّة وعن الفروع الجديدة النابتة قرب الأشجار العتيقة. هذا كان أحد عوامل الترهّل في جبهتنا الذاتيّة.

أمّا العامل الآخر فهو الانهزام النفسيّ لعناصر جبهتنا أمام الشخصيّات الموجودة في جبهة الأعداء، وذلك بسبب الشعور بالأفضليّة الصنفيّة لتلك الشخصيّات على شخصيّاتنا؛ وهذا أمر لا يمكن إنكاره.

تصوّروا، على سبيل المثال، حين يتقدّم فنّان فخور متهوّر في هذه الجبهة، في فرع من فروع الفنّ مقدارًا ما، وعندما يشعر في محطّة بالتعب ويحاول التقاط أنفاسه، تقع عيناه على فنّان من فرعه الفنّيّ في الجبهة المقابلة؛ سيرتعب منه. هو أصلًا يرتعب من الجبهة المقابلة. وهذا الرعب أحيانًا يكون صرفًا وأحيانًا نتيجة التأثّر والانجذاب إلى الطرف المقابل.

لقد شاهدت في موارد متعدّدة أنّ الفنّان في جبهتنا ينظر إلى نظيره في الجبهة المقابلة على أنّه فنّان كبير، وهو غافل عن ضعف شخصيّة خصمه



مقارنةً بشخصيّته، حتّى رغم إمكانيّة كونه فنّانًا راقيًا. لا يدري أنّ فنّان الجبهة المقابلة يفتقد الشجاعة والتحرّر والهمّة التي يحملها هو، وأن لا أهمّيّة لأيّ لقب مهما عظم إن كان صاحبه ممّن انحنى على أقدام خدّام الشاه يقبّل أحذيتهم. فما هي قيمة اللقب؟ وهل أنّه يغيّر الواقع؟!

في يوم من الأيّام حضر بعض الأدباء إلى هذا المكان وسردتُ لهم حادثة من ذكرياتي؛ قلت لهم أنّني شاهدت كبير هؤلاء الأساتذة والفنّانين يهوي إلى قدم الشاه ويقبّل حذاءه! هذا الذي أقوله رأيناه وسمعناه وعايشناه في زماننا وإن لم يكن بنحوٍ مباشر. أجل؛ ففي إحدى المناسبات وفيما كان الأساتذة ورؤساء كلّيّات ذاك الزمن يصطفّون لمصافحة الشاه رمى ذلك الشخص بنفسه، مع كلّ ما لديه من تحقيقات وكتب وشهرة، على قدمَي الشاه. وبعد مرور مدّة على وصمة العار تلك قلت له في أحد الأيّام: ما هذا العمل الذي قمت به أيّها الأستاذ؟! من هو هذا الرجل الجاهل الذي وقعت على قدمَيه؟! قال: لقد أخذتني الهيبة السلطانيّة! كان هذا عذره!

قلت لأولئك الأدباء بأنّ رئيس عناصر الجبهة المقابلة كان هكذا شخصًا، ثمّ تريدون منّي أن أقول – أنا المفتون بثورتنا – بأدنى قيمة أو حرمة لذاك الشخص الذي يضع جبهته على الأرض أمام ذاك الصنم الذي حطّمناه نحن بأيدينا؟! فمن الواضح أنّني لا أقرّ له بذلك.

إنّ فنّاني جبهتنا الذين يرتعبون من فنّاني الجبهة المخالفة لا يدركون في الغالب من هم أولئك، وماذا كانوا يفعلون. لا يدرون أنّ أولئك هم الذين كانوا يستمدّون ويتلقّون الأموال، ليتمكّنوا من الذهاب إلى مقهى المثقّفين الفلانيّ ويحتسوا الخمر حتّى الساعة الثانية فجرًا. لقد استلموا منزلًا في أحد شوارع طهران لشاعر مدّعٍ – يدّعي الشعر والتحرّر والفكر النيّر – فأقام فيه، ثمّ أجازوا له أن يبقي مجمرةَ أفيونه شغّالةً، ويتغاضى عن جميع أهدافه! هكذا كان عناصرهم في مدينة طهران ذاتها جاهزين للانحناء أمام شخص له علاقة برئيس مكتب الشخصيّة الفلانيّة المرتبطة بالبلاط، ليؤمّن

لهم سفرًا علميًّا أو تحقيقيًّا، أو ليقدّم لهم المنحة الفلانيّة أو الامتياز الفلانيّ أو ليتوسّطوا لهم بعدم الجرّ إلى السجن إذا ما وجد الأفيون في جيوبهم!

هكذا كان حال الأشخاص في الجبهة المقابلة. ذاك الشابّ الذي وقف وسط الساحة وقد أعلن نداء الفتوّة والنخوة في وجه الشيطان الكبير وحاكم النظام العالميّ وأدانه، والذي كان العالم بأجمعه يحسب له ألف حساب لا بل ويخاف منه، لماذا يجب أن يرتعب أمام شخص يمتلك فنًّا أعلى منه، شخصيّة ذاك الفنّان من حيث الإنسانيّة لا تصل إلى واحد بالمئة من شخصيّة هذا الشاب. للأسف فهم لا يعرفون، لذا يرتعبون منهم.

بعض الذين كانوا يرتعبون منه، كانوا يختبئون داخل إيران، وكانوا في البداية لا يتجرّأون على إظهار أنفسهم، وهناك البعض الآخر لجأ إلى الخارج بهدف تشنيع الجمهوريّة الإسلاميّة، وتناولها بالقدح والذمّ، فأخذوا يكتبون الشعر والمقالات في ذمّها.

أمّا كلامهم فلم يلقَ أهمّيّةً عند أحد كما هو حاله اليوم. وأنا أصارحكم بأنّ هؤلاء الذين تذكر أسماؤهم بكامل التعظيم في المجلّات الإيرانيّة، كانوا أشخاصًا فاقدين لماء الوجه في المحافل العلميّة والثقافيّة العالميّة! لأنّ المتصدّين لهذه المحافل كانوا يعرفون هؤلاء الأشخاص ويدركون أنّهم موظّفون في المنظّمات الأمنيّة والاستخباريّة. لاحظوا؛ لو جاءت أكبر الشخصيّات الفكريّة في العالم إلى إيران في زمان الطاغوت ثمّ اتّضح أنّه كان ضيفًا عند السافاك، فهل يمكن الاعتراف بأيّ قيمة له حتّى عند من لا يعادي السافاك؟ هذا هو حالهم في العالم. من الواضح أنّهم يتلقّون المال من وكالة الاستخبارات الأمريكيّة CIA ومن وكالة الاستخبارات الانجليزيّة وهم عملاء لها. إنّهم أشخاص لا سمعة لهم في العالم، ولكن عندما يصل الأمر إلينا، إلى الجمهوريّة الإسلاميّة وإلى شعب إيران، يصبح لديهم ألسنة تتكلّم، "أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة"، يصبحون أسودًا عندما يصلون إلينا، ولكن في الحروب ليسوا أكثر من نعام أو ثعالب أو حيوانات من هذا



القبيل.

إنّ الفنّان الشابّ في جبهتنا لا يدرك أنّ هؤلاء بلحاظ الشخصيّة منحطّون إلى هذا المستوى، لذلك ينجذب إليهم ويرتعب منهم، وهذا هو أحد أسباب الانحطاط في جبهتنا. تقبّلوا ذلك.

ولقد شاهدت، للأسف، هذا الانحطاط بعيني. منذ مدّة، بدأ أفراد الجبهة المقابلة يحظون بشيء من الجرأة وأصبحوا أسودًا! وعندها شرعوا بالأعمال السيّئة. يكفي أن يقوم الغربيّون بمدح فنّان موجود في إيران لنشاهد الشابّ ينجذب إليه مباشرةً. حسنًا، الإنسان لا يسوؤه المديح، أمثالنا نحن العجزة، الذين ندّعي أنّ لنا آلاف التجارب، ترتجف قلوبنا من هكذا مؤثّرات، فكيف بالشابّ الرقيق الشفّاف الصافي؛ فمن الواضح ما سيؤول إليه أمره.

لقد دخلوا بأسلوب خاصّ بحيث لو قالوا في ذاك الطرف من العالم ما أجمل شعر فلان، وما أعجب المقالة التي كتبها، لرأينا أنّ الشابّ في هذا الطرف من العالم سيشعر برابطة خاصّة بهم! ما يؤسَف له أنّهم قاموا بهذه الأعمال وأوجدوا نوعًا من الرعب المرافق لنوع من العلاقة العاطفيّة. في الحقيقة، إنّ الإحساس بالدونيّة عند أفراد جبهتنا الذاتيّة في مقابل أفراد جبهة العدوّ كان أحد أسباب الانحطاط.

العامل الآخر هو أنّ البعض في جبهتنا ساوره الشكّ فيما يتعلّق بالتزام النظام بأهدافه وادّعاءاته. وإذا أردت أن أشير إلى مثال واضح - طبعًا يمتلك هذا المثال عاملًا ساهم في رفع الإشكال إلى حدود كبيرة - فيمكنني الحديث عن مسألة قبول القرار ٥٩٨ ونهاية الحرب وهو ما أوقع البعض في الشكّ.

إلّا أنّ في القضيّة - وكما أشرت - عامل آخر وهو وجود الإمام. فلأنّ الإمام كان بحرًا لا يُرتاب فيه، اعتبر الكثيرون أو الأكثريّة - ولا أقول الجميع - أنّ الحجّة قد تمّت عليهم بسبب وجود الإمام والاعتماد عليه. إلّا أنّ هذه الحركة بعينها جعلت الكثير من القلوب ترتجف! ماذا حصل؟! هؤلاء كانوا

يشكّون في التزام النظام بكلامه، ولا يخفى أنّ هكذا مسائل قد حصلت مرارًا في السنوات الأخيرة.

قد يكون الشكّ في الجبهة الداخليّة في محلّه تارةً، ولكنّه يكون في غالب الأحيان في غير محلّه. وبما أنّني كنت حاضرًا في البلد على مستوى اتّخاذ القرارات، وكان لي ارتباط عاطفيّ مع كثير من الشباب والعناصر المشكّكة، فقد كنت أرى تردّدهم في الغالب في غير محلّه، بحيث لا يكون هناك أيّ داعٍ للتردّد والاضطراب. كان تردّدهم واضطرابهم غير ذي فائدة، فما الذي حصل؟! في بعض الأوقات، كنّا نرى أنّ وسائل إعلام العدوّ تتحدّث، عن قصد وتصميم، بإيجابيّة حول شخص ذي مسؤوليّة في الجمهوريّة الإسلاميّة. وهذا المديح كان يبعث على الشكّ، فلماذا يتحدّثون عنه؟! لعلّ حادثةً ما في طريق الحصول! حسنًا فلو صبر المتردّدون، لاتّضح لهم بعد سنة أو سنتين أنّ ذاك المديح قد تحوّل ليصبح لعنًا.

وترون اليوم، كذلك، وجود هذا النوع من الأعمال، فلتلك الضربة في النهاية فعلها وأثرها. وهذا أحد العوامل التي تجعل بعض قوى الجبهة الذاتيّة، لأسباب مقصودة أو غير مقصودة، يقعون في الشكّ والتردّد، وهو في الحقيقة أحد عوامل الانحطاط في جبهتنا.

عندما كنت أقرأ بعض كتابات الحرب - وما زلت أقرأ بعضها - كنت أشاهد مثلًا أنّ الأخ التعبويّ الفلانيّ، المؤمن الطاهر، الذي كتب خاطرةً أو قصّةً حول الحرب في سفر ما له إلى طهران على الفرض، كان يتألّم من بعض الأمور؛ كان ذلك في زمان الإمام، في العام ١٣٦٤هـ.ش. مثلًا، وكان من عادتي في الغالب أن أكتب عدّة سطور كحاشية على الكتب التي أطالعها، وقد سجّلت بعض التعليقات على هذه الكتابات. ولم يكن لوقوع ذلك الأخ في التردّد، وإن لم نقل الإحباط، في الواقع، سببًا حقيقيًّا، بل ذلك كان، كما قلنا، محض إحساس.

بدايةً، نحن حاولنا تسوية مشاكلنا مع الفنّانين. نحن المشهديّون نعبّر



عن هذه الحال بالتشنّج. وعلى كلّ حال، هذه التشنّجات موجودة في مجتمع الفنّانين الذي يتميّز بتلك اللطافة والحساسيّة. وقد جرى هذا الشكّ في الأمور الاقتصاديّة والسياسة وحتّى في الحرب؛ وهذا عامل آخر من عوامل انحطاط جبهتنا.

لقد كنت أحدّث نفسي لو أنّ هذا الشكّ والتزلزل قد أصاب مجاهدينا، فما هي الفاجعة التي كانت ستحصل؟! تصوّروا أن يقع قادة الجبهة وعناصرها الأساسيّون في الشكّ فيتساءلون: هل النظام ملتزم بادّعاءاته أم لا؟ ما الذي كان سيحصل في الحرب؟ لقد حصل هذا الأمر، وإن لم يكن بهذا الهول، في ميدان الفنّ والفكر والأدب والثقافة. طبعًا لا يمكن المقارنة بين الأمرَين، إلّا أنّ حالةً مشابهةً قد حصلت في جبهتنا الداخليّة.

ومن العوامل الأخرى التي تساهم أيضًا في انحطاط هذه الجبهة وترهّلها انجرار عناصرها نحو النزاعات الحزبيّة التي أدّت إلى وجود فاجعة في هذا البلد في برهة من الزمن. فجأةً، ظهرت نزاعات بين السياسيّين ونوّاب المجلس وبين بعض المسؤولين الآخرين، وكانت نزاعات لا مسوّغ لها. وكلا الجناحَين كانا شريكَين في الجريمة، وكان في داخل كلّ منهما أشخاص جيّدون وآخرون غير لائقين، وكذلك أشخاص في الوسط.

تنازعوا لسنوات دون جدوى، ثمّ خمدت نار النزاع بحمد الله، ولم تعد الخلافات شديدةً كالسابق. أحمد اللّه أن تقلّصت ووصلت تقريبًا إلى حدود العدم، وقد ظهرت هذه الثنائيّة في البيئة الفنّيّة والفكريّة الثوريّة والداخليّة. ولقد شرع بعض الأشخاص بشكل عبثيّ بترديد شعارات تتعلّق بتلك النزاعات دون أيّ سبب وجيه.

طبعًا، التقصير هنا كان من السياسيّين، فقد كانوا يظنّون أنّه ليس من السوء التصريح بآرائهم في هذه البيئة. لم يدركوا أنّهم عندما يسيئون إلى الشخصيّة الفلانيّة، فهم يهينون النظام بنحوٍ ما، ولا يدركون ما ينهار داخل مخاطبيهم حينما يطلقون كلامهم ذاك. ولكن لحسن الحظّ، فإنّ ذاك العامل

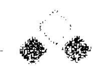
انتفى في يومنا أو إنّه قليل الانتشار.

أمّا العامل الآخر، والذي هو امتحان كبير جدًّا يعترض طريق الجميع، فهو الدنيا ومظاهرها الخادعة. كانت الاهتمامات المادّيّة في جبهتنا قليلةً وكانت الإمكانيّات بسيطةً. لكنّ المظاهر الدنيويّة كثيرة الجاذبيّة، وتخطف الأبصار والقلوب؛ كما خدعت بعض الأشخاص.

إنّ "الدنيا" التي نتحدّث عنها اليوم ليست عبارةً عن المال والمنزل والسيّارة الشخصيّة فحسب، إنّها أشياء أخرى، إبراز الاسم، سماع المديح والثناء، أو التمتّع باللذائذ الجنسيّة غير السليمة وغير الصحيحة، وكلّ الإمكانات التي تطلبها نفس الإنسان، هي الدنيا ومظاهرها. لقد ظهرت هكذا وساوس عند بعض الأشخاص. وهناك بالطبع بعض آخر وقف بالفعل وقاوم ببطولة. ولكنّ البعض، ولو كانوا ندرةً، زلّت أقدامهم في مواجهة هذه الوساوس والمظاهر الدنيويّة، أشخاص كانوا قبل الثورة من أصحاب التمتّع بشهوات الحياة، ولكن جاءت الثورة لتغلق عليهم هذا الباب بالكامل.

في أحد الأيّام جاءني شخص وتحدّث بالسوء عن شخص موجود في هذا الاجتماع وتربطني به علاقة ومحبّة قويّتان، فقد قال: إنّ هذا الشخص كان قبل الثورة كذا وكذا ثمّ أخرج بعض الصور ليثبت صحّة ادّعاءاته. قلت له: إنّ هذه الصور والوثائق هي السبب ليصبح تعلّقي بهذا الشخص مضاعفًا - واللّه يشهد أنّها تضاعفت فعلًا - قلت له: لقد تضاعفت محبّتي له. إنّ ما تتلفّظ به أدّى إلى ازدياد تعلّقي به. هذا الشخص كان على ذاك النحو والآن أصبح هكذا؟! ولكنّ بعض الأشخاص لم يكونوا كذلك، أي إنّهم حتّى بعد مجيء الثورة لم يبتعدوا عن تلك المتع والوساوس. وهذا عامل آخر من عوامل انحطاط هذه الجبهة.

هنا لا بدّ من التطرّق بعدّة عبارات إلى جبهة العدوّ؛ وأقصد الجبهة المقابلة. فإذا ظنّ المرء أنّهم تشكيل منظّم وأفراد مثابرون فهو مخطئ جدًّا. ولعلّ القليل منكم يعرف عن تلك الجماعة ما أعرفه أنا. هم غير جديرين



ويفتقدون الهدف والإرادة، ولا يهمّهم سوى المال والدنيا؛ الدنيا التي هي مقابل الآخرة، وخصوصيّة الدنيا هي في المال، وميزتهم في الأساس هي الضعف والخوف.

إنّ وضعي لا يسمح بذكر أيّ اسم، أو إذا ذكرت اسمًا فهو اسم اجتماعيّ معروف عندكم. أنا أعرف الكثير عن أجنحتهم المختلفة، وبشكل أساسيّ لا حصريّ أعرف الكثير عن كتّابهم وشعرائهم. لقد جالستهم وتحدّثت معهم وأعرف ما هي أوضاعهم. هؤلاء الذين إن تنظر إلى كتاباتهم أحيانًا تظنّ أنك أمام أسود، ولكن في الواقع ليسوا سوى ثعالب! يظهرون في الكتابة بمظهر، وعندما يشعرون بالأمن يصبح لهم شكل آخر؛ وشكل ثالث عندما تمتلئ بطونهم.

هؤلاء يوصفون بالعربيّة بأنّهم أهل "الدعة"، ولا أعرف ما يرادفها في الفارسيّة. هؤلاء تسيطر عليهم حالة الفلتان، ويتجلّى فيهم هذا المعنى، حيث يحرّرون أنفسهم من أيّة قيود! هكذا هم، فإذا شاهدت حركةً منظّمةً تصدر عنهم، مع كلّ ما هم عليه، فإنّها تكون ناشئةً من خارج المحيط الأدبيّ والفنّيّ والفكريّ، أي من المحيط السياسيّ والأمنيّ.

وإذا شاهدت مقالاتهم منسجمةً أو كتاباتهم متناسقةً أو أعمالًا منتظمةً تصدر عن الأجنحة المخالفة للثورة والغريبة عن الجمهوريّة الإسلاميّة والإسلام، وتنتشر في الداخل والخارج، فذلك غير صادر عن تجمّع المفكّرين المتنوّرين. هؤلاء أقلّ بكثير من هذا الكلام، أقلّ من أن يكونوا قادرين على امتلاك تجمّع سليم لا تنازع فيه ولا خلاف، أو أن يكون الواحد منهم مستعدًّا لتقديم غيره على نفسه. عالمهم ذاك يضجّ بالأنانيّة ويعتمر بالتكبّر!

وإذا أقمتم اليوم حلقة ودعوتموهم ليتحدّثوا خلف كاميرا تصوير، وقلتم لهم حطّوا من قدر عدوّكم المشترك الفلانيّ، فستعلو الإشكالات فيما بينهم من يتحدّث أفضل، وأسرع، وأكثر إثارةً للاهتمام؛ نزاعاتهم واضحة ومحسوسة! إنّ ما أتحدّث عنه تشاهدون مصاديقه الواضحة اليوم، بمعنى

أنّ بعض القنوات الإيرانيّة في الظاهر والتابعة لـCIA في الباطن، يستضيفون هؤلاء ليتحدّثوا ويتكلّموا.

لقد شاهدت بعض الأشرطة المسجّلة التي جيء بها. بعض الأشخاص أعرفهم وقد شاهدتهم عن قرب، والبعض الآخر أعرفهم عن بعد، أعرف مَن هم. كما شاهدناهم وعرفناهم قبل الثورة حيث كانوا يتخاصمون لأدنى مسألة، وما زالوا اليوم على ما كانوا يتنازعون، لمجرّد كلمة "أحسنت" تقال لأحدهم كانت أيديهم تمتدّ إلى أعناق بعضهم! كلمة واحدة تُشعل هذا وتُخمد ذاك.

جماعة كهذه، تتمّ إدارتها بواسطة أيادٍ أمنيّة-سياسيّة طبقًا لفكر معدّ ومنظّم مسبقًا ليكونوا معادين للجمهوريّة الإسلاميّة، حيث إنّهم يدركون تأثير الثقافة الإسلاميّة ويلمسون التأثير الثقافيّ على المجتمع. هذا بالإجمال حال جبهة العدوّ. إذًا هناك تشكّل صوريّ، لا تشكّلًا حقيقيًّا، هم في الواقع مجموعة كبيرة يتمّ استغلالها بواسطة أيادٍ فنّانة وللإنصاف ذكيّة وواعية. فيقولون لذاك كن أنت رئيس تحرير الصحيفة الفلانيّة، ويقولون للآخر اعمل على نقد الموقف الفلانيّ، وللثالث اكتب أنت بهذا النحو، وللرابع افعل كذا. طبعًا ليس بهذا التفصيل، ولكنّ هذا خلاصة الأمر. فتلك الأيدي تحرّك عناصر جبهة العدوّ بهذا النحو داخل إيران، ولا يخفى أنّ هذا التشكّل داخل إيران يتحرّك أفضل من الخارج لأنّ العناصر الموجودة في الخارج يتخلّفون عن أعمالهم بمقدار لهوهم بالحرّيّة والإمكانيّات والحانات وسهر الليالي، إنّهم يمضون ليلهم حتّى ساعات الصباح الأولى بالسمر وشرب الخمر والعربدة، فلا يتمكّنون في النهار من حضور الاجتماع في موعده.

أمّا في الداخل، وبما أنّه لا مجال لتلك الملاهي، فهم ينامون باكرًا ليلتحقوا في النهار بأعمالهم. من هنا يمكن القول إنّ وضع هؤلاء في الداخل أفضل من الخارج، ويأتي هؤلاء الأفراد ليستغلّوا أوضاع الجبهة الموافقة.

بالطبع، يظهر داخل عناصر الجبهة المخالفة - أولئك العناصر الذين أشرنا إلى أنّهم يمتازون بعدم الهمّة وعدم الكفاءة والجبن وعدم الجرأة على الحضور في الساحات - أفراد متقلّبون يُطلق عليهم أصحاب الأقاليم السبعة، لديهم استعداد عالٍ للتأقلم. عندما يجلسون في محيط آمن، يتحدّثون بشكل جيّد إذا أرادوا أن يتحدّثوا، وعندهم القدرة على تشخيص المواقع، ويمتلكون دقّةً عاليةً في معرفة الأشخاص ومشاهدة مكامن الضعف ومن ثمّ استغلالها.

هؤلاء يستغلّون مكامن الضعف في الجبهة الداخليّة الموافقة - طبعًا لا أقصد من الجبهة الموافقة هنا فقط الجبهة الفكريّة والفنّيّة، بل كلّ الجبهة السياسيّة والثقافيّة للنظام - فبمجرّد حصول مشكلة صغيرة في مجال معيّن في البلد نراهم يستغلّونها فورًا لإضعاف إرادة العناصر المؤمنة. وعندما يضعف عنصر يشرعون بجذبه نحوهم، وعندما يواجهون شخصًا من جبهتنا من أهل الاستقامة، يبدأون بسحقه بشكل منظّم، وإذا ما وصلوا إلى نقطة ورأوه خطرًا عليهم أو أملًا لمستقبل الجمهوريّة الإسلاميّة فإنّهم يبدأون بشنّ الحملات ضدّه، هذا ما تعمل عليه جبهة العدوّ.

لقد لجأ العدوّ في هذه الفترة من الزمن إلى خندق الحرب الثقافيّة مع الجمهوريّة الإسلاميّة. حيث يمتلك العدوّ أدواتٍ عديدة. نعم، هو فاقد للإيمان ولا يقين في قلبه ولا يعتمد على السنن الإلهيّة، كيده كيد الشيطان ولذلك فهو ضعيف. أمّا جهده فحثيث، ووسائله حديثة وماله كثير.

وإذا تمكّنّا من الوقوف مقابل هذا الهجوم، فسيخيب العدوّ بالتأكيد؛ والسبب ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٧]. ولكن إن أبدينا أيّ ضعف، فسيتمكّن العدوّ من خلال هذه الحملة من إلحاق الخسائر في صفوفنا على صعيد البعد الثقافيّ.

هذا الهاجس أعيشه. وتلك الخسارة التي تطال إيمان جيل الشباب، هي

(٧) سورة النساء، الآية ٧٦.

أمر لا يعوّضه أيّ شيء آخر، كذلك تلك الضربة التي تفتك بالحركة الثوريّة لعامّة الناس؛ هذه هي ضربات الغزو الثقافيّ.

لم يجعل اللّه تعالى البعض يفهم ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٨]، والبعض غير جاهز للاعتراف بهذا المعنى. ولكنّني أرى وأشاهد هذا الغزو أمام عيني، وعندما يتمّ توضيح ذلك، يسمع الجميع ويدركون أنّ ذلك صحيح. والبعض يشاهد ما نراه من دون أن نقوم بتوضيحه، هم يشاهدونه مثلنا. فالغزو الثقافيّ هو أساس المسألة التي تقلقني.

الآن، ما هو "الغزو الثقافيّ"؟ يحصل هذا الغزو بشكلَين، أو لنقل أنّه على معنيَين، أحدهما أن يتوسّل العدوّ بالأسباب الثقافيّة بعد فشله بالوسائل العسكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وهذا يعني أن يلجأ إلى الإعلام، الفنّ، الكتاب، المقالة، القصّة، الأفلام المستوردة، وإنتاج السلع الثقافيّة الأخرى من خلال أشخاص يعيشون داخل إيران الإسلاميّة، إلّا أنّ قلوبهم لا تخفق لإيران وشعبها ومعتقداته ومصالحه، بل تخفق قلوبهم لمصالح أمريكا ولمصادر الفساد في الدول الغربيّة. هذا أحد المعاني.

كيف يمكن لصاحب اللسان الطلق والقلب النيّر والذهن الفعّال مواجهة الغزو الثقافيّ؟ يمكنه ذلك من خلال الخندق والحصن والسلاح الثقافيّ. إنّ أداة الثقافة ضروريّة، هذا ما نتحدّث عنه مع أهل العمل الثقافيّ باستمرار، نكرّره على مسامع البعض، ونتمنّى على البعض الآخر، نجمع البعض هنا، ونرسل الرسائل للآخرين بأن يهبّوا للعمل الثقافيّ. إنّ الجواب على العمل الثقافيّ الباطل هو العمل الثقافيّ الحقّ، ولمواجهة الشخص الذي يستخدم الأداة الثقافيّة، تكون الأداة الثقافيّة ضروريّةً.

أمّا المعنى الثاني للغزو الثقافيّ، فهو أن يتوجّه الهجوم على الثقافة الثوريّة الحاكمة على ذهنيّة المجتمع؛ كانت مواجهة الطاغوت إحدى الثقافات الأساسيّة المطلوبة في النظام الثوريّ الإسلاميّ. لم يكن أيّ شخص

(٨) سورة النور، الآية ٤٠.

جاهزًا للمصالحة أو التعامل معه. كان الشارع الذي يحمل اسم الطاغوت ملعونًا، وكانت الفواتير التي طبع عليها اسمه تُرفض ولو كانت ذات قيمة. كان التحرّك المنسوب إليه منبوذًا، وكذلك تقليد الأعمال التي كان يقوم بها، حتّى اسمه كان مستنكرًا. لقد كان الشعب يعرف الطاغوت، لقد رأوه وعاينوا أفعاله، لكنّ ابنك ذو الخمسة وعشرين عامًا الآن لا يعرف الطاغوت، وابنتك التي هي الآن سيّدة في عمر العشرين أو الثانية والعشرين والتي قد تكون أمًّا لأطفال لا تعرف من هو الطاغوت وماهيّته.

حان الآن وقت هجوم العدوّ على النضال الذي جرى ضدّ الطاغوت والذي كان جميع الناس يؤدّونه قولًا وفعلًا وإحساسًا وعاطفةً في حياتهم اليوميّة، حان الوقت ليعيبوه. يبدأون بالقول لِمَ لا ولأيّ سبب؟ وماذا فعلوا؟ لماذا لا يحمل ذاك الشارع الاسم الفلانيّ؟ ولماذا يجب تغيير اسم الساحة الكذائيّة؟ ما هو الإشكال فيها؟ العدوّ يدخل بهذا النحو. هل تتصوّرون أنّ العدوّ قد ذهب وانتهى؟ لقد مات الطاغوت، لكنّ سلسلة الطواغيت في هذه الدنيا لم تهلك بعد، هي باقية إلى يوم الوقت المعلوم. لا يزال الصراع قائمًا. فمواجهة الطاغوت هي ثقافة هذا المجتمع ويجب الحفاظ عليها. إنّ العدوّ يريد أن يسلبكم الحساسيّة تجاه الطاغوت، فماذا ستكون النتيجة؟ النتيجة المتوقّعة أنّ الجيل الذي سيأتي والذي لم يعرف الطاغوت سيكون محلّ هجوم العدوّ.

في هذا الخصوص، من جملة مفردات ثقافة الثورة: الجهاد والسعي والنضال. كان الأصل عند الشابّ المؤمن أن ينجز عملًا في سبيل اللّه، فإذا قيل له تخلّفت عن درسك، كان يقول عليّ أن أؤدّي جهادي، وإذا قيل له ابتعدت عن العمل وعن الحياة، كان يقول عليّ أن أسعى وأعمل وأؤدّي جهادي.

بالطبع إنّ اللّه تعالى، وطبقًا لحكمته البالغة، قد وضع حمل الحرب المفروضة على عاتق هذه الأمّة. وإذا نظرنا من زاوية معيّنة، سنجد أنّ

الحرب ما هي إلّا دمار وخراب وخسائر، إلّا أنّ اللّه تعالى قد جعلها وسيلةً وميدانًا لصناعة الروحيّات وبنائها على أيدي شباب هذا البلد.

لقد كانت الساحة ساحة عمل، والآن بعد انتهاء الحرب وبعد روحيّة الجهاد والنضال، فإنّ الساحة لا عمل فيها. ولو تمّت هداية هذه الروحيّات باتّجاه ميادين الثورة، فذلك حسن. وإذا لم يحصل ذلك، فستتحوّل إلى روحيّة معادية للجهاد. هذا الأمر يعدّ من مواضع هجوم الأعداء؛ فهم يحاولون القضاء على روحيّة الجهاد وجعل المجاهد في سبيل اللّه يندم على ماضيه الجهاديّ. هذه الأعمال التي يقوم بها الأعداء هي بعينها مصداق الهجوم.

بناءً على المعنى الثاني، فالغزو الثقافيّ بهذا المعنى عبارة عن لجوء العدوّ لطرق خاصّة بهدف الهجوم على أمّهات العقائد والأسس الثقافيّة في المجتمع، ممّا يجعلها متزلزلةً في القلوب. تصوّروا أنّ الهجوم يطال مسائل الزهد والتقوى والاعتقاد بأصل ولاية الفقيه.

عندما ترون أنّني أطرح مسألة الغزو الثقافيّ وأشدّد عليها، فذلك لأنّ الألم يعتريني من جرّاء هذه المسألة، وقد بذلت جهودًا، وما زلت بفضل اللّه، وأتدخّل في تفاصيل المسائل أحيانًا حتّى إذا أشكل عليّ شخص في هذا المجال قدّمت له الجواب في خطاب آخر، إنّ كلّ ذلك لأنّني أرى هذه الساحة بشكل واضح، وأرى كيف أنّهم يستفيدون من قدراتهم فيستغلّون نقاط الضعف الموجودة في الجمهوريّة الإسلاميّة.

إنّ البُعد الأساس الذي يركّزون عليه هو إضعاف الإيمان ومحو الآمال وتشتيت الجبهات وجذب الرساميل. وإنّ هذه النقاط التي تحدّثت عنها تشكّل أساس عملهم. أمّا إذا رفضتم ذلك وقلتم شكّلوا لجنةً أو باشرتم بأنفسكم لقراءة ومطالعة خلاصات عن مقالات نفس هذه المجلّات المعَدّدة - هذه المجلّات التي تطبع وتنشر في الخارج وتأتي منه - وقرأتم الشعر الذي ينظّمون، والقصص والعروضات الفنّيّة التي يكتبون، واطّلعتم على



ماهيّة الأوضاع السائدة وما يرغبون القيام به، ستدركون أنّه تمامًا كما بيّنت! هم يريدون إضعاف الإيمان ومحو الآمال. يريدون جذب الرساميل والسيطرة عليها إن وُجدت. يريدون إلقاء الخلافات وإيجاد التشتّت في الجموع؛ هذه الطريقة التي يتّبعوها.

لذا أقول، عليكم أن تبدأوا من العناصر الذاتيّة الداخليّة الموجودة في جمعكم إذا رغبتم أن لا يصيبكم الانحطاط والترهّل. وعليكم التفكير في العوامل التي ترتبط بما هو خارج عنكم. فكّروا، اقترحوا، واطلبوا، ولا تدعوا تطوير العمل يتوقّف. ابدأوا من أنفسكم وتابعوا العمل ضمن الظروف الموجودة، ومن جملة الأعمال التي ينبغي القيام بها هي أن تنشِئوا جمور مخاطبيكم الخاصّ.

وإذا فكّرتم في النفوذ إلى مخاطبي الجبهة المقابلة، فمن الممكن أن يوسوس لكم فكركم هذا فتندفعوا إلى تقليد عمل الجبهة المخالفة. بعض عناصر الجبهة الموافقة الذين يكتبون القصص أو يصنعون الأفلام مثلًا قد يتعرّضون، ولأجل جذب مخاطبي الجبهة المقابلة، لمسائل تعرّض لها وعمل عليها كتّاب ومنتجي الأفلام في الجبهة المخالفة، حيث يستخدمون على سبيل المثال العنصر النسائيّ، أي العامل الجنسيّ، من أجل زيادة جاذبيّة الفيلم، فيقوم هؤلاء بنفس العمل. ذلك مرفوض بكلّ الأشكال لأنّه يساهم في انهيار الجبهة الموافقة، وأنا لا أقبل بذلك. ولا أكتفي بذلك، بل أعتقد ذلك تفكيرًا خاطئًا وعمل مشتبه. يجب علينا صناعة وإيجاد مخاطبينا. فإذا كان العدوّ يكرّر كلامًا لتستأنس به الآذان، فلسنا مجبورين على تكرار الكلام الذي يريده.

وإذا كان العدوّ يقوم بإيجاد ذائقة جديدة من خلال إيجاد طعام جديد لشعبه، فلسنا مجبرين على اتّباع هذه الذائقة، بل علينا إيجاد ذائقة أخرى تتطابق مع فكرنا وإيماننا وعقيدتنا. وبالخلاصة، إذا استطاع العدوّ إبراز بعض الخصوصيّات في عمله فعلينا أن لا نقلّده.

افرضوا أنّ العدوّ يستخدم في القصّة والشعر والسيناريو خصوصيّة نقد الواقع الموجود، فهل علينا حتّى لا نتخلّف عنه أن نقوم بنقد الواقع الموجود في قصصنا وأشعارنا وأفلامنا؟ هل تعلمون كيف ستكون نتيجة هذا العمل؟ أو أين ستكون النهاية؟ هل نقد الواقع الموجود هو قيمة، وهل نعتبره نحن كذلك؟ في الأساس لماذا نقوم بنقد واقعنا الإسلاميّ والإلهيّ؟ لماذا ننتقد فنبحث عن العيوب والإشكالات والتجريح. لماذا نجرّح بأنفسنا؟ هل هناك إشكال في الواقع الموجود؟ وإذا كان هناك فلنبذل الجهود لرفعه، لماذا نقوم بالتخريب؟ لماذا يجب أن نضع الحجارة أمام السيارة التي تسير ببطء نحو الأعلى، فلو وضعناها ستتوقّف بالكامل، ينبغي علينا مساعدتها من خلال دفعها لتصعد إلى الأعلى.

فمن المؤكّد عندي أنّ انتقاد الوضع الموجود هو إحدى حيل العدوّ، فهم يدركون أنّ الإنسان بطبعه ميّال للنقد، ولذلك يريدون البحث عن أحد ليقوموا بنقده. وواضح مستهدفهم الذي يسعون لزجّه في معرض النقد، هم يقصدون المسؤولين وأصل النظام، ولأنّهم لا يجرؤون على انتقاد أصل النظام، فإنّهم يتعرّضون لأشخاصه وللسياسات الحاكمة فيه. أمّا نحن فلماذا نقوم بهذا العمل؟ فإذا أردنا توجيه النقد، فهناك الكثير من الموارد والقضايا التي تستحقّ ذلك.

هؤلاء يقولون نحن نريد أن نكون ضد السلطة.

في بداية الثورة، قمت بزيارة أحد المعارف - وقد غادر الدنيا الفانية - وقد كنت منذ البداية أقوم بزيارة الأصدقاء والذين تربطني بهم معرفة قديمة، أو على الأقلّ كنت أتواصل معهم هاتفيًّا.

وفي ظلّ تلك المشكلات والصعوبات الكثيرة التي كانت تحيط بنا، كان المكان الأساسيّ للاستراحة والنوم عندي هو السيارة التي تقلّني من مكان إلى آخر. في الحقيقة لم يكن عندنا وقت للنوم والراحة، مع ذلك كنت أغتنم الفرصة وأتّصل هاتفيًّا بالبعض لأسأل عن أحواله، وأرى إن كان

بالإمكان أن يقدّم شيئًا للثورة.

وذات مرّة، اتّصلت هاتفيًّا بذلك الشخص الذي أعرفه وسألت عنه وأخبرته عن حصول الثورة وسألته عمّا يعرف عنها. قلت له إنّ الشاه قد رحل وتغيّرت الأحوال مبيّنًا له واقع الأمور. فجأةً بدأ الحديث وبلحن سيّئ للغاية وقال: إنّ مبنانا هو أن نبقى دائمًا ضدّ السلطة وليس معها. قلت له: أوّلًا هذا المبنى خاطئ للغاية، فهل السلطة سيّئة دائمًا لتكون ضدّها؟ لا، إذا كانت السلطة جيّدةً، عليك أن تكون في خدمتها. ثانيًا أنت تريد أن تكون ضدّ السلطة؟ جيّد جدًّا، هذه السلطة الأمريكيّة تريد اجتثاثنا، هل ترى ما تفعله السلطة الأمريكيّة التي هي أعلى من الجميع؟ كن ضدّ هذه السلطة وقل ما تريد! تلكّأ في الجواب فتركت الهاتف ولم أتواصل معه إلى اليوم. طبعًا حدث في هذه السنوات الأخيرة أن لم يمهله الأجل المحتوم فرحل عن الدنيا.

اليوم، سياسة الجبهة المقابلة هي عين تلك السياسة، وكما هو معروف فقد أوجدوا لها استدلالًا ومنطقًا سخيفًا فراحوا يردّدون نفس الكلام مصرّحين بأنّهم يجب أن يكونوا ضدّ السلطة. لماذا؟ فهل هم مجانين ليكونوا ضدّها، وهي بعدُ سلطة صالحة وإلهيّة.

انظروا إلى الحكومات التي استلمت السلطة منذ بداية التاريخ إلى اليوم سواء في العالم أو في إيران، فهل تعلمون حكومةً كهذه الدولة ورجال سياسة كرجال هذه الدولة الذين يتّسمون بالطهارة والسلامة وحبّ الوطن والناس والتوجّه نحو الله والخوف منه؟ لماذا يجب أن يخالف الإنسان هؤلاء؟ طالعوا تاريخنا. التاريخ البهلويّ كان فضيحةً، وكذلك اقرأوا تاريخ القاجاريّة وانظروا إلى الذين كانوا رجال البلد في أواسط وأواخر سلسلتهم، وانظروا إلى الموجودين اليوم ومن يمثّلون.

على كلّ الأحوال نسأل، هل من المناسب التجريح بآثارنا ونتاجاتنا الفنّيّة اتّباعًا لعناصر جبهة العدوّ؟ لماذا؟ ما هو الداعي الذي يجعلنا ننفخ الهواء

كيفما كان في النار التي أشعلوها، أو أن نوصل الماء إلى طاحونتهم؟

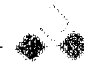
لقد أثار أحد الأصدقاء قضيّة النقد وأشار إلى ملاحظة جيّدة. لنقل، على سبيل المثال، إنّ العدوّ استخدم لهجة الصديق وأسلوبه. فرضًا أنّه قال إنّه لأمر مؤسف أن تلوّثَ - وأنت بهذا الحُسن - النظامَ - وهو بهذا الحُسن - بهذه الشوائب، ثمّ ذكر عدّة مسائل هي بمثابة التجريح. فهل نفهم من لحن القول أنّ هذا الطرف المتحدّث والناقد هو صديق أم عدوّ؟ ولأنّ المعيار والشاخص الذي ذكرتم هو لحن القول. حسنًا، إنّ أيّ عدوّ يستطيع وبسهولة أن يتّخذ لحن كلام الصديق. ولا يدرك ذلك كلّ أحد. فليس الجميع مصداق الآية ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِيْ لَحْنِ القَوْلِ﴾[٩]. إنّ رسول الله هو مصداق لتعرفنّهم في لحن القول، وليس الكلّ كذلك. ما قلته أنا هو التجريح، وهو أمر يمكن تشخيصه. في كثير من الأوقات قد يوجّه الأب نقدًا إلى ابنه وقد يستخدم عبارات قاسية وسيّئة ولكنّه لا يريد أبدًا أن يكسر قلبه بالتجريح. ولكن الأعداء والأجانب يجرّحون الطرف الآخر ويحرقونه. وهذا هو المعيار والشاخص.

ومن جملة الأعمال التي يلجأ إليها الأعداء، استخدام المؤثّرات الجنسيّة في الأفلام، أو إظهار الوجوه المخالفة للثورة وللنظام. هؤلاء يصرّون على صنع إنسان ولو من الخشب ليقدّموه للناس؛ يأتون بتلك الوجوه النخرة المتحجّرة ويعرضون شعرها واسمها وأمثال ذلك، فهل يجب علينا تكرار هذه الأمور التي يقوم بها الأعداء؟ لماذا؟ وما الداعي لذلك؟

إنّ سيّئ الحظّ هذا قد أصبح نخرًا، وحتّى عندما كان شابًّا لم يكن سلوكه صحيحًا ولا منهجه سليمًا. وكما يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) حول عبد الله بن عمر، إنّ هذا الشخص عندما كان شابًّا كان سيّئ الأخلاق، فويلاه الآن وقد كبر! انظر حال هؤلاء أيّام شبابهم لتدرك أيّ حال سيّئة سيكونونها في أيام عجزهم وعقمهم هذه! إذا كان نصيب الجمهوريّة الإسلاميّة منهم هو العقم

---

(٩) سورة محمّد، الآية ٣٠.



فهل نأتي نحن لنشيد بهم ونكرّمهم؟ ما هو السبب الذي يدعونا لذلك؟ أيّة خدمة تلك التي قدّموها لهذا البلد؟ أين هي تلك القصّة الناجحة والرواية المؤثّرة والمقالة المميّزة والشعر الجيّد الذي كتبوه وأنشدوه لصالح هذه الأمّة؟ إنّ الذي فعلوه هو أنّهم جرّوا الناس بواسطة أشعارهم نحو الفحشاء، فهل قاموا بأيّ عمل إيجابيّ لنقوم بالإشادة بهذا الفلان أو بزوجته؟ هؤلاء لم يشعروا بأدنى مستوى من المسؤوليّة أيّام الطاغوت؛ لم يشعروا بذرّة من الوجدان، ولم يحاربوا للحظة واحدة ضدّ الظلم الذي كان حاكمًا على هذا البلد، ولم يتحمّلوا حتّى صفعةً أو نظرة عبوس في سبيل اللّه وفي سبيل هذه الأمّة وهذا البلد وفي سبيل إعماره، فهل نقوم بالإشادة بهم؟! إنّ الذي يقوم بتكريمهم هو الذي يكون التكريم أداة عمله، هو الذي تكون هذه سياسته، ويجب عليه أن يقوم بالتكريم. فلو لم يكن هؤلاء الأشخاص لديه، لصنع - كما ذكرت - من الأخشاب إنسانًا واشتغل بتكريمه، فلماذا نستسلم أمام جبهة العدوّ؟

على كلّ الأحوال، إذا اتّحدت جبهتنا، وضاعفت جهودها، ولم تتعب من الجهد المضاعف، وأضفت على الأعمال شيئًا من الجودة، وعملت على إيجاد حالة من التمركز الحقيقيّ، عند ذلك ولما تقتضيه المصلحة يحقّ لهذه الجبهة أن تتوجّه إلى أشخاص من تلك الجبهة، كمثل إنسان بمعدة سليمة يتوجّه نحو لقمة ليأكلها ويهضمها وتغذّي بدنه؛ لا إشكال في هذا. لكن ما دامت الجبهة الموافقة فاقدةً للابتكار في العمل وللقوّة والقدرة، فعليها، وقبل أيّ عمل آخر، بل أوجب من أيّ عمل آخر، أن تهتمّ بنفسها حتّى لا تكون لقمةً سائغةً للجبهة المخالفة.

وأنا لا أقول أن تجعلوا مخاطبيكم من الجبهة الموافقة فقط، فليكن مخاطبوكم من كافّة البشر؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[10]. لا أقول أن تأتوا بعدد من أفراد حزب اللّه المؤمنين، ثمّ تتحدّثوا معهم وتتركوهم،

(١٠) سورة سبأ، الآية ٢٨.

وعلى الباقين أن يتدبّروا أمورهم. لا، بل حافظوا على مميّزاتكم في نداءاتكم ودعوا مخاطبيكم يتذوّقون هذا الطعم ويستلذّون به، كما كان يفعل الأنبياء والمصلحون في العالم، وإلّا فلو أقمنا حائطًا بأنفسنا حول أنفسنا فالويل ثمّ الويل!

أمّا فيما يتعلّق بالجاذبيّات، فعقيدتي واضحة في ذلك. في وقت من الأوقات كنت أتحدّث مع عدد من الإخوة الحاضرين هنا، وقلت: إذا كان مقرّرًا إنتاج فيلم أو برنامج حزب اللهيّ فلا يجب أن يكون شديد التحفّظ، فاقدًا للجاذبيّة، قديمًا، سيّئًا، وتكراريًّا. كلّا! أنا أعتقد أنّ بالإمكان أن يكون البرنامج حزب اللهيًّا وإسلاميًّا خالصًا وفي الوقت عينه جميلًا جدًّا وجذّابًا وحلوًا.

إنّ ما أودّ الحديث عنه بشكل عامّ هو أن تعملوا لتمنعوا من وصول الجبهة الموافقة إلى مرحلة الانحطاط والترهّل والتساقط.

هذه الجبهة تتطلّع إليكم أيّها الإخوة والأخوات، وبمقدار ما أعرف عنكم أنتم الحاضرون في الجلسة - طبعًا لا أعرف أسماء الأخوات الحاضرات حيث لم يتمّ التعريف بهنّ - أرى أنّكم تمثّلون مراكز متعدّدة من جملتها الدائرة الفنّيّة، مركز التنمية الفكريّة للأطفال والناشئة، الإذاعة والتلفزيون، والتجمّعات الفنّيّة الصغيرة وأماكن أخرى.

ولعلّ البعض منكم لا يعرف الآخر، ولم يعمل معه، أو البعض يرى شيئًا من العيوب في البعض الآخر، بحيث لو طُلب من أحدكم العمل مع الآخر لم يرضَ بذلك بسبب النواقص والعيوب التي يراها فيه، ولكنّني أنظر إلى جمعكم من نقطة أخرى، فمنكم من هو شاعر أو منتج أفلام، ومنكم من هو كاتب سيناريو أو مؤلّف ومنكم من هو ملحّن أو سينمائيّ، ولعلّ هناك بعض العيوب المحتملة أو أنّها غير موجودة، فأنا لا أنظر إلى ذلك.

أنا أرى في جمعكم؛ سواء المعمّم منكم أو غيره، وسواء كان امرأةً أو رجلًا أو شابًّا أو عجوزًا - والعجزة هنا بحمد اللّه قليلون - جزءًا من الثلاثمئة

وثلاثة عشر رجلًا.

إنّني أنظر إلى مجموعتكم أينما كنتم، وكلّما انتاب قلبي شعور بالغربة في هذا الميدان وأشرق عليه فجأةً نور أمل، كنتم أنتم ذلك النور. أقول هذا حقيقةً. الأشخاص الذين أعرفهم من بينكم؛ أنتم في الواقع هكذا. اعلموا أنّي أدعو كلّ ليلة تقريبًا لمجموعتكم بشكل خاصّ، حتّى أنّني أذكر في الدعاء أسماء بعض الأشخاص والمجموعات.

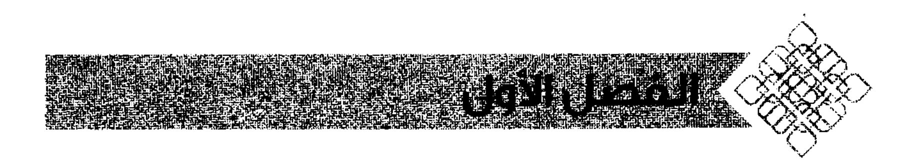
بالطبع ينبغي أن أشير لكم إلى مسألة هي أنّكم لو قرّرتم جميعًا - لا سمح اللّه - ترك هذا الميدان، وقلتم في وقتٍ ما نحن نودّع هذا العمل والنشاط والحضور ونتنحّى جانبًا، فلا أعتقد أنّ هذه الساحة ستبقى خاليةً. كلّا، فعقيدتي أنّ أرض اللّه لن تُترك دون رعاية.

كنت قبل الثورة أكرّر على مسامع الطلبة والرفاق الشباب الذين كانوا معي وأقول لهم: اعلموا أنّ إرادة اللّه تعالى إذا تعلّقت بأمر فلن يوقفها شيء، وقد نطق القرآن بهذا ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[11]، فسيأتي اللّه تعالى بأيدٍ أخرى وظهر آخر وعاتق ضخم آخر ليؤدّي تكليفه في رفع هذا الحمل. ولكنّ إنجاز العمل سيتأخّر في النهاية، فممّا لا شكّ فيه أنّنا عندما نتخلّى عن مسؤوليّتنا وندعها، ليأتي آخر وينهض بحملها، فلا بدّ من حصول توقّف، والتوقّف في الطريق الإلهيّ ليس جائزًا. إنّ أكبر عمل نقوم به هو الاستفادة من هذه الفرصة والمكانة التي أعطانا إيّاها اللّه لنقوم بحمل هذا التكليف. في الأساس، إنّ أكبر المفاخر هي أن يجعلنا اللّه عبادًا له، وأن يطلب منّا أن نحمل هذه المسؤوليّة، لذلك أقول إنّ عليكم بذل الجهد كي لا تندثر هذه الجبهة ولا يزول ذلك الجمع الذي يشكّل الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا من بدريّي

(١١) سورة المائدة، الآية ٥٤.

هذا الزمان.

موفّقين إن شاء اللّه. لقد حان وقت الصلاة.




# عرض المفهوم

**إنّني مسرور جدًّا لأنّه، وأخيرًا، تمّت إقامة جلسة كهذه، فلطالما رغبتها منذ أمدٍ بعيد. وقد لا توجد معرفة شخصيّة بيني وبين أكثر الإخوة والأخوات الحاضرين؛ ولكنّني في الإجمال أعتقد أنّ الجميع يشكّلون قسمًا مهمًّا من الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا من بدريّي هذا العصر.**

إنّ آيات **القرآن الكريم** من ٧ إلى ١٤ في سورة **الأنفال**[١٢] ، والتي تدور حول معركة بدر تنطبق بشكلٍ كبيرٍ على وضعنا الحاليّ؛ لقد كان يوم بدر يوم الفرقان، يوم تمييز الحقّ من الباطل، حيث تواجهت قوّتان، وعندما تتواجه هاتان القوّتان فإنّ بقاء أيّ منهما يدلّ على حقّانيّتها، لأنّ السنن الكونيّة تقف إلى جانب هذه الفرقة وتساعدها ٦٤/١١/١٢.

كان الإسلام كلّه في يوم من الأيّام مختصرًا بثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا، هؤلاء الذين لو قُضيَ عليهم في معركة بدر، أو لم يستلّوا السيوف دفاعًا عن الإسلام، لانتهى، وليبست غرسته. هؤلاء الثلاثمئة وثلاثة عشر نفرًا، كانوا ثلاثمئة وثلاثة عشر إنسانًا، لكن كانوا بحجم أمّة، أمّة عظيمة ومجاهدة. لهذا السبب، رفع الرسول الأكرم (ص) يدَيه إلى السماء قبل بدء معركة بدر وقال: "**اللّهمّ إنْ تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**"[١٣]. هذا يعني أنّ هؤلاء الأشخاص كانوا وحدهم العابدين لله تعالى، وإذا نهض منهم الرجل في مثل تلك الظروف ليستلّ سيفه ويحارب، فإنّه كان يحارب كأمّة؛ وإذا استشهد، فإنّ أمّةً تكون قد استشهدت ٦٤/١٢/١.

(١٢) ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾؛ سورة **الأنفال**، الآيات ٧ إلى ١٤.

(١٣) أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم** (بيروت: دار الآفاق الجديد؛ بيروت: دار الجيل)، الجزء ٥، كتاب **الجهاد والسير**، الباب ١٨، الصفحة ١٥٦، الحديث ٤٦٨٧.

فمن البديهيّ حينها أنّ شخصًا مثلي، مريد ومخلص لأصحاب بدر ولكلّ "ثلاثمئة وثلاثة عشر" - بعدد أصحاب بدر وأصحاب طالوت ٥٨/١١/٢٣ - أن يكون مخلصًا ومحبًّا لهؤلاء الإخوة والأخوات أيضًا، لما لهم من تأثير وآثار.

**ليس المروم من عقد هذه الجلسة بيان مسائل جديدة، بل إنّي أعتبر، في الدرجة الأولى، نفس هذا التجمّع ضروريًّا، فكلّما مضى الزمن، أشعر أنّ اجتماع أصحاب الحقّ أوجب وأكثر إلحاحًا. وثانيًا، لما سأذكره اليوم في هذا الجمع من كلمات تأتي على بال العبد مرارًا وتكرارًا، أسردها أحيانًا بشكل فرديّ لبعض الأصدقاء من سالكي هذا الصراط.**

**بدايةً، وأنا الذي يحمل العبء الأثقل من بين المسؤولين في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة، وإنّي أستشعر ثقله بكلّ وجودي؛ ليس لديّ أيّة هواجس في عالم السياسة، لأنّ وضعنا في هذا الميدان اليوم جيّد جدًّا، وقد تمكّنّا من جعل العدوّ يتبعنا. نحن في موضع الفعّاليّة، والعدوّ، برغم ما يملك من حجم عظيم وتسلّط في عالم السياسة ضدّنا، في موضع الانفعال.**

**وأحمد اللّه على أنّ جبهتنا السياسيّة قويّة جدًّا، هذا هو إحساسي الحقيقيّ وليس مجرّد كلام. فالواقع أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة، بما هي عليه، بالنسبة إلى المشهد العالميّ اليوم، لا تواجه أيّة مشكلة في عالم السياسة. صحيح أنّ لدينا أعداء كثر، وفيهم أشخاص عاقلون مجرّبون وبارزون، لكنّ اللّه تعالى قدّر لأيدينا أن تعلو على أيدي أعدائنا في هذا الميدان. ولو دقّق شخص في هذا العالم، فسيشاهد علامات قوّة هذا التفوّق واضحة.**

**وفي هذا الإطار، هناك حركة سياسيّة سلسة، ناضجة ومحسوبة، يقوم بها مسؤولو البلاد؛ من مواقف تُتَّخذ، وتصريحات، وذهاب وإياب، وعقد اجتماعات. ونحن لا ندّعي عدم ارتكاب الخطإ لأنّ ذلك غير متوقّع وغير ممكن سوى للمعصومين، ولكن مع القليل أو الكثير من الأخطاء، يوجد سعي حثيث لإنجاز عمل سياسيّ جيّد، ما يعني أنّ هذه المسائل في البلد غير**

متروكة، وأنّ كلّ الأعمال محسوبة. بدايةً، يتمّ تصوّر الفائدة في العمل أو ما يدفعه من ضرر، ثمّ الإقدام عليه. كلّ الأعمال هي هكذا إلّا ما يُستثنى ممّا قد يخرج عن السيطرة، تمامًا كما قد تصدر عن الإنسان، أحيانًا، سلوكيّات وتصريحات وكلمات خارجة عن إرادته، وفي هذه الحالات تظهر الأخطاء. كلّ اشتباه يحصل هو من هذا القبيل. لكنّ تأثير هذه الوقائع في العالم بارز جدًّا، ويستوجب شكر الباري عزّ وجلّ.

أجل؛ يسعى الأعداء، في بياناتهم، وتصريحاتهم، وإعلامهم، وفي إذاعاتهم، إلى إظهار ضعف الموقف السياسيّ للجمهوريّة الإسلاميّة. لكن احملوا كلّ ما تسمعونه من العدوّ على أساس العداوة. أنتم ترون أنّه في ميدان الحرب، حينما يهجم المقاتل في ساحة المعركة، فإنّه يتلفّظ، أحيانًا - وفق العادات القديمة - ولأجل تحقير خصمه، بكلمات من قبيل "سأضربك! سأقتلك! سأجتثّ أصلك! أنت لست شيئًا!". حسنًا، فالساحة ساحة حرب، وهذه الوسيلة هي إحدى وسائل إضعاف معنويّات الخصم. ما تسمعونه اليوم في العالم ممّا يُنسب إلى الجمهوريّة الإسلاميّة: بأنّ نظام الجمهوريّة الإسلاميّة ضعيف، ويوجد خلافات في داخله، هناك إشكال بين فلان وفلان، وبين هذا الجناح وذاك، وهذا النظام سيزول؛ وقِس على ذلك، هو في الواقع من مصاديق مقولة "الباطل يموت بترك ذكره"، إنّه يزول ويندثر بترك تكراره. أحمد اللّه أنّ الوضع السياسيّ في الداخل والخارج، من جهة الطريقة التي تتّبعها الحكومة والمسؤولون، والنظام العامّ للمجتمع، وضع جيّد، ولا يوجد ما يدعو للقلق.

أمّا فيما يتعلّق بالقضايا الاقتصاديّة - وهي تشكّل فصلًا مهمًّا من قضايا البلد - فليس لديّ أيضًا أيّ قلق في هذا المجال. فما يجري من عمل في هذا الميدان عمومًا ليس بالعمل السيّئ. تعاني كافّة المجتمعات اليوم من مشاكل اقتصاديّة، حتّى أولئك الذين يسعون لنقل ما يعانونه من ضغوطات إلينا، لديهم معاناة صعبة. وبالطبع نحن لسنا مستثنيين من



ذلك. لكن في المجال الاقتصاديّ، ليس لديّ أيّة هواجس أو قلق، سوى ما يعتصر القلبَ من معاناة الفقراء والطبقات الضعيفة في المجتمع، وهو ألم يستشعره أيّ مسلم. وبالرغم من ذلك، فلديّ أمل مشرق بأن يتمكّن مسؤولو البلد من التغلّب على المشكلات الاقتصاديّة وحلّها. تشير البرامج إلى أنّنا سنصل إلى مرحلة حلّ المشاكل، وإن لم يكن ذلك في المدى القريب. فقد انطلقت اليوم حركة جيّدة في المجالات الاقتصاديّة. وإنّ الذي يمتلك بصيرةً في هذا المجال، وينظر بتفاؤل، ويتجاوز الشعارات الصحفيّة التي تنطلق من هنا وهناك، ويترك بعض حالات الغضب الناشئة من عدم معرفة الحقائق، أو من الجهل بقضايا البلد والمسائل الاقتصاديّة، سيرى أنّ عملًا بنّاءً بات على مشارف الإنجاز. وعلى أيّ حال، يبقى ذلك الألم الذي ذكرته فيما يتعلّق بطبقات المجتمع الضعيفة في قلوبنا.

أمّا في المجال الثقافيّ، فأنا أشعر بقلق شديد بكلّ ما للكلمة من معنى، لا بل وأحمل الكثير من الهواجس. إنّ هذه الهواجس هي من النوع الذي يُؤرّق صاحبه بحيث يوقظه في منتصف الليل ليتضرّع إلى اللّه تعالى؛ أنا لديّ مثل هذه الهواجس. بالطبع، لن أتحدّث عنها للناس في الخطابات العامّة، ولكن لا يمكنني أن أكتمها عنكم، فأنتم القيّمون على القضايا الثقافيّة، ويجب أن تطّلعوا على هواجسي هذه. أنا لست ممّن لا اطّلاع لديهم على المسائل الثقافيّة، وكذلك لم أكن بعيدًا، في أيّ حال، عن معرفة قضايا البلد. ولهذا، لديّ في الحقيقة عميق القلق فيما يرتبط بالثقافة. بالطبع، وعلى أثر التربية الإسلاميّة الأولى، انبعث فينا إحساس مبارك، ثمّ منّ اللّه تعالى بعد ذلك علينا بشخص كالإمام [الملحق ١]، أحيا بوجوده وحركته إحساس الأمل بالمستقبل.

وأشكر اللّه تعالى أنّني لم أفقد الأمل، ولو للحظة واحدة، في هذه المجالات، فإذا كنت أعمل وأتحدّث وأقدم على بعض الأمور، فذلك كلّه ناشئ عن ذاك الأمل. وإن شاء اللّه، وبفضل منه تعالى، سأضاعف هذا

**الجهد والإقدام والحركة يومًا بعد يوم. كما أنّني، وبفضل ذاك الأمل، قد نمّيت وطوّرت سعيي وحركتي في هذا الطريق بصورة حثيثة منذ بداية الثورة وحتّى يومنا هذا.**

**مع ذلك كلّه، فإنّ تلك الهواجس، المشابهة لهواجس ساحات الحرب، ما زالت موجودةً ونعايشها. ففي ميدان الحرب، وأغلبكم من الذين شاركوا في الجبهات حتمًا، تعلمون أنّ هواجس ساحة الحرب ليست، بالتأكيد، بمعنى ترك المتاريس والتراجع واليأس، بل هي هواجس أخرى، ترافق الشخص في الخطوط الأماميّة أو في المقرّات. وقد تواجدت في كِلا المكانَين، وعايشت هواجس هذه الساحة بجدّيّة.**

ينبغي علينا إعادة تقييم مقولة الثقافة من جديد؛ وأظنّ أنّنا في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة قلّلنا من أهمّيّتها، وغفلنا عن تأثيرها، باعتبارها عاملًا أساسيًّا ومصيريًّا في تحديد السلوكيّات الفرديّة والاجتماعيّة لبلدنا وأمّتنا، وباعتبارها موجّهًا للتأثيرات والآثار السياسيّة – التوجّهات السياسيّة – ولا يتمّ التعاطي معها كما يجب. كلمات تُقال، أمور نحكيها، ومطالب كثيرة أكرّرها، لكنّا في مقام العمل لا نقدّم الجهد المطلوب ٧٨/٩/٢٣.

قد تكون الهواجس الثقافيّة والاهتمام بمسألة الثقافة حالة إحساس شخصيّ، وقد تكون ناشئةً من طبيعة النظر إلى الثقافة. إنّ الحساسيّة الشخصيّة والميول الفرديّة ليست ذات أهمّيّة، المهمّ هو أن نرى التأثير الذي تتركه الثقافة حقيقةً على مصير البلد، وأن ندرك أيّ دور يمكن أن يؤدّيه التعرّض لمسألة الثقافة، والتحسّس بشأنها، على المستقبل الذي نأمله جميعًا ونعمل لأجله.

يبدو، من وجهة نظرنا، أنّ القسم الأساس للثقافة هو نفس عقائد وأخلاقيّات فردٍ ما أو مجتمع. إنّ سلوكيّات المجتمع، والتي هي جزء من الثقافة العامّة وثقافة أمّة ما، تنبع من تلك العقائد.



في الحقيقة، إنّ العقائد أو الأخلاق هي التي تقوم بإيجاد وتشكيل سلوك الإنسان، وإنّ الأخلاق الاجتماعيّة تؤدّي إلى إيجاد السلوك الاجتماعيّ، والأخلاق الفرديّة تبعث على السلوكيّات الفرديّة. وعلى هذا، فإذا كان صحيحًا أنّ مقولة الثقافة تشتمل على السلوكيّات في أغلب الموارد، فإنّ أساس الثقافة وجذرها هو عبارة عن العقيدة، وعن استيعاب وتلقّي كلّ إنسان لحقائق العالم ووقائعه، وكذلك الأخلاق الفرديّة والاجتماعيّة والوطنيّة ١٩/٩/٧٩.

وأنا أعتقد أنّ سلوكنا الفرديّ والجمعيّ، باعتبارنا مسؤولين، وكذلك سلوك أمّتنا، يقع تحت تأثير مجموعتَين من العوامل؛ الأولى عبارة عن الاستعدادات والإمكانيّات وأمثالها، كالذكاء، والقدرات، والاستعدادات الموجودة عند الناس، فإنّ جزءًا من نشاط أيّ فرد في كلّ مجال من المجالات يعود إلى الاستعدادات، والقدرات، والقابليّات الوجوديّة التي يتحلّى بها، أو المحيط الذي يستفيد منه.

أمّا المجموعة الثانية، فعبارة عن العوامل المؤثّرة والموجّهة للذهنيّة. وإنّ مقصودنا من الثقافة هي هذه الذهنيّات، وفي كلّ مكان سأستخدم فيه عبارة الثقافة، فإنّ مرادي منها هو ذاك المعنى العامّ؛ أي الذهنيّات الحاكمة على وجود الإنسان، والتي تهدي سلوكه إلى جهة معيّنة – بسرعة أو ببطء – وهذه الأمور هي في حدّها الأدنى عبارة عن نصف العوامل المحدّدة والمؤثّرة والموجّهة لجميع السلوكيّات. ولأجل جعل المسألة محسوسةً بالكامل، ويتّضح أكثر القلق الموجود في ذهني – حيث أتعرّض لهذه المسألة كثيرًا – تصوّروا مجموعةً من الجنود المضحّين الذين يحاربون انطلاقًا من عزمهم، وإرادتهم، وثباتهم، كالحرب التي خضناها لمدّة ثماني سنوات. في تلك المرحلة، كنتم تذهبون للجبهة فتجدون مجموعةً من الشباب المؤمن، الحزب اللهيّ، الفدائيّ، قد ثبتوا في ساحة الجهاد. ولو سألتم كلّ شخص منهم عن سبب وجوده في موقع الجهاد، لكان الجواب أنّه يقوم بتكليفه؛

فالإمام قال بأنّ هذا هو تكليفي الدينيّ، لقد اعتدى العدوّ على بلدي، وهدّد حدودي وناموسي، ونحن أمّة حيّة ويجب علينا الدفاع عن أنفسنا، وسيقدم كلّ واحد منهم مجموعةً من الاعتقادات الذهنيّة، منها الاعتقاد بالله، والاعتقاد بالقيامة وبالشهادة، وبأوامر الإمام ولزوم طاعته، والاعتقاد باعتداء هذا العدوّ، وبأنّنا أمّة يجب أن ندافع عن أنفسنا، وسيظهر أيضًا في أحاديثهم هذا النسيج من الاعتقادات الدينيّة. أنتم ترون أنّ هذه الاعتقادات قد أدّت إلى تخلّي هذا الشابّ عن هدوء المنزل، وعن العيش، والتحصيل، والجامعة، ودفعته للذهاب إلى الجبهة، ليضع روحه في مواضع الخطر؛ وقد يُقتل أحيانًا، أو يُجرح فيعيش حتّى نهاية عمره في هذه الحالة، ونحن نرى الآن على الكرسيّ المتحرّك العديد منهم.

فلو جاء الآن شخص آخر وخدش هذه الاعتقادات التي جعلت ذاك الشاب يذهب بحرارة إلى الحرب، وقال له على سبيل المثال: أنتم تقولون أنّ هذا عدوّ معتدٍ، أيّ اعتداء هو هذا؟ نحن الذين بدأنا الحرب! هذه الأسئلة تنفذ إلى ذهنيّة هذا الشخص ويضعف اعتقاده باعتداء هذا العدوّ وبفضيلة الشهادة، وباعتقاده بلزوم طاعة الإمام، وضرورة أن ينهض المرء للدفاع عن بلده ووطنه وحدوده عندما تتعرّض للخطر. فلننظر حينها إلى هذا الشابّ، الذي كان بمثابة الرصاصة الحارقة التي تخترق صدور الأعداء، إلى أي شيء سيتحوّل بعد تبديل اعتقاده؟ سيتحوّل إلى موجود نادم، متزلزل، متردّد، وقد يتحوّل إلى شخص مخالف للجبهة.

هذا يعني أنّ هذا الإنسان صاحب هذه الشخصيّة وهذه الاستعدادات، والقدرات البدنيّة والجسميّة والذهنيّة، وقوّة الإرادة والتصميم، قد تحوّل، بسبب تبديل محتواه الذهنيّ، من موجود فعّال مقدام مؤثّر، إلى موجود منفعل ومنهزم، وهذا الأمر واضح جدًّا. والعكس أيضًا صحيح، فمن الممكن أن يذهب شخص ليقوّي تلك الأحاسيس وذاك الإيمان والاعتقاد، أو أن يقوم بإيجاد الإيمان عند مَن هو فاقد له، فيجعل منه موجودًا رائدًا



فعّالًا مؤثّرًا.

عندها، تنبّهت إلى معنى مقولة أنّ مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء[١٤]، ذلك العالِم الذي يتمكّن من تبديل المحتوى الذهنيّ للإنسان؛ فيجعل من هذا الجسم - بالاصطلاح الرائج اليوم - وهذا الهيكل البشريّ، إنسانًا متعاليًا، رائدًا، إنسانًا فعّالًا ومقاومًا. إنّ عالمًا واحدًا يمكنه أن يقوم بهذا العمل. لذا كان "مداد العلماء" أفضل حقيقةً من "دماء الشهداء".

وهذا ما يفسّر كيف أنّ شبابنا من طلبة العلوم الدينيّة في ميدان الحرب - أولئك المجموعة المقاتلة المبلِّغة الذين قد رأيتهم مرّات ومرّات هناك - كانوا يتوجّهون إلى ساحة القتال، ويبدّلون الأشخاص العاديّين إلى أناس مقاومين، والأشخاص الضعفاء إلى أناس أشدّاء، والأشخاص المتزلزلين إلى أناس ثابتين مقاومين ٧٨/٩/٢٢.

إنّ البحث عن الثقافة هو بحث ذهنيّ، بحث عن القوّة الإدراكيّة عند الإنسان، بحث عن بناء شخصيّة الإنسان، وفي النهاية، بحث عن القلب، وكما يقول ذاك العظيم:

دِه بوَد آن، نه دل؛ كه اندر وى     گاو وخر بينى وضياع وعقار

قرية يكون لا قلبًا، ذاك الذي فيه     التعلّق بالبقرة والحمار والضياع والعقار[١٥]

إذا كان القلب قلبًا فسيكون فيه متاع باب القلب، أمّا حين يكون قريةً وليس قلبًا. حينئذٍ، سنجد فيه أخشابًا، وأحجارًا، وحديدًا، ومزارعًا،

---

(١٤) عبد الله البحراني، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (قم: مدرسة الإمام المهدي (عج) بالحوزة العلميّة، الطبعة ١، ١٣٦٣هـ.ش.)، المجلّد ٢، الجزء ٣-كتاب العلم، "أبواب فضل العلم، وثواب العالم والمتعلّم، وما يتعلّق به، ويؤول إليه"، الباب ٤٣-"فضلهم عند الميزان"، الخبر ١، الصفحة ١٨٥.

(١٥) سنائي غزنوي (٤٧٣-٥٤٥ هـ.ق.)؛ واسمه الكامل أبو المجد بن مجدود بن آدم سنائي الغزنوي. يعتبر أوّل الشعراء المتصوّفين الثلاثة العظام ممّن كتبوا المثنويّات في إيران، وأمّا ثانيهم فهو الشيخ فريد الدين العطّار، وثالثهم جلال الدين الرومي.

وحيوانات، وأبنيةً، وثروات، وأمورًا كثيرة من هذا القبيل لا روح فيها. أنتم أمام المعنى الحقيقيّ والصحيح للقلب.

كان القلق والاضطراب والهواجس تعتريني منذ أوائل الثورة وحتّى الآن من جرّاء قضيّة الثقافة، وذلك بسبب الأهمّيّة الخاصّة التي أؤمن بوجودها في هذا المضمار، وفي النفوذ الثقافيّ والشخصيّة الثقافيّة والعمل الذي يمكن لكلٍّ من الأعداء والأصدقاء أن يقوموا به، والذي لا يمكن مقارنته بأيّ عملٍ أو بناءٍ آخر. وكانت هذه الهواجس تُدرَك من قبل البعض تارةً، ولا تُدرَك تارةً أخرى، وفي الموارد التي كانت تُدرَك، كان تتمّ الاستجابة لها تارةً ولا تتمّ تارةً أخرى ٧٥/٢/٣١.

الحقيقة أنّ القضايا الثقافيّة اليوم متروكة في البلد. الجميع يعتقد أنّهم رجال ثقافة، والجميع يسوّقون للقضايا الثقافيّة ويُظهرون اهتمامهم بها في بياناتهم وإعلامهم، إلّا أنّ العمل الثقافيّ في البلد لم يكن متناسبًا مع تقدّم وتطوّر الثورة في المجتمع. واليوم، هناك الكثير من الأعمال الثقافيّة التي كان ينبغي القيام بها ولم نفعل، وهناك الكثير من البرامج التي كان ينبغي علينا التخطيط لها ولم نقم بذلك. وفي الواقع أنّ أيدينا فارغة من الكثير من الأعمال، سواء داخل البلد أو خارجه، لذلك ينبغي معالجة المسائل الثقافيّة بنحوٍ من سعة الصدر والاهتمام والإحساس العميق المترافق مع الخبرة والمعرفة. كلّ الأعمال ينجزها الخبراء، فلماذا لا يتولّى الخبراء الأعمال الثقافيّة وتُترك ساحة العمل الثقافيّ لكلّ وارد يريد أن يدلي بدلوه؟

ما يؤسف أنّ العديد من الأشخاص الذين يمكنهم القيام بأعمال ثقافيّة مشغولون بأعمال تنفيذيّة أو سياسيّة، وحتّى الذين يحملون عناوين ثقافيّةً، مشغولون أيضًا بالأعمال السياسيّة في الباطن.

قبل سنة أو سنتَين، التقيت بإحدى هذه المجموعات التي تمّ تأسيسها في إطار النوايا الحسنة. في تلك المرحلة، قلت لهم أوصيكم أن لا تشتغلوا



بالعمل السياسيّ. هناك الكثير ممّن يتصدّون حاليًّا للعمل السياسيّ – الشارد منهم والوارد. ولأنّه عمل سهل فإنّ الجميع يردونه، وسريعًا ما يصبح هؤلاء سياسيّون! قلت لهم :إنّ هذا العمل له أتباع وزبائن وحُماة، أمّا أنتم، فبمقدار حيطتكم اذهبوا وانهضوا بالعمل الثقافيّ.

إنّ وصيّتي هذه لا تعني عدم بذل الجهود في سبيل تنمية أذهان الناس على المستوى السياسيّ. كلّا، لأنّ هذا الأمر من واجب الجميع، وهو بحدّ ذاته عمل ثقافيّ، حيث يسعى الشخص ليوصل الناس إلى الوعي السياسيّ والقدرة على التحليل والرؤية الصحيحة. وعندما يمتلك الإنسان البصيرة السياسيّة فسيتمكّن بنفسه من تحديد الصحيح من الخطإ. ينبغي إيجاد القدرة على رؤية الحقائق السياسيّة بين الناس حتّى لا يضطربوا عند مواجهة الأحداث والمجريات السياسيّة.

إنّ الضامن لهذا البلد وهذه الثورة هو قدرة الناس على التحليل. ينبغي أن يمتلك الناس القدرة على إمعان النظر في كلّ حادثة تجري في أيّ مكان، بحيث يفهمون ماهيّة القضيّة، وهذا أمر غاية في الأهمّيّة. غير أنّنا اليوم، وللأسف، إمّا أنّنا نفتقد ذلك، وإمّا أنّه قليل الوجود. إنّ كلّ ما أدّت إليه الثورة وأحداثها القاسية، من إدخال الناس والسير بهم في المنعطفات، محفوظ في محلّه، إلّا أنّنا وشرائحنا المختلفة لم نبذل الجهد الكافي. في بداية الثورة، ولعدّة سنوات، حصلت بعض الأعمال دون شكّ، وسعت بعض المجموعات إلى تطوير الناس في موضوع الرؤية السياسيّة، إلّا أنّ ذلك غير موجود اليوم، وهذا عمل ثقافيّ بحدّ ذاته.

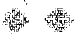
كنت أوصي تلك المجموعة أن لا تغرقوا في الأعمال الحزبيّة والتنفيذيّة السياسيّة، بل صبّوا اهتمامكم على القضايا الثقافيّة التي تعاني الغربة. والآن، أوضح لكم أيّها السادة أنّ العمل الثقافيّ هو عمل هامّ حقيقةً، وهو أهمّ من العمل السياسيّ. ينبغي أن يُولى أهمّيّة عندكم ٦٨/١٠/١٢.

إنّنا لو دقّقنا النظر في الكثير من المشاكل التي تواجهنا في المجالات الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، وحتّى السياسيّة، لوجدنا أنّها تعود إلى المشاكل الثقافيّة. وعلى الرغم من أنّ نظام الجمهوريّة الإسلاميّة قام في الأصل على أساس ثقافيّ، وأنّ قائده ومؤسّسه هو شخص مثقّف قبل أيّ شيء آخر، وإنّ مسؤولي هذا النظام كانوا، تقريبًا، دائمًا على هذا النحو. إلّا أنّه يجب الاعتراف أنّنا لم نؤدِّ ذاك العمل المطلوب والمتوقّع على المستوى الثقافيّ. وبشكل عامّ، نحن مقصّرون في المجالات الثقافيّة وعلينا الاعتراف بهذا حقيقةً ١٩/٩/٦٩.

هذا الهاجس الذي أحمله في ذهني هو هاجس ضياع ثقافة الحرب والثورة، وفي الحقيقة روحيّة الثورة التي أوجدت في الحرب ساحةً للتطوّر والتكامل. طبعًا يجب التوكّل على الله تعالى والأمل في المستقبل، وإنّني مفعم به وأراه مشرقًا في أكثر الآفاق. في كلّ الأحوال، هذا الهاجس موجود ٢٥/٤/٧٠.

فهل تحقّق، بناءً على فكر الثورة وروحيّتها، ذلك التحوّل الضروريّ في ثقافة المجتمع؟ إذا قلنا نعم، فإنّ الذي يدقّق في المسألة سيجد من الصعوبة قبول ذلك منّا. نعم هناك الكثير من التحوّلات التي وُجدت، ولكن لا يمكن الادّعاء بحصول تحوّل ثقافيّ كامل.

قد يحتاج هذا التحوّل إلى ثلاثين، أربعين، أو خمسين سنةً - ليس البحث هنا - لكنّ الحركة يجب أن تتوجّه نحو ذلك. نحن اليوم يجب أن نكون كالسائر الذي إذا نظر إلى حركته في الساعة الخامسة للزم أن يكون قد قطع أكثر من الساعة الأولى، وإذا نظر إليها في الساعة العاشرة للزم أن يكون قد قطع أكثر من الساعة الخامسة. وإذا وجدتم أنّ تقدّمًا ما لم يحصل، فذلك يدلّ على وجود خلل في العمل. علينا أن نقترب يومًا بعد يوم من ثقافة الثورة تلك في جميع الشؤون.



وإذا وجدنا أنّ هذا التحوّل لم يحصل، فينبغي الاستنتاج أنّ العمل والجهد الثقافيّ لم يُنجز بشكلٍ جيّد وكامل وسليم في مجتمعنا الثوريّ، بل هو ناقص وعلينا أن نرفع نقائصه. ينبغي أن نكون كباقي الشعوب التي إذا وَجدت نقصًا في عملها، تقوم بإعادة النظر في نفسها وأدائها، ثمّ تبحث عن طرق جديدة تفهم من خلالها العيوب وتقوم بعلاجها. يجب أن ندرك ما هي مشكلاتنا، وأن نحدّد العيوب ونقوم بعلاجها. علينا إيجاد طريق جديد، وإذا وُجدَ طريق مختصر نسلكه، نزيد السرعة إن وجدناها بطيئةً ٦٩/٩/١٩.

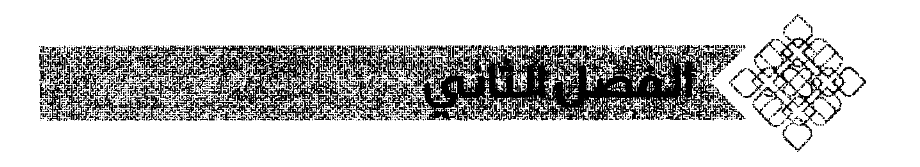
كما ويجب أن تصبح المسألة الثقافيّة بكلّيّتها المسألة الأولى في هذا البلد. وإذا تمكّنا من تقوية ثقافته بأسس محكمة وقويمة ومؤسّسات صحيحة وفعّالة، فستتحرّك عجلة الأمور بشكل صحيح وسنضمن تقدّم البلد في جميع المجالات مورد البحث. وأمّا إذا لم نبادر إلى إصلاح الثقافة، فالاحتمال الأقوى أن تبقى خططنا بتراء، أي إنّنا سنسعى لمدّة معيّنة ونبذل جهودًا، لكن لن نكون مطمئنّين لوجود نتائج قطعيّة وراء ذلك ٧٥/٩/٢٠.

**بالإضافة إلى هذه المسائل، هناك اليوم مجموعة من الحقائق التي ينبغي أن نتحدّث عنها. ولا يوجد لديّ أيّ اقتراح عمليّ، ولا تتوقّعوا منّي أن أجلس لأقدّمه لكم. أنتم مَن ينبغي عليه تقديم الاقتراح العمليّ والعمل به. بحمد اللّه كلّكم مسؤولون، وحديثي حول مسألة الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا في البداية لم يكن من باب المجاملة، بل هذا هو اعتقادي بالأشخاص الذين أعرفهم من بينكم، وهو أكثر رسوخًا من الأشخاص الذين لا أعرفهم. لذلك أرغب، انطلاقًا من هذا الإحساس، أن أجعل تلك القلادة المعنويّة، أي ذاك التكليف الذي يقع على عاتقكم، أكثر ثقلًا واستحكامًا.**

هذا هو تكليفي، وهذا هو معنى التكليف من الأساس؛ هو المشقّة التي يحملها الإنسان على عاتقه. إنّ اللّه تبارك وتعالى هو أكبر مكلِّف، والإنسان

أفضل مكلَّف. والبشر من خلال التكليف – أي قبولهم للكلفة والمشقّة – يمكنهم الوصول إلى القمم. كما أنّ الأمّة التي لا تبذل جهودًا ولا تسعى ولا تتعب، فلن تحصل على تلك الراحة الممزوجة بالتعب، بل ستحصل على راحة ناشئة من الكسل، وهذه الراحة شبيهة براحة المريض على فراش المرض، حيث لا يمكنه أن يقوم بأيّ عمل، وهو غير سليم. أمّا الراحة الناشئة من الجهد والتعب فهي شبيهة براحة ذلك الرياضيّ الذي يبذل جهدًا ويتعب، ثمّ يأتي بعد ذلك ليغسل بدنه فيشعر بالراحة والهدوء والقوّة والروحيّة المتعالية والقوّة الجسمانيّة ١٢/٥/٧٩.

**وباعتبارنا عبيدًا للّه، أريد أن تشعروا اليوم بثقل تكليفكم. لذا، سأصرّح ببعض الوقائع التي أعرفها وأنتم، بكلّ الأحوال، تعرفونها أيضًا، إلّا أنّ في الاستماع أثرًا غير موجود في المعرفة.**




# منشأ الثورة الإسلاميّة

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[16].

ذكر الله تعالى هذا المثال في **القرآن الكريم** لإفهام البشر حركة الحياة والتاريخ، حيث إنّ كلّ ظاهرة، وكلّ حركة، وكلّ فكر، وكلّ حقيقة، يمكن أن تبقى وتثمر في المجتمع وفي التاريخ إذا كان أصلها طيّبًا طاهرًا، كالشجرة الطيّبة الطاهرة.

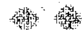
وهذا يعني أنّ الشجرة السليمة في أساسها، والتي لا يعتريها النقص والمرض والآفّة، والتي تغرس في المكان المناسب لها، ستنمو وتزهر وتتبرعم في وقتها وتثمر في حينها ليستفيد منها الإنسان؛ وهذا هو حال أيّ حادثة وأيّة ظاهرة اجتماعيّة. الكلمة معناها كلّ الظواهر والحوادث وكلّ الأفكار والعقائد وجميع الأشياء التي لها ارتباط بالإنسان في هذا العالم. فإذا كانت الكلمة طيّبةً وسالمةً وفي المكان المناسب لها ستنمو، كالغرسة التي تُزرع في الأرض المناسبة. ومن هذا المنطلق والمعيار، يمكن أن نتوقّع البقاء أو عدمه لجميع مجريات التاريخ والحوادث ٥٨/١٢/٢٤.

إنّ ثورتنا أعظم وأرقى وأفضل من جميع تقييمات وتقديرات المراقبين الدوليّين، فهي قويّة جدًّا من حيث البنية. ولهذا السبب تعرّضت للكثير من الهجمات والضربات والحصار، وذلك أكثر ممّا تعرّضت له الثورات التي أعرفها. إلّا أنّ تأثير هذه الثورة كان أقلّ بمراتب عديدة ممّا حصل في كلّ الثورات الكبيرة في العالم.

وفي هذا المجال، كنت قد دوّنت مقارنةً بين ثورتنا وبين ثلاث ثورات مشهورة في العالم – وجميعكم يعرفونها بنحوٍ أو آخر – طبعًا هناك ثورات أخرى، إلّا أنّ هذه الثلاثة هي المهمّة.

---

(١٦) سورة إبراهيم، الآية ٢٤.



الأولى هي "الثورة الفرنسيّة الكبيرة"[الملحق ٢]، وهي ثورة بعيدة تفصلنا عنها أكثر من مئتي سنة. والثانية هي "الثورة البلشفيّة"، القريبة نسبيًّا إلينا، وهي واحدة من أكبر الثورات في القرون الأخيرة. أمّا الثالثة، فهي ثورة إسلاميّة، وهي "الثورة الجزائريّة" التي كانت ثورةً حقيقيّةً.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الإنسان لا يمكن أن يعتبر الانقلابات القصيرة التي حملت اسم الثورة، والتي حصلت في أفريقيا وأمريكا اللاتينيّة أو في الهند، ثورات بالمعنى الحقيقيّ. فأنا قد رأيت بعض هذه الأماكن في الدول الإفريقيّة وغير الإفريقيّة (الموزنبيق، زيمبابويه، وغيرها)؛ وإذا صحّ إطلاق اسم الثورة على الأحداث السياسيّة الاجتماعيّة التي حصلت عندهم، فإنّنا شاهدنا هذه الثورات عن قرب، وإنّ أيًّا منها لا يمتلك الخصوصيّة التي تسمح لنا بالمقارنة بينها وبين ثورتنا. أمّا تلك الثورات الثلاثة، فهي تقبل المقارنة إلى حدّ ما. ولا شكّ بالنسبة لي أنّ هذه المقارنة هي عمل علميّ جميل، وما أحسن أن يقوم أفراد بهذا العمل، فهو علميّ بمعنى علم الاجتماع، وكذلك علميّ بالمعنى التاريخيّ.

تصوّروا ماذا حصل بعد عشرين سنة من الثورة الفرنسيّة الكبيرة، ومن ثورة أكتوبر، وبعد عشرين سنة من ثورة الجزائر، وحاولوا التدقيق في هذه المرحلة. بعد عشرين سنة من الثورة الفرنسيّة الكبيرة – حوالي العام ١٨٠٩م – الشيء الذي تغيّر عن مرحلة "لويس السادس عشر" هو شخص الملك فقط! في العام ١٨٠٩م، وصل إلى السلطة ملك اسمه "نابليون بونابرت"[الملحق ٣]، كان إمبراطورًا صاحب تاج يمارس الملك بكلّ ما للكلمة من معنى. لم يكن هناك أيّ مجال لآراء الناس والحرّيّات التي عملت لأجلها الثورة الفرنسيّة في حياة وحكومة نابليون المطلقة!

نعم، هناك فارق بين الاثنين، وهو أنّ لويس السادس عشر كان ملكًا فاقدًا للأهليّة، بينما كان نابليون ملكًا قويًّا ذا أهليّة. إنّ ما يمكن لفرنسا اليوم أن تعتبره من جملة مفاخر بونابرت هو أنّه تمكّن من فتح إيطاليا

والنمسا وبلجيكا – هذه هي أعماله – وإلّا فلم يبقَ لنابليون، بلحاظ المثل العليا للثورة، أيّ افتخار بعد عشرين سنة منها – تلك الكلمات التي تحدّث بها "جان جاك روسّو"[الملحق ٤]، و"فولتير"[الملحق ٥]، والآخرين! إذا دقّقتم النظر وعرفتم ما حصل في فرنسا في هذه العشرين سنة، ستجدون أنّ ثورتنا العظيمة والرائعة هي أفضل ظاهرة يمكن أن تحصل في هذا المجال.

تناوب على حكم فرنسا طوال العشرين سنة، وقبل وصول نابليون إلى سدّة الحكم، ثلاث مجموعات حملت عنوان الثورة. المجموعة الأولى كانت مجموعة الثوريّين الذين امتازوا بالتعاطي الخشن والأعمى والذي لا يُنسى، فخلّفوا الدمار في تاريخ فرنسا. منتهى الأمر، قام هؤلاء بثورة أمكن تحمّلها إلى حدود معيّنة.

وبعد حوالي خمس سنوات، استلم الحكم المجموعة الثانية وكانوا من الإفراطيّين، فعملوا على قلع المجموعة الأولى وقمعها، وأُعدمت الشخصيّات الثوريّة البارزة من دون استثناء. لقد كانوا مجموعةً من الأشخاص الذين اتّهموا الثوريّين الأوائل بالمهادنة فأعدموهم.

ثمّ جاءت المجموعة الثالثة واتّهمت الثانية بالتهوّر، فأعدمت بعض الأفراد وأبعدت البعض الآخر، حتّى أنّ هذا الإبعاد قد استمرّ لسنوات طويلة.

أنتم لو طالعتم رواية البؤساء لـ"فيكتور هيجو"[الملحق ٦]، لوجدتم في بدايتها حديث رجل عجوز يُعتبر من جملة المنتخَبين في المجموعة الثانية، حيث وصف الإبعاد الذي كان مستمرًّا حتّى ذاك التاريخ – أي تاريخ تدوين الرواية حوالي العام ١٨٢٥م – وماذا فعل ذاك العجوز، وماذا كان يتحدّث، وكيف كان الخوف ما يزال مسيطرًا عليه!

جاءت المجموعة الثالثة وقامت بعملها – وكانت في نهاية الضعف – فمهّدت الأرضيّة لمجيء نابليون، الذي استفاد من نبوغه وذكائه واستغلّ

أوضاع فرنسا غير المستقرّة، فجلس ملكًا على رأس السلطة، ولم يكن من سلالة البوربون[الملحق ٧] التي منها لويس السادس عشر. وقد استمرّ هذا الوضع طوال حياة نابليون. ثمّ عاد ملوك البوربون إلى الحكم بعد موت نابليون، وذلك مع لويس الثامن عشر حيث ساد الاضطراب فرنسا لسنوات طويلة، واستمرّ الوضع حوالي المئة سنة بعد الثورة الفرنسيّة. في الواقع، إنّ الأحداث التي نذكرها ظواهر غريبة وقصص هامّة، وأنا آسف من عدم معرفة بعض شبابنا بهذه المجريات!

الخلاصة أنّ فرنسا بقيت لمدّة مئة سنة بعد الثورة كالسفينة التي تلعب بها الأمواج. جاء ملوك عديدون وذهبوا، ثمّ جاء نابليون، ومن بعده عاد ملوك البوربون من جديد، ثمّ ذهبوا، وبعد ذلك جاء الشيوعيّون وذهبوا، وبعد أكثر من مئة سنة استقرّت الجمهوريّة الفرنسيّة! حاولوا مقارنة ذلك مع مرحلة ما بعد العشرين سنة من ثورتنا، دقّقوا فيما حصل هناك وما حصل هنا!

وكذلك انظروا إلى الاتّحاد السوفياتيّ في مرحلة ما بعد العشرين سنة من "ثورة اكتوبر"[الملحق ٨]، أي عام ١٩٣٧م. أنا وأمثالي يذكرون هذه الأحداث، حيث حكم الديكتاتور الظالم "ستالين"[الملحق ٩] الاتّحاد السوفياتي في تلك العشرين سنة. أعدم ستالين مئات آلاف الأشخاص بجرم مخالفة حكومته أو توهّم مخالفتها، وأبعد أضعاف هؤلاء إلى سيبيريا، وأنزلت عليهم المصائب والبلايا، وأعدم كافّة قادة الثورة من الصفّ الأوّل بواسطة الذين ورثوها، أو أنّهم هربوا وقُتل البعض منهم في المنفى.

إذا نظرتم إلى الاتّحاد السوفياتيّ في العام ١٩٣٧م، ستجدون أنّه كان يعيش أوج مرحلة الديكتاتوريّة المُظلمة لستالين. ولم تكن هذه الديكتاتوريّة مع الحفاظ على مبادئ الثورة، بل كان ستالين امبراطورًا حقيقيًّا. وما

ميّزه فقط أنّه لم يكن من عائلة "رومانوف"[١٧]، بل كان شخصًا آخرًا، لكنّه كان قيصرًا وملكًا بشكل مطلق.

وأنا لا أتصوّر أنّ ملكًا حكم قصر الكرملين مارس المُلك كما ستالين؛ فهو كان يعيش في نفس القصر، ويمارس نفس التشريفات، ويستفيد من تلك الإمكانيّات. لكنّ الشيء الوحيد الذي حفظه ستالين من الثورة هو ذاك اللباس والبدلة المزرّرة حتّى أعلاها. وبمجرّد أن توفّي ستالين، تنحّى الذين جاؤوا من بعده ولم يتبقّ أيّ شيء. لقد بقي من الثورة اسمها، وبقي من الحكومة العمّال، هذه هي الثورة السوفياتيّة بعد عشرين سنة.

وبالمقارنة، شاهدت بنفسي ثورة الجزائر[الملحق ١٠] بعد عشرين سنة على قيامها، وعندما زرتها كان قد مرّ على الثورة حوالي التسعة عشر عامًا. كان الوضع في الجزائر يدعو للعبرة حقيقةً. الثورة كانت إسلاميّةً، ثورة مساجد وعلماء دين. لقد بدأت من المساجد والمدارس الدينيّة والحوزات العلميّة – كما هو الحال في ثورتنا – إلّا أنّ الحكومة الدينيّة لم تتحقّق في الجزائر حتّى ليوم واحد!

لقد تمكّن الفرنسيّون، ومنذ اليوم الأوّل، من إدخال ثقافتهم وعاداتهم وعدم اعتقادهم بالدين إلى الجزائر، التي كانت تسعى للتخلّص من نير استعمارهم. وعندما كنت رئيسًا للجمهوريّة زارني أحد مسؤولي الجزائر الذي كان يتحدّث معي بلغة عربيّة. ثمّ أراد التحدّث بعبارة فلم يتذكّر الكلمات العربيّة، مع أنّ العربيّة كانت لغته واللغة الرسميّة للدولة! فكّر قليلًا، ولمّا لم يستحضر الألفاظ العربيّة، تحدّث مع بعض مَن يرافقه باللغة الفرنسيّة سائلًا عن الألفاظ العربيّة للجملة التي أراد التلفّظ بها، ثمّ تابع حديثه معي بعد أن أخبروه بترجمة النصّ العربيّ.

---

(١٧) سلسلة ملوك روسيا الذين حكموا بين العام ١٦١٣ والعام ١٩١٧ وانقرضوا مع الثورة الروسيّة.

وهذا يعني أنّهم لم يتمكّنوا من الحفاظ حتّى على اللغة العربيّة – وليس الدين – والتي يبدو أنّها ذات أهمّيّة كبيرة عندهم. هناك، لا خبر عن الإسلام مطلقًا، كما أنّ وضعهم المعيشيّ المادّيّ والاقتصاديّ دون السيّئ، وكذلك الأمر في الجانب الزراعيّ والاقتصاديّ – وكلّ شيء عندهم – كان دون السيّئ. طبعًا، كان لديهم حكومة ثوريّة في الظاهر، ويتّخذون مواقف سياسيّة جيّدة. لقد اتّخذ الجزائريّون في مرحلة "بومدين"[الملحق ١١]، الذي كان رئيسًا للجمهوريّة، عندما انتصرت الثورة، مواقف ثوريّةً مستقلّةً ضدّ أمريكا والاستكبار، وكانوا يدافعون عن القضيّة الفلسطينيّة، وبعد عدّة سنوات تغيّرت حتّى هذه المسألة الأخيرة.

عندما أنظر إلى أوضاعهم – أذكر أنّي دوّنت بعض الملاحظات التي كنت أكتبها بشكل يوميّ، فكتبت بعض الأمور حول هذا الموضوع، وعندما أعود إليه اليوم أجد فيه الكثير من العبر – أجد أنّ الكلام الذي كان يتحدّث به الجزائريّون في التخلّي عن القضيّة الفلسطينيّة وعدم دفاعهم عنها، وتقرّبهم من أمريكا بالخصوص، هو شبيه بالكلام الذي تلقيه اليوم الإذاعات الأجنبيّة في أذهان مسؤولي البلد. إنّ ذاك الكلام شبيه بما يردّده راديو الـ"بي بي سي"، وراديو أمريكا، والإذاعة الصهيونيّة، حيث يعملون على إلقاء وترويج تلك الاستدلالات والكلمات التي كان يردّدها الجزائريون، لعلّها تجري على ألسنتنا، ولكنّهم لم يفلحوا ولن يتمكّنوا من النجاح.

لقد استجاب الجزائريّون لما روّجته تلك الإذاعات الأجنبيّة، وبعد مُضيّ عشرين سنةً من الثورة، لم يعد في الجزائر ثورة إسلاميّة ودينيّة! لم يكن هناك أيّ قيم أخلاقيّة ومعنويّة، ولم يكن هناك أيّ تقدّم مادّيّ. وإذ لم يتمكّن الروس من أن يصلحوا معيشة الناس، فقد تمكّنوا، بالحدّ الأدنى، من تقديم أعمال بارزة على مستوى السباق الفضائيّ. وإذ لم يتمكّن الفرنسيّون من تحقيق الحرّيّة والاستقلال وتحكيم أصول ثورتهم، فلا أقلّه

تمكّنوا من إيجاد فتوحات عالميّة، رغم أنّ تلك الفتوحات لم تكن إنجازًا إيجابيًّا، لكن، كحدث تاريخيّ، يُقال إنّ نابليون كان بارزًا على مستوى الفتوحات العسكريّة. وهو أيضًا في النهاية انتهى، فقد خسر في الحرب مع روسيا وقُضيَ عليه بالكامل.

من أجل ذلك، دقّقوا في هذا الأمر الهامّ، وهو أنّه لم يكن في العالم في ذلك الوقت قوّة تتمكّن من مواجهة الثورة الفرنسيّة الكبيرة، ولم يكن الإعلام بمستوًى يقف في وجهها أو يهاجمها، ولكن بعد فتوحات نابليون، بدأ الإنجليز والآخرون مواجهته. بالطبع كان الصيارفة الإنكليز مخالفين، وكان الدوقات في فرنسا وألمانيا، وغيرهم من الملّاكين، مخالفين، إلّا أنّه لم يكن هناك قوّة منظّمة ومنسجمة من الناحية السياسيّة تتمكّن من التخطيط للمواجهة السياسيّة والعسكريّة والإعلاميّة والنفسيّة.

وعندما حصلت الثورة السوفياتيّة تضاءل أعداء روسيا، بعد أن كان لها أعداء تقليديّون، وشاركت في الحرب العالميّة الأولى وكان الألمان من جملة أعدائها، لكن بمجرّد انتصار الثورة – وعلى عكس ما حصل بعد انتصار ثورتنا حيث فرضوا علينا الحرب – انتهى العداء لها.

انسحبت روسيا من الحرب العالميّة الأولى مؤقّتًا، وتركت ما كان يُعرف آنذاك بدول الحلفاء التي كانت تقف في مواجهة ألمانيا ودول المحور[الملحق ١٢]، أي إنّها أخلت الجبهة الشرقيّة بالكامل، فتلقّت ضربات موجعة. واستمرّ الوضع على هذا النحو لمدّة سنة تقريبًا، حيث رجعت إلى الحرب في نهايتها، فكان لها سهم من المصالح، وعليه لم يكن لروسيا أعداء هامّين في تلك المرحلة.

المهمّ أنّ أعداء الثورة البلشفيّة – الأعداء السياسيّون والاقتصاديّون – كانوا يحاربون مضمون ومحتوى الثورة. أمّا في ثورتنا، فقد وقف بوجهها أعداء الثورة، أي الأعداء الذين كانوا يوجّهون الضربات السياسيّة،



كالأشخاص الذين كان لهم نفوذ في إيران، أو الذين كانوا يوجّهون الضربات الاقتصاديّة، كالذين كانوا يستفيدون من إيران سواءً من الداخل أو الخارج، وكذلك أعداء الدين الذين خالفوا أصله بسبب أهدافهم الطويلة الأمد أو بسبب اعتقاداتهم وأفكارهم.

ولذلك فقد عادى الروس ثورتنا بمقدار ما عاداها الأمريكيّون، وعلى الأقلّ كان الوضع على هذه الشاكلة في الحرب، مع العلم أنّ الاتّحاد السوفياتيّ لم يكن له حضور سابق في إيران ليفقده، وعلى العكس من ذلك، كان على الاتّحاد السوفياتيّ أن يكون ممتنًّا لنا بسبب القضاء على منافسه وبسبب إزالة وسائل التجسّس التي نصبها الأمريكيّون وراء الحدود الروسيّة، وكان عليه أن يتعاون معنا ويساعدنا، ولكنّهم لم يفعلوا، لماذا؟ ذلك لأنّهم يتضرّرون من الدين.

لقد كان إيجاد حكومة دينيّة مضرًّا للاتّحاد السوفياتيّ - بالأخصّ مع وجود جمهوريّات إسلاميّة مجاورة - بمقدار ما كانت الثورة مضرّةً لأمريكا، وبمقدار الضرر الذي لحق بالشركات الأمريكيّة والمستشارين الأمريكان.

إذًا لدينا نوعان من الأعداء في الداخل. في الثورة الروسيّة خالف الرأسماليّون وملّاكو الأراضي والبورجوازيون الصغار[الملحق ١٢] الثورة، وخالفها بدايةً قليل من المفكّرين الذين لم يكونوا مستفيدين من الاتّحاد السوفياتيّ، ثمّ ما لبثوا أن انضمّوا إليه بعد أن عمل النظام على جذبهم. لذلك نرى المثقّفين المتنوّرين الذين كانوا يخالفون، في برهة معينة، قد صاروا جزءًا من النظام السوفياتيّ الجديد، وتعاونوا معه، كتبوا له! وكتبهم موجودة اليوم.

هؤلاء أنفسهم هم أولئك المثقّفون السابقون، كتبة الروايات، والشعراء، والموسيقيّون، وغيرهم، الجميع بدأوا بالتعاون. أمّا في إيران، فالأمر كان

على العكس، إذ خالف الثورة مجموعة من الأشخاص الذين لم يتضرّروا على المستوى الماديّ، مشكلتهم الوحيدة مع الثورة هي وجود حكومة دينيّة، حيث كانوا يبغضون الدين، فعملوا على مواجهة الثورة.

هذه واحدة من المسائل والحقائق الجديرة بالاهتمام، لأنّ الثورة كانت تدّعي الدين وتروّج له، وتسوق الناس نحو التديّن، وتعمل على تخليصهم من تأثير الثقافة الغربيّة أو الأفكار الأخرى التي لا علاقة بينها وبين الدين، لذلك لم يقبلوها.

من جهة أخرى، كان هناك حكومات لا تمتلك دوافع استعماريّة – بل ما كان بمقدورها أن تمتلكها، إلّا أنّها، ولأسباب عدّة، سواء لأسباب سياسيّة أو عقائديّة، كانت تخالف الدين – وقفت ضدّ الثورة.

من هنا، شاهدنا هذا الاصطفاف الكبير في مواجهة بلدنا، وما زال الوضع إلى الآن على هذه الشاكلة. هذه الأمور عبارة عن أسباب خارجيّة عملت جميعًا على إضعاف الثورة، فلا تتصوّروا أنّهم جلسوا محايدين، لقد بذلوا جميعًا جهودًا لتبدأ حرب، ثمّ شرعوا جميعًا بمساعدة عدوّنا.

بناءً على ما تقدّم، إذا قمنا بعمليّة مقارنة، نجد أنّ ثورتنا، وبعد عشرين سنة، لم تواجه تلك الآفات والأضرار المتنوّعة التي واجهتها الثورة الفرنسيّة الكبيرة، والثورة السوفياتيّة ذائعة الصيت، والثورة – المصطلح عليها – الإسلاميّة في الجزائر، وهذا يشير إلى بنية هذه الثورة ٧٧/١٢/١٥.

إنّ ثورة إيران كانت ثورةً إسلاميّةً في الهويّة، هي ثورة تقدّمت انطلاقًا من الدوافع الإسلاميّة، ومن خلال النهج الإسلاميّ والقيادة الإسلاميّة والشعارات الإسلاميّة، حتّى أنّها استعانت بالتكتيك الإسلاميّ. لم نستعمل في هذه المواجهة أيًّا من التكتيكات المعادية للإسلام أو غير الإسلاميّة. يعني أنّ قائدنا لم يتلفّظ حتّى بكذبة واحدة تقع في إطار المصلحة طوال مرحلة الجهاد، وهذا هو النهج الإسلاميّ، وهذه الثورة عبارة عن ثورة



إسلاميّة الهويّة.

وبما أنّ هويّتها إسلاميّة، فقد كان أعداؤها معروفين في العالم. فمن هم هؤلاء الأعداء؟ إذا كانت الحركة والثورة عبارة عن مجرّد معاداة الإمبرياليّة [الملحق ١٤]، فسيواجهها قطّاع الطرق الدوليّين، ولكن إذا لم تكن الثورة معاديةً لقطّاع الطرق فقط، بل كانت معاديةً لكلّ هيمنة للأجانب؛ أي الهيمنة الثقافيّة، والهيمنة السياسيّة، والهيمنة الاقتصاديّة، عند ذلك لن تخالفها السياسات الاستعماريّة والاستغلاليّة فقط، بل ستخالفها ثقافات وأيديولوجيّات أولئك السلطويّين، وهذا ما حصل مع الحركة الإسلاميّة في إيران وقد شاهدتم ذلك، حيث إنّ مواجهتنا لم تكن ضد تخريب قطّاع الطرق الدوليّين فقط، بل كنّا على مواجهة حتّى مع المهيمنين على الثقافات والسياسات. هؤلاء يخرّبون أيضًا؛ ولذلك شاهدتم، وعلى امتداد تاريخ جهادنا، أنّ أيّة سلطة في العالم لم تشجّع جهادنا ولا مجاهدينا، ولم يكرّمونا، لا بل لم يحسبوا لنا حسابًا. ومع أنّهم كانوا يشاهدون المستضعفين في هذا البلد مشغولين بالجهاد، فقد هادنوا – حتّى أولئك الذين ادّعوا حماية المستضعفين منهم – المستكبرين، والسبب في ذلك إسلاميّة حركتنا ١/٣/٥٨.

انظروا إذًا ما هو منشأ هذه الثورة بالنسبة لي. من وجهة نظري، أنا أقول أنّ منشأها هو في التديّن والإيمان ٧٧/١٢/١٥؛ الإيمان الدينيّ والإسلاميّ. والإيمان الدينيّ هو عبارة عن ضمان وعن تأمين قسم من استعدادات وقدرات الإنسان التي تترك أكبر تأثير في اختيار الطرق والمسير عليها. وهو أيضًا يعطي الإنسان القدرة، والشجاعة، والمعرفة، والاستقلال، والاعتماد على النفس، والثبات والاستقامة في ساحات الخطر.

كما ويؤدّي الإيمان دور إظهار واقع الإنسان كما هو. فإذا كان الإنسان مؤمنًا، فإنّه يعرف قدر وقيمة ومقدار الظواهر المادّيّة وإمكاناتها، ولا يتعامل معها من منطلق الإفراط ولا التفريط. أمّا غير المؤمن، فإنّه

يعطي الأمور المادّيّة قيمة أكثر ممّا تستحقّ، فيلعب المال والمقام والسلطة ونظائرها الدور البارز في حياته.

الإنسان المؤمن يولي للمال، والراحة، ورفاهية العيش، الدور المناسب؛ والمعنويّات، والآخرة، ورضا الله، والجنّة، وكافّة القيم المعنويّة الأخرى التي يدركها عقل الإنسان، القيمة المناسبة والمكانة اللائقة لها. وفي بعض الأماكن، حيث يكون العلم قاصرًا، يكون للإيمان الدور البنّاء. فإذا دقّقتم في التاريخ وفي المضائق التي واجهتها الحياة البشريّة، ستجدون أنّه تمّ فتح هذه المضائق برأس إصبع الإيمان أكثر ممّا تمّ بقبضة العلم. فحيث ترجّل العلم وكان عاجزًا، أنقذ الإيمان الشعوب وأخرجها من الأسر. الإيمان هو الذي قضى على تسلّط الشرّ والقبح والظلم ٧٤/٧/٢٥.

والمقصود من الإيمان هو التديّن والتعبّد، وليس معناه المجرّد، حيث نقول نحن أشخاص متديّنون، ولكن في العمل لا نكون من المصلّين ولا من أهل التعبّد والذكر، ولا من أهل التوجّه إلى الله والعمل بالفرائض، فقط نقول نحن مؤمنون! كلّا، فهذا ليس إيمانًا، بل هو ما أشار إليه **القرآن الكريم** بقوله ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[18].

إنّ أمّتنا أمّة مؤمنة، وإنّ إحدى المسائل التي كنت أبحث فيها في كلّ مكان قبل الثورة، هي أنّ شعبنا – وقد كان في تلك المرحلة متّهمًا بعدم الإيمان – مؤمن بما يفهمه من الإسلام، ولذلك هو يضحّي من أجل الإسلام، ويقدّم أمواله وأرواحه ويتحمّل المشقّات لأجله.

لقد اتّضح هذا الأمر فيما بعد؛ فالشعب الإيرانيّ كان شعبًا مؤمنًا، واليوم أيضًا الشعب مؤمن بحمد الله. وسأبيّن فيما بعد أنّ الهدف الأساس لأعداء الثورة هو ضرب هذا الإيمان والتعبّد، حيث تتركّز حملاتهم عليه، وعلى هذا المنبع الأبديّ الذي تغذّت منه الثورة فبقيت بحمد الله بعيدةً عن الضرر ٧٧/١٢/١٥.

---

(١٨) سورة الحجرات، الآية ١٤.



# الثقافة والفنّ الإيرانيّ والثورة

فيما يتعلّق بالثورة وهذه الأيديولوجيّة والثقافة التي أوجدت التحوّل العظيم لشعبنا في المجتمع - حقيقةً لا يمكن تحديد أبعاد هذا التحوّل الآن، والاسم البسيط "الثورة" الذي تُعرّف به بعض تحوّلات الدول في العالم، أراه قليلًا لأطلقه على هذا التحوّل التاريخيّ المصيريّ العظيم لشعب إيران - هناك حاجة كبيرة إلى الأدب والفنّ. تمامًا كالحمل الثقيل الذي يحتاج شحنه ونقله إلى أدوات أقوى وأصلب. تارةً يحتاج الإنسان في سفر إلى قميص ولباس داخليّ، مثلًا، وثوب خفيف وطعام يوم واحد، وفي هذه الحال يلزمه حقيبة فقط. وتارةً أخرى، يحتاج هذا المسافر أن يصطحب معه حملًا ثقيلًا، وأدوات متعدّدة ومؤونة سنة، فيلزمه والحال هذه وسائل وحقائب أكثر. وهذه الحضارة التي تخلف هذا التحوّل والتي ستعمّ الدنيا بأشعّتها؛ وهذه الأيديولوجيّة والثقافة التي سطعت مع الثورة وستصل إلى كبد السماء وستصبح بدرًا كاملًا، هي حمل معنويّ وثقافيّ عظيم جدًّا، يحتاج إلى أدوات عديدة. والفنّ هو أفضل وأوجز وأنفذ هذه الأدوات وأكثرها تعبيرًا.

وإنّ الذين يتصوّرون أنّ الثورة الإسلاميّة في إيران لا علاقة لها بالفنّ والأدب هم خارج المعركة، بعيدون جدًّا، لا يعون أصلًا عمّا يتحدّثون وما يقولون. إنّ هذه الثورة تحتاج، وقبل كلّ شيء آخر، إلى أدب قويّ وثقافة غنيّة. أنا أتعجّب، يعني حقيقةً أفكّر فيما لو حصلت هذه الثورة في بلد لا يمتلك لغةً غنيّة، أمثال بعض دول أمريكا اللاتينيّة أو بعض الدول الأفريقيّة التي لا تمتلك لغةً كالفارسيّة من حيث الخلفيّة التاريخيّة والسعة العظيمة - تعلمون أنّ اللغة الفارسيّة استثنائيّة من حيث سعتها، وهي واحدة من أفضل اللغات كما يقول اللغويّون - وتقرّر نقل هذه الثقافة من خلال تلك اللغة المحلّيّة القاصرة، أو بالاستعانة بلغة أجنبيّة، فما هو البلاء الذي كان سينزل على رأس هذه الثورة؟ هذا بلاء لم نقع فيه. ونحن اليوم بحاجة إلى هذه اللغة القويّة التي لدينا، وإلى الثقافة العميقة والتاريخيّة والغنيّة في متناول أيدينا، وإلى الذهنيّة الثقافيّة المتوفّرة في شعبنا، وإلى فنّ من

المستوى الرفيع والذي نفتقده، إنّنا بحاجة شديدة إلى هذه الأمور.

كلّ الأدوات لازمة. غير أنّنا نفتقد ذلك الفنّ الدقيق والقاطع الذي يمكنه اليوم أن يجمع هذه الأدوات مع بعضها ويسوقها، وأن يملأ هذا الوعاء بالمضمون الثقافيّ للثورة ويعرضه. هذه هي مشكلة عملنا الكبيرة ونحن بأمسّ الحاجة إلى ذلك ويجب أن نسعى للحصول عليه.

انظروا إلى صدر الإسلام كمقدّمة في أذهانكم. إنّ هذه المفاهيم التي أتحدّث عنها، جميعها مفاهيم إسلاميّة، هي مفاهيم صدر الإسلام؛ والمفاهيم أمور لا يعتريها القِدَم، إذ إنّ كلّ شيء في العالم يصبح قديمًا إلّا المفاهيم الإنسانيّة الأصيلة، فهي لا تتبدّل على الإطلاق، كما يحصل في الأدوات والعلاقات والأشكال والقوالب. إنّ الشرف الإنسانيّ والكرامة الإنسانيّة، الحسن والقبح الذي يشخّصه عقل الإنسان، كلّها أمور لا تقبل التبدّل؛ والمعارف الإسلاميّة هي دائمًا بالنسبة لنا معرفة متجدّدة.

لقد قُدِّم الإسلام منذ البداية في قالب فنّيّ مئة بالمئة، وهو عبارة عن القرآن. **فالقرآن الكريم**، من حيث اللغة الفنّيّة، استثنائيّ منقطع النظير. إنّ ما تدركونه أنتم من مفهوم جملة، أو كلمة، أو تركيب فارسيّ، لا يدركه الإنسان الأجنبيّ عن اللغة إلّا أن يكون قد عاش سنوات طويلة ومنذ طفولته بينكم، أو أن يكون ذا استعداد استثنائيّ وقد عمل لسنوات على موضوع اللغة، وإلّا فلا يمكن لشخص أجنبيّ أن يدرك أعماق الجمال الفنّيّ للألفاظ والتراكيب تلك. ولقد اتّفق كافّة أهل اللغة؛ شعراء، وفصحاء، وبلغاء، ومطّلعين على الأدب والفنّ، من البدء وحتّى اليوم، على عجز الجميع أمام الفنّ الراقي **للقرآن الكريم**.

وفي مقابل هذا الإعجاز القرآنيّ، لو أردنا النظر في فكر الثورة وأدبيّاتها الأوّليّة، تلك الأدبيّات الرفيعة الراقية، سنرى أنّنا في ثورتنا الإسلاميّة لا نجد مصداقًا لذلك. بالطبع يوجد في بعض المسؤولين الثوريّين –

وبالأخصّ وأفضل من الجميع في شخص الإمام – امتيازات خاصّة من جهات متعدّدة. فلقد كانت أدبيات الإمام الخاصّة، أدبيّات انطلاقة هذه الثورة، بسيطةً، سهلةً، بليغةً، نافذةً، شعبيّةً، مفهومةً، لا تعقيد فيها، وفي الوقت عينه صحيحة. لكن قارنوا إمكانيّات لغتنا مع القرآن الكريم. إذ لا يمكن مقارنة لغة ثورتنا بالقرآن أصلًا. ومع ذلك، فقد كان الرسول الأكرم يسعى أن يستفيد من الإمكانات الأدبيّة الراقية للّغة في كلامه، وكذلك في كلام قادة الإسلام في ذلك الزمن – الصحابة الكبار وأتباعهم وأمثالهم – وفي شعر الشعراء؛ لقد استفاد حيث أمكن من الشعر الذي كان أكثر الأدوات الفنّيّة رواجًا وقاطعيّةً [الملحق ١٥].

لقد عدّ الرسول الأكرم (ص) موضوع الشعر والشاعر، وجذب الشاعر وحثّه على الشعر، والتبسّم للشاعر وإظهار قيمة الشعر، ذخائر ينبغي استثمارها. وهذا كلّه كان مشهودًا بوضوح في صدر الإسلام وفي حياة الرسول (ص).

كان هذا في مجتمع غير غارق بالكثير من الأمور التجميليّة وغير الأصوليّة، في مجتمع كانت سياحته الجهاد(١٩)، وعزلته الجهاد، كما جاء في روايات متعدّدة، فكلّ من أراد أن يحظى بشيء من الدنيا أو أراد السياحة عليه بالجهاد.

إنّ وجود هكذا مذهب وجهاد ونضال وثورة داخل مجتمع كهذا قد يدفع الشخص للتساؤل عن مكان الشعر في المجتمع الجهاديّ. غير أنّكم ترون أنّ الشعر موجود والرسول (ص) كان يكنّ للشعراء الكثير من الاحترام، رغم أنّ الكثير من أشعارهم لم تكن حول الجهاد ولا حول مسائل الإسلام الأصوليّة، بل كانت في مواجهة شعر آخر.

---

(١٩) محمّد الريشهري، **ميزان الحكمة** (بيروت: مؤسّسة دار الحديث الثقافيّة، الطبعة ١، ٢٠٠١)، الجزء ٢، الصفحة ٥٨٤، الحديث ٢٦٧٢؛ حيث ورد عن رسول الله (ص): "إنّ لكلّ أمة سياحة وسياحة أمّتي الجهاد في سبيل الله".

ففي تلك الأيّام، كان أعداء الثورة يتمتّعون بقدرة أدبيّة عالية، وكان لديهم شعراء بارزون، وكان الرسول (ص) يشجّع شعراء الإسلام على مواجهتهم حتّى لا يسجّل التاريخ كلامهم فقط، وكي لا يبقى الإسلام من غير دفاع أمام هذه الحربة التاريخيّة المسمّاة بالشعر. هذا في صدر الإسلام، والآن في ثورتنا، نحن أيضًا بحاجة إلى هذه الإمكانيّة والقوّة الفنيّة العالية ٢٧/١٠/٦٥.

إنّ أمّتنا، وبعد ألف وثلاثمئة عام على إسلامها، تزخر بالأمور المضيئة والبارزة – طبعًا لا نعرف الكثير حول ما قبل هذه المرحلة – وإن كان من المتوقّع أنّ أمّةً كبيرةً تمتلك هذه الخصوصيّات لا بدّ وأنّها كانت تتمتّع بثقافة مميّزة، مع العلم أنّه لا اطّلاع من حيث الجزئيّات إلّا على بعض الآثار.

ولكن في العصر الإسلامي – حيث إنّ ما حصل كان ببركة الإسلام – أظهر الشعب الإيرانيّ الكثير من القدرات والنبوغ الذي اعترف به العالم كلّه، وليس العالم الإسلاميّ فقط. وهذه أمور سجّل التاريخ تفاصيلها. وحتّى نحن الغافلين اليوم لو راجعنا هذا التاريخ فسنشاهدها. واليوم، فإنّ هذا الشعب لم يبلغ بصراحة ذاك النضج واللياقة على المستوى الثقافيّ.

نحن ما زلنا في المرتبة الثانية والثالثة على مستوى بعض الاختصاصات الثقافيّة والفنّيّة الرائجة في العالم اليوم. وهذا يعني أنّه بناءً على معياريّة التاريخ، فإنّ حديثي العهد في هذه الأعمال قد تقدّموا علينا. لكن نحن نمتلك تلك الأرضيّة؛ النبع موجود وإن لم يتفجّر بعد، وباليقين فإنّ النبع العظيم للثقافة والفكر، والنضج والإبداع والنبوغ، لا يزال يتلجلج في صدر هذا الشعب، ويجب الاستفادة منه.

كما وينبغي أن ننظر بدقّة إلى النقص والعيب الأساس في الأعمال الثقافيّة والفنّيّة في مرحلة ما قبل الثورة. إنّ رجالنا المثقّفين اليوم كانوا

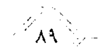
أيضًا بالأمس، لقد كانوا من خامة هذا الشعب وهذه الأمة، فما هو هذا النقص الأساسيّ الذي ابتلينا به في العهد البهلوي والعهد القاجاري^الملحق ١٦^، وبالأخصّ في أواخر العهد القاجاري بحيث عشنا كلّ ذلك القحط والخواء والهشاشة؟ ينبغي أن نحدّد منشأ ذلك النقص. ولعلّ السبب في ذلك هو ما نكرّره دائمًا؛ أي في قضيّة الغزو الثقافيّ.

لقد وقعنا في الفخّ، وهذا يعني أنّهم استغلّوا غفلتنا وغفلة مسؤولي هذا البلد وقياداته في تلك العصور، فقامت مجموعة معينة بإدخال ثقافة جديدة إلينا وبأساليب حديثة وذلك إثر النهضة التي حصلت في العالم، بينما كنا نحن نائمين، "إنّ أوّل عدوّ هاجمهم هو النوم"[(٢٠)].

لقد داهمنا النوم فاستفادوا من غفوتنا ودخلوا وقلبوا علينا الأمور، وأخفوا أصالتنا وطمروا الكثير ممّا لدينا. يشبه ما جرى دخول مجموعة من الجاهلين الخُرق مبنًى فنّيًّا يخرّبون أبوابه وجدرانه وستائره ويشوّهون صوره ويحطّمون مجسّماته. لقد قاموا بهكذا عمل، وأضفوا نظامًا جديدًا، هو نظامهم، دون أن يكون نابعًا من عندنا. نحن نعلم أنّ الغزاة عندما يدخلون بلدًا فإنّهم يعملون على تثبيت نظامهم الخاصّ، أمّا الملاحظ في القضيّة عندنا فأنّهم قد أوكلوا هذا النظم والترتيب إلى مواطنين من الدرجة الثانية، ولم يوجدوا ما كانوا يرغبون بإيجاده في بلدهم.

هذا ما حصل في إيران، فقد جاء الأوروبيّون وأدخلوا النظم والترتيب الأوروبيّ إليها، وتعاون معهم المخدوعون بهم أمثال مفكّري الجيل الأوّل لهذا البلد، مثل ملكم خان وأشباهه الذين تعلّموا على أيديهم، حيث كان الداخل يعيش حالة غفلة تامّة والقادة غارقون في الفساد، فدخلوا بهذه الطريقة وقاموا بتخريب كلّ شيء، وجعلوا إيران خاليةً من كلّ شيء وتهيمن عليها النظرة السلبيّة لماضيها، وجعلوا الشعب غافلًا عن تاريخه وأوجدوا

(٢٠) سعدي الشيرازي، **گلستان**، الباب الأوّل، الحكاية الرابعة.



نظامهم الخاصّ، إلّا أنّه النظام الذي يوجدونه للمواطنين من الدرجة الثانية. ومثال ذلك السيّد الذي يبني منزل خادمه بما يوافق طريقة بناء بيته! لا يأخذ فيه راحة الخادم بعين الاعتبار، فهو يتطلّع إلى راحته؛ وكان هذا الأمر متوقّعًا من أمثال أولئك.

وهكذا، فقد كانت خسارةً حقيقيّةً وجدت امتدادًا لها، على رغم أنّ الوضع في الحقبة البهلويّة لم يكن بذاك الوضوح الذي حصل في العهد القاجاري، وبالخصوص في الثلاثين أو الأربعين سنةً الأخيرة من الحكم البهلويّ. إلّا أنّ خطره كان أكبر من العهد السابق، ذلك أنّ هؤلاء أنكروا، بكلّ ما للكلمة من معنى، انتسابهم لتاريخ إيران، وبالأخصّ تلك الحقبة المتألّقة؛ أي تاريخ الألف وثلاثمئة سنة لإيران منذ الإسلام.

من هنا، ترونهم يَثِبُون إلى عصر ما قبل الإسلام؛ أي إنّهم يتعامون عن هذا المقطع الزمانيّ ويذهبون إلى ما قبل الإسلام. إنّهم يرغبون في إحياء تلك الحضارة باصطلاحهم، غافلين عن أنّ الماضي الذي يرجعون إليه كان بمثابة حضارة بدويّة بالنسبة للحضارة الإسلاميّة.

انظروا إلى إيران في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع بعد الهجرة، وقارنوا بين تلك العصور وبين إيران في الحقبة الساسانيّة[الملحق ١٧] أو الحقبات الأخرى. وهل يمكن في الواقع المقارنة بين الاثنين؟! أين يمكن أن نجد في عصر ما قبل الإسلام هذا العلم وهذه المعرفة، وهذه الحضارة وهذه الاكتشافات، وهذه الشخصيّات من أمثال ابن سينا[الملحق ١٨] والفارابي[الملحق ١٩]؟!

لقد دفعوا بنا إلى الضياع، وأنا أرى أنّ العامل الأصليّ والميكروب الأساسيّ الذي أدّى بنا إلى الانحطاط والضياع الثقافيّ يكمن في أنّهم أوّلًا أودعوا ماضينا المنبعث من الإسلام والصادر من تعاليمه وادي النسيان. وثانيًا في أنّهم جلبوا إلينا الأنظمة والمناهج الغربيّة المختلطة بالثقافة

والحقبة البدائيّة الغربيّة. أي إنّ نفس ثقافة ربطة العنق الأوروبيّة الحديثة، التي هي في ظاهرها فاخرة وجميلة، تحتوي في داخلها على عناصر واضحة تعود إلى الحقبة البدائيّة، ولا علاقة لها بالتمدّن والحضارة، وهذا ظاهر في مأكلهم، وطعامهم، وعلاقاتهم، ومعاشراتهم. لقد أتوا بهذه الأمور كما هي ليبثّوها في المجتمع، وكان واضحًا أنّه لا يمكن ذلك! وهكذا نتج بدلًا من ذلك مزيج سيّئ.

بالطبع، لا يمكن للإنسان أن لا يستفيد من ثقافة الآخرين، فالاستفادة منها تكمّل الإنسان. ولكن هناك فرق بين أن يختار الإنسان، عن معرفة ووعي ودقّة، دواءً أو غذاءً مقويًّا ومفيدًا من بين مئة نوع من الأدوية ومئة نوع من الأطعمة، وبين أن يُعطى شيئًا ما ليتناوله. افرضوا أنّكم تحتاجون إلى فيتامين ث، مثلًا، فتذهبون وتختارون هذا الفيتامين لتتناولوا منه المقدار الذي تحتاجونه، ثمّ تشربون الماء بعده؛ وهذا جيّد جدًّا، لا سوء فيه ولا غرابة، ويصير جزءًا منك لأنّه لك، ولأنّك بحاجة إليه. وتارةً لا يكون هناك مجال للاختيار أصلًا، ونسقط مغشيًّا علينا، فيأتي أحدهم ليرفع كمّنا ويحقننا بحقنة لا نعرف ما هي؛ فهل كانت الحقنة ضروريّةً أم لا؟ وهل كانت بالمقدار الكافي أم أقلّ أم أكثر؟ هل كانت مضرّةً؟ مخدّرةً؟ سامّةً؟ ينبغي أن يلتفت الإنسان إلى هذه الأمور.

إنّ كل ما حُقنّا به في تلك المرحلة كان سامًّا ومخدّرًا وغير مناسب. استمرّوا في حقن هذا الشعب بهذا النوع من الأشياء حتّى نهاية العهد البهلويّ. وهذا أمر لا فائدة فيه. إنّ هذا النحو من تناول الثقافة ليس تكميلًا للثقافة، إنّه نوع من الغرق في الثقافة الأجنبيّة والوقوع تحت تأثيراتها، وهذا لا قيمة له. أمّا إذا ذهب الإنسان واختار بنفسه فهذا بحث آخر.

اليوم، ومن باب الإنصاف، هناك عناصر موجودة في الثقافة الغربيّة هي بالنسبة إلينا أمور حياتيّة، ويجب أن نتعلّمها. لديهم الكثير من الأمور الجيدة، ولو لم تكن هذه الأمور الجيّدة موجودةً لما تمكّن الغرب من الوصول



إلى ما وصل إليه مع كلّ هذا الفساد. كان يجب أن يضمحلّ الغرب ويختفي كالدخان في الهواء مع هذا الفساد المستشري فيه.

فما هي علّة عدم زوالهم واضمحلالهم؟ في الواقع يعود ذلك إلى وجود عدد من العناصر المهمّة. من جملة ذلك أنّهم أشخاص منظّمون، دؤوبو العمل، لا يتعبون ولا يكلّون. هذه عناصر إيجابيّة ومطلوبة في ثقافتهم، وينبغي حتمًا تبنّي هذه العناصر والاستفادة منها ٧٢/٧/١٢.

إنّ مسألة الأدب والثقافة في كلّ بلد هي مسألة أساسيّة؛ سواء كان البلد والشعب في مرحلة تحوّل مفصليّ أو في مرحلة إعادة البناء وإعادة تأهيل الذخائر الوطنيّة وما بعد ذلك. فالثقافة هي الواسطة الأساسيّة لحلّ المشكلات في جميع المراحل، وهي بدورها تقوم على الأدب والفنّ. ونحن عندما نتحدّث عن الثقافة، فإنّنا نتحدّث في الدرجة الأولى عن الشعر، والقصة، والكتابة، والأنواع الفنّيّة المختلفة، تلك الأمور التي تترك أثرًا على ذهن وعمل الناس، حتّى الثقافة العامّيّة، أي إنّ ذاك القسم من الثقافة – الذي بلحاظ الانتشار يحتلّ الموقع الأوسع – هو حصيلة ونتاج هذا الأدب والفنّ.

إذا كان من المقرّر إيجاد تحوّل في بلد ما، فالثقافة هي مفتاح ذلك. وإذا أرادت أمّة، على سبيل الفرض، التخلّص من المحتلّ، تبرز الثقافة، قبل الثروة والقدرات الصناعيّة والاحتياطات الباطنيّة، في العمل على التحرّر من احتلال الأجانب. تصوّروا أنّ حربًا قد نشبت، فلكي تتمكّن أمّة من إدارة الحرب، فإنّ للثقافة، قبل السلاح ووجود القيادة المجرّبة وكثرة الجنود، الدور الأوّل والفعّال في دفع الشعب نحو ساحة المعركة، وفي الحفاظ على الوجود عند القتال، وفي الحثّ على الاستبسال، وفي تحقيق النصر ٧٥/٦/٢٨.

لقد سمعت أنّه في الحرب العالميّة كان لملحمة عليوف في روسيا – وهي

أغنية معروفة لم أسمعها ولا أعرف ما هي بالتحديد، السادة يعرفون – أكبر الأثر في تحريض الناس على الذهاب إلى ساحة المعركة، أي أنّ هذه الأنشودة كانت في خدمة الأهداف الشعبيّة، وهذا هو المتوقّع من الفنّان في كلّ بلد ١/٥/٨٠.

إنّ الثقافة هي العنصر الأساسيّ في كلّ مرحلة. وعندما تأتي مرحلة إعادة الإعمار والتأهيل، فإنّ ما يحرّك العجلة المطلوبة هو الثقافة. فلو فرضنا أنّ ثقافة العمل والابتكار لم تكن حاكمةً في بلد ما أو في جزء من البلد، فما هي فائدة وجود ألف مدير جيّد؟ إنّ العلم والقدرات العلميّة والذخائر المادّيّة تأتي بالدرجة الثانيّة. إن ذاك العنصر الذي يحقّق نجاة الأمّة في هذه البرهة الزمانيّة هو الثقافة، لأنّها هي التي تشجّع على دخول ساحة البناء، والثقة بالنفس، والانضباط في العمل، وهي التي تقي من مضاعفات وتبعات مرحلة البناء، إذ لهذه مضاعفات من النواحي الاقتصاديّة والأخلاقيّة. وبالتالي توصل إلى مرحلة النجاة، وتوجّه مرحلة البناء في الاتّجاه الذي تقع الحاجة فيه. ثقافة الشعب هي التي تساعد في إنجاز هذه الأعمال.

وإذا تمكّن الشعب من عبور هذه المرحلة، وفرضنا أنّ بلدًا ما قد تمكّن من الوصول إلى نهاية مرحلة البناء، أي إنّه قد وصل من الناحية الصناعيّة والتقنيّة والمعيشيّة إلى مستوى من القدرة، وكان مقرّرًا الاستفادة من هذه القدرة للمضيّ قدمًا في حياة هذا الشعب، ومساعدة البشريّة، وإعانة الدول الأخرى، والتقدّم بقافلة البشريّة – حيث إنّ الكمال الإنساني لا نهاية له – نجد أنّ الثقافة هي التي تؤدّي الدور الأساس.

وإذا امتلكت أمّة ثقافةً سليمةً متطوّرة، فستكرّس هذه القوّة لأجل حياة ونموّ البشريّة وخدمتها. وإذا كانت تمتلك ثقافةً عليلةً ناقصةً وقاصرة، فستستعمل قوّتها في سبيل الانحطاط الأخلاقيّ، وانحطاط البشريّة،

والظلم، حتّى إنّها ستساهم في تآكل تلك الأمّة وانهيارها؛ وهذا هو مصير القوى الحاليّة الكبرى في العالم. وأتوقّع أنّ القوّة الأهمّ التي ستنخرها هذه السوسة هي النظام الأمريكيّ، الذي سينهار عاجلًا لا آجلًا. بالطبع هذه أمور لا يمكن تعيين زمان خاصّ لها، لعلّ ذلك يكون في عشر سنوات أو عشرين سنة أخرى. لكن من المعلوم أنّ هذا الزمان قد يتغيّر لأنّ العوامل متغيّرة، لكنّ الإصابة بآفات هذا الخلل والنقص حتميّ الوقوع.

لقد تمكّن الشعب الأمريكيّ من بلوغ أعلى المستويات العلميّة، وذلك ببركة بعض الخصال الثقافيّة والخصوصيّات الجغرافيّة والتاريخيّة، وتقدّم بلحاظ العلم والثروة وأمثالها. ولكن بما أنّ الثقافة الحاكمة ليست ثقافةً صحيحةً وسالمةً وكاملة، فما زال حتّى الآن يتّجه نحو الانحطاط، ومن الآن فصاعدًا سيكتب هذا الشعب نهايته وتلاشيه الداخليّ بيده، والأمارات ظاهرة منذ الآن، وهكذا سيكون المستقبل.

هذا هو دور الثقافة، فتصوّروا أنّنا شجّعنا شابًّا على ممارسة الرياضة وتقوية جسمه وامتلاك قدرات بدنيّة كبيرة وقوام قويّ سالم وجميل وحائز على الكثير من الاستعدادات، ولكنّنا في الوقت عينه لم نعطه القدرة على التفكير. هكذا فرد، مع ما يمتلك من قوّة وقدرة بدنيّة وجمال جسمانيّ، سيقع، نتيجة ضعف ثقافته، فريسةً لمؤامرات شخص آخر يمتلك تفكيرًا أفضل وتربيةً أعلى، وسيكون عمليًّا كلّ ما يمتلكه من خيرات في جسمه مسخّرًا للآخرين، ولن يشكّل له أيّ نفع.

وإنّ الأمّة التي تهتمّ بجوانب حياتها المتنوّعة كالعلم – العلم بالطبع جزء من الثقافة لكن من الآن استعمل كلمة الثقافة بمعناها الخاصّ – والتكنولوجية، والصحّة، والثروة، والتقدّم المادّيّ، والسلطة والهيمنة السياسيّة، وتؤمّن كلّ هذه الأمور، لكنّها تفتقد في داخلها للثقافة والنموّ والتطوّر، فهي أشبه ما تكون بذاك الشخص ٧٥/٦/٢٨.

إنّ مقولة الثقافة في بلدنا، كما يعرف الحريصون والمتحرّقون، هي مقولة مظلومة. لقد كانت ثورتنا ثورةً مبنيّةً على منحًى ورؤية ثقافيّة، وكلّ حركة قيميّة تمتلك هذه الخصوصيّة. ونحن كان ينبغي علينا، قبل وأكثر من أيّ سعي آخر، أن نبذل الجهد في المسعى الثقافيّ الإسلاميّ ٧١/٥/٥. فلو كان هذا الأمر المستحيل، الذي أريد عرضه الآن، في طور التحقّق بداية الثورة، لكان وضعنا اليوم حتمًا جيّدًا جدًّا.

ذاك المستحيل هو أن يكون القيّمون على إدارة البلد في بداية ثورة ما ممتلكين للاستعداد اللازم والتخطيط الكافي والاستشراف الصائب. هذا الأمر ليس ممكنًا في الثورة، لم يكن ممكنًا ولم يتحقّق. لكن لو كان هذا متحقّقًا لدينا في ذلك الوقت، لكان أوّل عمل قمنا به هو النهل من تلك الحماسة والغليان الثوريّ، ولكنّا قدّمنا المعارف الإسلاميّة في فضاء صحيح وعلى شكل ترجمة معنويّة وليس ترجمةً لسانيّةً. ولتمكّن المرء حينها من التنفّس السليم في هذا الفضاء، ولتمكّن الفنّان من استمداد فنّه من الإسلام، ولم يبقَ هناك ضرورة لتقولوا اصنع كذا، وقل كذا، أو احذف كذا، حيث كان سيصبح الجوّ جوًّا إسلاميًا؛ إلّا أنّ هذا لم يحصل ٧٢/٧/١٢، أي لم يتمّ توضيح وتبيين ثقافة الإسلام بما لمفهوم الثقافة ومعناها من سعة، بعيدًا عن الانحراف، وعن الخرافة وضيق النظر والجمود والخوف من هذا وذاك، كما هو الحال في العالم الآن.

إنّ الثقافة والبيئة الغربيّة هي بيئة شديدة التعصّب على الرغم من سعيها لأن تُعرَف بالتحرّر، لعلّها تكون كذلك في المقولات الأخرى، ولكنّها في مقولة الثقافة متعصّبة وصارمة بشدّة، أي إنّ كلّ ثقافة غير الثقافة الأوروبيّة تقع في معرض التحقير والإهانة والضغط.

إنّ الأوروبيّ الذي يدّعي التسامح، والتساهل، والتحرّر، وبُعد النظر، والابتعاد عن التحجّر والجمود، هو متعصّب وصارم جدًّا في مقولة الثقافة. فكلّ ثقافة غير أوروبيّة تحظى بأسماء مختلفة، بدءًا من الوحشيّة

والبربريّة، مرورًا بالرجعيّة والتخلّف، إلى ما لا يستحقّ ذكره؛ وهذا يعني أنّ نفس ذلك الشعور القديم الذي كان يعتبر كلّ ما وراء اليونان بربريًا ما زال حيًّا في نفوس الأوروبيّين الذين يعيشون في ظلّ الثقافة الأوروبيّة والغربيّة.

وهذا التعصّب الموجود في كوكب أوروبا موجود أيضًا في أقمارها الثقافيّة، أي أمريكا وأستراليا، فهناك لا تزال إلى اليوم روحيّة اليونانيّين وذهنيّة تحقير البرابرة مسيطرةً. لذلك تشاهدون أنّهم يحاربون الحجاب بشدّة، ليس لأنّ الحجاب مفروض على المرأة، فهم يفرضون عليها أمورًا كثيرةً أخرى ولا يظهر انزعاجهم من ذلك، ومن جملة ذلك فرضهم عليها العمل الصعب، والإهانة وإراقة ماء الوجه، والقضاء على حيثيّتها الأنثويّة باعتبارها عنصرًا وواحدًا من جنسَي الخلقة الأساسيَّين؛ كلّ ذلك يمكن تحمّله أمّا الحجاب فلا، لماذا؟ لأنّه يخالف الثقافة الأوروبيّة.

شاهدتم في السنوات الأخيرة الحرب التي يخوضونها في أوروبا – في فرنسا وألمانيا وأماكن أخرى – ضدّ الحجاب. هناك مجموعة أرادت الذهاب إلى المدرسة مرتديةً الحجاب، فقالوا لهنّ أنّ الحجاب ممنوع! وبدأوا بمحاربتهنّ. من جهة أخرى، نراهم يتحدّثون كثيرًا عن معايير دوليّة، وحينما يقولون، فرضًا، إنّ على الجمهوريّة الإسلاميّة القيام بهذه التكاليف، فإنّ أكثر ما يعتمدون عليه في دعواهم هو القول بأنّ على إيران أن تطابق نفسها مع المعايير العالميّة. والمعايير عبارة عن هذه الأشياء التي تنطبق مع أنموذج الثقافة الغربيّة. فهذا الضغط والقساوة إذًا موجودان دائمًا من جهة الغربيّين. وأينما ظهرت ثقافة غير غربيّة، وبالأخصّ إذا كانت ثقافةً إسلاميّةً تمتاز بكونها ثقافةً هجوميّةً ذات مكانة خاصّة ونمط هجوميّ لا تقبل الضعف والهزيمة والانكسار، فإنّها تتعرّض لكلّ أشكال الهجوم والتحقير.

وبالالتفات إلى هذه المسائل، وما جرى علينا طيلة هذه العقود الأخيرة – بالأخصّ في المئة وخمسين أو المئتي سنة الأخيرة، حيث فُتح الباب أمام الثقافة الغربيّة للدخول إلى بلدنا – نجد أنّه كان ينبغي بذل جهود كبيرة وعمل دؤوب في هذا المجال، كان حريًّا بنا أن نبيّن هذه الحقائق الثقافيّة الموجودة في الإسلام، وهذه الأمور لم تحصل وللأسف. وكلّما حاول البعض هنا وهناك الإتيان بعملٍ ما في هذا الخصوص، نرى أنّ أنواع الضغوطات تنهال عليهم لتشكّل مانعًا أمام القيام بهذه الأعمال ٧١/٥/٥.

بناءً على ما تقدّم، تحتلّ الثقافة أهمّيّةً كبيرةً في زماننا وفي المرحلة التي نعيشها، وينبغي الاهتمام الجادّ بالعمل الثقافيّ. طبعًا العمل الثقافيّ من جملة الأعمال المعقّدة حيث يجب على المتصدّين لقضاياه في البلد بذل الجهود للتقدّم في جانبَين: الأوّل هو نشر الثقافة كمّيًّا داخل نفوس الناس جمعًا وفرادى، مثال ذلك الترويج للمطالعة، نشر الكتب والمكتبات، زيادة عدد المدارس ومراكز البحث والتحقيق، نقل العلم والمعرفة من الأماكن المكتظة إلى أقصى نقاط البلد، إلى القرى والبيوتات النائيّة. هذا العمل كمّيّ وضروريّ جدًّا حيث ينبغي على وزارة التربية والتعليم، والتعليم العالي، ومؤسّسات الإعلام وبالأخصّ الإذاعة والتلفزيون، القيام به. ومن الضروريّ جدًّا أيضًا؛ أن يستمتع جميع الناس بنسيم الثقافة، ويتمكّنوا من الاستفادة الثقافيّة.

هناك الكثير من الأشخاص الذين لا يعرفون أنّهم بحاجة إلى الكتاب والصحافة أو إلى سماع الشعر ومشاهدة أنواع الفنّ والآثار الفنّيّة؛ هم غير ملتفتين من الأساس، مثالهم كالشخص الذي لا يعرف أنّه بحاجة إلى الفيتامين وإلى البروتين أو إلى طعام خاصّ. فمن غير المتوقّع عندئذٍ أن يؤمَّن له ٧٥/٦/٢٨.

إنّ المجتمع؛ ثقافيّ بطبعه، غير ذلك بفعله؛ فلماذا نقول أنّه ثقافيّ بطبيعته؟ ذلك لأنّه مجتمع دينيّ، وطبيعة المجتمع الدينيّ أن يمتلك

طموحات ثقافيّة، وهذا يختلف عن المجتمع الدنيويّ الذي لا يفكّر إلّا بقضايا العيش؛ فقد تحضر فيه الثقافة وقد لا توجد على الإطلاق. بالطبع يوجد في المجتمعات الصناعيّة والمادّيّة والدنيويّة السينما والموسيقى والفنّ، وكلّ ذلك موجود باعتباره حاجةً فرديّةً فقط. يشعر الفرد بالضيق فيقصد السينما أو يستمع إلى الموسيقى، وهذا لا يعبّر بالضرورة عن رغبة ثقافيّة قد تكون موجودة وقد لا تكون.

أمّا المجتمع الدينيّ، فلديه طموح ثقافيّ؛ لأنّ أهداف الدين هي أهداف ثقافيّة ومعنويّة تتعلّق بالروح والفكر والقلب. لذلك لا يمكن أن يكون الفرد المتديّن أو الجماعة المتديّنة خاليةً من الآمال والقيم والطموحات الثقافيّة. إذًا، المجتمع الدينيّ هو ثقافيّ بالطبع وبالقوة، ولكنّه بفعليّته ليس كذلك؛ يعني فيه نقص من ناحية الرؤى والبصائر والمعارف والإجراءات الثقافيّة. مثال ذلك أنّ شعبنا ليس شعب مطالعة، وعدم المطالعة هو نقص كبير جدًّا. هناك الكثير من أفراد شعبنا ليسوا من قرّاء الجرائد بالحدّ الأدنى، وإذا ما ألقوا نظرةً على الصحف اليوميّة فإنّهم يكتفون بقراءة العناوين الأساسيّة. يستمعون إلى الإذاعة للتسلية فقط، وليس لأجل ما يبثّ فيها من أخبار ومعلومات ومعارف حياتيّة ومسائل ثقافيّة. ونحن يجب علينا العمل لرفع هذا النقص ٧١/٩/٤.

وبناءً عليه، فإنّ الانتشار الكمّيّ للثقافة في البلد هو عمل أساسيّ يقع على عاتق جميع القطاعات الثقافيّة الموجودة فيه، وبالأخصّ يمكن لعلماء الدين أن يكونوا مؤثّرين جدًّا في هذا المجال. كذلك يمكن للعناصر الثقافيّة والفكريّة في كلّ مجتمع، وفي كلّ محافظة ومدينة، وفي كلّ جزء من البلد، أن تكون مؤثّرةً لتصبح كالمشاعل التي تضيء ما حولها.

الجانب الثاني الذي لا يقلّ أهمّيّةً عن الأوّل – لا بل هو أكثر أهمّيّةً في الأمد الطويل – هو عبارة عن الانتشار والتوسّع الكيفيّ للثقافة؛ أي إنتاج الثقافة وتفجّر ينابيعها في القلوب والأرواح والاستعدادات. هذا الأمر هامّ

جدًّا؛ صحيح أنّه يجب علينا دفع الناس نحو المطالعة، إلّا أنّ الأوجب من ذلك أن ننمّي استعداد الكتابة بين الناس واستعداد إنتاج الكتاب.

ينبغي أن نعمل لتفعيل هذا الاستعداد، ولتبدأ الأقلام بالخطّ على الأوراق، ولتسرع عجلة الفكر لتنتج للناس، وهذا أمر هامّ. إنّ بلدنا، في الظاهر وبحسب الاستعدادات الفنّيّة والثقافيّة الموجودة فيه، يجب أن يكون من الدول النموذجيّة ومنقطعة النظير. وبما أنّني لا أملك إحصاءات في هذا الخصوص، فلا يمكنني أن أحدّد بالدقّة ما إذا كان في المرتبة الأولى أو الثانية. ولكن كحكم عامّ، حينما ندقّق النظر نجد أنّ الاستعداد الثقافيّ موجود في كلّ فئات وشرائح وأبناء هذا الشعب.

لقد قرأت مؤخّرًا بخصوص مسألة الشعر أن أحد الكتّاب من العهد الصفويّ كان يقول إنّ الذي ينظم في كلّ مرّة بيتًا أو بيتَين من الشعر فهو ليس بشاعر. هذا هو حال أكثر الناس في البلد. وهذا الأمر هامّ للغاية؛ أي إنّ روحيّة نظم الشعر وقريحته موجودة في جميع أو أغلب الناس. والواقع هو كذلك، أنتم تشاهدون بين القرويّين، البعيدين عن المظاهر والعوامل الثقافيّة، أشخاصًا كثيرين لديهم القريحة الشعريّة، والقريحة الفنّيّة في فروع الفنّ الأخرى كذلك حالها.

نحن لدينا شعب صاحب ذوق واستعداد، في بعض الأوقات وفي كتابات الشباب والناشئة – التي تعرض أمامنا في مناسبات مختلفة – يشاهد الإنسان استعدادات جيّدةً جدًّا؛ الاستعداد للكتابة، والاستعداد لإنتاج المطالب الثقافيّة ونشر الفكر بقدرة التعقّل والتفكّر. ينبغي التعرّف على هذه الأمور، وهي كذلك في جميع المستويات.

طبعًا، ولحسن الحظّ، خرجت مؤسّسة الإذاعة والتلفزيون بعد الثورة من تحت احتكار طبقة خاصّة، وبدأ الشباب يقرأون أشعارهم التي يقدّمونها في المجامع الشعريّة أو في المناسبات المتعدّدة عبر الإذاعة

والتلفزيون. هذا الشيء لم يكن في السابق حيث كان يحقّ لبعض الأشخاص فقط قراءة الشعر عبر الإذاعة ممّن كانوا يمتلكون خصوصيّات غير مؤثّرة على مستوى ماهيّة الفنّ ومضامينه. كان هناك بعض الشروط الضروريّة كأنواع العلاقات والارتباطات وبعض الخصوصيّات الأخرى، ويشاهد الإنسان كيف دخل الشباب ساحة الشعر وكم نمتلك اليوم من شعراء.

وفي هذا الخصوص، كان يقول لي أحد الأشخاص المهتمّين بموضوع الشعر والأدب منذ سنتين أو ثلاث – ولعله على الظاهر يمتلك احصاءات – أنّ أعداد مؤلّفي الشعر بعد الثورة قد بلغ أضعاف ما كان عليه قبلها. هذا أمر هامّ جدًّا، وهو يعني أنّ الفنّ منتشر بين أفراد الشعب، وأنّ الاستعدادات وفيرة ومتنوّعة، وما يؤسَف له أنّ هذه الاستعدادات لا يتمّ تفعيلها.

في النظام السابق، تمّ إهمال هذا المجال بالخصوص، لقد أوصلوا الأمر إلى الحضيض؛ أسفل السافلين. وهذا يعني أنّ كلّ ما كان يحتاج إلى تدبير وتخطيط في ذلك الزمان كان معطّلًا، ما خلا بعض الأمور التي كانت تسير بنفسها، كالنبع الذي يجري بصورة طبيعيّة. لكنّ أيّ عمل في المجالات الثقافيّة إذا كان يحتاج إلى متابعة وجهد من قبل المسؤولين، في أعلى المستويات، فسيبقى ناقصًا ومعطّلًا.

في هذا المجال، انظروا إلى الكثير من الفروع الثقافيّة المستوردة أمثال السينما، والمسرح، أو التصوير، وغيرها من الفنون التي ليست من محليّاتنا بل هي مأخوذة من الآخرين. طوال السنوات المتمادية، من تاريخ السينما مثلًا في إيران، والذي يمتدّ لمئة سنة، انظروا إلى صناعة السينما في بلدنا، فهي إن لم تكن صفرًا فلا تزيد عليه كثيرًا. السينما فنّ يحتاج إلى متابعة والواقع أنّهم لم يفعلوا شيئًا. بالتأكيد هناك الكثير من العمل الذي حصل بعد الثورة، وهذا لا يعني أنّنا في المستوى المطلوب، لا، فنحن متأخّرون ستّين أو سبعين سنة. الفئة التي هيمنت على هذا البلد، لم تكن تنحصر آثار

أعمالها بزمان وجودها غير الميمون؛ بل استمرّ لمدد أطول.

نحن الآن متورّطون بالمآسي التي أنشأها النظام البهلوي والنظام القاجاري، وسنبقى إلى مدّة طويلة أيضًا على هذا النحو، إلّا أن يجدّ الأشخاص الموجودون في هذا الزمان ويزيحوا ذلك الغبار القديم عن هامة هذا الشعب. افرضوا أنّنا لم نتطوّر في المسرح، مع العلم أنّ المسرح هو من أبلغ أدوات البيان في موطنه، أي في الدول الأوروبيّة والغربيّة، أمّا هنا فلا خبر لدينا عن دوره، مثالنا في ذلك كشخص لا يعرف لغة ما. هكذا هي اللغات الفنّيّة؛ الشعب الذي لا يملك سينما هو كإنسان لا يعرف لغةً من لغات التفاهم والتحاور. تصوّروا أنّ شخصًا في بلدنا يعرف كافّة اللهجات المحلّيّة، فهو إذًا سيتمتع بقدرة واسعة على الفهم والتعاطي أكثر من الذي لا يعرفها. سيتحدّث مع الجميع وسيتفاهم معهم، وسيعمل على تفهيم الجميع وسيأخذ من الكلّ. كذلك الشخص الذي يتقن اللغات غير الفارسيّة من اللغات الأجنبيّة؛ كالعربيّة والإنجليزيّة أو الألمانيّة، كم سيكون مختلفًا عن غير المتقن لها؟

هكذا أيضًا لغة الفنّ، فالشخص الذي لا يفهم شيئًا من المسرح، والرسم، والتصوير، والشعر، فطرق المعرفة مسدودة في وجهه، والشعب الذي لا اطّلاع له على أيّ من هذه الأمور فقد أغلق نافذةً على نفسه. في تلك الأزمنة لم يطوّروا هذه المجالات، حتّى المحلّيّ منها، يعرف ذلك من كان من أهل هذا الفنّ.

مثال ذلك ما حصل في موضوع القصّة والحكاية، والقصّة مقولة هامّة جدًّا. طبعًا نحن نمتلك سابقةً تاريخيّةً طويلةً في هذا الخصوص؛ كانت كتابة القصّة رائجة منذ القديم. انظروا إلى **الشاهنامه** التي وجدت في بلدنا منذ ألف سنة، إنّ تلك القصّة الخياليّة للفردوسي ليست بالأمر القليل، إنّها في غاية الأهمّيّة، وهو قد اقتبسها من كتب أخرى.



وإذا غضضنا النظر عن عصر ما قبل الإسلام؛ وراجعنا عصر الإسلام فقط، سنجد أنّ حكاية القصص وكتابتها لم يكن قليلًا. لكن انظروا، كم تقدّم هذا الفنّ في بلدنا؟! إذا سئلتُ عن ذلك سأقول بأنّه لم يحصل أيّ تقدّم على هذا المستوى قبل الثورة! أولئك الذين كانوا يدّعون النزعة الإيرانيّة – هؤلاء لم يدّعوا الإسلام إلّا أنّهم ادّعوا الإيرانيّة – لم يتمكّنوا من تقديم شيء باللغة الفارسيّة يستحقّ الترجمة إلى اللغات الأخرى. نحن في تلك الأقسام في غاية الضعف، وفي المقابل ما أكثر الاعمال الكبيرة والقيّمة التي أنجزت في هذه المجالات في العالم بالأخصّ في بعض الدول.

افترضوا حكاية في إيران هي حكاية **الأمير أرسلان**[الملحق ٢٠] المعروفة، إنّها قصة بالتأكيد، وهي قصّة مسلّية، ويبدو أنّها كانت إحدى قصص ملوك القاجار، وفي الظاهر أن أحد حكواتيّي الملوك القاجاريّين، ولأجل أن يغفو الملك أو أحد الأمراء رفيعي المقام، كان يذهب إليه كلّ ليلة ويجلس عنده ثمّ ينسج له مقدارًا من القصص الذي كانت نتيجته قصّة الأمير أرسلان المعروفة هذه. لا يوجد عندي أيّ تحقيق في هذا الخصوص، فقد سمعت بذلك فقط. وإذا كان الكلام صحيحًا، فهذا يعني أنّ في مرحلة سابقة لنا، كان هناك ذهن خلّاق إلى حدّ إبداع **الأمير أرسلان**، وهذا يعتبر استعدادًا. لا أعرف إن كنتم قد قرأتم هذه القصة أم لا؟! كنت شابًّا عندما قرأت هذا الكتاب. وفي الخلاصة هو قصّة كبيرة، لعلّها ألف صفحة وفيها الكثير من النسج والخيال والتخيّل. وهذا يعني أنّه كان هناك استعدادات كبيرة بحيث لو وُجد في ذلك الزمان شخص صاحب شعور، مثقّف، لائق – لأنّ التعاطي مع الشأن الثقافيّ يحتاج إلى لياقة – كان من المكن إيصال تلك الاستعدادات في تلك المرحلة إلى فعليّتها وواقعيّتها لتضيء في الدنيا اليوم، مع العلم أنّ تلك المرحلة – أي أواسط المرحلة القاجاريّة المصادفة للقرن التاسع عشر في أوروبا – هي مرحلة إنتاج أكبر وأهمّ الروايات في العالم، سواء في فرنسا أو في روسيا.

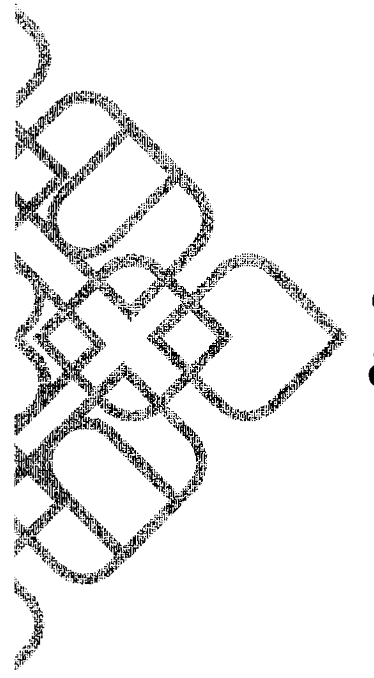
لقد كُتبت في تلك المرحلة أكثر الروايات قيمةً وأكثرها شهرةً، ولعلّه يمكن القول عن بعضها حتّى اليوم أنّها أفضل الروايات في العالم، كُتبت في بعض الدول الأوروبيّة من جملتها فرنسا - أفضلها في فرنسا - وروسيا وبعض الشيء في إنجلترا. ولكنّ ما يؤسَف له أنّ هذه الاستعدادات لم تتفتّح في إيران قبل الثورة. هناك أعمال جيّدة قد تمّت بعد الثورة، ولكنّ هذه الأعمال لا تتناسب مع شأن هذا الشعب وهذه القدرات والاستعدادات ٧٥/٦/٢٨. فمن أيّة جهة تحرّكنا، سنرى أنّنا نصل إلى الثقافة؛ وفي الواقع، إنّ جميع الطرق تنتهي بالثقافة؛ لهذا يجب العمل من أجلها ٦٩/٩/١٩.

بناءً على ما تقدّم، فإنّ الأمر الهامّ بالنسبة لبلدنا هذا وللمثقّفين فيه، هو الانتشار والتوسّع الكيفيّ للثقافة، أي تربية الشعراء والكتّاب والفنّانين ومن يمكنه إنتاج الفنّ والسير به قُدُمًا. هذه أمور ضروريّة. وتزداد الآمال من خلال تشجيع الفنّانين ومعرفة الاستعدادات وفتح أبواب العمل أمامهم، وإذا أنجزت هكذا أعمال على صعيد محافظة ما وعلى الصعيد الوطنيّ فستزداد الآمال، لماذا؟ لأنّ الاستعدادات بارزة. عندما يتمّ القيام بعمل جديد وواسع على الصعيد الوطنيّ، نصل إلى مرحلة الرضا والأمل بأنّ عجلة الثقافة قد انطلقت.

طبعًا نحن اليوم غير متوقّفين على المستوى الثقافيّ. نحن في مرحلة التقدّم، وحقًّا وإنصافًا هناك الكثير ممّا تمّ القيام به ببركة النظام الإسلاميّ المقدّس، وأغلب مسؤولي هذا البلد هم مثقّفون في الأساس، والساحة مفتوحة للعناصر الثقافيّة. في الأعمال الكبرى ينشغل المثقّفون، ولذا هم يعرفون قدر الثقافة والمجالات الثقافيّة ٧٥/٦/٢٨.



## الفصل الرابع



# الحـــركـة الفكـــريّـة الـــتنويريّـــة الـمريضـة

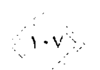
المفكّر التنويريّ هو الشخص الذي يعيش في محيط اجتماعيّ بعقيدة يسعى أن تكون تحرّريّة، وهو بصير، عارف، مطّلع على مسائل لا يطّلع عليها عامّة الناس في السياق الطبيعيّ – سمّوا هؤلاء ما شئتم – وهو الذي يقف في مكان يمكنه فيه أن يشاهد الأحداث ويعرفها. والناس عادةً عاجزون عن معرفة ما يعرفه، إلّا إذا نطق بذلك وطلبه.

كما أنّ المفكّر التنويريّ يجب أن يوجِد قسطًا من التنوير في المجتمع، وأن يكون رسول النور والإشراق، وأن يرفع نقاط الإبهام، ويلفت انتباه الأذهان الميتة، وغير المطّلعة، أو تلك البسيطة التي لا يمكنها أن تشاهد إلّا بالعين ما يدور حولها؛ ويجب عليه أن يكون صانع الثقافة ومعلّمًا للناس ومرشدًا لهم. والمفكّر المتنوّر يجب أن يكون في الناس، فهم يشكّلون قاعدته ومنطلقه للتنوّر كما أنّهم ساحته وميدان حركته. هذا هو دور المفكّر التنويريّ، وبالطبع في الماضي كان المفكّرون التنويريّون يؤدّون هذا الدور في بعض الأحيان لا دومًا.

إنّ أفضل المتنوّرين وأكثرهم التزامًا هو الذي يقرن كلامه بعمله، فإذا تواجد بين الناس يرفق التنوّر بالعمل، يقرن تنوّره بالعمل الذي يقوم به الناس وبما كان يتوقّع أن يترتّب على هذا التنوّر. هذا هو المفكّر التنويريّ الأكثر التزامًا، المتنوّر الذي يردّ المخاطر، المتنوّر الرحيم، المتنوّر الذي لا يحمّل المستفيدين منه كلفة تنوّره ولا يمنّنهم بما علّمهم وما أوصل إليهم، لأنّ الناس يعلّمونه أشياء أيضًا ٥٨/٧/٢٣.

أمّا في بلدنا، فإنّ شريحة المتنوّرين قد ولدت مريضةً. من بداية المشروطة حين وُلد التنوير في مجتمعنا، ولد مريضًا، أي إنّه ولد تابعًا للغرب ٦١/٤/١٨. وقد كرّرت مرارًا هذا الكلام: إنّ التنوير في إيران وُلد مريضًا، تابعًا، وفاقدًا للإيمان ٧٤/٧/٢٥.

الحقيقة أنّ الحركة الفكريّة التنويريّة كانت في إيران، ومنذ البداية،



حركةً انحرافيّةً، تابعةً مئة بالمئة وليست حركةً تعمل في سبيل ارتقاء وتعالي إيران والفكر الإيرانيّ. في ذاك اليوم، كانت هذه الحركة تعني أنّه لتلقّي العلم والمعرفة لا ينبغي الرجوع إلى مراكز الفكر والعلم التقليديّة داخل مجتمعنا، بل يجب على من يريد الحصول على الفكر والعلم والرؤية والمعلومات أن يقصد منطقةً أخرى، أو عالمًا آخرًا كان جديدًا بالنسبة للإيرانيّ آنذاك، فيحصّل العلم هناك.

المسألة لا إشكال فيها إلى هنا، والذي يسعى وراء العلم يجول الأمصار جميعًا، وقد حثّنا الإسلام على طلب العلم ولو في الطرق البعيدة، هذا لا مانع منه. أمّا الذين سعوا للحصول على العلم من خلال الأجانب وذهبوا إلى بلادهم لأجله، هؤلاء عندما عادوا لم يرجعوا بالعلم فقط، بل قاموا بعملَين آخرَين أيضًا: أوّلًا جلبوا معهم، بالإضافة إلى العلم، كلّ الظواهر والأساليب الذهنيّة والفكريّة التي يستخدمها إنسانهم. لقد جاؤوا بأخلاق الأجانب، بكيفيّة لباسهم، وطريقة تناولهم للطعام، وجلبوا معهم الخصال الجغرافيّة والإقليميّة لشعب أجنبيّ إلى إيران.

فالشخص الذي يعيش في منطقة حارّة وجافّة يمتلك خصالًا تختلف عن الخصال التي يمتلكها ذاك الذي يعيش في منطقة باردة ورطبة؛ وهذه أمور لا تتعلّق بالعلم والفنّ والثقافة والمعرفة.

أما ذلك المتنوّر العائد من أوروبا آنذاك، فقد سعى أن يجلب معه حتّى الخصوصيّات والخصال الطبيعيّة والإقليميّة والجغرافيّة من الخارج. فلو كان لشعب بلد ما لكنة في كلامهم، فقد جلب هذا المتنوّر تلك اللكنة معه، وإذا تحدّث الفارسيّة نطق بها بلهجة أجنبيّة. وهذه خصوصيّة أخرى إذ إنّه لم يحمل العلم فقط، بل كان حاملًا لكلّ ما وصلت إليه يده من اللباس، والطعام، والزواج، والمعاشرة، والأخلاق، والسنن، وغير ذلك.

الخصوصيّة الثانية، أنّ هذا المتنوّر عند رجوعه من الغرب كان قد فقد

الاعتقاد بأدنى قيمة واعتبار لمجتمعه وشعبه وثقافته، لا بل صار يرى أن كلّ هذه الأمور خاطئة. لا شكّ في أنّنا كنّا متأخّرين ذاك اليوم، ولا شبهة لدينا أنّ حكّام الجور قد أشغلونا، طوال عدّة قرون، بحروب مدمّرة، فجعلونا متخلّفين عن الحركات العلميّة والفكريّة في العالم؛ سواء كان ذلك قبل القاجاريّة أو بعدها.

اقرؤوا تاريخ إيران، ستجدون حربًا كانت قائمةً بشكل مستمرّ بين العائلات، وبين أصحاب السلطة، وهذا أدّى إلى بقاء ثقافتنا متأخّرةً. وممّا لا شكّ فيه أنّ الحكّام الجائرين والمتسلّطين لم يسمحوا لنا بأدنى حركة نهوض نحو العلم والثقافة الجديدة.

بناءً على ذلك، ما يقوله المتنوّر المتغرّب من أنّنا كنّا متأخّرين صحيح، ونحن نوافقه على ذلك. حسنًا، نحن متخلّفون، اذهبوا وادرسوا، وتعلّموا وارجعوا وخذوا بأيدينا إلى الأمام، إلّا أنّهم لم يكتفوا بذلك. لقد كنّا نمتلك شيئًا يفتقده الغرب. آنذاك كان عمر ثقافتنا ألف وثلاثمئة سنة، وكان حجم الكتب العلميّة والفنّيّة والثقافيّة أكبر بكثير من حجم كافّة الكتابات الغربيّة في المئة سنة التي سبقت، فالآن عمر ثقافتنا ألف وأربعمئة سنة. آنذاك كان بإمكاننا الافتخار بأنّ شجرة الثقافة والجامعات الغربيّة تنتهي إلى نقطة متعلّقة بنا نحن أوجدناها؛ أي الأندلس [الملحق ٢١]، وهذا ما كنّا نمتلكه على الأقلّ.

أمّا هؤلاء المتنوّرون المتغرّبون فقد نسوا جميع هذه الأمور. جاؤوا وقالوا: نحن لا نملك شيئًا، وإذا أردنا أن نكون بشرًا، وإذا أراد الإيرانيّ أن يصبح شيئًا ما وأن يصل إلى مكان ما، يجب عليه أن ينزع عنه اللباس الإيرانيّ والشرقيّ الإسلاميّ، وينخرط في الحياة الأوروبيّة والأجنبيّة، وكما يقال، أن يصبح أوروبيًّا وأجنبيًّا من أعلى الرأس حتّى أخمص القدمَين، هذا هو الفكر التنويريّ الحديث الذي ولد في إيران.



لقد ولدت الحركة الفكريّة التنويريّة في إيران مع خصلة الإلحاد واللامبالاة بالدين، وفي هذا خصوصيّتان: عدم الاعتناء بالبُعد الإيرانيّ، وعدم الاعتناء بالبُعد الإسلاميّ. أنتم ألقوا نظرةً على متنوّري الجيل الأوّل ٥٩/٢/٢٧؛ الآن سأذكر أسماء ثلاث شخصيّات من قادة الحركة الفكريّة التنويريّة في إيران وهم الميرزا ملكم خان الأرمني[الملحق ٢٢]، الميرزا فتحعلي آخوند زاده[الملحق ٢٣]، الحاج سياح المحلاتي[الملحق ٢٤]. هؤلاء طليعة الذين أدخلوا رسائل الحركة الفكريّة التنويريّة للقرن التاسع عشر في أوروبا إلى إيران، وكانوا أشخاصًا فاقدين للوثاقة على الإطلاق. مثال ذلك الميرزا ملكم خان الذي كان يدّعي التنوير ويريد فضح الجهاز المستبدّ لناصر الدين شاه، هو بنفسه كان سمسارًا لاتّفاقيّة "رويتر"[الملحق ٢٥] الاستعماريّة المؤذية.

أنتم تعلمون في السنوات العشرين الأخيرة من حياة ناصر الدين شاه أنّهم أنهكوا إيران بالامتيازات الأجنبيّة. جاء الإنجليز وحازوا على الكثير من الامتيازات – الجمرك، الدخان، سكك الحديد، وغيرها – ثمّ جاء الروس من ذاك الطرف وقالوا للإيرانيّين بأنّكم أعطيتم منافسنا بعض الامتيازات ولا بدّ أن تعطونا، فأعطوهم أشياءً معيّنة! ثمّ أطلقوا على هذا الأمر عنوان "التوازن الإيجابيّ"؛ التوازن بين الروس والإنجليز في السياسة الخارجيّة والعلاقات الاقتصاديّة؛ إلّا أنّ ذلك كان على أساس السباق! كانوا يعطون امتيازًا لأحدهما فيأتي الآخر في الغد ويسأل لمَ لم تعطوني؟ فيعطونه أيضًا. ثمّ يأتي الأوّل ليقول لقد نقصت حصّتي فيقولون خذ هذا، وهكذا. لقد كانوا ينهبون إيران لصالح الأسرة الحاكمة، أي ناصر الدين شاه، ورجال بلاطه، وكلّ من أمكنه أن يغتنم لقمةً من هذه السفرة الوافرة.

وبالمناسبة، ذكرت أنّ هذا السيّد المتنوّر المعروف بأنّه رسول التنوير والفكر في إيران – أي الميرزا ملكم خان – كان سمسارًا لقضيّة رويتر. وفي قضيّة احتكار التنباك المعروفة، التي حرّمها الميرزا الشيرازي، مرجع التقليد في ذاك الزمان وواجه هذه الاتّفاقيّة المضرّة، كان الميرزا ملكم خان

نفسه سمسارها. ومن جملة الأعمال الأساسيّة التي تعامل فيها الميرزا الأرمني قضيّة "الريجي"[الملحق ٢٦] التي قبلها البلاط الملكي. هذا الشخص أراد إدخال الفكر التنويريّ إلى إيران، أي إنّه شخص أراد دعوة الناس للتجدّد، والحداثة، والمستقبل، فانظروا ماذا نتج، وأنا لا أعرف مقدار اطّلاعكم على التاريخ المعاصر وكم طالعتم منه.

من جهة أخرى، كان الميرزا فتحعلي آخوند زاده شبيهًا بالميرزا ملكم خان. هو من قرية خامنه وقد سمعت الكثير عنه من الخامنئيّين القدماء وبعض أقاربنا. سافر قبل ثورة أكتوبر إلى القوقاز وجلس في روسيا على سفرة القياصرة، وبدأ بمساعدتهم وتحت ظلّهم التخطيط الخياليّ لمحاربة جهاز الاستبداد في إيران! لقد كانت هذه المواجهة غير موثوق بها، ولا يمكن قبولها. وأوّل الأشياء التي استهدفوها بدل استهداف الاستبداد والجهات السياسيّة كان دين الناس واعتقاداتهم والعادات الشعبيّة الأصيلة.

والنموذج الثالث هو الحاج سياح؛ الذي دوّن سيرته الذاتيّة ومذكّراته لجولته الأوروبيّة، ويلاحظ من يطالع هذا الكتاب، بنحو لا يقبل الشكّ، أنّه سعى، وبنحو متعمد، إلى إغفال ذكر أيّ عالم دين متحرّر وكبير حيثما صادفه، عمليًّا كان يخفي اسمه ولا يطرح قضيّته. هكذا ولدت الحركة الفكريّة التنويريّة في إيران.

وهكذا كانت الأجيال المتنوّرة التي تلت في إيران لجهة عدم الوثوق بها؛ كان أغلبهم من أولاد الملوك والأشراف والأعيان. انظروا إلى السيرة الذاتيّة التي دوّنها عبد الله مستوفي[الملحق ٢٧] في ثلاث مجلّدات. لقد كان واحدًا من هؤلاء المفكّرين المتنوّرين وينحدر من أبناء الأعيان القاجاريّين. في الواقع هو شخصيّة وسطيّة، ولا يظهر أنّه سلبيّ. فإذا راجعتم ذلك الكتاب ستدركون من هم الأشخاص الذين كانوا أوّل من حمل لواء الحركة التنويريّة ورسالتها ٧٧/٢/٢٢.





كنت أوصي الأصدقاء مرّات عديدة أن يطالعوا تاريخ الحركة الدستوريّة – المشروطة – فهناك الكثير من العبر الموجودة فيه؛ ستجدون أنّ السبب الأساس لتبدّل حركة العدالة الإسلاميّة لتصبح الحركة الدستوريّة الإنجليزيّة والغربيّة، وتحوّل مجلس الشورى الإسلاميّ ليحلّ محلّه مجلس الشورى الوطنيّ، هو حضور عدد من المفكّرين المتنوّرين التابعين للغرب.

طبعًا لم يكن هؤلاء بأجمعهم خائنين – أتمكّن من الادّعاء بوضوح أنّ جميع هؤلاء لم يكونوا كذلك – إلّا أنّ الكثير منهم كانوا غافلين ومخدوعين، والكثير منهم كانوا أسرى لأهوائهم.

انظروا إلى رجال السياسة آنذاك؛ فإنّ أوّل شخص استعمل كلمة الدستوريّة (المشروطة) – غير اللجان والقواعد الشعبيّة والسرّيّة – وكان من رجال السياسة النافذين وقد تمكن من القيام ببعض الأمور، هو الميرزا نصر الله النائيني [الملحق ٢٨]؛ أي المستشار الأعلى للدولة، بعد أن كان في بداية الحركة الدستوريّة وزيرًا للخارجيّة ومن ثمّ رئيسًا للوزراء.

والميرزا نصر الله النائيني والد اثنين من المفكّرين التنويريّين: حسن مشير الدولة [الملحق ٢٩]، وحسين مؤتمن الملك [الملحق ٣٠] الذي كان رئيسًا للمجلس؛ وطبعًا هذان الشخصان لم يكونا خائنَين، فحسين مؤتمن الملك كان رئيس المجلس عندما كان السيّد مدرّس [الملحق ٣١] نائبًا؛ وكان رئيس مجلس مقتدر؛ وقد عارض رضاخانبشكل محدود في وقت ما. إلا أنّ هذين كانا من المفكرين التنويرين المتغربين، أي أسيرا الفكر الغربي. وكان والدهما الميرزا نصر الله متأثرًا بهما.

لقد ألقوا على لسانه اسم الحركة الدستوريّة – المشروطة – فجاء ودوّن في الرسالة التي صدرت عن المعتصمين في السفارة: "أنتم تريدون الحركة الدستوريّة"، فحملوها واتّجهوا نحو هذه الحركة الدستوريّة.

أمّا بين العلماء، فإنّ المرحوم السيّد محمّد الطباطبائي [الملحق ٣٢] هو

أوّل شخص تحدّث عن هذه الحركة، وابنه محمّد صادق [الملحق ٣٣] كان من المتنوّرين المتغرّبين، وأنا لا أضمن صلاحه، وقد أثّر على والده فتحدّث عن الحركة الدستوريّة.

وفي السياق ذاته، سأل المرحوم الشيخ فضل الله النوري [الملحق ٣٤]، وكان في الاعتصام الأوّل الذي جرى على الظاهر في قم، ما هي هذه المشروطة التي تتحدثون عنها؟ ولم يتمكّن المرحوم السيّد محمّد الطباطبائي من التوضيح. فقال، ألا ترغبون أن يكون في البلد قانون؟! البلد من دون قانون سيحلّ فيه الاستبداد؛ فلتأت قوانين الإسلام وتكون للبلد قانونًا. ألا ترغبون أنتم بهذا الأمر؟ هذا ما يريده العلماء، وما يريده الناس. خلاصة الأمر أنّ الشيخ فضل الله النوري كان يقول تحدثوا هكذا: لماذا تأتون بكلمة الدستوريّة؟! هل انتبهتم؟ هذا يعني أنّ الفكر التنويريّ كان نافذًا في تلك المراكز.

وبعد ذلك، وبمجرّد استعمال اسم مجلس الشورى الإسلاميّ واسم القوانين الدينيّة، شرعوا في صحف تلك الأيام بإثارة البلابل، وأنّ ما يجري الحديث عنه هو الرجعيّة والتخلّف. وساعدتهم في ذلك الأجهزة الخارجيّة حيث كانت تتولّى مسؤوليّة إطلاق التسميات، فاطلقوا تسميات المحافظين، والمعتدلين، والإصلاحيّين.

لقد وضعوا ثلاثة أسماء إلى جانب بعضها البعض وقد ذكرت هذه العناوين في المراسلات والمكاتبات التابعة للسفارة الإنجليزيّة والروسيّة وأمثالها، وقد دوّنوا أنّ البعض محافظون وعلى رأسهم الشيخ فضل الله النوري، والبعض معتدلون، أي أصحاب الحركة الدستوريّة، والبعض إصلاحيّون، أمثال تقي زاده [الملحق ٣٥]، أولئك الذين كانوا موجودين في تلك الأيام، ساعدوا ودعموا وقد كتبت الصحف ذلك.

حسنٌ، ماذا كانت النتيجة في ذاك الزمان؟ طبعًا كانت الغلبة لهم. وكان الجهاز المدافع عن الإسلام والحقّ يعاني من عيبَين أساسيَّين: الأوّل



عدم وجود خطّة محدّدة؛ كانوا ينشدون العدالة، ولكنّهم لم يمتلكوا شيئًا مدوّنًا وموقّعًا، على خلاف الحركة الدستوريّة حيث تمّ تقديم شيء جاهز ومجرّب؛ الثاني أنّهم كانوا يختلفون حول الأمور الثانويّة وغير الأساسيّة. وهذه برأيي نقطة في غاية الأهمّيّة، كانوا يختلفون على المسائل غير الجوهريّة.

فمن المتيقّن أنّ السيّد عبد الله البهبهاني[الملحق ٣٦] والسيّد محمّد الطباطبائي لم يرغبا بشيء آخر غير الإسلام. وكان الشيخ فضل الله النوري يتحدّث بشكل صريح وواضح: "القوانين الإسلاميّة ولا غير". وهذان الشخصان أرادا هذا حتمًا، إلّا أنّهما كانا يعتقدان في نفسَيهما بإمكانيّة تحقّق هذا عن طريق الحركة الدستوريّة نفسها فاختلفا فيما بينهما، لم يجلسا فيما بينهما ليحدّدا التوجّه، وهكذا كان المفكّرون التنويريّون أمثالهم.

بعض أولئك العناصر كانوا من المتديّنين، ويظهر من كتاباتهم أنّ بعض هؤلاء المفكّرين كانوا يمتلكون توجّهًا دينيًّا وإسلاميًّا، إلّا أنّهم كانوا يتحدّثون بلسان التبعيّة. إذ إنّ عدم وجود خطّة واتّفاق في الكلمة وعدم متابعة المقصود بشكل جدّي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى معرفتهم بالأساليب الإعلاميّة – بسبب علاقتهم بالأجهزة الأجنبيّة – كلّ ذلك جعل الأجواء ثقيلةً إلى درجة لم يعد يجرؤ أحد معها على ذكر اسم الدين والتديّن. وكانت النتيجة أن شعر الناس الذين تحرّكوا أساسًا لأجل الدين وكانوا حاضرين لتقديم أنفسهم في سبيله بعدم الفائدة من ذلك، فالعمل الذي كان يجري التحضير له في المستويات العليا لم يكن هو مطلبهم، ولذلك انطفأت الشعلة فيهم شيئًا فشيئًا.

لذلك، ستلاحظون في القضايا اللاحقة – في تبريز وفي بعض المدن الأخرى أمثال رشت، ومشهد، وأماكن أخرى – أنّ أتباع الحركة الدستوريّة كان فيهم أشخاص فعّالون، إلّا أنّ الشعب في أغلب الموارد لم يرافقهم، لأنّ

الناس قد فقدت تلك الثقة والاعتقاد بأنّهم يريدون تطبيق الدين. هذا هو الخطر الذي أحاط بهم، وهو ما تحقق.

من جهة أخرى، فإنّ هؤلاء لم يسعوا وراء الأطروحة الإسلاميّة؛ أيّ إنّهم قد حرموا أنفسهم حقيقةً من حكومة إسلاميّة، ومن قوانين إسلاميّة صحيحة، ومن قاعدة متينة تساهم في إيجاد عدالة لا سابق لها في المجتمع، لأنّ الحكومة الإسلاميّة الحقيقيّة هي ذلك الشيء الذي أراده الناس، حتّى لو لم يعلموا أنّ اسمه هو الإسلام. فالناس يريدون عدم التمييز وسوء استغلال ولا يريدون أن يصبح زمام الأمور بيد غير الكفوئين والفاسدين وأصحاب الأهواء النفسانيّة، هذا ما يريده الناس. لكن عندما شاهد الناس أنّ الوضع على غير ما يريدون، تركوا الأمر، وقالوا إنّ الإسلام غير قابل للتحقّق أو إنّه لم يقدّم لنا شيئًا. وهكذا خرج الجيش الأساسيّ للحركة الدستوريّة من يد أصحابه الأساسيّين الذين كانوا قادةً دينيّين بسبب هذه المظاهر غير الإسلاميّة. وبعد ذلك، تمّ حذف الأشخاص الملتزمين بالإسلام – على اختلاف درجات عزمهم وآرائهم – واحدًا بعد الآخر، وكان أوّلهم الشيخ فضل الله النوري الذي كان أخطر الجميع.

وقد صرّح أحد سفراء إنجلترا في إحدى مراسلاته مع دولته أنّ هذا الشخص خطير للغاية، فيجب أن نطلب من الدولة إخراجه من طهران، لأنّ وجوده فيها مضرّ. ويقول آخر إنّ له تأثيرًا خبيثًا جدًّا بين الناس وبين العلماء الذين لا يجرؤون على العمل مع وجوده. هذا يعني أنّهم قد فهموا ذاك النزاع بين العلماء وبين المتسكّعين على أبواب العلم.

ولقد كان هناك واحدًا من أمثاله في الدرجة الأولى؛ أي إنّه بعد سنتَين من المشروطة، في العام ١٣٢٧ هـ.ق.، قُتل الشيخ فضل الله النوري. وبعده، السيّد عبد الله البهبهاني لم يكن على هذا النحو، لقد كان على وفاق مع المفكّرين التنويريّين، وساعدهم داخل المجلس وخارجه، ولكن كم بقي حيًّا؟ هو أيضًا قُتل بعد سنة واحدة، في العام ١٣٢٨ هـ.ق. رغم

أنّهم كانوا في البداية يقولون للناس: اتركوا الشيخ فضل الله وتوجّهوا إلى السيّد الطباطبائي والسيّد البهبهاني، هؤلاء من العلماء أيضًا. لكنّ السيّد البهبهاني اغتيل بعد سنة من ذلك، وأبعدوا المرحوم الطباطبائي. ذهب إلى مشهد ثمّ مات بشكل غامض. يقول البعض إنّه مات مسمومًا.

هذا يعني أنّ العناصر التي كان يعتبرها المحلّلون الأجانب من المعتدلين وليس من المحافظين، لم يبقَ لهم مجال للتنفّس بسبب الفشل والخراب الذي حصل. لقد تمّ حذفهم وماتوا ٧٨/١٢/٢٣! هكذا مضت مرحلة القاجار، يعني قليلًا ما عاد يُشاهَد مفكّر متنوّر وطنيّ محبّ غير متحيّز بين مجموعة التنويريّين في إيران ٧٧/٢/٢٢.

فما هي نتيجة هذا الحراك؟ بعد أربعة عشر عامًا على المشروطة، وعلى رغم تلك الضجّة التي أثاروها، جاء رضا خان. وبادر في زمنه إلى تصفية هؤلاء المفكّرين التنويريّين الواحد تلو الآخر، حتّى أنّه لم يتحمّل المفكّرين التنويريّين من أمثال حسن مشير الدولة، والميرزا حسين مؤتمن الملك، والبعض الآخر من أمثال الميرزا حسن مستوفي [الملحق ٣٧]، الذي يمكن إلى حدٍّ ما اعتباره مفكّرًا متنوّرًا ورجلًا نظيفًا، فقضى عليهم. حينها كانت التبعيّة مطلقةً، ولا بدّ من ملاحظة هذا المقطع الزمانيّ.

أشعر هنا بأنّ الشيء الذي ترك أكبر الأثر في انحراف الحركة الدستوريّة هو حضور جيل من المفكّرين التنويريّين التابعين للإنجليز؛ أي إنّهم كانوا مخدوعين بالمذاق والمزاج الإنجليزيّ ومتيّمين بالغرب.

كان محمّد علي فروغي [الملحق ٣٨] يقول لتلامذته في أحد دروس التاريخ التي كان يعطيها: هل أعطيتم الخيّاط قماشًا ليخيط لكم سرداري؟ وهي سترة مزركشة للرجال توضع فوق الملابس وتصل إلى ما تحت الركبة. وكانوا يقولون: نعم، ثمّ يقول: عندما تأتون بهذه السترة إلى البيت فهل يتحرّك كمّها إلى الأعلى والأسفل؟ فيجيبون: لا، ثمّ يسأل: إلى متى؟ إلى أن تضعوا

أيديكم في الأكمام، عندها ستتحرّك الأكمام إلى أعلى وأسفل. وهكذا هم الإنجليز.

أنتم الإيرانيّون - لم يكن يقول نحن الإيرانيون - لا شيء من دون الإنجليز. الإنجليز هم كالأيدي في تلك الأكمام الخالية. أنتم مَن تكونون؟

يقول تقي زاده في ذاك الوقت ضمن مقالة - لعل ذلك في مجلّة **كاوه** - من جملة الاشتباهات الكبيرة أن الإيرانيّ بدأ يفكّر بالاختراع، لا تخترعوا، الاختراع خطأ. وهذا نفس ما قام به الأجانب، إجمالًا وتفصيلًا! ثمّ يقول بعد ذلك: وخلاصة رأيي - الجملة المشهورة - هو هذا: الإيرانيّ يجب أن يصير أجنبيّ المشرب في الظاهر والباطن والجسم والروح!

هذه رؤية تنويريّي ذاك الزمان، وهذا هو منطقهم وإحساسهم واعتقادهم. وبرأيي، إنّ تقي زاده لم يكن من الأشخاص السيّئين كثيرًا، كان عنده شيء في النهاية. أمّا الذين جاؤوا بعده - أي الأجيال اللاحقة - فقد كانوا أسوأ منه بكثير، وهكذا كان فروغي.

لقد ارتكبوا في مرحلة ما أكبر الجرائم، أي إنّ الإنجليز جاؤوا برضا خان فقط لأنّه كان متمرّدًا، فقد كان الشخص القادر، في تلك الأوضاع في إيران، على القضاء على كافّة الحركات التي كان من الممكن أن تعارض سياسة الإنجليز. أحاطوه باهتمامهم وأحضروه وقدّموا له الحكومة. بعد ذلك أصبح هؤلاء السادة منظّرين سياسيّين وثقافيّين لتلك الحكومة وقدّموا خدماتهم الكاملة، من جملتهم تقي زاده ومحمّد علي فروغي وآخرون ٧٨/١٢/٢٢.

في مرحلة رضا خان، أصبح متنوّرو الدرجة الأولى في البلد، من الأساتذة، والمؤلّفين، والمفكّرين المحسوبين ضمن نخبة المتنورين، في خدمة رضا خان الذي لم يشمّ رائحة الثقافة والمعرفة.لم يكن لدفاعهم عن رضا خان أيّ مبرّر، فهو لم يكن متعلّمًا ولا مثقّفًا ولا وطنيًّا؛ والجميع كان يعلم



أنّه كان يطبّق السياسات الإنجليزيّة.

وكان المثقّفون أنفسهم يرون أنّ الإنجليز هم مَن جاء برضا خان وأوصلوه إلى السلطة ودعموا سلطنته، وهيّأوا كلّ المقدّمات الضروريّة، وأزالوا الموانع من أمامه، وعبّدوا له الطريق. ومع ذلك، أصبح المفكّرون التنويريّون من منظّري حكومة رضا خان الانقلابيّة. لقد عمل هؤلاء على التأسيس الأيديولوجيّ والبناء الفكريّ لكلّ شيء أراد القيام به وقدّموا المبرّرات لعمله.

وفي هذا المضمار، أنا أرغب بالحديث معكم وطرح هذه الأمور ليس من موقع كوني مسؤولاً، بل من موقع كوني عالم دين وطالب حوزة، وباعتباري شخصًا أمضى كلّ شبابه في أجواء الحركة الفكريّة التنويريّة التي طفت في زماني حيث كانت لي معرفة بالكثير من الوجوه الفكريّة المشهورة في إيران، فإمّا كنت أعرفهم عن قرب أو أنّني كنت أتتبّع نتاجاتهم وآثارهم وأعرفهم بشكل جيّد – من شعرائهم ومؤلّفيهم وفنّانيهم – وأرغب في أن تطّلعوا قليلًا، أنتم شباب اليوم، على الأجواء الثقافيّة لبلدكم، لأنّكم جزء من الشريحة المثقّفة. انظروا أين أنتم الآن، ماذا كان وماذا حصل وماذا كانوا يرغبون في أن يحدث، وأرغب أن تهتمّوا بهذه المسألة.

في مرحلة ما بعد رحيل رضا خان وبعد شهريور لعام ١٩٢٠هـ.ش، حيث شكّلت حكومة عجيبة وغريبة، التحق قسم من المفكّرين التنويريّين بـ"حزب تودة"[الملحق ٣٩]، وكان من بينهم بعض أكثر التنويريّين صدقًا، مع أنّهم كانوا تابعين للاتّحاد السوفياتيّ وقد اعترفوا أنفسهم بذلك وقبلوا به. كما كان للسوفيات دور أيضًا في إيجادهم ودعمهم وكانوا أشبه شيء بالطابور الخامس السوفياتيّ الذي يعمل في إيران.

راجعوا مذكّرات كيانوري [الملحق ٤٠] وقادة حزب تودة الآخرين الذين اعتُقلوا في الجمهوريّة الإسلاميّة. لقد طبعت مذكراتهم، حيث كانوا يتحدّثون عن

حقبة الخمسين أو الستّين سنة الماضية مع أنّهم كانوا لا يرغبون بالحديث عن جميع الحقائق، لكن يتّضح من أطراف كلامهم ما كانت حقيقة هذا الحزب. ومع ذلك كان أكثر المتنوّرين صدقًا وإخلاصًا ضمن هذه المجموعة، من جملتهم المرحوم جلال آل أحمد [الملحق ٤١] الذي كان واحدًا من أعضاء الحزب، ومنهم أيضًا خليل ملكي [الملحق ٤٢]، وآخرون من الذين كانوا بدايةً في حزب تودة.

في النهاية، حصلت ظاهرة يمكن تسميتها بتوبة الحركة الفكريّة التنويريّة، والتي كان من أبرز وجوهها المرحوم آل أحمد والمرحوم الدكتور عليّ شريعتي [الملحق ٤٣]، كانا في الواقع توّابَين حقيقيَّين من البيئة الفكريّة التنويريّة، حيث أطلقا لسانهما بالنقد، وكانت لهما انتقادات لم يعرفها ولم يدركها الكثيرون في تلك المرحلة.

جاء جلال آل أحمد عام ١٣٤٧ إلى مشهد – السنة الأخيرة من عمره – وتمّ تشكيل جلسة في منزل المرحوم محمد تقي شريعتي [الملحق ٤٤] للقاء مع آل أحمد. شارك في الجلسة عدد من الأشخاص من جملتهم المرحوم الدكتور شريعتي، وقد تمّت دعوتنا فذهبتُ برفقة عدد من الأشخاص، وطالت الجلسة لمدّة ساعتَين أو ثلاث، تمّ فيها البحث حول قضايا متعدّدة ٧٧/١٢/٢٢، وجرى فيها الكثير من هذا الكلام.

ومن المحتمل أنّني سمعت بنفسي، أو أن يكون شخصٌ قد سمع من المرحوم جلال ونقل لي، كان يقول بأنّنا كنّا في حزب تودة ننتقل من غرفة إلى غرفة – كان يريد القول بأنّنا قطعنا المراحل الحزبيّة – فوصلنا إلى مكان كنّا نسمع فيه أصواتًا تأتي من خلف الحائط، سألنا أين هناك؟ قالوا هنا موسكو! فقلنا لهم: نحن ننسحب إذًا، ورجعنا.

وهذا يعني أنّهم بمجرّد أن شعروا أنّ سلسلة المراتب الحزبيّة تقود إلى التبعيّة للخارج، انسحبوا، وخرجوا من الحزب وشكّلوا مع خليل ملكي



وجماعة أخرى "القوّة الثالثة"[الملحق ٤٥]؛ اجتمع هناك المخلصون ٧٧/٢/٢٢.
في وقت ما، كنتُ قد قلتُ، وقد ثبت ذلك، أنّ جلال آل أحمد أو شريعتي كان أحدهما يردّد عبارة ويقول: إنّ مفكّرينا المتنوّرين منذ بداية الحركة الدستوريّة وإلى الآن – عام سبعة وأربعين – لم يقدّموا ترجمتَين مقبولتَين. تعجّبت وسألت: ترجمتَين مقبولتَين؟! قالوا: نعم، لا يوجد.

لاحظوا المفكّر المتنوّر المتحقّق بالمعايير اللازمة. كان يحكم بأنّهم حتّى في مجال الترجمة لم يقدّموا ترجمة مقبولةً أوعملًا جيّدًا. إن جلّ ما عملوه كان تقديم الخدمات ليتحقّق المزيد من تسلّط الإنجليز على إيران وتقوية رضاخان ٧٨/١٢/٢٢.

استمرّت هذه الحالة حتّى زمن الدكتور مصدق[الملحق ٤٦] وبعد الثامن والعشرين من مرداد عام ١٣٣٢هـ.ش ٧٧/٢/٢٢.

وأمّا في مرحلة ما بعد الثامن والعشرين من مرداد، وبلحاظ ما ينبغي أن تكون عليه دوافع أيّ مثقّف واتّجاهاته مقابل أيّ جهاز حاكم ظالم، نلاحظ وجود سكوت عجيب في أجواء المتنوّرين، وكيف أنّ الكثير من الذين كانوا مورد غضب السلطة الحاكمة في العشرينات، أصبحوا في الثلاثينات من المتعاونين والمطيعين.

لقد تحدّث آل أحمد في كتاب في **خدمة وخيانة التنويريّين - در خدمت وخيانت روشنفكران** - عن الحركة الفكريّة التنويريّة في الثلاثينات. بدأ آل أحمد تدوين هذا الكتاب عام ثلاثة وأربعين واستمرّ بالعمل عليه حتّى العام سبعة وأربعين. وعندما جاء آل أحمد إلى مشهد عام سبعة وأربعين جلسنا معه، وجرى الحديث حول هذا الكتاب، صرّح بأنّه منذ مدّة مشغول بعمل ما، وعلمت فيما بعد أنّه يقصد هذا الكتاب.

طلب منّا الحصول على مسائل في مجالات خاصّة حيث كان يعتقد بامتلاكنا معلومات حولها. هناك علمنا أنّه يدوّن هذا الكتاب الذي طبع

بعد وفاته، إذ لم يكن بالإمكان أن يطبع في ظلّ النظام السابق، ولقد كان من الممنوع حتمًا نشره.

طبعًا اتّخذ آل أحمد في هذا الكتاب مواقف جيّدةً، وستجدون فيه أنّه كان معتقدًا بالدين وبالتقاليد الإيرانيّة والعادات الشعبيّة، وملتزمًا بها بشدّة، وكان معتقدًا باللغة والأدب الفارسيَّين وبعيدًا عن الغرب وعدوًّا للتغرّب. ومع ذلك كان فيما يتعلّق بقضايا الفكر التنويريّ ما زال يفكّر ويتأمّل ويتكلّم ويصدر أحكامه في نفس فضاء الفكر التنويريّ الغربيّ.

هذا معنى قولنا إنّ الحركة التنويريّة في إيران ولدت مريضةً، وبقيت مريضةً في أيّ مكان وجدت فيه. ولكن ما هو هذا المرض؟ وأين ظهر؟ هذا ما سأحدّثكم به على لسان آل أحمد.

يتحدّث آل أحمد حول خصائص المفكّر التنويريّ ويقول إنّ للمتنوّر خصائص العوام، ويضيف أنّ هذا لا يعني ما يتصوّره عوام الناس عن المفكّر بل ما قد يمثّل طريقة تفكير المتنوّر أحيانًا. وهذه الخصائص ثلاثة هي: أوّلًا، مخالفة الدين، أي أنّ المفكّر التنويريّ يجب أن يخالف الدين. ثانيًا، الميل النفسيّ نحو العادات الغربيّة والأوروبيّة وأمثالها؛ وثالثًا، التحصيل الدراسيّ. هذه هي الاستنتاجات العامّيّة للفكر التنويريّ وهي مميّزات المفكّر المتنوّر. فلو كان هناك شخص متديّن، هب أنّه علّامة دهره، أو فيلسوف عصره، أو فنّان زمان؛ فلن يكون تنويريًّا.

ثمّ يقول إنّ هذه الخصوصيّات الثلاثة، التي هي عبارة عن الخصائص العامّيّة للحركة الفكريّة التنويريّة ومفاهيمها، هي في الواقع تبسيط لخصوصيّتَين أخريَين يمكن توضيحهما بلغة علميّة. إحدى هاتَين الخصوصيّتَين عبارة عن عدم الاهتمام بالتقاليد الشعبيّة والثقافة المحلّيّة؛ والثانية الاعتقاد بالرؤية الكونيّة العلميّة، وعدم وجود رابطة بين العلم والقضاء والقدر، ويذكر العديد من الأمثلة.



هذا وبالرغم من أنّ مفهوم الحركة الفكريّة التنويريّة هو صنيعة الإفرنج ووليدهم، لا نجد أثرًا لهذا المعنى، أو هذا التوجّه، أو هذه الدلالة على الإطلاق. فلماذا يجب أن يكون المفكّر التنويريّ غير مهتمّ بالتقاليد الشعبيّة، وما هو السبب في ذلك؟

إنّ الحركة التنويريّة هي عبارة عن تلك الحركة وذاك العمل الذي له ارتباط بفعاليّة الفكر. والمفكّر التنويريّ هو شخص يتركّز عمله في ذهنه أكثر من ذراعَيه، يشتغل بأعصابه أكثر من عضلاته. هذا هو المتنوّر. لذلك خلال ذكره لطبقات الحركة الفكريّة التنويريّة في الفصول اللاحقة للكتاب، يبدأ من الشاعر والمؤلف والمفكّر وأمثالهم، مرورًا بأستاذ الجامعة والطالب وأمين السرّ، ليصل إلى الصحافيّ والمراسل الصحفيّ.

فلماذا يجب على مَن يعمل بفكره أن يكون غريبًا عن تقاليد مسقط رأسه وبلده ووطنه وتاريخه، حتّى أنه يصبح عدوًّا لها؟ أو أن يكون مخالفًا للدين؟ والجواب على هذا السؤال يأتي في كلام المرحوم آل أحمد أو في بعض كلمات أخر طرحت في هذا المجال.

السبب الأوّل أنّه ومنذ اليوم الذي طرحت فيه مقولة الحركة الفكريّة التنويريّة، مقولة الـ"intellectuels"[الملحق ٤٧] لأوّل مرّة في فرنسا، كان شعب فرنسا وأوروبا يخرج للتوّ من القرون الوسطى؛ كانوا قد خلّفوا الإيمان بدين الكنيسة وراء ظهورهم، وطردوا مسيحيّة الكنيسة المظلمة والخشنة والخرافيّة، [ذاك الدين الذي] كان يقتل العالِم ويحاكم المخترع والمكتشف ويبعدهم ويقضي عليهم ويحارب الكتابة العلميّة.

فمن الطبيعيّ والحال هذه أن يخرج عدد من الأشخاص الواعين ليرفضوا ذاك الدين المتّصف بتلك الخصوصيّة والمليء بالخرافات والمفاهيم التي لا يمكن لأيّ عاقل قبولها، ومن ثمّ ليشتغلوا بأعمال جديدة، وليدوّنوا دائرة المعارف الفرنسيّة الجديدة، وليبدأوا بالأعمال العلميّة

الكبيرة. ومن البديهيّ أنّ طبيعة عمل هؤلاء تستلزم أن يديروا ظهورهم لذاك الدين.

لكن المفكّر التنويريّ الإيرانيّ المقلِّد، في زمن القاجار، يستورد مقولة intellectuel هذه لأوّل مرّة إلى بلده، ويطلق عليها اسم منوّر الفكر، ثمّ يحوّلها بنفس تلك الخصوصيّة ضدّ دينه، ويضعه في مواجهة الإسلام؛ إسلام يملك من الأفكار أكثرها عقلانيّةً، ومن المعارف أوضحها، ومن الاستدلالات أمتنها، ومن الأخلاق أكثرها شفافيةً؛ إسلام كان يحقّق في إيران ما أراد المتنوّرون الغربيّون تحقيقه في الغرب.

وقد توافق المفكّرون التنويريّون الغربيّون، في مرحلة من مراحل الاستعمار، مع شعوب المناطق المستعمرة، مثال ذلك عندما قامت إسبانيا باستعمار كوبا واحتكار ثرواتها (سكّر كوبا)، فقد قام جان بول سارتر[الملحق ٤٨] الفرنسيّ بالدفاع عن شعب كوبا وعن فيدل كاسترو [الملحق ٤٩] وعن تشي غيفار[الملحق ٥٠] ضدّ الدولة الاستعماريّة ودوّن كتاب **حرب السكّر في كوبا**.

وبعبارة أخرى، حارب المفكّر المتنوّر الغربيّ في مقطع من الزمان الدولة والنظام الحاكم عليه، وذلك لمصلحة الشعوب الضعيفة. فمن الذي كان يؤدّي هذا الدور في إيران؟ كان يقوم بهذا العمل في طهران الميرزا الشيرازي [الملحق ٥١]، والميرزا الآشتياني [الملحق ٥٢]، وفي فارس السيّد عبد الحسين اللاري [الملحق ٥٣]، هؤلاء حاربوا الاستعمار. ومن الذي ساهم في عقد الاتّفاقات الاستعماريّة وساعد في تدخّل الاستعمار؟ الميرزا ملكم خان وأمثاله والكثير من رجال القاجار الذين كانوا من المفكّرين التنويريّين. أي أنّ المواقع الصحيحة قد تبدّلت بشكل كامل، وتحوّلت الحرب ضدّ الدين الخرافيّ في المسيحيّة عند المفكّرين المتنوّرين في إيران إلى حرب ضدّ الإسلام! ولذلك صار من خصائص المفكّر المتنوّر عداوته للإسلام.



وكذلك هو الحال اليوم، ما زالت فلول تلك الجماعة من متنوّري المرحلة البهلويّة، بدءًا من مؤلّفيهم، وإلى شعرائهم ومحقّقيهم ومصحّحيهم وكتّاب السير الذاتيّة، تتبع نفس النهج، وأحيانًا علنًا. ويكرّمون شخصيّات كمثل الميرزا فتحعلي آخوند زاده تكريمًا كأنّهم يكرّمون نبيًّا! وذلك لأنّ الميرزا فتحعلي عارض الدين وحارب الإسلام وجلس مع القياصرة وأكل من موائدهم وقبِل مساعدتهم وفيما بعد حين قدم البلشفيّون[الملحق ٥٤] والشيوعيّون إلى خامنه نظّموا حفلًا موسيقيًّا باسم الميرزا آخوند زاده!

أنا شخصيًّا، وفي تلك المرحلة، لم أقضِ سنوات طفولتي هناك، أمّا أولئك الذين عايشوا في طفولتهم تلك المرحلة وكانوا هناك ويتذكّرون، فقد كانوا ينقلون لي مجريات ما قبل تلك الحادثة بسنوات. كانوا يقولون إنّه في زمان بيشه ورى[الملحق ٥٥] عامَي ١٣٢٤ و١٣٢٥ دخلت طلائع الجيش الروسيّ إلى تبريز وأجزاء من آذربيجان، فاحتلّوها وشكّلوا حكمًا ذاتيًّا فيها، ثمّ حصل شغب واضطرابات، وفي ذلك الوقت جاء البلشفيّة إلى تبريز وذهبوا إلى خامنه ونظّموا حفلًا موسيقيًّا باسم الميرزا فتحعلي آخوند زاده؛ أي أنّ شخصًا واحدًا كان له مؤيّدون في حكومة القيصر وفي حكومة البلشفيّة التي قضت على حكومة القياصرة. في هذا المشهد، ترون شخصيّةً مضطربةً! ولكن ما هي النقطة المشتركة بين الحكومتَين القيصريّة والشيوعيّة؟ إنّها مخالفة الدين ومخالفة الإسلام؛ وهو كان من دعاة معاداة الإسلام.

طبعًا، وكما أشرنا، فإنّ الحركة الفكريّة التنويريّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة لا تتعارض مع الدين ولا الروحيّة التعبّديّة. فالإنسان يمكنه أن يكون مفكّرًا تنويريًّا بالمعنى الذي عرّفه الجميع للمفكّر التنويريّ – ذاك الذي ينظر إلى المستقبل، الذي يؤدّي عملًا فكريًّا، يتطلّع إلى التقدّم – ويمكنه في الوقت عينه أن يكون متديّنًا متعبّدًا، يمكنه أن يكون الدكتور بهشتي [الملحق ٥٦] وأن يكون الشهيد مطهّري[الملحق ٥٧]، ويمكنه أن يكون أحد الكثيرين من شخصيّاتنا المتنوّرة المتديّنة المؤمنة التي شاهدناها، وليس

من ضرورة أن يكون مخالفًا للدين.

الملفت هنا هو أنّهم عندما يذكرون قيد عدم التعبّد كواحد من القيود الضروريّة والأساسيّة للفكر التنويريّ، تكون النتيجة أنّ العلّامة الطباطبائي[الملحق ٥٨]، أكبر فلاسفة زماننا، والذي حيث كان يتوافد إليه من فرنسا الفلاسفة والشخصيّات الكبيرة أمثال هنري كوربان[الملحق ٥٩] ليبقوا هنا عدّة سنوات بهدف الاستفادة منه، ليس مفكرًا تنويريًّا. أمّا ذاك الشاعر المبتدئ غير المعتقد بمبادئ الدين والسنّة والأسس الإيرانيّة، والذي قد أمضى عدّة صباحات في أوروبا أو أمريكا، فهو مفكّر متنوّر، وكلّما بقي في أوروبا أكثر، كان أكثر تنوّرًا! لاحظوا أيّ تعريف خاطئ وأيّة حركة قبيحة وغير مناسبة أُطلق عليها اسم الفكر التنويريّ حصلت في إيران!

بنفس هذه الخصوصيّات، كان حضور المفكّرين المتنوّرين في مسائل البلد العظيمة، ولكن على الهامش. ففي قضيّة الثامن والعشرين من مرداد لم يظهر المفكّرون المتنوّرون أيّ شكل من أشكال النضال الحقيقيّ. بالطبع هذه القضيّة بالنسبة إلى زماننا قديمة وبعيدة المنال، إلّا أنّ عنف النظام البهلويّ في القضيّة تجاه المفكّرين، الذين كانوا يميلون أحيانًا إلى الدكتور مصدق أو الحركة الوطنيّة، أدّت بهم إلى الابتعاد بالكامل، فلم يظهر منهم أيّ شكل من أشكال النضال الحقيقيّ، مع العلم أنّ وظيفة المفكّر التنويريّ توجب عليه دخول الساحة لمصلحة الناس ومصلحة مستقبلهم؛ بنظم الشعر والكتابة والخطابة وتنوير الناس، ولكنّهم لم يقوموا بهذه الأعمال.

بعد ذلك، نصل إلى حادثة الخامس عشر من خرداد والتي كانت أكبر حادثة حصلت في القرن الحالي في مواجهة الناس للنظام الحاكم في بلدنا. في ذاك اليوم، أحدث خطاب الإمام رضوان الله عليه في قم في يوم عاشوراء هيجانًا كبيرًا أدّى إلى إيجاد حراك عظيم بدون قيادة مشخّصة في طهران في اليوم التالي وما بعده. وقد نشرت الوثائق التي ذكرت المفاوضات التي قام بها أركان الدولة لمواجهة هذه الحادثة في تلك الأيام.

لاحظوا كم أحدث ذاك الخطاب والحضور الشعبيّ من هزّة وزلزال.

حصلت حركة الإمام بأقوى شكل كان يمكن أن تكون عليه وحرّكت الناس، ثمّ نزل جنود النظام إلى الشوارع، وواجهوا الشعب بالرصاص. قُتل عدّة آلاف من الناس – طبعًا لم نتمكّن أبدًا من معرفة الإحصاءات الدقيقة – وسالت الدماء. يتحدّث آل أحمد في كتابه في **خدمة وخيانة التنويريين** فيقول لقد غسل مفكّرونا الإيرانيّون المتنوّرون – أظنّ أنّ هذا التعبير موجود – أيديهم بدماء الخامس عشر من خرداد! أي أنّهم لم يتفوّهوا ببنت شفة. هؤلاء المتنوّرون المشهورون أنفسهم كانوا ينظمون الشعر ويكتبون القصّة والمقالة ويقدّمون التحليلات السياسيّة، نفس هؤلاء الذين كانوا يدّعون قيادة الجماهير ويعتبرون أنّ لهم رأيًا بكلّ قضيّة اجتماعيّة، فإذا ما أظهروه في مقالة أو في صحيفة كان على الجميع أن يوافقوهم! لقد سكت هؤلاء؛ فإلى هذا الحدّ كانوا بعيدين عن واقع الناس وما زالوا.

أحيانًا كانت تظهر منهم بعض التباشير الطفيفة، ولكنّهم كانوا يتراجعون بمجرّد تهديد الجهاز الحاكم، ومن أبرز النماذج على ذلك، شخص معروف توفّي منذ عدّة سنوات – لا أرغب في ذكر اسمه الآن، سأكتفي بذكر اسم كتابه فمن عرفه فقد عرفه – كتب مسرحيّة بعنوان **آ باكلاه، آ بى كلاه** [الملحق ٦٠] (**آ ذو القبعة، آ بلا القبعة**). وقد قرأنا في ذلك الوقت هذه المسرحيّة التي حدّد فيها دور المفكّر المتنوّر. وبتعبير رمزيّ، كان يشير من خلال "**آ بي كلاه**" إلى الإنجليز، و"**آ با كلاه**" إلى الأمريكيّين.

يدور المشهد الأوّل حول مرحلة نفوذ الإنجليز، والمشهد الثاني حول مرحلة نفوذ الأمريكيّين. ويشير في كلّ مرحلة إلى حركة مختلف شرائح المجتمع بحسب مواقعهم. أمّا المفكّر المتنوّر الذي يتحدّث عنه في تلك المسرحيّة فقد تنحّى جانبًا، وقد يتفوّه أحيانًا بكلمة ما ولكنّه لا يشكّل أدنى خطر ولا يدخل صلب الأحداث ٧٧/٢/٢٢.

في المسرحيّة، يدخل بعض اللصوص إلى منزل في أحد الأحياء، يختبئون فيه استعدادًا لمهاجمة الزقاق، فيصبح الزقاق تحت تهديدهم، دون أن يلتفت أحد. وتساعد الصدفة عجوزًا فيعرف بوجود اللصوص في ذاك المنزل الواقع آخر الحيّ، فيتحرّك بحماسته وإحساسه بالمسؤوليّة وبحسب إدراكه ورؤيته فيعمد إلى استنهاض الناس من بيوتهم وسط الليل، يخرجهم إلى الشارع ويخبرهم بالخطر الموجود ويعبّئهم للمواجهة.

في المقابل، يكون هناك شخص وجيه يجلس على شرفة في أعلى منزله، ومن مكانه تمكّن من مشاهدة ما يجري داخل ذلك البيت، بخلاف الجميع لأنّهم خلف جدران المنازل. هو يعرف ما يجري في ذلك البيت لوجوده في المكان المرتفع وبإمكانه أن يلعب دورًا أكثر تأثيرًا في تعبئة الناس وتحريكهم، وفي الإشارة إلى عمق الخطر المحدق إلّا أنّه يقف على الشرفة، يجيب الناس بتردّد وبجفاء وبانسلاخ عنهم، ولا ينزل إلى وسط الناس، هذا هو المفكّر المتنوّر.

وأما في المشهد الثاني للمسرحيّة، فترتفع حدّة وتيرة الأحداث ويزداد خطر اللصوص، فيتحرّك الناس ويصرخون ويردّدون الشعارات ضدّ أولئك، فيتأثّر ذاك المتنوّر فينزل من مكانه العالي إلى وسط الناس، يتكلّم معهم، إلّا أنّ الخطر يصبح جدّيًّا أكثر، تضطرب الأوضاع ويزداد خطر المواجهة المباشرة، عندها يختفي المفكّر من الساحة فجأةً، ينسحب، يصعد إلى منزله المرتفع، يدخل غرفته ويخلد للنوم ٨٥/٥/٢٤.

في تلك المرحلة كنت في قم، وكنت أتحدّث مع الطلّاب والشباب بعد الصلاة، فوصل هذا الكتاب (المسرحيّة) إليّ. قلت حينها إنّ السيّد الذي ألّف الكتاب هو بعينه ذاك المتنوّر الذي يقف على الشرفة، وهو يحاول في هذه المسرحيّة تقديم صورة عن نفسه؛ إنه متنحٍّ بالكامل!

بناءً على ما تقدّم، إنّ أسوأ عمل كان يمكن أن تقوم به مجموعة المفكّرين



التنويريّين في إيران هو ما قام به هؤلاء في مرحلة الخمسة عشر عامًا للثورة الإسلاميّة؛ انسحبوا بالكامل! والنتيجة المترتّبة على ذلك واضحة كذلك، فقد ابتعد الناس عنهم.

طبعًا هناك عدد محدود نزلوا إلى الساحة، من جملتهم المرحوم آل أحمد. حتّى تلاميذه وأصدقائه ومحبّيه لم ينزلوا إلى الميدان. كانوا يتحرّكون من بعيد جدًا. كانت السجون مليئةً بأفراد الشعب، وعلماء الدين، وطلّاب الجامعات، وطلبة العلوم الدينيّة، والعمّال، والكسبة، وعامّة الناس. وطوال هذه السنوات المتمادية كان العدد الأكبر من السجناء يتشكّل من أولئك الذين لهم علاقة بثورة الإمام، فعملهم وسعيهم كان يثير غضب النظام. هذه الوجوه المعروفة، والتي يعلمها الجميع، دخلت السجن وتعرّضت للتعذيب لساعات طويلة، بخلاف أولئك السادة. بالطبع، البعض منهم دخل السجن بسبب أمور بسيطة، ثمّ ما لبثوا أن كتبوا رسائل التوبة، ومن بين نفس هذه الوجوه المعروفة التي أرادت أن تكون صدى التنوير الفكريّ في زماننا أشخاص كتبوا رسائل التماس واسترحام وكانوا يبكون وهم في السجون. نحن نعرف هؤلاء بشكل تامّ وعن قرب، وهم يعلمون أنّنا نعرفهم، أمّا الشباب فلا يعلمون ذلك. وقد أثبتت تلك المجموعة ذاك اليوم، وحتّى زمن الثورة، أنّهم طبقة لا يمكن الوثوق بها للقيادة الفكريّة للناس.

بالتأكيد حصل حراك قبل سنة أو سنتَين من الثورة، حين وصلت أمواج نهضة الإمام بثقلها المعرفيّ والاعتقاديّ إلى المحافل المختلفة. كان هناك الكثيرون ممّن لم يكن يعتقد بالإسلام، فآمن به ببركة النهضة، والكثير من الفتيات لم يكن لديهنّ أيّ اعتقاد بالحجاب، ارتدينه في مرحلة النهضة من دون أن يتحدّث أحد معهم بكلمة، بل قرّرن ذلك بأنفسهنّ. وهذا يعني أنّ نهضة الإمام، كنهضة إسلاميّة، كانت بانتشارها وذروتها وكربلائيّتها كلّما قدّمت شهيدًا أو فدائيًّا أو تضحيةً ازداد مؤيّدوها واتّسعت رقعة

انتشارها. وكلّما كان نداء الثورة يعلو، كانت رسالة نهضة الإمام، والتي هي نفس رسالة الدين والالتزام بالأصول والمعارف الإسلاميّة، تتّسع؛ وبذلك أصبحت تضمّ بين جنباتها مجموعةً – لا أرغب بذكر أسمائهم – دخلوا الساحة حين تحقّقت الثورة ٧٧/٢/٢٢.

وبعد الثورة كذلك، بدأت مجموعة أخرى بالعمل أوائل انتصار الثورة. كانت الساحة بيد مفكّري حزب توده الذين استولوا على الأجواء من خلال سوق الكتاب والمطبوعات. كان حضورهم مرعبًا. لقد كانوا منظّمين، وأقوى من غيرهم بذلك اللحاظ، ممّا كان يبثّ الخوف في نفوس الآخرين منهم. كما كان لهم علاقة مع الثوّار ومع الإمام، وكانت علاقاتهم، كما يُقال، جيّدة، لذلك أوجدوا هكذا أجواء. بالطبع تمّ إقصاؤهم فيما بعد وظهرت، بحمد الله، غرسات الفكر التنويريّ الثوريّ الإسلاميّ، وهي أنتم وجماعة يشاهد المرء آثارها في الشعر والقصّة والفيلم ونتاجات أخرى ٧٨/١٢/٢٣.

بدأت الحركة الفكريّة التنويريّة الدينيّة بشكل أساسيّ في العقد الثالث، وتطوّرت في العقد الرابع من هذا القرن الهجريّ الشمسيّ. بدأ بعض المفكّرين والمعلّمين المتواجدين في مشهد وطهران وبعض المدن الأخرى بجذب الشباب وهدايتهم نحو الإسلام الواقعيّ والإسلام التنويريّ. وكانت هذه الحركة تسير بسرعة خاصّة لسنوات حتّى حدود الأربعينات، ولم يكن فيها خلال هذه السنوات الكثير من الشخصيّات الأصيلة التي حقّقت أدوارًا مهمّةً؛ ومن هؤلاء العلّامة الطباطبائي، السيّد محمّد تقي شريعتي والد المرحوم الدكتور عليّ، السيّد طالقاني [الملحق ٦١]، المرحوم الشهيد مطهّري، الذين يعتبرون من أبرز روّاد الفكر الإسلاميّ الحديث.

لقد كان هؤلاء، وللإنصاف، المعلّمين الأوائل، كلّ واحد منهم في بُعد خاصّ. وإنّ الصورة التي عرضها هؤلاء عن الإسلام هي ذاك الشيء الذي أظهر صحوةً جاءت بعد سُبات طويل وكان كطفرة، ويقينًا لم تكن صدفةً أن يُتّهم معظم هؤلاء الأشخاص أو كلّهم في عقيدتهم في أوج نشاطهم. لكنّ



الشباب قد تربّوا في أحضانهم هم. ولا بدّ من الالتفات إلى أنّه في الوقت الذي أوجد فيه هؤلاء العظماء تحوّلًا فكريًّا، كانت نشاطات الأيديولوجيّة الإلحاديّة والمادّيّة في غاية توسّعها وجهدها وسرعتها، وينبغي القول إنّ جهد هؤلاء كان أوسع بكثير من الجهد الذي كان يبذله المفكّرون والمتنوّرون المتديّنون، وكذا فقد كان عمل المتنوّرين أسهل بدرجات.

كان على المفكّر الإسلاميّ أن يجلس ساعات مع آيات القرآن الكريم يتدبّر ويطالع ويستفيد من تجاربه ونضاله ومطالعاته، ليتمكّن في النهاية من فهم معنى آية واحدة من القرآن الكريم، وليكتب سطرًا أو صفحةً حول تلك الآية أو السورة أو ذاك المصطلح القرآنيّ.

أمّا ذاك المتنوّر المادّيّ أو الماركسيّ [الملحق ٦٢]، مثلًا، فلم يكن بحاجة إلى كلّ هذا التفكير، كان عليه أن يحوّل كتابات ماركس إلى الفارسيّة، أنتم طالعوا الكتابات الماركسيّة الفارسيّة، في الغالب هي عبارة عن ترجمة نصوص من الإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة وغيرها؛ لذلك كان عملهم أكثر سهولةً.

فالترجمة دائمًا أسهل من الكتابة والتحقيق، وبالأخصّ إذا أراد الكاتب والمحقّق تقديم عمل جديد وقويّ. لذلك، ورغم وجود الجهود المخلصة التي بذلها المفكّرون المسلمون، فإنّ حجم الكتب المخالفة للإسلام أو غير الإسلاميّة ازداد بنحو عجيب، وفجأةً صار شباب تلك المرحلة في مواجهة عدد كبير من الكتابات الإلحاديّة المتنوّعة. فالذي كان يرغب، عام خمس وثلاثين على سبيل المثال، في فهم الأفكار الإسلاميّة من منطلق إسلاميّ، كانت تصادفه في المكتبة الإيرانيّة، وفي الجوّ الفكريّ العامّ للبلد، كتب متعدّدة حول الاقتصاد الماركسيّ، والتاريخ الماركسيّ، والفلسفة الماركسيّة، من دون أن يجد ما يقابلها من الإسلام ٥٨/٣/١٦. لقد كان أمام مدرسة يتدفّق منها الكرّاس، والقصّة، والمسرحيّة، والكتاب العلميّ، وشبه العلميّ، وشبه الفلسفيّ، من ألف طريق وقناة، فيملأ كلّ مكان ٥٥/١٠/١٢.

وإذا وُجدت عشر ترجمات ماركسيّة حول التاريخ أو حول الاقتصاد، ففي مقابلها لم يكتب المفكّرون المسلمون حتّى كرّاسًا واحدًا حول التاريخ أو الاقتصاد، فالحركة الفكريّة والعميقة والجدّيّة كانت حديثة العهد، ولم تقدّم نتاجًا ملحوظًا.

لم يعانِ المصريّون والهنود من تعقيدات الذهن الإيرانيّ، فلم تتمكّن كتاباتهم من ملء هذا الفراغ. لكن لهم حقّ السبق، فلا شكّ أنّ المصريّين والهنود تقدّموا علينا من ناحية الرؤية الفكريّة الإسلاميّة التنويريّة، ولا ننسى أنّ هذه الحركة الإسلاميّة الحديثة في مصر والهند مدينةٌ للسيد جمال الدين أسد آبادي [الملحق ٦٣].

ومع ذلك،لم تتمكّن الكتب والأفكار الإسلاميّة غير الإيرانيّة من إشباع الذهن المحقّق، ونتيجة ذلك واجه المفكّر المسلم المتنوّر، وفي بداية تكوّن الفكر الإسلاميّ، الفضاء الذهنيّ الماركسيّ. وصبغ اللون الماركسيّ أذهان العديد من المفكّرين التنويريّين.

لقد كانوا مسلمين ومخالفين للماركسيّة ويعملون لمواجهة الفكر الماركسيّ، إلّا أنّهم في النهاية كانوا يقعون تحت وطأة تلك الذهنيّة الخاطئة. هذه مسألة هامّة جدًّا، وتعني أنّ المجتمع الفكريّ الإسلاميّ قد ابتُلِيَ بنفس البلاء، ووقع في الفخّ الذي سقط فيه المتقدّمون منّا، أي المفكّرون المسلمون في القرون السابقة؛ "فخّ تلوّث الذهن بالمدارس الفكريّة غير الإسلاميّة". وكانت هذه المدارس الفلسفة اليونانيّة [الملحق ٦٤] في يوم من الأيّام، والفكر الكلاميّ "الأشعري والمعتزلي" [الملحق ٦٥] في يوم آخر، والفكر الإلحاديّ التابع للأيديولوجيّة الفلانيّة في يوم غيره.

إنّ جميع هؤلاء المفكّرين المتنوّرين كانوا يفكّرون بأسلوب إسلاميّ، وكانوا جميعًا يريدون ترجمة وتفسير القرآن الكريم، وكانوا يتجنّبون أيّ توجّه إلحاديّ، إلّا أنّهم كانوا في نهاية المطاف يتعثّرون ويسقطون في الكثير



من المبادئ. هذه حقيقة وعلينا الإذعان لها.

لا أنسى في إحدى الليالي ذات الذكريات الكثيرة، وفي الأشهر الأخيرة من حياة المرحوم الدكتور شريعتي، كان لنا لقاء جماعيّ في طهران حيث تحدّث العديدون، وما يؤسَف له أنّني الوحيد الذي ما زلت حيًّا من بين الأشخاص الذين تحدّثوا في تلك الحلقة.

في تلك الجلسة قدّم المرحوم مطهّري والمرحوم الدكتور أبحاثًا مفيدةً، وكان هناك العديد من الإخوة والأخوات وكان الكلام يسجّل، وهذه كانت من الأعمال التي يمكن القيام بها في مرحلة القمع الأسود تلك. هناك تحدّث المرحوم الدكتور بعبارة كان من اللافت والمناسب واللائق التحدّث بها، كان يقول نحن اليوم في حالة ولادة فكريّة، وإنّ نطفة الفكر الإسلاميّ تُعقَد اليوم، وينبغي في هذه المرحلة إبعاد كلّ شريان غريب عن تلك النطفة.

كان يقول من الخطإ أن يجلس شخص ليجد كم هي نسبة الاشتراك المئويّ بين الإسلام والماركسيّة وكم هي نسبة الافتراق، وإنّ طرح هذه المسألة خطأ من الأساس. ينبغي أن نجزم أن لا اشتراك بينهما، ولا ننظر أصلًا إلى ما تقول تلك المدرسة بل ننظر إلى ما يقوله الإسلام. نحن اليوم في مرحلة استرجاع الإسلام، نحن نكتشف الإسلام، هذه القوّة التي كانت موجودة في الطبيعة منذ قرون ولم نكن قد اكتشفناها بشكل صحيح.

على كلّ الأحوال، تكليفنا اليوم أن نستفيد من الإسلام باعتباره أيديولوجيّة موجّهة وهادية، علينا أن نفهم الإسلام بنقائه وطهارته وأن نوجّه نضالنا باتّجاه الإسلام، فإذا استفدنا منه ودرسناه بهذه النظرة وهذا التلقّي وهذه النيّة، عند ذلك ستكون كافّة مواقفنا الإجتماعيّة على أساس الأحكام التي يقدّمها الإسلام، سواء كان ذلك في مقابل الأحداث، أو الأشخاص، أو المجموعات، أو العقائد والأيديولوجيّات ١٦/٣/٥٨.

الإخوة والأخوات الأعزّاء! عقيدتي هي أنّ هذه الساحة هي ساحة

الحرب والمواجهة، البعض يخاف من اسم الحرب، ولكن هذه حقيقة، هي كذلك من دون تردّد. وهذا يعني أنّ أعداء استقلال إيران هم أعداء الإسلام والثورة وتلك الهويّة التي وجدت لأوّل مرّة بعد قرون في هذا البلد ببركة تجديد الحياة الإسلاميّة.

إنّ روح الاستقلال تلك، هي روح الالتفات إلى القيم والقدرات الذاتيّة، هي تلك الأشياء التي إن وجدت في أمّة فليس من السهل القضاء عليها. الآن يدخلون الساحة بكلّ وجودهم، ويستفيدون من كلّ الإمكانيّات، ويحضرون في جميع المراحل والمراتب، وهم فعّالون في النقاشات التي تسمّى الفلسفيّة وشبه الفلسفيّة، والنقاشات الحقوقيّة، وحقوق المرأة وحقوق كذا وكذا. وكذلك على مستوى اللعبة السياسيّة والحديث السياسيّ – وليس السياسيّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، بل رفع الشعارات السياسيّة والعناوين الصحفيّة وأمثالها – وكذلك في الأعمال الفنّيّة؛ في الفيلم والسينما والفنون الكتابيّة كالقصّة وأمثالها، هم فعّالون ويبذلون ما في وسعهم في هذا المجال، وهم يحظون بدعم طبعًا. فتلك الأعمال ليست ناشئةً من الإيمان، لا بل إنّ مقدارًا من نشاطهم وحركتهم نابع من كرههم للدين وتنفّرهم من المظاهر الدينيّة ومن المعمّمين. البعض ينفرون من إمام الجماعة كما تعلمون. لعلّ الكثير منهم ليس ملحدًا ولكن يسوؤه شكل المعمّم، فأينما نظر لا يجد إلّا المعمّمين، وهذا بحدّ ذاته منفّر ومستفزّ له. وعند البعض ليست المسألة مسألة نفور بل مسألة طمع. وهم يلقون الدعم كثيرًا. نحن لدينا من أمثال هؤلاء.

إنّ دعم المفكّر التنويريّ على نوعَين؛ فليس كلّ دعم مادّيًّا، إذ قد يكون المفكّر جاهزًا لأن يجوع مقابل أن يصفّقوا له ويعرّفوا به، وأن تتحدّث عنه الإذاعات وتكتب عنه الجرائد الأجنبيّة وتعلّق على كتبه وآثاره الأخرى. يرفعون من شأن آثارهم البخسة، ويقدّمون لهم الجوائز ويعطونهم الأهمّيّة. هذه في النهاية محفّزات، فلا يصحّ التساؤل حول المحفّز الذي يحرّك ذلك



الشخص غير المؤمن. يمكن أن نجد كلّ أنواع المحفّزات. وكذلك عندما لا يجدون أيّ مانع أمامهم من قول ما يريدون تزداد حماستهم.

ولكن ما هو الهدف؟ الهدف هو القضاء على الهويّة التي أوجدها الإسلام وأوجدتها الثورة. فهم يدركون بأنّه ليس من السهل القضاء على جماهير الشعب، لأنّ الناس مسلمون وهم بعينهم أولئك الذين أوجدوا هكذا ثورة بعد خمسين سنةً من الحكم البهلوي المعادي للدين.

بناءً على ما تقدّم، فإنّ طمعهم لا يصل إلى جماهير الناس، بل طمعهم هو في الخواصّ. والخواصّ هم نفس تلك الطبقات الوسطى التي تتّصف بالوعي والتأثير؛ وقد يكون بعض هؤلاء معمّمًا أو أكاديميًّا أو جامعيًّا. الخواصّ هم المستهدفون بالدرجة الأولى عندهم. ٧٨/١٢/٢٣



# الحركة الفكريّة التنويريّة المريضة

أودّ أن أبيّن لكم أنّ عندنا جبهةً فكريّةً تنويريّةً، وأخرى فنّيّةً، نشأتا بشكل طبيعيّ من الثورة. ففي جميع ساحات مجتمعنا، أفراد نمت تحت مطر بركة الثورة ومن أرض الفطرة الإنسانيّة الخصبة، فتشكّلت جبهتاها: الفكريّة التنويريّة والفنّيّة. وهاتان الجبهتان، أو لنقل، الفئتان مستقلّتان عن بعضهما لأنّ الفكر التنويريّ يختلف عن الفنّ؛ فكم من فنّان ليس بمفكّر متنوّر، وكم من تنويريّ ليس بفنّان، إلّا أنّهما قد تجتمعان معًا، واليوم هاتان الفئتان هما مورد اهتمامي، وبتعبير أوضح لقد أعطيت الاهتمام للحدّ المشترك بين هاتَين الفئتَين.

لقد تشكّلت على أثر الثورة جبهة بنفسها، ولا يمكن لأيّ شخص أن يدّعي أنّها جاءت نتيجةً لجهوده ومساعدته. في الواقع، هذه الجبهة نشأت كما الغابة التي تنمو من تلقاء نفسها، لم يقم أحد بغرس شتولها، وإنّ ما كان له دخالة في تحقيق هذا الأمر بالتأكيد هو مطر الثورة والفطرة الصافية. فكما تعلمون أنّ من خاصّيّة الثورة أنّها تربّي وتنشئ.

وعلى كلّ الأحوال، نشأت، في مقابل جبهة عظيمة، جبهة جيّدة وواسعة في نفس ميدان الفكر والفنّ، لم يكن أعضاؤها يؤمنون بالثورة، بل كانوا كافرين بها. الكفر هو هذا. نحن ابتعدنا شيئًا ما عن مفهوم الكفر الحقيقيّ، فهو يعني إخفاء الحقيقة الواضحة، وهو جرم كبير يترتّب عليه عذاب أبديّ. والحقيقة أنّ كلّ كافر يجب أن يخلد في نار جهنم الإلهيّة لأنّه يخفي أسطع الشموس بأهوائه النفسانيّة. هذا هو الكفر وهؤلاء هم الكفّار! لا أقول أنّهم نجس ولكن في الحقيقة هم كفّار القلب والباطن ٧٣/٢/٢.

لقد وُجدت جبهة تلقائيّة في مواجهة تلك الجبهة العظيمة، إلّا أنّ سنان الثورة الفكريّ والفنّيّ كان الأبطأ من بين جميع أسلحة الثورة وأدواتها الأخرى! لقد تمكّنت الثورة من النفوذ إلى جميع الأماكن حتّى وصلت إلى ساحات الحرب والعسكر الطاغوتيّ. لم يكن أولئك العسكريّون الطاغوتيّون الذين أصبحوا ثوريّين من الأعماق قلّةً، وليسوا قلّةً الآن. لكنّا لا نجد بعدد

**العسكريّين الذين أصبحوا ثوريّين، ولا حتّى أقلّ بكثير، عددًا صار ثوريًّا في جبهة الفكر التنويريّ. ليس الأمر أنّني أنا لم أجد بل لا أحد قد وجد.**

**لم تتمكّن ثورتنا من الظفر في تلك الجبهة، ولذلك أسباب بالتأكيد. وحيث إنّكم فنّانون ومفكّرون فإنّكم تستشعرون المسائل المطروحة في هذا المجال، ويمكنكم بسهولة أن تكشفوا هذه الأسباب.**

**يُبتلى المفكّرون المتنوّرون بتعلّقات تشكّل حيازتها عائقًا ولو كانت في فكر زلال نظيف خالص. يعني لو فرضنا أنّنا لم نتمكّن في وقت ما من جذب روح حسّاسة، فليس السبب أنّنا نتحدّث بشكل سيّئ أو خاطئ، بل السبب أنّناً لم ندرك الحالة الخاصّة والمستوى المناسب لكي نجذب تلك الروح الحسّاسة. إنّ الروح التي تكتئب وتتلاشى بمجرّد عبوس أو تأخير أو عدم اهتمام لا يمكن أن نتوقّع أن يجذبها الفكر الصحيح.**

[الخطبة التالية ترجع إلى تاريخ ما بعد انتصار الثورة بسبعة أشهر]

فيما يتعلّق بالمفكّرين المتنوّرين، ينبغي أن أشير بكثير من الألم والمرارة إلى حقيقة، وهي أنّ دور المحترفين منهم كان ضئيلًا في مرحلة الجهاد العميق والأصيل والجماهيريّ لشعبنا. إنّ المتنوّرين الذين عُرفوا بهذا الإسم؛ فنّانونا، وكتّابنا، وشعراؤنا، وملحّنونا، ورسّامونا، اختاروا موقفًا مخالفًا لما كان ينبغي عليهم اختياره، لقد كان حجم عملهم أقلّ من مسؤوليّاتهم الخطيرة والعظيمة.

المفكّر المتنوّر مسؤول أمام الناس ويجب أن يكون ملتزمًا وتحت الطلب، فلو أبعدته عن الناس وأجلسته في برج عاجيّ، فلن يكون في موقعه ومكانه الحقيقيّ ولن يكون بالتالي مفيدًا.

لم يمارس مفكّرونا المتنوّرون – ولا أقول الجميع بل الأغلب – في مرحلة النضال السابق هذا الدور، أي الحضور بين الناس، وفهم آلامهم وتقييمها، والتفكير بعلاج لها وتبيينه، لم يقوموا بهذا الدور الحسّاس والمهمّ. لم

يكن مفكّرونا في الماضي وسط الناس، وإن كتبوا فلم تكن كتابتهم لأجل الناس. رحم الله جلال آل أحمد الذي أشار إلى هذه الحقيقة المرّة وخاطب المفكّرين المتنوّرين بلغتهم وقال لهم: إذا أردت أن تبيع، بع ذراعك، أمّا قلمك فلا، وإذا كنت تتآمر فافعل ذلك بذراعك وليس بقلمك؛ فإذا كان لا بدّ من جرم تقوم به فليكن جسديًّا لأنّ ذلك أكثر قابليّة للعلاج، وخسائره أقلّ، وعواقبه السيّئة قابلة للجبران. أيّها الشخص غير المنصف لا تلعب بعقول الناس وأذهانهم! إلّا أنّهم لعبوا، ولم يخجل بعض المتنوّرين في تلك الأيام التي كانت فيها ثورة هذه الأمّة المسلمة قريبةً من النصر، من الكتابة في بعض الصحف العميلة، فكانت كتاباتهم كالأسنّة الحادّة الموجّهة ضدّ الشعب، كتب بعضهم عن ذهوله من كلّ هذه الدماء التي تسيل وقال إنّه غير جاهز لقبولها، فالعين لا تقاوم المخرز! كان يتحدّث بهذا في الوقت الذي إذا قاله العجائز من عوام الناس وفي الأماكن النائية كنّا نقمعهم ونطردهم ولم نكن مستعدّين أن نقبل منهم ذلك. لقد كتب المفكّر المتنوّر المغرور والمدّعي هذا الأمر وصرّح به قولًا. وكان ذلك في اللحظات الأخيرة، وقد توقّف النَفَس في صدر التاريخ وهو ينتظر ولادة هذا المولود المبارك ومقدمه الخيّر، وهو ولادة الجمهوريّة الإسلاميّة. حتّى أنّهم في تلك اللحظات حاولوا تجاهل الناس، فإذا قرأوا شعرًا، لم يكن ذلك لأجلهم، وإذا كتبوا عرضًا مسرحيًّا، لم يكتبوا لأجل الناس، وإذا ألّفوا قصّةً، تجاهلوا عواطف الناس وحاجاتهم. ولكن اليوم يجب أن تتغيّر الأحوال لأنّ هذه الأمّة ما عادت تتحمّل.

اليوم لم يبقَ أيّ مكان للمفكّر غير المسؤول، وغير الملتزم، وغير المتديّن، والذي لم يحضر بين الناس طوال السنوات الماضية لنضالهم الدمويّ، المفكّر الذي يشاهد الشباب الأعزّاء يساقون إلى الإعدام وتراق دماؤهم في الأزقّة والشوارع، ويعذّبون في زوايا السجون، ثمّ لا يبالي ويتابع حياته من دون ألم، هذا المفكّر لا يحقّ له اليوم أن يظهر بين الناس بعنوان مرشد

وهادٍ لهم، إلّا إذا كان يعمل لأجلهم.

اليوم لا يحقّ له عرض أيديولوجيّته الالتقاطيّة الكاذبة وغير الصادقة على الناس، أو التلاعب بإرث الشهداء من خلال سموم قلمه الخائن. الشعب لن يتحمّل هذا الوضع اليوم. لقد تحمّلوه بالأمس في ظلّ النظام الجبّار الظالم، ولكنّ السلطة اليوم بيد الناس، وقد أظهروا أنّهم لن يتحمّلوا.

اليوم ينبغي على المفكّر أن يغيّر طبيعته. إنّ ما نتوقّعه – نحن الشعب المسلم – من متنوّري هذا المجتمع هو هذا. ونحن نقول لهم أنتم خرجتم من بين أفراد هذا الشعب، أنتم أبناء هذا الشعب، لستم غرباء، نحن لن نسلخكم عنّا لخلاف في السلائق أو لخلاف غير جوهريّ، أنتم أبناؤنا وفلذات أكبادنا، لكن حاولوا أن لا تبتعدوا عن تلك الوجهة التي خطّها هذا الشعب بدمه وأن لا تكونوا آلةً بيد الآخرين، اسعوا أن لا تتحكّم الصهيونيّة والإمبرياليّة بكم وبأقلامكم وأشعاركم وكتاباتكم ورسوماتكم. حاولوا أن تكونوا للناس.

شعبنا اليوم يريد الإسلام، وهو شعب مسلم، اتركوا هذه المقولة الحمقاء بأنّ أكثر الناس لا يفقهون، لقد عفا الزمان على هذا الكلام. لم يعد الشعب يقبل منكم أيّتها الجماعة المعدودة، المتنوّرة المغرورة، والسياسيّة المتلاعبة، أن تقضوا أعماركم في حياة الترف والكماليّات. أنتم هم الأشخاص الذين كانوا يردّدون حتّى الأمس مقولة العين والمخرز، ولكنّ الناس أعلنوها أن لا مخرز. وها هي القبضات تقاوم الدبّابات وقد رأيتم كيف قاومت. وهذا يعني أنّ الناس يفهمون أكثر منكم فلا تهينوهم.

هؤلاء يجلسون ويتحدّثون ويكتبون ويخاطبون المفكّرين التنويريّين الإسلاميّين، والعلماء الروحانيّين التقدّميّين، ويقولون "لماذا تعتمدون على الناس؟ أغلب الناس لا يفقهون". إنّهم يوجّهون الإهانات والتحقير، وأنا

أتعجّب من ذلك بعد أن رأوا كيف عرف الناس عدوّهم، وكيف أخرجوه من الساحة بإرادتهم، وكيف أدركوا سلفًا وعلموا أنّهم سينتصرون وأنّ عدوّهم سينهزم؛ فبالرغم من أنّ هؤلاء المتنوّرين شاهدوا هذه المعجزة من الشعب فإنّهم يهينونه.

على مفكّرينا المتنوّرين السير في خطّ الناس وتلمّس حاجاتهم وإرشادهم، وشرح مؤامرات القوى العظمى في الشرق والغرب ضدّهم، وأن يجعلوا فنّهم في خدمة الناس، ويسعوا أن لا يهينوا مقدّساتهم.

لقد طرد الناس الشاه ودمّروا الشاهنشاهيّة لأنّها لم تكن تعير للناس اهتمامًا. فماذا كان جرم الشاه؛ إنّ جريمته والجهاز الحاكم والنظام الشاهنشاهيّ هي أنّهم كانوا يفرضون على الناس إرادتهم ولا يحسبون للناس حسابًا، لم يكن الشاه حاضرًا لاعتبار الناس عنصرًا أساسيًّا. حسنًا، جماهير الشعب لا تتحمّل هذا الأمر، ولا تقبل الإهانة.

أولئك كانوا يمتلكون السلطة والمال ودعم القوى العظمى، إلّا أنّ هذا الشعب صمد أمام ذلك كلّه، فأخرج النظام الملكيّ والملوك وأشباه الملوك جميعًا. وإذا وقفتم في مواجهة هذا الشعب، بهذه الثقافة وبهذا المنطق، فإنّ الشعب هو الذين سيطردكم، فلا تهينوه.

كان قائدنا وإمامنا يأخذ الناس بعين الاعتبار رغم كلّ تلك القدرة الإلهيّة والعظمة التي كان يحظى بها. في اللحظات الأولى، عندما رجع الإمام من باريس إلى طهران – أي في تلك اللحظات الأشدّ حساسيّةً في هذا التاريخ – كان الاضطراب يسيطر على الجميع، وكان جميع المراقبين الدوليّين يعتبرون أنّ إيران هي مركز أكبر أحداث القرن الحاضر، الكلّ كان ينتظر ماذا سيحصل في إيران. في تلك اللحظات الحسّاسة عندما أتى الإمام، ذهب إلى الناس مباشرة.

لقد تخلّى العجوز الثمانينيّ عن راحته ووضع نفسه في اختيار الناس.

في تلك المرحلة، جاء السياسيّون وقالوا: قولوا للسيّد أن لا يصرف هذا المقدار من وقته لأجل الناس، وأن لا يكثر من الذهاب والإياب والاستقبال، وليسمح للسياسيّين والمفكّرين والعلماء بأن يجلسوا معه ويبحثوا في القضايا السياسيّة الكبرى. أمّا جواب الإمام إلى جميع هؤلاء فكان: إنّني لا شغل لي مع السياسيّين وأصحاب الأدمغة والرؤوس الكبيرة، بل عملي هو مع الناس، فإذا أراد أولئك المجيء فليأتوا مع الناس. لقد فهم الإمام وشخّص بشكل صحيح، ولو قرّر الجلوس حينها مع السياسيّين لكنّا حتّى يومنا هذا ما نزال نستمع إلى كلمة السيّد بختيار في مجلس الشورى غير الوطنيّ.

لم يكن هناك أيّ حجاب بين الإمام والناس، قالوا له مئات بل آلاف المرّات: أيّها السيّد، أنت في خطر، قال لا يهمّ، وليكن، فإذا قُتلت فسأكون نافعًا للناس. كان يقف بين الآلاف ليتحدّث إليهم حيث يجتمع النساء والرجال والأطفال؛ يحمل الأطفال بين يديه ويقبّلهم ويحنّ عليهم ثمّ يعيدهم إلى أمّهاتهم وآبائهم. لقد أتى الإمام إلى الناس وواصل عمله وسعيه معهم وكان رهانه عليهم، وقد رأيتم أنّه انتصر.

إنّ وظيفة المفكّرين المتنوّرين وتكليفهم أن لا ينفصلوا عن الناس، وعدم الانفصال عنهم ليس معناه أن يجلسوا ليشرحوا أحوال القرية النائية المحرومة الفلانيّة، أو أن يبيّنوا حياة القرويّ أو الكاسب أو المزارع أو العامل الفلانيّ؛ هذا ليس كافيًا. التواجد بين الناس ومعهم هو قبول إرادتهم وفهم أحاسيسهم وتبنّي خطّهم السياسيّ والفكريّ، ومن ثمّ التحرّك وفق هذا الخطّ. فإذا تحرّك المفكّرون المتنوّرون وعملوا بهذا النحو، لأمكن عندها تنظيم عمل الأمّة بشكل أسهل، لأنّ الشعب والمفكّر سيكونان عندها في ركاب واحد؛ وإذا افتقرت الأمّة إلى المفكّر التنويريّ ستتأخّر في رؤية الأحداث، وإذا لم يكن المفكّر مع الناس، سيكون وجوده زائدًا وباطلًا وعاطلًا. يجب أن يكون هؤلاء مع بعض. إنّ مفكّرينا الأصيلين، مفكّرونا المسلمين، هم في الناس ومع الناس ومن الناس ولأجل الناس ٥٨/٥/٢٤.

النتيجة التي نخلص إليها هي أنّ سبب عدم انجذاب المفكّرين التنويريّين للثورة لم يكن نقصًا في فكرها وعقيدتها؛ ففي السابق، انجذب المفكّرون إلى جهاز لا يمتلك فكرًا وعقيدةً، وأقصد جهاز الحكم البهلويّ، وكم من شعراء الدرجة الأولى ومن فنّاني ومخرجي وموسيقيّي الدرجة الأولى في هذا البلد انجذبوا إلى الجهاز البهلويّ وعملوا لذاك النظام بكلّ وجودهم.

نحن لا نريد القول بأنّهم كانوا لا يعتقدون بذاك النظام. لأنّ المسألة ليست في الاعتقاد أصلًا، بل تكمن في الحميميّة والرفقة والتعاون. فأيّ اعتقاد يمكن الحديث عنه؟ عندما يكون في النظام عقيدة يصبح الحديث عن الاعتقاد به موضوعيًّا، لكن عندما لا يكون هناك عقيدةً أو فكرًا فلا معنى للاعتقاد. في النظام البهلويّ لا وجود لشيء يرتبط بالاعتقاد، ومع ذلك نجد أشخاصًا عملوا له بكلّ وجودهم، وأنا كنت أعرف الكثير من هؤلاء عن قرب وأعرف ما هو عملهم؛ كانوا يدافعون حقيقةً عن النظام البهلويّ ويحبّونه فعلًا ويعملون لحسابه.

حسنًا، وأيّ فكر ونمط ومسلك سيكون أعجز وأكثر تخلّفًا من فكر ونمط ومسلك حكومة أسّست على القهر والفساد كالنظام البهلويّ حتّى نقول إنّ النظام الإسلاميّ والثورة الإسلاميّة هما على هذا النحو؟! إذًا فهذا ليس دليل نقص في الفاعل بل دليل وجود حالة خاصّة في القابل.

يوجد أحيانًا في شريحة ما حالة لا يمكن التغاضي عنها بسهولة، مضافًا إلى ذلك أنّ للإسلام خصوصيّته، فهو لا يكتفي بالمسؤوليّات الاجتماعيّة، بل يتحدّث أيضًا عن المسؤوليّات الفرديّة. فمن جملة القيم الإسلاميّة أن لا يكون الشخص من أهل الفحشاء؛ فلا يشرب الخمر، ولا يفسد جنسيًّا، ولا يكذب. هذه القيم موجودة أيضًا! فهل يمكن حينئذٍ لذلك الفنّان الذي هو إنسان سويّ ونبيل وجيّد، لكنّه من أهل هذه المنكرات، أن يرافق هذا النظام؟ بالطبع لا يقدر إلّا أن يكون هناك تجاوزًا. ولا ينال الجميع مثل هذا التجاوز.

تعرّف إلينا أحد المفكّرين المتنوّرين أوائل الثورة وكان قبلها من الناشطين المعروفين ويكتب مقالات جيّدة كان ينشرها في الصحف تحت اسم مستعار. أنا كنت أعرف هذا الشخص من بعيد وأجهله عن قرب.

ذات مرّة، كنّا أنا والمرحوم بهشتي والمرحوم باهنر [الملحق ٦٦] وعدد آخر من الأشخاص في "مجمع التوحيد" عندما قالوا جاء فلان. لم يكن الحاضرون يعرفونه، وبما أنّني كنت أعرفه من بعيد قلت لهم دعوه يدخل. دخل وكان ودودًا معنا واستأنس بجمعنا، كان رجلًا تنويريًّا ذكيًّا ومتعلّمًا، ولم يكن سيّئًا.

لكن عندما طلب لقاءنا في المرّة الثانية، صادف ذاك اليوم قرار الإمام بمنع النساء غير المحجّبات من الحضور في الإدارات. تذكرون ذلك! فقد أصدر الإمام أمرًا كهذا في بدايات الثورة ولا أذكر إن كان ذلك في شهرها الأوّل أو الثاني. جاء هذا الشخص حينها شاكيًا: ما هذا الأمر الذي أصدره الإمام؟ ماذا تفعلون؟ ما هذا الكلام الذي تتلفّظون به؟ دخل معنا في محاججة ثمّ ذهب ولم يعد! تأمّلوا معي كيف جعلت كلمة واحدة من الإمام متعلّقة بحكم شرعيّ إسلاميّ - لا يمكن إغفاله حول حجاب المرأة - الكثيرين يبتعدون عنّا.

أمّا فيما يتعلّق بالقيم الفرديّة الإسلاميّة، فكلّما تقدّمتم خطوةً شاهدتم حالات كثيرةً من هذا القبيل؛ فلان من الناس يودّ شرب الكحول، وشعراؤنا يكثرون من ذكر الخمر في أشعارهم؛ فيتساءلون هل تكون الخمرة ممنوعةً نهائيًّا في الحياة؟! هل يصحّ أن يجلس شخص في خمّارة اعتمادًا على هذا المنطق؟! الإسلام لا يكتفي بتحريمه، بل يحاسب عليه ويضع له حدًّا شرعيًّا أيضًا.

الإسلام لم يجعل حدًّا شرعيًّا للكذب والغيبة، إلّا أنّه عيّن حدًّا شرعيًّا لشرب الخمر، وعقوبةً على العلاقة مع الجنس الآخر، ولو كانت بنحو رقيق ولكنّه ممزوج بالشهوة، ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك. لنفرض مثلًا شابًّا فلانيًّا

**تربطه علاقة صداقة ومحبّة شديدة بفلانة من الناس، أليس في البين أيّ إحساس شهوانيّ ولو رقيق جدًّا؟ أيّ شخص يمكنه أن يدّعي العكس؟**

**حسنًا، الكثير من الأفراد الذين كانوا شبابًا، وحتّى الذين تجاوزوا هذه المرحلة العمريّة، كانوا مبتلين بهذا الأمر ولطالما سرّتهم تلك المشاعر.**

**الإسلام يرفض ذلك، وكذلك الثورة الإسلاميّة والنظام الإسلاميّ والقيم الإسلاميّة ترفض ذلك، وهذه المسائل لا يقبلها الرسول ولا القرآن. ليس الأمر مسألةً هزليّةً! لم نأتِ بهذه الأمور من أنفسنا! وقد كلّفتنا مواجهة هذه المخالفات عددًا من الأشخاص. لو لم يكن هناك حدود وعقوبات على مثل هذه المعاصي لكان شخص واحد في هذا النظام كافيًا لجذب مئة شخص من عظماء عالم الفكر التنويريّ، لأنّ المتنوّر والفنّان وصاحب الحسّ المرهف يُستمال من هذه الجهة وتلك، وقد يتحقّق جذبه بابتسامة،**

**به خلق ولطف توان كرد صيد اهـل نظر بـه دام ودانه نگـيرند مـرغ دانـا را**

**بالخُلق واللطف يُمكن اصطياد أهـل الفكر ولا يصطاد الطائر الحكيم بالفخّ والحبّ**

**كان ينبغي أن يُقال بدل أهل الفكر أهل الفنّ.**

**إنّ من الناس من لا يغرّه مقام أو وزارة أو أيّ منصب كان، بل يكفيه ابتسامة والتفات، وأحيانًا، كما نقول نحن طلبة الحوزات العلميّة، قعدة حميمة، لا غير!**

هؤلاء لم يأتوا ليلتحقوا بالناس، ولعدم مجيئهم أسباب متعدّدة؛ البعض لم يأتوا لسيطرة الأفكار والعقائد الدوغمائيّة(٢١) على أذهانهم، وقد ثبت بطلانها مع انتصار الثورة؛ كالسحر الذي يبطل من تلقاء نفسه أمام المعجزة، فما دامت عصا موسى لم تصبح حيّةً، كانت كلّ تلك الحبال تبدو أنّها تتحرّك وترسم معجزةً، ولكن بمجرّد أن ظهرت المعجزة الحقيقيّة لم يبقَ أيّ مكان للتزييف.

---

(٢١) التعصّب والتحجّر في العقائد والإصرار على ذلك من دون دليل وأساس.

وجاءت معجزة الثورة فأبطلت كافّة ما حبكته أذهانهم، وألغت كلّ خيالات المتغرّبين منهم والمتشرّقين والليبراليّين الغربيّين، الذين كانوا يتحدّثون عن الإنسان والإنسانيّة وقيمها، ويتغنّون بالجمال والمحبّة وبعض الكلام الخياليّ ممّا لا مصداق خارجيّ له، وكذلك أُبطلت أوهام اليساريّين الذين كانوا قد جعلوا الناس وطبقة العمّال شعارهم، وكرّسوا العمر لهم.

جاءت هذه الثورة واتّضح أن ذلك الكلام كان فارغًا، لا حقيقة له ولا روح. ولو أرادوا ترك تلك الأفكار جانبًا وقبول ما هو واقعيّ وحقيقيّ وبيّن مشعّ بذاته، فإنّ هذا يحتاج إلى الترفّع عن الماضي، لم يترفّعوا، ولم يلتحقوا بالثورة، ولم يقبلوا فكرها، ولمّا لم يقبلوا فكرها فلا يمكنهم الحديث عنها، هكذا كان البعض منهم حيث لم يسلّموا للفكر.

وكان هناك مجموعة أخرى يرغبون في أن يكونوا شعبيّين، شعراء شعبيّين، وأن يحوزوا افتخار كونهم ثوريّين مناضلين، مع ممارستهم في الوقت نفسه حياة العربدة والفسوق والسُكر، كمن لا علاقة له بالناس على الإطلاق، ولا يعمل لأجل تحقيق آمالهم. كان لدينا من أمثال هؤلاء في مرحلة النضال. أنا أعرف بعض الأشخاص البارزين في عالم الأدب والشعر الذين إن جلسوا بالقرب منك وجرى الحديث حول النضال – طبعًا حديث النضال وليس النضال نفسه – ترتفع أصواتهم ويعلو ادّعاؤهم وكأنّ عظماء التاريخ مدينون لهم. يتحدّثون عن ماكسيم غوركي الملحق ٦٧، الشخصيّة الثوريّة العظيمة بالنسبة لهم، والذي لم يكن معروفًا بين الناس، ولا أعرف إن كان لديهم أصلًا أحد آخر يدّعي الأدب والشعر الثوريّ، فلم يكن منهم من يستحقّ الذكر؛ كانوا يظهرون في مقام الحديث فقط، لكن عند العمل لا يبقى لهم أيّ وجود. هم غير حاضرين لقول كلمة واحدة أو القيام بأيّ عمل إذا ما هدّدهم أدنى خطر، وإذا ما قاموا بشيء اشتباهًا في وقت ما، تلقّوا صفعةً وسمعوا عتابًا وقالوا "التوبة لمئة سنة".

كانت حياتهم اليوميّة حياة العربدة، حيث كان يلزم أن يحملوهم في

الساعة الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل على الظهر ليخرجوهم من خمّارات طهران والمناطق الأخرى ويوصلوهم إلى بيوتهم، هؤلاء كانوا شعراء شعبيّين! هكذا كانوا يعيشون وهكذا أيضًا كانوا يريدون الثورة، ويرغبون أن يكون المجتمع الثوريّ على هذه الشاكلة.

إنّ الثورة التي انطلقت على أكتاف جماهير الشعب الحزب اللهيّ المؤمن، ومن خلال تلك الحركة العظيمة، معلوم أن لا مكان فيها لهكذا أشخاص لا مبالين وعابثين وعاطلين. ومن الطبيعيّ أن يقوموا هم بردّة فعل عنيفة. وكان هناك مجموعة من الأشخاص الذين غادروا لأنّ مصالحهم وطلباتهم لم تتأمّن.

البعض كان يتوقّع أن يصبح نجم الثورة المضيء، ولم يكونوا ليقنعوا بأقلّ من ذلك، كانوا يرفضون أدنى من ذلك ولو بذرّة واحدة، وبمجرّد أن تمّ التغافل عنهم أو لم تذكر أسماؤهم عند شخص أو مجموعة أو عند الناس، غضبوا على الثورة وتنحّوا؛ ولو كانوا "ثورويّين صادقين" لما حصل هذا الأمر.

إنّ كلّ ذلك جرى للشرائح التي لم تكن ثوريّةً بالمعنى الحقيقيّ، ولم تكن ملتزمةً بالإسلام وبالثورة. كانوا يرغبون أن يأتي إليهم الناس الذين قلبوا النظام الشاهنشاهيّ وهدموا هذا الحصن الحصين، ليضعوهم فوق رؤوسهم ويعطوهم الكلام، لكنّ هذا الأمر ما كان ليحصل، وما كان الناس ليفعلوا ذلك، وهذا أمر طبيعيّ، كانوا ينزعجون لأنّهم لم يصبحوا نجوم الثورة.

هناك مجموعة أخرى – إمّا أنّها خليط من تلك المجموعات وإمّا أنّها إلى جانبهم – لا دافع لديهم سوى الخبث والسوء والتبعيّة للتكتّلات المعادية للثورة. هؤلاء لم يكونوا ولم يرغبوا من الأصل في خدمة الثورة، لا بل عملوا ضدّها.

البعض منهم أنكروا الجميل، وتصرّفوا خلاف الإنسانيّة. والبعض خانوا الخبز والملح. بعضهم من عالم الأدب حملوا بعد الثورة القلم من دون أيّ تأمّل ودقّة وبدأوا يخطّون على الورق خزعبلات أرادوا منها تخطئة أمّة وثقافة عظيمة وأصيلة وثورة بهذه العظمة، من خلال إلقاء كلام لا يليق بالأشخاص الواعين والملتزمين والأفاضل. نحن لدينا من هذه النماذج، وهم يعيشون الآن في هذا البلد ويستفيدون من هذه الأجواء التي أوجدتها الثورة، مع العلم أنّهم يكتبون ويتكلّمون ضدّها؛ هؤلاء موجودون، وقد برزوا في عالم الأدب بعد ثورتنا ٢٧/١٠/٦٥.

**عندما أنظر نظرةً مقارنةً إلى الثورة الاشتراكيّة[الملحق ٦٨] في الاتّحاد السوفياتيّ السابق وثورتنا الإسلاميّة، أرى كم كانت تلك الثورة عنيفةً وغليظةً. وإنّ من يطالع تاريخ أحداث تلك الثورة، سيشعر بذلك العنف، وما يؤسَف له أنّ أغلب شبابنا لا يعرفون شيئًا عن الثورات الأخرى.**

**ذلك الأمر يؤلمني أحيانًا؛ إنّهم لا يعلمون أصلًا أيّة مظاهر كريهة حملتها الثورة الاشتراكيّة في الاتّحاد السوفياتيّ السابق، تلك الثورة التي شغلت الدنيا وكانت أكبر ثورة في زماننا المعاصر حتّى قيام الثورة الإسلاميّة. عندما ينظر الإنسان نظرةً مقارنةً بين الثورتَين، يرى أنّ الفارق بينهما كامتداد المسافة بين الأرض والسماء.**

**لقد قرأت الكثير في هذا الخصوص وأعرف تفاصيل القضايا. أعرف ما حصل في الاتّحاد السوفياتيّ السابق عن طريق الكتابات المباشرة وعلم التاريخ، وكذلك عن طريق الروايات التي كتبت في هذا المجال وتناولت الكثير من الخصوصيّات بنحو أدقّ وأوضح وأكثر تفصيلًا.**

**على أيّ حال، عندما أقارن بين ثورتنا والثورة الاشتراكيّة في الاتّحاد السوفياتيّ السابق، أرى أنّ ثورتنا أفضل بكثير. ومع ذلك تمكّنت تلك الثورة الخشنة، التي لا يمكن القبول بها، من جذب عدد غير محدود من المفكّرين والمؤلّفين وشعراء الدرجة الأولى في روسيا في تلك المرحلة، حتّى إنّها بعد**

مدّة جذبت إلى صفوفها من كان يعارضها بدايةً.

ومن جملة الأشخاص الذين انجذبوا إليها ألكسي تولستوي[الملحق ٦٩]، وقد ذكرت اسمه مرّةً أو مرّتين في مناسبة معيّنة بحضور البعض منكم أيّها السادة ممّن جئتم قبلًا إلى هنا، لأنّني معجب به. هو كاتب مبدع له عدد من المؤلّفات، كان حتّى العام ١٩٢٥ مخالفًا للثورة، وقد هرب من البلد وكان كما يقال لاجئًا يتردّد إلى ألمانيا وفرنسا اللتين كانتا تمثّلان في ذلك الوقت العنصر الأبيض. ولكن عاد بعد مدّة إلى روسيا وألّف كتاب درب الآلام *Road to Calvary*. لا أعرف إن كنتم اطّلعتم على هذا الكتاب أم لا؟ هو عبارة عن رواية رائعة حول الثورة الاشتراكيّة في الاتّحاد السوفياتيّ. هذا الرجل الذي كان في البداية ضدّ الثورة كتب روايةً من هذا النوع.

وقد كُتب حتّى الآن الكثير من المؤلّفات حول ثورة أكتوبر، وأنا قد قرأت روايتَين من الروايات المعروفة والأفضل في هذا الخصوص، وعملت على المقارنة بينهما، وإن كنت قرأت العديد من الكتب حول هذه الثورة. إحدى هاتين الروايتَين رواية الدون الهادئ الشهيرة لشولوخوف، والذي كان – وبلا تشبيه – مثلكم أيّها السادة، أي من نتاج الثورة ويرتبط بجيلها، وكاتب من كتّابها. وحيث إنّه كان في عمر الشباب وفي مرحلة الثورة، فقد كتب هذه الرواية بتأثير من أحداث ثورة أكتوبر ووقائعها.

وأمّا الرواية الثانية فهي درب الآلام لتولستوي، الذي كان في البداية ضدّ الثورة كما قلنا، وهي ليست أفضل من الرواية الأولى من الناحية القصصيّة فحسب، بل حتّى من ناحية التوجّه نحو أصول الثورة والانجذاب إلى أحداثها وظواهرها ورسم حوادثها بفنّ جميل. في الواقع، لقد رسمت هذه الرواية وجه الثورة بنحوٍ جميلٍ وعرضته كذلك.

بالعودة إلى الدون الهادئ، قرأت في أحد الأماكن أنّ شولوخوف عندما انتهى من كتابة روايته لم يُسمح له بنشرها وتوزيعها، إلّا لاحقًا في زمن ماكسيم غوركي – الذي تولّى رئاسة منصب مميّز، لعلّه وزارة الإرشاد في

**الاتّحاد السوفياتيّ في ذلك الوقت، وكانت هذه الوزارة من بداية الثورة مع الثورة ومحسوبةً لها - الذي أعطى ضمانات بأنّ شولوخوف مع الثورة ومنها واعتبر روايته مؤيّدةً للثورة، بينما كان المسؤولون الروس يقولون بأنّ شولوخوف هو من أهل كازاخستان، ولذلك تظهر في روايته الأحاسيس الكازاخيّة ومحلّيّات منطقة "الدون" الكازاخيّة.**

**وعلى كلّ الأحوال، كان تولستوي مخالفًا للثورة فأصبح فردًا ثوريًّا، وكتب روايةً كهذه. وهذا النوع من الأشخاص غير موجود عندنا. فرغم أنّ ثورتنا لم يكن فيها كتّاب روايات قبل الثورة، إلّا أنّ التحاق فنّاني تلك المرحلة المشهورين بالثورة كان نادرًا. في الحقيقة، لم يلتحق أيّ شخص من أولئك المؤلّفين شديدي الشهرة أو الشعراء المعروفين أو الكتّاب الساخرين الشهيرين أو الموسيقيّين اللامعين أو صانعي الأفلام ذائعي الصيت - وإن لم يكن هناك أثر بارز في هذا المجال كما في الشعر والأدب - أو الأدباء البارزين أو من أهل الصحافة المفوّهين، بالثورة!**

إنّ أحد أسباب ازدهار الفنّ والأدب في كلّ بلد هي الحوادث الصعبة ومن جملتها الحرب. وإنّ أجمل الروايات وأفضل الأفلام، ولعلّه أطول الأشعار، قد كتبت وأنتجت في الحرب وفي مناسبات ذات علاقة بالحروب، وهكذا كان الوضع في الحرب التي خضناها أيضًا.

في مرحلة الحرب تلك، جاء مؤلّف وكاتب قصصيّ وكتب قصّةً حول الحرب، إلّا أنّها كانت تصبّ في إدانة إيران! عندما لا يكون الشخص مستعدًّا للتخلّي عن مواقفه الخاطئة بأيّ ثمن، تتولّد هكذا أعمال. فأيّ اعتراض يتمسّك به الإيرانيّ الذي تعرّضت مدنه أمثال الأهواز وعبادان وخرمشهر، وبدون إرادة منه أو اختيار، لهجوم عسكريّ أدخل الجمهوريّة الإسلاميّة - من القيادة إلى الدولة والقوى المسلّحة والشعب - بكامل وجودها في هذا الميدان؟

هذه القصّة من بدايتها إلى نهايتها تطرح الإشكالات على مسؤولي

تلك المنطقة والاستهزاء بهم وتهينهم. لقد كنّا مظلومين في الحرب. كنّا شعبًا مظلوما ومقهورًا. لم نكن قد اعتدينا على أحد، ولم نقدّم ذريعةً لأحد ليعتدي علينا، ولم نطلق حتّى رصاصةً واحدةً داخل الحدود العراقيّة، لكنّ طبيعة الثورة اقتضت أن يهاجمونا عسكريًّا.

لقد شارك جميع الناس في الحرب، وكان دور القيادة فيها من الطراز الأوّل. قيادة استطاعت بنفسها أن تدفع الشعب بأكمله للحضور والاندماج والمشاركة، وأن توجّه هذه التعبئة، وتشكيل الحرس، وحركة الجيش العظيمة، والأعمال الكثيرة التي تمّ إنجازها، وخدمة الناس ومشاركتهم. وكذلك تلك الأجواء اللازمة لتنمية الفكر وتطوّره، توجّهها وتدفعها نحو تلك الوجهة الصحيحة. في عالم الحركة الفكريّة التنويريّة، حصل تقدّم وارتقاء وعمل يتطابق مع طبيعة الفكر التنويريّ؛ لأنّ طبيعته هي التقدّم؛ فالصحيح فيه تحقيق النجاة من ذاك الخطإ وذاك المرض. في ظروف ما قبل الثورة لم يكن هذا ممكنًا، لكنّ الظروف التي أوجدتها الثورة جعلت هذا التحوّل ممكنًا وعمليًّا.

لقد بدأت بعد الحرب محاولات حثيثة لإرجاع الحركة الفكريّة في إيران إلى ما كانت عليه من مرض قبل الثورة حيث معاداة الدين، والأسس الشعبيّة، والتوجّه نحو الغرب، والاتّباع المطلق له من دون قيد وشرط، وقبول كلّ ما يأتي من أوروبا وأمريكا، وتعظيم كلّ ما يأتي من الأجنبيّ، وتحقير كلّ ما هو متعلّق بالمحلّيّ. وهذا في باطنه يعني إهانة الشعب الإيرانيّ وإهانة أصوله ومبانيه.

أنا أشاهد هذا الأمر، فمن هم هؤلاء الأشخاص؟ يمكن التخمين، وهنا لا يمكنني أن أقول على اليقين، إنّهم مجموعة من الأشخاص الذين لم يؤمنوا بالله طرفة عين[٢٢]؛ هؤلاء لم يؤمنوا أبدًا لا بالإسلام ولا بإيران، ولم

---

(٢٢) محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة ٢، ١٩٨٣)، الجزء ٨، الصفحة ٢٨٥.



يكونوا مستعدّين حتّى أن يرفعوا رؤوسهم خلال هذه السنوات التي ظهرت فيها التيّارات الفكريّة الإلهيّة، الإسلاميّة، الدينيّة، الواقعيّة، الإيرانيّة في إيران! هؤلاء إمّا انزووا وإمّا أنّهم هاجروا خارج إيران فوجدوا معبودهم وقبلتهم ومعشوقهم هناك. هؤلاء لم يعتقدوا بأيّة أهميّة لهذا الشعب وهذه التقاليد وهذا التاريخ وهذه الثقافة، وبالطبع هم لا يهتمّون لمستقبل هذه الأمّة أيضًا. قد يتكلّمون ويدّعون، إلّا أنّ الماضي لا يدلّ على صدقهم، هؤلاء لا يفكّرون بالناس بل بأنفسهم.

بعض الأشخاص من الممكن أن يكونوا قد تأثّروا بهؤلاء الذين حفروا في أذهانهم بعض العناوين البرّاقة. والبعض من المحتمل – لا أستطيع الجزم – أن يكونوا أُجراء، على اعتبار أنّ الأدب والقلم والفنّ والشعر من الأمور التي تخضع للمال بسهولة؛ لا عجب في ذلك! لدينا شعراء كبار أنشدوا الشعر للملك الفلانيّ ومدحوه، مع العلم أنّه كان يستحقّ اللعن. ولدينا الكثير من الأشخاص الذين دافعوا عن أسس القبائح والخبائث بسبب المال والدنيا والشهوات؛ في حين كان عليهم البراءة من هذه الأمور. لم يتبرّأوا ولم يبتعدوا. بالطبع أنا بيّنت أنّ هذا الكلام هو من باب التخمين لا القطع. هؤلاء يرغبون بإرجاع الأمور إلى الوراء، وينبغي على المفكّرين المسلمين أن لا يسمحوا بذلك.

طبعًا عندما أقول لا ينبغي أن يسمحوا بذلك، فلا أقصد أن يقوموا بإثارة النزاعات؛ كلّا، لأنّ ساحة الفكر والتنوير ليست ساحة التضارب وأمثال ذلك. بل إنّ ساحة الفكر والتنوير الثقافيّ هي ساحة الثقافة نفسها، وأدواتها هي بعينها أدوات ثقافيّة. وعلى الشباب المؤمن بالفكر التنويريّ الحضور بفعاليّة في الساحة.

أيّها الشباب! أعدّوا أنفسكم؛ لأنّ الأمّة التي ترغب في طيّ طريق

---

الحديث ١١.

الرشد والكمال والتقدّم يجب أن تعتمد على أساس قويّ وثابت من الناحية الإيمانيّة. أمّا الأمّة، أو الجيل، أوالشباب الذين يرتبطون بمجموعة متفلّتة ومتهتّكة دينيًّا، لا إيمان لها ولا اعتقاد لديها بالأسس الأخلاقيّة والدينيّة والمعنويّة، ويتبعون كلامها، فسيكون ما تحت أقدامهم متزلزلًا. وسيكون جيل الشباب هو نفس ذلك الجيل الذي كان موجودًا في مرحلة النظام البهلويّ؛ محبطًا، عديم الفائدة، ميّالًا للفساد، جاهزًا للانحراف. وحينها يحتاج من يريد إخراجهم مجدّدًا إلى الطريق الصحيح إلى مؤونة زائدة؛ إلى حركة كالثورة الإسلاميّة التي لا تحصل بسهولة كلّ قرن بل قرون في هذا البلد.

فلذا ينبغي الحفاظ على ما تحقّق بكلّ القوى. يجب أن لا يُسمح لعدّة أفراد لم يقدّموا لهذا الشعب طيلة سنوات متمادية في هذا البلد أيّة خدمة من خلال ما يمتلكون من أدوات ووسائل فكريّة وثقافيّة، ولم يستطيعوا أن يكونوا مع الناس في أيّة مشكلة أو مسألة هامّة، أو أن يصلوا إلى مستوى ما وصل إليه الناس فضلًا عن أن يكونوا في مقدّمة حركة الشعب وقيادته؛ لقد كانوا متأخّرين دائمًا، منزوين دائمًا؛ هؤلاء يجب أن لا يسمح لهم بالحضور مجدّدًا في هذا البلد وبتحكيم أفكارهم وثقافتهم. وإنّ ما نشاهده في بعض المطبوعات والمجلّات والنشريّات الثقافيّة من أمور يدلّ على أنّ هؤلاء يسعون للرجوع إلى الماضي، إنّهم يسعون للعودة إلى الحالة المَرَضيّة للحركة الفكريّة التنويريّة؛ هذه هي الأولويّة اليوم، وهي أساسيّة ومهمّة جدًّا.

وإذا كانت جماعة المفكّرين التنويريّين ترغب بالحديث حول هذه الأمور، يمكنهم ذلك، ويمكنهم الجلوس ونسج الأحاديث والقول بأنّه لا يمكن المواءمة بين الدين والفكر التنويريّ؛ وأنّ الدين إذا حضر في بلد ما فإنّه يؤثّر في كلّ الأمور.

كما قد جاءت هكذا عبارة في حاشية للمرحوم آل أحمد للأسف



وهي خطأ تاريخيّ، أعتقد أنّه ها هنا ارتكب خطأً تاريخيًّا. يقول لأنّ الدين في العهد الصفوي[الملحق ٧١] جلس إلى جانب الجهاز الحكوميّ فجلس الميردماد[الملحق ٧٢] مثلًا إلى جانب الشاه عبّاس، تدنّت الثقافة والأدب والفلسفة والفنّ في تلك المرحلة! هذا خطأ، فلم يكن للأدب في أيّ عهد مثلما كان له في العهد الصفويّ.

إنّ المرحوم آل أحمد لم يكن شاعرًا، وأعتقد أنّه تحدث بهذه الأمور عن غير علم. والشعراء المخالفون للسبك الهنديّ[الملحق ٧٣] هم الذين ألقوا كلامًا خاطئًا في الأذهان. السبك الهنديّ راج في العهد الصفويّ واستمر إلى عهد الزنديّة[الملحق ٧٤] وأوائل عهد القاجار؛ ثمّ بعد ذلك ظهرت مجموعة أخرى عُرفوا بالمجدّدين ومجمع أصفهان الأدبيّ. هؤلاء كانوا يخالفون السبك الهنديّ بالكامل. وبالتأكيد لم ترقَ أشعارهم إلى مستوى أشعار أصحاب السبك الهنديّ على الإطلاق، كان الفرق شاسعًا، لكنّهم كانوا يخالفونهم.

ومنذ ذاك الزمان، بدأ الترويج لفكرة أنّ العهد الصفويّ هو عهد انحطاط الشعر! كلّا، فشاعر كبير مثل صائب[الملحق ٧٥] ينتمي إلى ذاك العهد. كذلك شعراء آخرون أمثال كليم[الملحق ٧٦]، عرفي[الملحق ٧٧]، وطالب الآملي[الملحق ٧٨]، وشعراء آخرون ليس لهم نظير طوال تاريخ الشعر كانوا في العهد الصفويّ.

يذكر نصر آبادي في **تذكرة نصر آبادي**[الملحق ٧٩] اسم ألف شاعر عاشوا في أصفهان في زمانه ويتحدّث عنهم، مدينة مثل أصفهان فيها ألف شاعر! شعراء جيّدون لا مبتذلون، وأشعارهم موجودة، وتذكرة نصر آبادي موجودة أيضًا. نحن متى وأين كان عندنا مثل هذا؟!

وعلى المستوى الفلسفيّ، هناك الملّا صدر[الملحق ٨٠] – أكبر فيلسوف في التاريخ الإسلاميّ- وقد عاش في العهد الصفويّ هو والميرداماد، والفيض الكاشاني[الملحق ٨١] العارف المعروف أيضًا عاش في العهد الصفويّ، وأيضًا اللاهيجي[الملحق ٨٢] المتكلّم والفيلسوف المشهور، فما هو إذًا هذا الكلام الذي

يتفوّه به البعض من أنّ العهد الصفويّ هو عهد انحطاط الشعر؟ لا، بل على العكس من ذلك، هو مرحلة ازدهار وأوج الأدب والفنّ الأدب بمعنى الشعر وليس النثر، والنثر الجيّد الذي لم يصل إلى ذلك الأوج. كذلك فإنّ أفضل الزخارف وأفضل الهندسة المعماريّة تعود إلى العهد الصفويّ، إذ لا يمكنكم أن تجدوا طوال التاريخ شبيهًا لمسجد الشيخ لطف الله، أو شبيهًا لساحة نقش جهان في أصفهان، أو للعمارات الأخرى إلّا نادرًا، وكلّ هذه الأمور تعود إلى العهد الصفويّ.

طبعًا الصفويّون لم يأخذوا الشعراء إلى البلاط ليقدّموا لهم المال، وأنا في الواقع لا أريد الدفاع عن الصفويّة لأنّ علاقتنا سيّئة مع كافّة الملوك، فالملك سيّء ولا يمكن أن يكون جيّدًا. والمَلَكيّة، أي الحكم الملكيّ، حيث ينصّب شخص ما نفسه ملكًا على الناس ومالكًا لهم فيصبحون رعيّته، هي سيئة، وهي أساسًا مرفوضة في الإسلام.

وقد تحدّثت في أحد الأيام أثناء صلاة الجمعة وقلت بأنّ الخلافة والولاية هي النقطة المقابلة للمَلَكيّة. وملوك الصفويّين كذلك كانوا ملوكًا ولا يمكننا الدفاع عنهم أساسًا. لكنّ ذلك الكلام هو خطأ من الناحية التاريخيّة، ومن غير الصائب القول بأنّ الشعر والأدب تنزّل في العهد الصفويّ إلى مرتبة الانحطاط. وما زلت أشاهد أنّ بعض هذه الأقوال تذكر في الإذاعة والتلفزيون وهنا وهناك.

ليس صحيحًا. العهد الصفويّ ليس عهد الانحطاط. فبعد حافظ[الملحق ٨٣]، لا يوجد شعر يصل إلى عظمة شعر صائب، وبعد رودكي[الملحق ٨٤] لا يوجد شاعر بلغ ما بلغه صائب في شعره من حيث العدد؛ إذ يمتلك مئتي ألف بيت شعر. طبعًا هو شاعر بحقّ يمكن الوقوف على شعره والدفاع عنه، وإلّا فهناك الكثير من الشعراء المبتذلين الذين يباعون ويشترون. لا يوجد أيّ مدينة تصل إلى مستوى أصفهان فيما جمعته من شعراء وفنّانين وفضلاء وفلاسفة وفقهاء.

على كلّ الأحوال، هذه هي الرجعيّة الفكريّة؛ أي الرجوع إلى مرحلة الحركة الفكريّة التنويريّة المريضة، التي كان المفكّر فيها فارغًا من الهموم؛ العودة إلى المرحلة التي كان فيها الجهاز الفكريّ والحركة التنويريّة يظهران اللامبالاة بجميع التقاليد الأصيلة والشعبيّة والتاريخيّة والثقافيّة لهذه الأمة.

اليوم كلّ من يرفع هذا اللواء فهو رجعيّ؛ وإن أطلق عليه اسم المفكّر والشاعر والكاتب والمحقّق والناقد. إذا رفع هذا اللواء – لواء العودة إلى الحركة الفكريّة التي سادت قبل الثورة بنفس خصوصيّاتها وتوجّهاتها المخالفة للدين والتقاليد – فهو رجعيّ؛ وهذا اسمه الحالة الفكريّة الرجعيّة ٧٧/٢/٢٢.

وكما أشرت، هناك مجموعة قليلة من الفنّانين والشعراء المعروفين والبارزين الذين كانوا يمتلكون أصالةً فنيّةً ومخزونًا فنّيًّا راقيًا وغنيًّا، هؤلاء كانوا في خدمة الثورة. البعض منهم منذ ما قبل الثورة ينظم الشعر لها، والآخر تعرّض للتعذيب من أجل إنشاده الشعر في الإسلام وفي الثورة، والآن ما زالوا في خدمة الثورة، ويعملون لأجلها. هؤلاء موجودون وإن كان عددهم قليلًا ونحن نكنّ لهم كلّ الاحترام والتقدير ٦٥/١٠/٢٧.

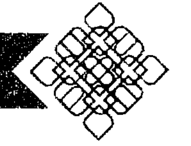
**وبعضهم أقرب وأصفى من الشباب الذين تربّوا في أحضان الثورة، كما أنّ من بين هذه الوجوه أشخاصًا التحقوا بهذه الجبهة، لا أستطيع أن أقول إنّهم جاؤوا من الجبهة المقابلة تمامًا إلى هذه الجبهة، ولكن كمثال أذكر المرحوم قدسي مشهدي – إذا أردنا أن نغضّ الطرف عن الأحياء – فهو شاعر كان في ذلك الزمان ثوريًّا ودخل السجن وناضل. على كلّ حال، لقد وُجِدت جبهة شباب.**

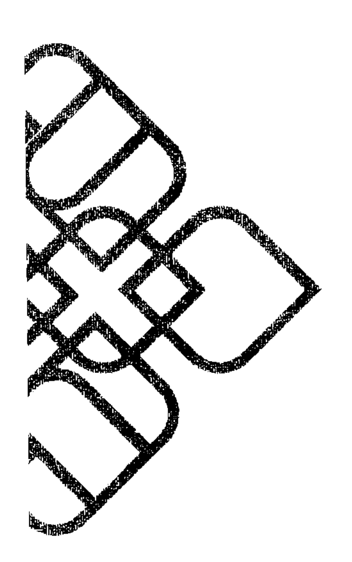
**لقد عانت جبهة الشباب في بداية نشأتها من مشكلتَين أساسيّتَين: أوّلًا، كان في مقابلها جبهة قويّة عريضة كمًّا وكيفًا، عدّةً وعتادًا. ثانيًا، إنّ العناصر المكوّنة لها لم تكن على الصعيد الاعتقاديّ في مستوًى واحد، أي إنّ كلّ**

ما قدّمته الثورة لهم تلقّوه وفقًا لقابليّاتهم واستعدادهم. الثورة تعطي فكرًا وكذلك شعارًا، وفيها العقيدة وكذا الشعور، لكن لعلّ الذين ينجذبون إلى مشاعرها وشعاراتها وحوادثها وحربها ومخالفتها لأمريكا أكثر ممّا ينجذبون إلى الفكر المتين والعميق للشهيد مطهّري أو بعض مفكّري الثورة الآخرين.

هنا، في هذه الجبهة الداخليّة، تتمّ غربلة الأشخاص الذين لا يتمتّعون بعمق اعتقاديّ، حتّى وإن كانت مشاركاتهم في التظاهرات الثوريّة جيّدة جدًّا أحيانًا، إلّا أنّ ثبات البعض قليل. لقد تعرّضت هذه الجبهة طوال السنوات الماضية لعمليّة الغربلة "ولتغربلنّ غربلة"[الملحق ٨٦]. هذه الغربلة حصلت في الجبهة الداخليّة.

بحثنا اليوم حول جبهتنا الداخليّة؛ أي عن مجموعة البدريّين الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا. اليوم هو يوم حرب بدر الكبرى، ولعل الذين سيشاركون في بدر الكبرى المعاصرة سيكونون إن شاء اللّه في عصر ظهور وليّ العصر أرواحنا فداه، من الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا، أصحاب حضرته. الأشخاص الذين هم في هذه المجموعة – إن ظلّوا أحياءً – سيكونون بلا شكّ في تلك المجموعة إلّا أن تخلو الساحة منهم بالشهادة أو الموت.





# التـهديدات الداخليّة

مسألة أخرى هي دور العوامل الداخليّة والخارجيّة، ويوجد ها هنا إفراطان أود تصفية ذهني منهما، وتنبيه أذهان الناس حتّى لا يبتلوا بهما؛ الأوّل هو أن نعتمد على العوامل الخارجيّة ونغفل عن العوامل الداخليّة، والثاني عكس ذلك أي نعتمد على العوامل الداخليّة ونغفل عن تلك الخارجيّة.

وهناك أشخاص مبتلون بكلٍّ من الإفراطَين على حدّ سواء، فكلا العاملين موجودان بشكل جدّيّ، وإذا دقّق الإنسان يشاهد أنّ العوامل الخارجيّة لعداوة أعداء الثورة هي من الجانبين.

كما أنّ الإعلام المعادي للثورة بات منظّمًا، ويمارس العمل الصحفيّ والسياسيّ والدبلوماسيّ بشكل قويّ جدًّا، وعملاؤه موجودون في الداخل وهم من جملة العوامل الخارجيّة. فعندما أقول عوامل خارجيّة أعني ضمنًا حتّى الأشخاص الذين يستلهمون من العوامل الخارجيّة ويعملون ضدّ الثورة في الداخل، يحرّكون قلمًا أو يتآمرون أو يوجّهون ضربةً اقتصاديّةً أو سياسيّةً، هذه العوامل موجودة ولا ينبغي الغفلة عنها.

وكلّ من يعتبر أنّ هذه مجرّد أوهام - كما يرغب البعض بالقول - فهو كالذي يقف ليلًا وسط غابة، تحيط به الذئاب التي تتحيّن الفرصة للانقضاض عليه، ولكنّه يقول أنا أتوهّم. حسنًا، أنت تتوهّم! إذًا خذ إغفاءة! أنت لن تضرّ إلّا نفسك. ولا يمكن إزاحة هذا العدو الموجود والمترصّد بقول "أنا أتخيّل". هذا جانب من المسألة، والجانب الآخر هو العوامل الداخليّة، وهي حالات موجودة فينا نحن الثوريّون والمؤمنون؛ وهي ليست قليلةً بل كثيرة. وأودّ التوضيح أنّنا إذا عالجنا هذه التهديدات الداخليّة، فإنّ التهديدات الخارجيّة لن تسبّب لنا أيّة مشكلة.

يتحدّث معنا القرآن في هذا الخصوص بشكلٍ صريح بقوله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٢٣]؛ النعمة التي

---

(٢٣) سورة الأنفال، الآية ٥٣.



أعطاكم إيّاها الله من المحال لن يستردّها إلّا أن تغيّروا أنتم الظروف. فالنعم الإلهيّة ليست من دون حساب وكتاب، الله يعطي الشخص نعمةً ضمن شروط؛ فإذا حافظتم على الشروط، فمن المستحيل أن تزول هذه النعمة وتسترجع. وهذا جزء من مضامين ومسلّمات وبيّنات أدعيتنا.

فعندما ينظر الإنسان إلى الصحيفة السجّاديّة وأماكن أخرى يسلّم أنّ الأمر على هذه الشاكلة، الله لا يسلبنا نعمةً ما لم نغيّر الشرائط. الآن هذه الغرفة مضيئة وهذه المصابيح تعطي النور، لماذا؟ لا بدّ من تحقّق شروط، أسلاك وإمكانيّات وأجواء. فإذا تغيّرت هذه لا بدّ أن تتغيّر تلك، الأمر واضح. وهكذا التقدير الإلهيّ والمقاييس الربّانيّة الدقيقة، لا تتخلّف، فإذا بدّلنا المقادير فسيبدّل الله النتائج أيضًا ٧٧/١٢/١٥.

فالإنسان قابل للتآكل، وكلّ إنسان عدا المعصومين يترهّل ويضمحلّ على أثر الضربات والتصادمات والاحتكاكات، وتتغيّر امتيازاته الروحيّة؛ ولذا يجب المراقبة. وعندما يوصون بالذكر الدائم فهو لهذا الشأن، إذ ينبغي أن يتذكّر الإنسان دومًا وإلّا سيهلك. كان عظماؤنا وأئمّتنا ومعصومونا مهتمّين ومراقبين لأنفسهم ولبناء ذواتهم ولصلاتهم وذكرهم وأدعيتهم وتوجّهاتهم وتوسّلاتهم حتّى لا يضيعوا أو يفسدوا. نحن نصاب بالخراب ٦٩/١٠/١٠.

**إنّني أشعر أنّ هذه الجبهة قد ابتليت بآفّة التآكل.** فالإنسان قابل للتآكل، وكلّ إنسان عدا المعصومين يترهّل ويضمحلّ على أثر الضربات والتصادمات والاحتكاكات، وتتغيّر امتيازاته الروحيّة؛ ولذا يجب المراقبة. وعندما يوصون بالذكر الدائم فهو لهذا الشأن، إذ ينبغي أن يتذكّر الإنسان دومًا وإلّا سيهلك. كان عظماؤنا وأئمّتنا ومعصومونا مهتمّين ومراقبين لأنفسهم ولبناء ذواتهم ولصلاتهم وذكرهم وأدعيتهم وتوجّهاتهم وتوسّلاتهم حتّى لا يضيعوا أو يفسدوا. نحن نصاب بالخراب ٦٩/١٠/١٠.

إنّنا في معرض التآكل والاهتراء، تترهّل أرواحنا وقلوبنا دومًا جرّاء

التعرّض لحوادث الحياة اليوميّة. فينبغي الالتفات إلى هذه الحالة والتطلّع إلى إصلاحها بالوسائل الصحيحة، وإلّا فسيهلك الإنسان. قد يصبح قويًّا سمينًا من الناحية المادّيّة والشكليّة، أمّا إذا لم يتطلّع إلى إصلاح هذا الترهّل فسيهلك من الناحية المعنويّة.

جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[٢٤]. ربّنا الله، أي الاعتراف بالعبوديّة لله والتسليم له، وهذا أمر عظيم جدًّا لكنّه لا يكفي. حينما نقول ربّنا الله، فهذا جيّد جدًّا حتّى لحظة قولها. لكن إذا نسينا ربّنا الله، فربّنا الله اليوم لن تفيدنا غدًا. لذلك يقول "ثمّ استقاموا"، أي ثبتوا وبقوا على هذا الطريق، وهو يؤدّي إلى أن تتنزّل عليهم الملائكة. وإلّا فإنّ كون الإنسان حسنًا للحظة أو برهة قصيرة فهذا لا يؤدّي إلى تنزّل ملائكة الله عليه، ولا تمتدّ إليه أنوار الهداية والعناية الإلهيّة. وبالتالي لا يصل إلى مرتبة العباد الصالحين. لذلك يجب الاستمرار بهذا النحو والبقاء عليه؛ ثمّ استقاموا، ولو أردتم أن توجد هذه الاستقامة، عليكم المراقبة بشكل دائم حتّى لا يتسافل هذا الأساس المعنويّ عن المستوى اللازم ٨١/٧/١٧.

**في هذا المجال، ماذا علينا أن نفعل لنوقف هذا الاهتراء ولنقلّل من حالة الترهّل المتزايدة هذه؟ نريد منكم أن توضحوا وتبيّنوا لنا حقيقة ما يجب فعله.**

**طبعًا تقف وراء هذا الترهّل الذي يطوّق الجبهة الداخليّة مجموعة من العوامل، فلو أنّكم جلستم لعدّة ساعات وفكّرتم وتشاورتم فبإمكانكم تسجيل لائحة من عشرين عاملًا من عوامل انحطاط قوانا الذاتيّة. وقد تكون بعض العناوين المذكورة في اللائحة صحيحةً وقد يكون البعض منها خاطئًا، وأنا أرغب في الإشارة إلى عدد من العوامل التي ساهمت فعلًا وواقعًا في انحطاط وتفسّخ هذه الجبهة.**

(٢٤) سورة فُصّلت، الآية ٣٠.

من هذه العوامل التي تقوّض الجبهة الداخليّة: قلّة اهتمام مسؤولينا الثقافيّين بها، كوزارة الإرشاد وبعض الأجهزة الأخرى. كان من المفترض، ومن اليوم الأوّل لتأسيس وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، أن تقوم بانتخاب لجنة تسعى لإيجاد أصحاب الاختصاصات من الكتابة، والشعر، وصناعة الأفلام، والموسيقى الحلال، وسائر الفنون الأخرى، بل وتبحث عن الأصوات الجميلة.

إنّي أشاهد في بعض الأوقات شابًّا في التلفزيون يتميّز بصوت جميل، يرتعش قلبي وأتساءل هل من المقرّر أن يصبح هذا الشابّ غدًا أو بعد غد منشدًا في جبهة المستضعفين وجبهة الحقّ، أم أنّهم سيقدّمون له المال ولوالدَيه ثمّ يدفعونه لافتتاح استديو مجّانيّ غريب الأطوار ليضاف شخص إلى ركب الأشخاص الفاسدين.

كان من الضروريّ إيجاد لجنة كهذه في وزارة الإرشاد ليتمّ جذب المراجعين من أصحاب الاستعداد الفنّيّ، أو للبحث عنهم. ولو حصل هذا الأمر، لاستحالت وزارة الإرشاد، التي كانت في يوم من الأيّام وكر مراكز الفساد الثقافيّ السابق، بالتدريج، إلى مركز للثورة والإسلام واللّه والحقّ والحرّيّة، وبعد مضيّ عشر سنوات كانت ستقدّم العديد من الشخصيّات العظيمة في كافّة الفروع الفنّيّة، ولكنّها لم تفعل ذلك. الآن من هو المقصّر؟ نحن لسنا في مورد المحاكمة هنا. وما الذي يجب أن نفعله مع المقصّرين؟ نحن هنا لسنا قضاةً. إنّما نحن في الواقع نوصّف الوضع لنرى ما يجب فعله من الآن فصاعدًا.

ومن المسلّم أنّه ما لم يكن هناك مركز ذو إمكانيّات وقدرات مسؤول عن جذب الطاقات كافّة، سواء الحائرة منها أو غيرها، فإنّ هذه الطاقات ستضعف شيئًا فشيئًا، حتّى ينتهي بها الأمر إلى الاضمحلال والهلاك. لقد كنت أشاهد بنفسي أنّ مسؤولي وزارة الإرشاد يتطلّعون غالبًا إلى الماضين. فكما أنّ صاحب الهيكل الضخم والظاهر الملفت يجذب العوام، فهكذا

كانوا ينظرون دائمًا كالعوام إلى أصحاب الشهرة، فينجذبون إليهم بشكل ساذج وسطحيّ، ويغفلون عن البراعم المتفتّحة حديثًا وعن تلك الأغراس الغضّة وعن الفروع الجديدة النابتة قرب الأشجار العتيقة. هذا كان أحد عوامل الترهّل في جبهتنا الذاتيّة.

أمّا العامل الآخر فهو الانهزام النفسيّ لعناصر جبهتنا أمام الشخصيّات الموجودة في جبهة الأعداء، وذلك بسبب الشعور بالأفضليّة الصنفيّة لتلك الشخصيّات على شخصيّاتنا؛ وهذا أمر لا يمكن إنكاره.

تصوّروا، على سبيل المثال، حين يتقدّم فنّان فخور متهوّر في هذه الجبهة، في فرع من فروع الفنّ مقدارًا ما، وعندما يشعر في محطّة بالتعب ويحاول التقاط أنفاسه، تقع عيناه على فنّان من فرعه الفنّيّ في الجبهة المقابلة؛ سيرتعب منه. هو أصلًا يرتعب من الجبهة المقابلة. وهذا الرعب أحيانًا يكون صرفًا وأحيانًا نتيجة التأثّر والانجذاب إلى الطرف المقابل.

لقد شاهدت في موارد متعدّدة أنّ الفنّان في جبهتنا ينظر إلى نظيره في الجبهة المقابلة على أنّه فنّان كبير، وهو غافل عن ضعف شخصيّة خصمه مقارنةً بشخصيّته، حتّى رغم إمكانيّة كونه فنّانًا راقيًا. لا يدري أنّ فنّان الجبهة المقابلة يفتقد الشجاعة والتحرّر والهمّة التي يحملها هو، وأن لا أهمّيّة لأيّ لقب مهما عظم إن كان صاحبه ممّن انحنى على أقدام خدّام الشاه يقبّل أحذيتهم. فما هي قيمة اللقب؟ وهل أنّه يغيّر الواقع؟!

في يوم من الأيّام حضر بعض الأدباء إلى هذا المكان وسردتُ لهم حادثة من ذكرياتي؛ قلت لهم أنّني شاهدت كبير هؤلاء الأساتذة والفنّانين يهوي إلى قدم الشاه ويقبّل حذاءه! هذا الذي أقوله رأيناه وسمعناه وعايشناه في زماننا وإن لم يكن بنحو مباشر. أجل؛ ففي إحدى المناسبات وفيما كان الأساتذة ورؤساء كلّيّات ذاك الزمن يصطفّون لمصافحة الشاه رمى ذلك الشخص بنفسه، مع كلّ ما لديه من تحقيقات وكتب وشهرة، على قدمَي الشاه. وبعد مرور مدّة على وصمة العار تلك قلت له في أحد الأيّام: ما هذا



العمل الذي قمت به أيّها الأستاذ؟! من هو هذا الرجل الجاهل الذي وقعت على قدمَيه؟! قال: لقد أخذتني الهيبة السلطانيّة! كان هذا عذره!

قلت لأولئك الأدباء بأنّ رئيس عناصر الجبهة المقابلة كان هكذا شخصًا، ثمّ تريدون منّي أن أقول - أنا المفتون بثورتنا - بأدنى قيمة أو حرمة لذاك الشخص الذي يضع جبهته على الأرض أمام ذاك الصنم الذي حطّمناه نحن بأيدينا؟! فمن الواضح أنّني لا أقرّ له بذلك.

إنّ فنّاني جبهتنا الذين يرتعبون من فنّاني الجبهة المخالفة لا يدركون في الغالب من هم أولئك، وماذا كانوا يفعلون. لا يدرون أنّ أولئك هم الذين كانوا يستمدّون ويتلقّون الأموال، ليتمكّنوا من الذهاب إلى مقهى المثقّفين الفلانيّ ويحتسوا الخمر حتّى الساعة الثانية فجرًا. لقد استلموا منزلًا في أحد شوارع طهران لشاعر مدّعٍ - يدّعي الشعر والتحرّر والفكر النيّر - فأقام فيه، ثمّ أجازوا له أن يبقي مجمرةُ أفيونه شغّالةً، ويتغاضى عن جميع أهدافه! هكذا كان عناصرهم في مدينة طهران ذاتها جاهزين للانحناء أمام شخص له علاقة برئيس مكتب الشخصيّة الفلانيّة المرتبطة بالبلاط، ليؤمّن لهم سفرًا علميًّا أو تحقيقيًّا، أو ليقدّم لهم المنحة الفلانيّة أو الامتياز الفلانيّ أو ليتوسّطوا لهم بعدم الجرّ إلى السجن إذا ما وجد الأفيون في جيوبهم!

هكذا كان حال الأشخاص في الجبهة المقابلة. ذاك الشابّ الذي وقف وسط الساحة وقد أعلن نداء الفتوّة والنخوة في وجه الشيطان الكبير وحاكم النظام العالميّ وأدانه، والذي كان العالم بأجمعه يحسب له ألف حساب لا بل ويخاف منه، لماذا يجب أن يرتعب أمام شخص يمتلك فنًّا أعلى منه، شخصيّة ذاك الفنّان من حيث الإنسانيّة لا تصل إلى واحد بالمئة من شخصيّة هذا الشاب. للأسف فهم لا يعرفون، لذا يرتعبون منهم.

بعض الذين كانوا يرتعبون منه، كانوا يختبئون داخل إيران، وكانوا في البداية لا يتجرّأون على إظهار أنفسهم، وهناك البعض الآخر لجأ إلى الخارج بهدف تشنيع الجمهوريّة الإسلاميّة، وتناولها بالقدح والذمّ، فأخذوا يكتبون

الشعر والمقالات في ذمّها.

أمّا كلامهم فلم يلقَ أهمّيّةً عند أحد كما هو حاله اليوم. وأنا أصارحكم بأنّ هؤلاء الذين تذكر أسماؤهم بكامل التعظيم في المجلّات الإيرانيّة، كانوا أشخاصًا فاقدين لماء الوجه في المحافل العلميّة والثقافيّة العالميّة! لأنّ المتصدّين لهذه المحافل كانوا يعرفون هؤلاء الأشخاص ويدركون أنّهم موظّفون في المنظّمات الأمنيّة والاستخباريّة. لاحظوا؛ لو جاءت أكبر الشخصيّات الفكريّة في العالم إلى إيران في زمان الطاغوت ثمّ اتّضح أنّه كان ضيفًا عند السافاك، فهل يمكن الاعتراف بأيّ قيمة له حتّى عند من لا يعادي السافاك؟ هذا هو حالهم في العالم. من الواضح أنّهم يتلقّون المال من وكالة الاستخبارات الأمريكيّة CIA ومن وكالة الاستخبارات الانجليزيّة وهم عملاء لها. إنّهم أشخاص لا سمعة لهم في العالم، ولكن عندما يصل الأمر إلينا، إلى الجمهوريّة الإسلاميّة وإلى شعب إيران، يصبح لديهم ألسنة تتكلّم، "أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة"، يصبحون أسودًا عندما يصلون إلينا، ولكن في الحروب ليسوا أكثر من نعام أو ثعالب أو حيوانات من هذا القبيل.

إنّ الفنّان الشابّ في جبهتنا لا يدرك أنّ هؤلاء بلحاظ الشخصيّة منحطّون إلى هذا المستوى، لذلك ينجذب إليهم ويرتعب منهم، وهذا هو أحد أسباب الانحطاط في جبهتنا. تقبّلوا ذلك.

ولقد شاهدت، للأسف، هذا الانحطاط بعيني. منذ مدّة، بدأ أفراد الجبهة المقابلة يحظون بشيء من الجرأة وأصبحوا أسودًا! وعندها شرعوا بالأعمال السيّئة. يكفي أن يقوم الغربيّون بمدح فنّان موجود في إيران لنشاهد الشابّ ينجذب إليه مباشرةً. حسنًا، الإنسان لا يسوؤه المديح، أمثالنا نحن العجزة، الذين ندّعي أنّ لنا آلاف التجارب، ترتجف قلوبنا من هكذا مؤثّرات، فكيف بالشابّ الرقيق الشفّاف الصافي؛ فمن الواضح ما سيؤول إليه أمره.

لقد دخلوا بأسلوب خاصّ بحيث لو قالوا في ذاك الطرف من العالم ما

**أجمل شعر فلان، وما أعجب المقالة التي كتبها، لرأينا أنّ الشابّ في هذا الطرف من العالم سيشعر برابطة خاصّة بهم! ما يؤسَف له أنّهم قاموا بهذه الأعمال وأوجدوا نوعًا من الرعب المرافق لنوع من العلاقة العاطفيّة. في الحقيقة، إنّ الإحساس بالدونيّة عند أفراد جبهتنا الذاتيّة في مقابل أفراد جبهة العدوّ كان أحد أسباب الانحطاط.**

نحن لا ينبغي أن نسمح للانهزام النفسيّ بالنفوذ إلى جماعتنا. لقد شاهدت أشخاصًا في جبهتنا يشعرون بالدونيّة أمام الأجانب، وطبعًا هؤلاء يقدّمون الأعذار لأنفسهم؛ لأنّه مؤلّف قديم، وشاعر كبير، ومنتج أفلام مشهور، يشعر أمامه بالانهزام وبالغربة! هذا فهمي للمسألة، واستنتاجي لها. بعض الشباب يشعرون بالحقارة أمام هؤلاء وأنتم يجب أن تزيلوا هذا التصوّر من أذهان الشباب بالكلّيّة. فأولئك مدانون، ولا يمتلكون تلك الخاصّيّة وذاك الجوهر الحقيقيّ الموجود عندكم؛ وهو الإيمان والإخلاص والعقيدة.

تبدأ مجموعة من الأشخاص الفاقدين للعقيدة والشخصيّة والهويّة بإنجاز عمل ما؛ هب أنّهم حصلوا على مهارات خاصّة في الفنّ الفلانيّ، كالأشخاص الماهرين مثلًا في الرياضة البدنيّة. حينما أشاهد هذه الحركات أجد أنّها حقيقةً عمل احترافيّ ماهر، أو مثلًا في لعبة كرة القدم. هذه الأعمال احترافيّة فعلًا، ليست مجرّد قوّة. الآن أنتم قد تشاهدون شخصًا من العوام جاهلًا، وقد يكون تابعًا عميلًا ضعيف الشخصيّة الإنسانيّة، إلّا أنّه ماهر في هذا العمل. ومثاله لاعب كرة القدم المشهور ذاك، فهل يجب أن نشعر بالضعف أمامه لأنّه ماهر في هذه اللعبة. لا، أيّها السادة! فمن هم هؤلاء؟! وذاك الشاعر حاله كحالهم أيضًا.

لا ينبغي أن تتعجّبوا، وأنتم طبعًا لا تقومون بذلك، ولكنّ البعض يفعل. ولقد شاهدت الكثير من هؤلاء عن قرب، في الحقيقة هم أشخاص منحطّون. لطالما كانوا كذلك، واستمرّوا على هذا النحو؛ هم أسرى

القضايا الشخصيّة، أسرى الشهرة، حقيقةً أسرى الشهرة! يهتمّون كثيرًا بالشخص الذي يقوم بمدحهم ويعظّمونه، فماذا أقول حول هذا! هذا دليل على هوانهم. من هم هؤلاء الذين يشعر الإنسان بالضعف أمامهم؟! الخلاصة أنّه يجب مواجهتهم بالهجوم عليهم ١٤/٤/٧١.

العامل الآخر هو أنّ البعض في جبهتنا ساوره الشكّ فيما يتعلّق بالتزام النظام بأهدافه وادّعاءاته. وإذا أردت أن أشير إلى مثال واضح – طبعًا يمتلك هذا المثال عاملًا ساهم في رفع الإشكال إلى حدود كبيرة – فيمكنني الحديث عن مسألة قبول القرار ٥٩٨ ونهاية الحرب وهو ما أوقع البعض في الشكّ.

إلّا أنّ في القضيّة – وكما أشرت – عامل آخر وهو وجود الإمام. فلأنّ الإمام كان بحرًا لا يُرتاب فيه، اعتبر الكثيرون أو الأكثريّة – ولا أقول الجميع – أنّ الحجّة قد تمّت عليهم بسبب وجود الإمام والاعتماد عليه. إلّا أنّ هذه الحركة بعينها جعلت الكثير من القلوب ترتجف! ماذا حصل؟! هؤلاء كانوا يشكّون في التزام النظام بكلامه، ولا يخفى أنّ هكذا مسائل قد حصلت مرارًا في السنوات الأخيرة.

قد يكون الشكّ في الجبهة الداخليّة في محلّه تارةً، ولكنّه يكون في غالب الأحيان في غير محلّه. وبما أنّني كنت حاضرًا في البلد على مستوى اتّخاذ القرارات، وكان لي ارتباط عاطفيّ مع كثير من الشباب والعناصر المشكّكة، فقد كنت أرى تردّدهم في الغالب في غير محلّه، بحيث لا يكون هناك أيّ داعٍ للتردّد والاضطراب. كان تردّدهم واضطرابهم غير ذي فائدة، فما الذي حَصل؟! في بعض الأوقات، كنّا نرى أنّ وسائل إعلام العدوّ تتحدّث، عن قصد وتصميم، بإيجابيّة حول شخص ذي مسؤوليّة في الجمهوريّة الإسلاميّة. وهذا المديح كان يبعث على الشكّ، فلماذا يتحدّثون عنه؟! لعلّ حادثةً ما في طريق الحصول! حسنًا فلو صبر المتردّدون، لاتّضح لهم بعد سنة أو سنتين أنّ ذاك المديح قد تحوّل ليصبح لعنًا.

وترون اليوم، كذلك، وجود هذا النوع من الأعمال، فلتلك الضربة في النهاية فعلها وأثرها. وهذا أحد العوامل التي تجعل بعض قوى الجبهة الذاتيّة، لأسباب مقصودة أو غير مقصودة، يقعون في الشكّ والتردّد، وهو في الحقيقة أحد عوامل الانحطاط في جبهتنا.

عندما كنت أقرأ بعض كتابات الحرب - وما زلت أقرأ بعضها - كنت أشاهد مثلًا أنّ الأخ التعبويّ الفلانيّ، المؤمن الطاهر، الذي كتب خاطرةً أو قصّةً حول الحرب في سفر ما له إلى طهران على الفرض، كان يتألّم من بعض الأمور؛ كان ذلك في زمان الإمام، في العام ١٣٦٤هـ.ش. مثلًا، وكان من عادتي في الغالب أن أكتب عدّة سطور كحاشية على الكتب التي أطالعها، وقد سجّلت بعض التعليقات على هذه الكتابات. ولم يكن لوقوع ذلك الأخ في التردّد، وإن لم نقل الإحباط، في الواقع، سببًا حقيقيًّا، بل ذلك كان، كما قلنا، محض إحساس.

بدايةً، نحن حاولنا تسوية مشاكلنا مع الفنّانين. نحن المشهديّون نعبّر عن هذه الحال بالتشنّج. وعلى كلّ حال، هذه التشنّجات موجودة في مجتمع الفنّانين الذي يتميّز بتلك اللطافة والحساسيّة. وقد جرى هذا الشكّ في الأمور الاقتصاديّة والسياسة وحتّى في الحرب؛ وهذا عامل آخر من عوامل انحطاط جبهتنا.

لقد كنت أحدّث نفسي لو أنّ هذا الشكّ والتزلزل قد أصاب مجاهدينا، فما هي الفاجعة التي كانت ستحصل؟! تصوّروا أن يقع قادة الجبهة وعناصرها الأساسيّون في الشكّ فيتساءلون: هل النظام ملتزم بادّعاءاته أم لا؟ ما الذي كان سيحصل في الحرب؟ لقد حصل هذا الأمر، وإن لم يكن بهذا الهول، في ميدان الفنّ والفكر والأدب والثقافة. طبعًا لا يمكن المقارنة بين الأمرَين، إلّا أنّ حالةً مشابهةً قد حصلت في جبهتنا الداخليّة.

ومن العوامل الأخرى التي تساهم أيضًا في انحطاط هذه الجبهة وترهّلها انجرار عناصرها نحو النزاعات الحزبيّة التي أدّت إلى وجود فاجعة في هذا

**البلد في برهة من الزمن. فجأةً، ظهرت نزاعات بين السياسيّين ونوّاب المجلس وبين بعض المسؤولين الآخرين، وكانت نزاعات لا مسوّغ لها. وكلا الجناحَين كانا شريكَين في الجريمة، وكان في داخل كلّ منهما أشخاص جيّدون وآخرون غير لائقين، وكذلك أشخاص في الوسط.**

كان في خطاب كلا الطرفَين إيجابيّات، حاولوا إيجاد هذه الإيجابيات والترويج لها. ولكنّ ما أعتقده حول هذين الطرفَين – ليس اليوم بل من السابق – أنّ ما يحسنه كلّ من الطرفَين ليس عبارةً عن الاعتقادات والأصول، بل هي العواطف والأحاسيس القبَليّة! هذه ما أعتقده.

حينما أقمنا المؤتمر الثاني لـ"حزب الجمهوريّة الإسلاميّة"[الملحق ٨٧] – أعتقد أنّه كان في العام أربعة وستّين – وكانت الخلافات بين هذين الجناحَين قد بلغت الأوج، وكلّ طرف متعصّب للغاية، وكان الحزب الجمهوريّ الإسلاميّ هو مظهر أو ساحة النزاعات الرئيسيّة لهما، لأنّه كان يضمّ أفرادًا من كلا الجناحَين، لقد كان في الحزب أشخاص من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين[الملحق ٨٨].

كنت آنذاك أمينًا عامًّا للحزب، وكان لنا في كلّ أسبوع جلسة، وقبل ساعة أو ساعتَين من ذاك اليوم كانت قلوبنا تمتلأ بالآلام لأنّنا سنذهب لحضور جلسة يسيطر عليها الملل والنزاع!

تحدّثت في ذاك المؤتمر – وأدعو الله القبول منّا – واستعملت هناك اصطلاح القبيلة. قلت لهم أنتم قبيلتان، وبالاصطلاح جناحان حزبيّان. لا أقبل بأيّ شكل أن تطلقوا تعبيرات من قبيل أيديولوجيّتان فأنا لن أقبل بذلك. أنا أرى هذه الخلافات مثل الخلافات القبَليّة. يوجد قبيلتان، وفي كلّ منهما عناصر من كلّ التيّارات.

والعجيب أنّ في القبيلة "أ" أحيانًا كلام يشبه إلى حدّ كبير الكلام الموجود في القبيلة "ب"، والعكس صحيح. هذا أمر عجيب للغاية! لا يوجد

ما يعبّر عن هذا الأمر سوى تعبير القبَليّ. وهكذا نمت هاتان القبيلتان. وبعد تنظيم الحزب الجمهوريّ الإسلاميّ، أظهر كلا الطرفان أسلوبًا آخر في مجتمعه سواء كان ذلك في المجلس أم خارجه ٧١/٤/١٤.

**تنازعوا لسنوات دون جدوى، ثمّ خمدت نار النزاع بحمد الله، ولم تعد الخلافات شديدةً كالسابق. أحمد اللّه أن تقلّصت ووصلت تقريبًا إلى حدود العدم، وقد ظهرت هذه الثنائيّة في البيئة الفنّيّة والفكريّة الثوريّة والداخليّة. ولقد شرع بعض الأشخاص بشكل عبثيّ بترديد شعارات تتعلّق بتلك النزاعات دون أيّ سبب وجيه.**

**طبعًا، التقصير هنا كان من السياسيّين، فقد كانوا يظنّون أنّه ليس من السوء التصريح بآرائهم في هذه البيئة. لم يدركوا أنّهم عندما يسيئون إلى الشخصيّة الفلانيّة، فهم يهينون النظام بنحوٍ ما، ولا يدركون ما ينهار داخل مخاطبيهم حينما يطلقون كلامهم ذاك. ولكنّ لحسن الحظّ، فإنّ ذاك العامل انتفى في يومنا أو إنّه قليل الانتشار.**

إنّ المسألة الثقافيّة في الأساس ليست مسألة خطّ سياسيّ يساريّ أو يمينيّ. إنّها مسألة القيم؛ الوجود أو العدم، ونعم أو لا. الثورة والإسلام هما الهويّة الإسلاميّة والثوريّة لهذا البلد، فأغلب الناس في هذا البلد مسلمون ومتديّنون، ومن البديهيّ أن يكونوا مؤيّدين للإسلام وملتزمين بالنظام الإسلاميّ. حتّى ذلك المنحرف عمليًّا، فإنّ قلبه لا يزال مسلمًا، أي أنّه يميل ليكون النظام نظامًا إسلاميًّا وأن يستفيد من بركاته ٧٩/١١/٢٩.

إيّاكم أن تقحموا الصراعات السياسيّة في الأعمال الثقافيّة، فليس هناك فرق بين خطّ وآخر، الخطّ خطّ. والتحزّب حينها يعني ما يسمّى بالتفكير القبَليّ. فما هو التفكير القبَليّ؟ إنّه يعني في القبائل السابقة وحين يقوم فرد من هذه القبيلة بقتل شخص من القبيلة الأخرى، فإنّ قبيلة القتيل لا تهتمّ بمن يكون القاتل، لأنّ المسألة في الأساس ليست في من هو القاتل، بل تتوجّه إلى قبيلة القاتل وتقتل فردًا منها، أيًّا يكن هذا الفرد.

الحرب الحزبيّة أو ما يسمّى السياسيّة كانت في فترة من الزمان في بلدنا عبارة عن حرب قبَليّة، فكلّ مجموعة اتّخذت لاسمها عنوان الخطّ الفلانيّ، وكانت لا تبحث فيما بين الأفراد عن الجيّدين والسيّئين، بل البحث الأساس كان هل هو من قبيلتنا أم ليس كذلك.

لقد كانت المسألة في الأساس شبيهةً بالقضايا العائليّة والعصبيّات القوميّة، هذه خاصّيّة الأجنحة، وهو أمر ينطبق على كلّ جناح أيًّا كان. وإنّ كلّ مجموعة تفكّر بهذا الأسلوب فسيلحقها الضرر.

انتبهوا جيّدًا، لا تدخلوا أبدًا آراء الأجنحة من أيّ طرف في المسائل الثقافيّة، حيث تؤدّي هذه الأمور إلى الضرر وإيجاد المشاكل. ينبغي أن لا تسمحوا للاختيار أن يكون ناشئًا من هذه المسائل، فعندما تشاهدون زيدًا يعمل بشكل ضعيف في هذا المجال أو أنّه لا يعمل طبق السياسات والمعايير فلا تأخذوه بعين الاعتبار، ولا تقولوا إذا تدخّلنا هنا فسيقال أنّكم عملتم بحسب خطّكم. حسنًا، ليقولوا ما يريدون، فما الإشكال في ذلك؟! ٧٥/٢/٣١

**أمّا العامل الآخر، والذي هو امتحان كبير جدًّا يعترض طريق الجميع، فهو الدنيا ومظاهرها الخادعة. كانت الاهتمامات الماديّة في جبهتنا قليلةً وكانت الإمكانيّات بسيطةً. لكنّ المظاهر الدنيويّة كثيرة الجاذبيّة، وتخطف الأبصار والقلوب؛ كما خدعت بعض الأشخاص.** فعندما تطمع السمكة في التهام الدودة فإنّها تقع في الفخّ وينتهي الأمر! ٨٢/٥/٣٠

أعزّائي! إنّ شعار "بساطة العيش" كان أحد شعاراتنا ما قبل انتصار الثورة؛ وليس من شعارات الثورة، بل من شعاراتنا المحبّبة في مجموعة الأصدقاء التي كنّا فيها، حيث كنّا نفكّر معًا ونناضل معًا؛ العيش البسيط والعزوف عن مظاهر الدنيا. وبعد أن انتصرت الثورة عملنا على اتّباع هذا الأسلوب وهذا الشعار، وهذا المبنى؛ إمامنا العظيم كان بنفسه مظهرًا لهذا المعنى، كان إنسانًا لا يعطي قيمةً للمصالح الدنيويّة، وكان المرء يشاهد

حقيقة هذا الأمر وكيف أنّ هذا الإنسان المعنويّ العظيم لا يعير اهتمامًا لأيّ من المصالح أو التعلّقات أو التوجّهات الدنيويّة.

وطبعًا أنا لا أرى ضرورةً لتوضيح هذا الأمر لكم، أنتم بحمد الله أهل الفكر والإدراك والفهم، فما أشير إليه هو من ناحية الاستفادة الشخصيّة، وأنا لا أقصد عدم المبادرة إلى إعمار البلاد. هذه الأفكار كانت دائمًا من الشبهات التي ألقاها مخالفو الإسلام، كانوا يقولون بأنّ الإسلام يعارض الدنيا؛ أي يدعو إلى عدم إعمار الدنيا! لا، الدنيا التي يجري الحديث عنها هنا، هي الدنيا الشخصيّة؛ أي أن لا تسعوا خلف لذّات الحياة الدنيويّة بل عيشوها ببساطة.

على الصعيد الشخصيّ عاش أمير المؤمنين (ع) أزهد عيش، إلّا أنّه كان يعمل باستمرار، يزرع البساتين ويحفر الآبار، ويجاهد ويدير البلاد، ويرأس حكومة بتلك العظمة، كان يمارس العمل السياسيّ والإداري ٧٧/١٢/١٥. وأنتم تعلمون أن قسمًا هامًّا من **نهج البلاغة** يدور حول الزهد وعدم الرغبة في الدنيا ومظاهرها الخادعة، وسواء في الكلمات القصار أو الخطب أو الرسائل.

في هذا المجال، يقول السيّد الرضيّ أنّ كلام الإمام عليّ (ع) في **نهج البلاغة** حول الزهد في الدنيا وعدم الاهتمام بزينتها والعزوف عن زخرفها وغرورها وفتنتها هو "كلام من لا حظّ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة"[٢٥]، أي عندما يتحدّث عليّ (ع) في باب الزهد وباب العبادة وباب ترك الدنيا والاشتغال بهذه المسائل، يتبادر إلى أذهانكم أنّ هذا الشخص يمضي ليله ونهاره في العبادة وليس لديه عمل آخر سوى العبادة. وفجأةً تشاهدون هذا البيان وهذا النفَس وهذه الحنجرة ترد ساحة الحرب

(٢٥) **نهج البلاغة**، تحقيق هاشم الميلاني (النجف الأشرف: العتبة العلويّة المقدّسة-مكتبة الروضة الحيدريّة)، مقدّمة السيّد الرضي، الصفحة ٣٦.

وتعطي الأوامر القتاليّة وتضع أفضل التكتيكات للقتال.

لقد اهتمّ أمير المؤمنين (ع) في **نهج البلاغة** بكافّة المواضيع الإسلاميّة الهامّة كما أشرت، إلّا أنّه اهتمّ بشكلٍ خاصّ بعدد من المواضيع، وتطرّق إليها بشكل أوضح وأكمل وأكثر تفصيلاً. من جملة هذه المواضيع، موضوع الدنيا والزهد فيها وعدم الاهتمام بحطامها ومتاعها، وهو موضوع لا يمكن إلّا أن يبرز أمامكم إذا فتحتم نهج البلاغة وقرأتم عدّة صفحات منه. والإمام عليّ (ع) قدّم بيانات عجيبة وخالدة وقاصعة حول الدنيا وتحقيرها.

الزهد الإسلاميّ هو خصلة وصفة ثوريّة، وترك الدنيا لا يعني في الإسلام الابتعاد عن الناس والمجتمع على الإطلاق، ولا يقصد منه عدم العمل وعدم السعي أو نفي الجهد، لا بل إنّ أمير المؤمنين الذي تحدّث حول ترك الدنيا والزهد بهذا المقدار، كان أكثر الناس اشتغالاً وعملاً، وأكثرهم ارتباطًا بالميادين الاجتماعيّة والعمل الاجتماعيّ، سواء كان ذلك قبل خلافته أو أثنائها. كان (ع) دائم الحضور بين الناس في الحرب والجهاد، والتعليم والتربيّة، وكان بينهم في القضاء والحكم والمرافعات.

والخلاصة أنّه كان بينهم على امتداد ثلاثين سنةً بعد رحلة الرسول الأكرم (ص) حتّى شهادته. تحدّثت مرارًا بهذا الأمر، وهو أنّه عندما يقال إنّ عليًّا جلس في بيته خمس وعشرين سنةً، فهذا تعبير خاطئ، لأنّه لم يكن جليس المنزل أبدًا طوال هذه السنوات. كان عليه السلام في الميدان، وكان يعدّ من المستشارين والمسؤولين الحكوميّين الكبار. كان الإمام (ع) ملجأ الناس والخلفاء، يرجعون إليه ويستفيدون منه. كان يفسر القرآن ويعلّم الناس. كان بحقّ في وسط معترك الحياة، لم يبتعد في أيّ وقت عن السياسة والمجتمع والنشاط، إذ لا ينبغي للذين لم تُفتح لهم أبواب دخول الساحات أن يجعلوا هذا مبرّرًا لابتعادهم.

بناءً على ما تقدّم، فأمير المؤمنين الذي تحدّث عن الدنيا وتركها والزهد، كان أكثر الناس عملًا وحركةً وأكثرهم وجودًا في الساحة. إذًا الزهد لا يعني ترك النشاط والابتعاد عن المجتمع والناس، فما هو معناه إذًا؟ الزهد يعني عدم الغرق في الشهوات والأهواء الدنيويّة، وعدم الاكتراث باللذائذ الدنيويّة. إنّه يعني عدم التضحية بالأهداف الثوريّة والأصيلة والبنّاءة في الإسلام وسحقها تحت أقدام السلطويّين أو الدوافع الأنانيّة والدنيويّة. ولقد كانت هذه المحنة الكبيرة في المجتمع الإسلاميّ في زمن وصل فيه أمير المؤمنين إلى الحكومة والخلافة، لذلك ركّز الإمام في نهج البلاغة على هذا الأمر١٣/٢/٥٩.

لذلك إنّ غرضنا وهدفنا هو عدم التعلّق بالدنيا حيث إنّ عددًا كبيرًا من مشاكلنا يعود إلى تعلّقنا بها. وسواء كنت مسؤولًا في الحكومة أو عالمًا دينيًّا عليّ أن أكون يقظًا، وبالأخصّ نحن الذين نعدّ من الصنفَين، وذلك لخصوصيّات عندنا.

في وقت من الأوقات، كان يُقال الويل لمن جمع الاثنين، مسؤول في الدولة، وعالم دين. هؤلاء مشكلاتهم أكثر ومسؤوليّتهم أثقل، وتوقّع الناس منهم حقّ وفي محلّه، وهو أكثر أيضًا. والله سيسأل هؤلاء أيضًا أكثر من غيرهم لأنّ تأثير عملهم أكبر. علينا الانتباه جيّدًا، والآخرون أيضًا، وأنتم كذلك. الجميع ينبغي أن يكونوا منتبهين حتّى لا يقعوا في فخّ مشاغل العيش وتعقيداته وحتّى لا يغرقوا في الترف، عليهم أن يطلبوا من زينة الدنيا مقدار ما أحلّه الله تعالى. طبعًا لا إشكال في ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢٦]، إذ لا إشكال في المال أو الأبناء أو المقام والعناوين، لكنّ الاستغراق فيها وجعلها الأساس والهدف والتوجّه وحصر مصالح العيش ومسؤوليّاته فيها يؤدّي إلى الضرر١٥/١٢/٧٧.

---

(٢٦) سورة الكهف، الآية ٤٦.

لهذا السبب، ما يجب أن يُخاف منه كثيرًا اليوم هو "التكالب على الدنيا"، وعلى حطامها. و"التكالب"[الملحق ٨٩] تعبير عميق جدًّا، ومثَله أن يتهارش كلبان على جيفة، فلنعمل قدر المستطاع لتكون هذه الجيف بعيدةً عن البيئة التي تعيش فيها. ففي النهاية، شباب الأمس الذين كانوا يناضلون ويعملون، كانوا أشخاصًا جيّدين نزلوا إلى الميدان بإخلاص ونشاط، وكانوا حفاة الأقدام في الميدان. أمّا الآن فقد صرنا أشخاصًا مسنّين، عجزة، وأصبحت لحانا بيضاء ودخلنا جيلًا آخر. الآن نزل أبناؤنا إلى الميدان، فينبغي أن نسعى ليكونوا كما كنّا بالأمس، وأن نعمل كي ينظروا إلى الدنيا بتلك النظرة.

الخطر الكبير هو التكالب على الدنيا، وهو ما يضعّف بشدّة العدالة الاجتماعيّة في المجتمع، ويجعل الطبقات الضعيفة عاجزةً عن النموّ والتطوّر، ولا يسمح للمستضعفين والحفاة الذين هم الجنود الحقيقيّون للإسلام أن يبقوا في الساحة. فإذا ابتُليَ الخواصّ بالتكالب على الدنيا، فستظهر هذه المشاكل، وعندما يشعر الفقراء والمستضعفون والحفاة في البلد أنّ الخواصّ مشغولون بالدنيا وبأنفسهم وأقاربهم، وعندما يشاهدوننا لا سمح الله لا نتأثر بذلك، أو نكون معاذ الله من جملة المشتغلين بالدنيا، عند ذلك سيفقدون إيمانهم، أي يحصل العدوّ وبسهولة على ما يريده بيدينا نحن! لذا علينا الانتباه جيّدًا والاعتماد على الله تعالى وطلب العون والدعم منه، هذه هي المسألة وهذا ملخّصنا حول الثورة اليوم ٢٠/٢/٣٠.

**إنّ "الدنيا" التي نتحدّث عنها اليوم ليست عبارةً عن المال والمنزل والسيّارة الشخصيّة فحسب، إنّها أشياء أخرى، إبراز الاسم، سماع المديح والثناء، أو التمتّع باللذائذ الجنسيّة غير السليمة وغير الصحيحة، وكلّ الإمكانات التي تطلبها نفس الإنسان، هي الدنيا ومظاهرها. لقد ظهرت هكذا وساوس عند بعض الأشخاص. وهناك بالطبع بعض آخر وقف بالفعل وقاوم ببطولة. ولكنّ البعض، ولو كانوا ندرةً، زلّت أقدامهم في مواجهة هذه**

**الوساوس والمظاهر الدنيويّة، أشخاص كانوا قبل الثورة من أصحاب التمتّع بشهوات الحياة، ولكن جاءت الثورة لتغلق عليهم هذا الباب بالكامل.**

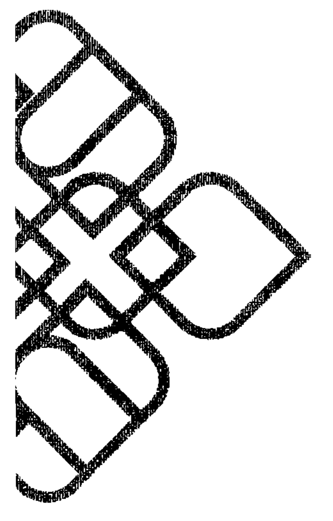
**في أحد الأيّام جاءني شخص وتحدّث بالسوء عن شخص موجود في هذا الاجتماع وتربطني به علاقة ومحبّة قويّتان، فقد قال: إنّ هذا الشخص كان قبل الثورة كذا وكذا ثمّ أخرج بعض الصور ليثبت صحّة ادّعاءاته. قلت له: إنّ هذه الصور والوثائق هي السبب ليصبح تعلّقي بهذا الشخص مضاعفًا - واللّه يشهد أنّها تضاعفت فعلًا - قلت له: لقد تضاعفت محبّتي له. إنّ ما تتلفّظ به أدّى إلى ازدياد تعلّقي به. هذا الشخص كان على ذاك النحو والآن أصبح هكذا؟! ولكنّ بعض الأشخاص لم يكونوا كذلك، أي إنّهم حتّى بعد مجيء الثورة لم يبتعدوا عن تلك المتع والوساوس. وهذا عامل آخر من عوامل انحطاط هذه الجبهة.**

أوجدوا في أنفسكم قوّة مواجهة الترهّل. الترهّل ليس مزحةً؛ فالمرء في معرض الترهّل والاضمحلال! تلك المطرقة التي تضربون بها الحديد لتخرجوه بأشكال متنوّعة تترك أثرها. ستجدون بعد مدّة حين تنظرون أنّ الحديد من أساسه قد لان، أي إنّه تأثّر بتلك القوّة الفعّالة، وظهر الأثر عليه.

فكروا في هذا الأمر. إنّ الميدان الذي تدخلون فيه هو ميدان خطير للغاية، لأنّ الفكر التنويريّ هو مقولة خطيرة. فلو أضحت الثقافة معزولةً عن العمل والحراك الخارجيّ – وأنتم مبتلون الآن بذلك – فلا حيلة أمامكم سوى أن تذهبوا لتجلسوا هناك وتؤسّسوا للكتابة والمطالعة والمباحثة. فالميدان هنا ليس حربيًّا وليس كالجبهة ولا التعبئة ولا الحركة الثوريّة! البيئة الفكريّة التنويريّة واحدة من أصعب الساحات. فيكفي أن أقول لكم أنّني كنت لسنوات طويلة أعيش في أجواء الفكر التنويريّ في البلد، شاهدت أشخاصًا من أصحاب هذا الفكر عن قرب، وقد دخل هذا المجال أشخاص جيّدون، وبعدها ماذا أصبحوا؟! وهذا يعني أنّ البيئة الفكريّة التنويريّة، بيئة عجيبة

قد يتطرّق إليها الترهّل بشدّة، فحاولوا أن لا تقعوا ومن مثلكم تحت تأثير الأمور السيّئة ١٢/٨/٧٦.





# التهديدات الخارجيّة

هنا لا بدّ من التطرّق بعدّة عبارات إلى جبهة العدوّ؛ وأقصد الجبهة المقابلة. فإذا ظنّ المرء أنّهم تشكيل منظّم وأفراد مثابرون فهو مخطئ جدًّا. ولعلّ القليل منكم يعرف عن تلك الجماعة ما أعرفه أنا. هم غير جديرين ويفتقدون الهدف والإرادة، ولا يهمّهم سوى المال والدنيا؛ الدنيا التي هي مقابل الآخرة، وخصوصيّة الدنيا هي في المال، وميزتهم في الأساس هي الضعف والخوف.

إنّ وضعي لا يسمح بذكر أيّ اسم، أو إذا ذكرت اسمًا فهو اسم اجتماعيّ معروف عندكم. أنا أعرف الكثير عن أجنحتهم المختلفة، وبشكل أساسيّ لا حصريّ أعرف الكثير عن كتّابهم وشعرائهم. لقد جالستهم وتحدّثت معهم وأعرف ما هي أوضاعهم. هؤلاء الذين إن تنظر إلى كتاباتهم أحيانًا تظنّ أنك أمام أسود، ولكن في الواقع ليسوا سوى ثعالب! يظهرون في الكتابة بمظهر، وعندما يشعرون بالأمن يصبح لهم شكل آخر؛ وشكل ثالث عندما تمتلئ بطونهم.

هؤلاء يوصفون بالعربيّة بأنّهم أهل "الدعة"، ولا أعرف ما يرادفها في الفارسيّة. هؤلاء تسيطر عليهم حالة الفلتان، ويتجلّى فيهم هذا المعنى، حيث يحرّرون أنفسهم من أيّة قيود! هكذا هم، فإذا شاهدت حركةً منظّمةً تصدر عنهم، مع كلّ ما هم عليه، فإنّها تكون ناشئةً من خارج المحيط الأدبيّ والفنّيّ والفكريّ، أي من المحيط السياسيّ والأمنيّ.

وإذا شاهدت مقالاتهم منسجمةً أو كتاباتهم متناسقةً أو أعمالًا منتظمةً تصدر عن الأجنحة المخالفة للثورة والغريبة عن الجمهوريّة الإسلاميّة والإسلام، وتنتشر في الداخل والخارج، فذلك غير صادر عن تجمّع المفكّرين المتنوّرين. هؤلاء أقلّ بكثير من هذا الكلام، أقلّ من أن يكونوا قادرين على امتلاك تجمّع سليم لا تنازع فيه ولا خلاف، أو أن يكون الواحد منهم مستعدًّا لتقديم غيره على نفسه. عالمهم ذاك يضجّ بالأنانيّة ويعتمر بالتكبّر!

وإذا أقمتم اليوم حلقة ودعوتموهم ليتحدّثوا خلف كاميرا تصوير، وقلتم

لهم حظّوا من قدر عدوّكم المشترك الفلانيّ، فستعلو الإشكالات فيما بينهم من يتحدّث أفضل، وأسرع، وأكثر إثارةً للاهتمام؛ نزاعاتهم واضحة ومحسوسة! إنّ ما أتحدّث عنه تشاهدون مصاديقه الواضحة اليوم، بمعنى أنّ بعض القنوات الإيرانيّة في الظاهر والتابعة لـCIA في الباطن، يستضيفون هؤلاء ليتحدّثوا ويتكلّموا.

لقد شاهدت بعض الأشرطة المسجّلة التي جيء بها. بعض الأشخاص أعرفهم وقد شاهدتهم عن قرب، والبعض الآخر أعرفهم عن بعد، أعرف مَن هم. كما شاهدناهم وعرفناهم قبل الثورة حيث كانوا يتخاصمون لأدنى مسألة، وما زالوا اليوم على ما كانوا يتنازعون، لمجرّد كلمة "أحسنت" تقال لأحدهم كانت أيديهم تمتدّ إلى أعناق بعضهم! كلمة واحدة تُشعل هذا وتُخمد ذاك.

جماعة كهذه، تتمّ إدارتها بواسطة أيادٍ أمنيّة-سياسيّة طبقًا لفكر معدّ ومنظّم مسبقًا ليكونوا معادين للجمهوريّة الإسلاميّة، حيث إنّهم يدركون تأثير الثقافة الإسلاميّة ويلمسون التأثير الثقافيّ على المجتمع. هذا بالإجمال حال جبهة العدوّ. إذًا هناك تشكّل صوريّ، لا تشكّلًا حقيقيًّا، هم في الواقع مجموعة كبيرة يتمّ استغلالها بواسطة أيادٍ فنّانة وللإنصاف ذكيّة وواعية. فيقولون لذاك كن أنت رئيس تحرير الصحيفة الفلانيّة، ويقولون للآخر اعمل على نقد الموقف الفلانيّ، وللثالث اكتب أنت بهذا النحو، وللرابع افعل كذا. طبعًا ليس بهذا التفصيل، ولكنّ هذا خلاصة الأمر. فتلك الأيدي تحرّك عناصر جبهة العدوّ بهذا النحو داخل إيران، ولا يخفى أنّ هذا التشكّل داخل إيران يتحرّك أفضل من الخارج لأنّ العناصر الموجودة في الخارج يتخلّفون عن أعمالهم بمقدار لهوهم بالحرّيّة والإمكانيّات والحانات وسهر الليالي، إنّهم يمضون ليلهم حتّى ساعات الصباح الأولى بالسمر وشرب الخمر والعربدة، فلا يتمكّنون في النهار من حضور الاجتماع في موعده.

أمّا في الداخل، وبما أنّه لا مجال لتلك الملاهي، فهم ينامون باكرًا ليلتحقوا في النهار بأعمالهم. من هنا يمكن القول إنّ وضع هؤلاء في الداخل أفضل من الخارج، ويأتي هؤلاء الأفراد ليستغلّوا أوضاع الجبهة الموافقة.

بالطبع، يظهر داخل عناصر الجبهة المخالفة - أولئك العناصر الذين أشرنا إلى أنّهم يمتازون بعدم الهمّة وعدم الكفاءة والجبن وعدم الجرأة على الحضور في الساحات - أفراد متقلّبون يُطلق عليهم أصحاب الأقاليم السبعة، لديهم استعداد عالٍ للتأقلم. عندما يجلسون في محيط آمن، يتحدّثون بشكل جيّد إذا أرادوا أن يتحدّثوا، وعندهم القدرة على تشخيص المواقع، ويمتلكون دقّةً عاليةً في معرفة الأشخاص ومشاهدة مكامن الضعف ومن ثمّ استغلالها.

هؤلاء يستغلّون مكامن الضعف في الجبهة الداخليّة الموافقة - طبعًا لا أقصد من الجبهة الموافقة هنا فقط الجبهة الفكريّة والفنّيّة، بل كلّ الجبهة السياسيّة والثقافيّة للنظام - فبمجرّد حصول مشكلة صغيرة في مجال معيّن في البلد نراهم يستغلّونها فورًا لإضعاف إرادة العناصر المؤمنة. وعندما يضعف عنصر يشرعون بجذبه نحوهم، وعندما يواجهون شخصًا من جبهتنا من أهل الاستقامة، يبدأون بسحقه بشكل منظّم، وإذا ما وصلوا إلى نقطة ورأوه خطرًا عليهم أو أملًا لمستقبل الجمهوريّة الإسلاميّة فإنّهم يبدأون بشنّ الحملات ضدّه، هذا ما تعمل عليه جبهة العدوّ.

لقد لجأ العدوّ في هذه الفترة من الزمن إلى خندق الحرب الثقافيّة مع الجمهوريّة الإسلاميّة. حيث يمتلك العدوّ أدواتٍ عديدة. نعم، هو فاقد للإيمان ولا يقين في قلبه ولا يعتمد على السنن الإلهيّة، كيده كيد الشيطان ولذلك فهو ضعيف. أمّا جهده فحثيث، ووسائله حديثة وماله كثير.

وإذا تمكّنّا من الوقوف مقابل هذا الهجوم، فسيخيب العدوّ بالتأكيد؛ والسبب ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[27]. ولكن إن أبدينا أيّ ضعف،

---

(٢٧) سورة النساء، الآية ٧٦.

**فسيتمكّن العدوّ من خلال هذه الحملة من إلحاق الخسائر في صفوفنا على صعيد البعد الثقافيّ.**

**هذا الهاجس أعيشه. وتلك الخسارة التي تطال إيمان جيل الشباب، هي أمر لا يعوّضه أيّ شيء آخر، كذلك تلك الضربة التي تفتك بالحركة الثوريّة لعامّة الناس؛ هذه هي ضربات الغزو الثقافيّ.**

**لم يجعل الله تعالى البعض يفهم** ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٢٨]**، والبعض غير جاهز للاعتراف بهذا المعنى. ولكنّني أرى وأشاهد هذا الغزو أمام عيني، وعندما يتمّ توضيح ذلك، يسمع الجميع ويدركون أنّ ذلك صحيح. والبعض يشاهد ما نراه من دون أن نقوم بتوضيحه، هم يشاهدونه مثلنا. فالغزو الثقافيّ هو أساس المسألة التي تقلقني.**

وفي هذا الجوّ، ما يؤسَف له في بلدنا أنّ البعض يحبّون المخالفة (خالف تُعرف)، فكلّ ما يقال يريدون أن يقولوا خلافه. وعندما يجري الحديث عن الغزو الثقافيّ، فإنّهم يرفضون ذلك من دون أن يكون لهم ما يستندون إليه، ويقولون أيّ غزو، فلا وجود له؟

لقد شاهدنا في الجمهوريّة الإسلاميّة عدّة أشخاص في حلقة تلفزيونيّة يحاولون إثبات أنّه لا يوجد غزو ثقافيّ من الأساس! إنّ الغزو الثقافيّ ليس شيئًا يمكن إنكاره؛ وليس أمرًا مختصًّا بنا، أو خاصًّا بهذا الزمان. فعندما أتحدّث عن الغزو الثقافيّ، فأنا أريد أن أبيّن شدّته؛ ألم يكن هذا الغزو منذ بداية الثورة ٧٦/١٢/١٨؟

ولنتعلّم من أمير المؤمنين عندما قال: "والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللّدم"[٢٩]، لست كالحيوان المصاب بالنعاس، أو كالحيوان الثقيل النوم حتّى أنام على حداء العدوّ لي بهدف اصطيادي. ينبغي أن لا تناموا،

(٢٨) سورة النور، الآية ٤٠.

(٢٩) نهج البلاغة، مصدر سابق، باب "المختار من خطب أمير المؤمنين وأوامره"، الخطبة ٦، الصفحة ٦٠.

فالانخداع اليوم جريمة، وإنّ عدم معرفة العدوّ والقيام بأفعالنا بكل إخلاص وتفانٍ هو جريمة أيضًا. إنّ العدوّ الأوّل الذي يهجم علينا هو الغفلة والنوم، هذا هو عدوّنا الأوّل، فعندما نصاب به يأتي العدوّ ليحكم ربط أيدينا ويشدّ وثاقنا، و"العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس"[٣٠]، ولا تستغل غفلته، ولا يمكّن العدوّ من الانقضاض عليه على حين غرّة ٥٨/٥/٢٤.

**الآن، ما هو "الغزو الثقافيّ"؟ يحصل هذا الغزو بشكلَين، أو لنقل أنّه على معنيَين، أحدهما أن يتوسّل العدوّ بالأسباب الثقافيّة بعد فشله بالوسائل العسكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وهذا يعني أن يلجأ إلى الإعلام، الفنّ، الكتاب، المقالة، القصّة، الأفلام المستوردة، وإنتاج السلع الثقافيّة الأخرى من خلال أشخاص يعيشون داخل إيران الإسلاميّة، إلّا أنّ قلوبهم لا تخفق لإيران وشعبها ومعتقداته ومصالحه، بل تخفق قلوبهم لمصالح أمريكا ولمصادر الفساد في الدول الغربيّة. هذا أحد المعاني.**

**كيف يمكن لصاحب اللسان الطلق والقلب النيّر والذهن الفعّال مواجهة الغزو الثقافيّ؟ يمكنه ذلك من خلال الخندق والحصن والسلاح الثقافيّ. إنّ أداة الثقافة ضروريّة، هذا ما نتحدّث عنه مع أهل العمل الثقافيّ باستمرار، نكرّره على مسامع البعض، ونتمنّى على البعض الآخر، نجمع البعض هنا، ونرسل الرسائل للآخرين بأن يهبّوا للعمل الثقافيّ. إنّ الجواب على العمل الثقافيّ الباطل هو العمل الثقافيّ الحقّ، ولمواجهة الشخص الذي يستخدم الأداة الثقافيّة، تكون الأداة الثقافيّة ضروريّةً.**

**أمّا المعنى الثاني للغزو الثقافيّ، فهو أن يتوجّه الهجوم على الثقافة الثوريّة الحاكمة على ذهنيّة المجتمع؛** أن يتدخّل العدو في ثقافة المجتمع بهدف تغييرها، وإيجاد التردّد في الأذهان وإخراج القلوب المؤمنة المستقرّة من حالة الاستقرار إلى حالة الاضطراب. وليس من الصعب القيام بالعمل

---

(٣٠) محمّد بن يعقوب الكليني، **أصول الكافي**، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة ٣، ١٣٨٨هـ.ش.)، كتاب العقل والجهل، الجزء ١، الصفحة ٢٧، الحديث ٢٩.

هنا، ومواجهته كذلك - إذا تمّ التحرّك بشكل صحيح - ليست صعبةً، إلّا أنّها تصبح صعبةً جدًّا إذا تمّ التغافل عن ذلك. فتصوّروا على سبيل المثال أنّ شخصًا أراد أن يشكّك في أصل وجود الله تعالى - والذي هو من المسلّمات - ويستدلّ على عدمه، فإنّ عمله صعب إلّا أنّ إيجاد الشكّ والترديد سهل، ولا بدّ من وجود حركة في مواجهة هذا الأمر ٧٦/١٢/١٨.

**كانت مواجهة الطاغوت إحدى الثقافات الأساسيّة المطلوبة في النظام الثوريّ الإسلاميّ. لم يكن أيّ شخص جاهزًا للمصالحة أو التعامل معه. كان الشارع الذي يحمل اسم الطاغوت ملعونًا، وكانت الفواتير التي طبع عليها اسمه تُرفض ولو كانت ذات قيمة. كان التحرّك المنسوب إليه منبوذًا، وكذلك تقليد الأعمال التي كان يقوم بها، حتّى اسمه كان مستنكرًا. لقد كان الشعب يعرف الطاغوت، لقد رأوه وعاينوا أفعاله، لكنّ ابنك ذو الخمسة وعشرين عامًا الآن لا يعرف الطاغوت، وابنتك التي هي الآن سيّدة في عمر العشرين أو الثانية والعشرين والتي قد تكون أمًّا لأطفال لا تعرف من هو الطاغوت وماهيّته.**

**حان الآن وقت هجوم العدوّ على النضال الذي جرى ضدّ الطاغوت والذي كان جميع الناس يؤدّونه قولًا وفعلًا وإحساسًا وعاطفةً في حياتهم اليوميّة، حان الوقت ليعيبوه. يبدأون بالقول لِمَ لا ولأيّ سبب؟ وماذا فعلوا؟ لماذا لا يحمل ذاك الشارع الاسم الفلانيّ؟ ولماذا يجب تغيير اسم الساحة الكذائيّة؟ ما هو الإشكال فيها؟ العدوّ يدخل بهذا النحو. هل تتصوّرون أنّ العدوّ قد ذهب وانتهى؟ لقد مات الطاغوت، لكنّ سلسلة الطواغيت في هذه الدنيا لم تهلك بعد، هي باقية إلى يوم الوقت المعلوم. لا يزال الصراع قائمًا. فمواجهة الطاغوت هي ثقافة هذا المجتمع ويجب الحفاظ عليها. إنّ العدوّ يريد أن يسلبكم الحساسيّة تجاه الطاغوت، فماذا ستكون النتيجة؟ النتيجة المتوقّعة أنّ الجيل الذي سيأتي والذي لم يعرف الطاغوت سيكون محلّ هجوم العدوّ.**

**في هذا الخصوص، من جملة مفردات ثقافة الثورة؛ الجهاد والسعي والنضال. كان الأصل عند الشابّ المؤمن أن ينجز عملًا في سبيل اللّه، فإذا قيل له تخلّفت عن درسك، كان يقول عليّ أن أؤدّي جهادي، وإذا قيل له ابتعدت عن العمل وعن الحياة، كان يقول عليّ أن أسعى وأعمل وأؤدّي جهادي.**

**بالطبع إنّ اللّه تعالى، وطبقًا لحكمته البالغة، قد وضع حمل الحرب المفروضة على عاتق هذه الأمّة. وإذا نظرنا من زاوية معيّنة، سنجد أنّ الحرب ما هي إلّا دمار وخراب وخسائر، إلّا أنّ اللّه تعالى قد جعلها وسيلةً وميدانًا لصناعة الروحيّات وبنائها على أيدي شباب هذا البلد.**

**لقد كانت الساحة ساحة عمل، والآن بعد انتهاء الحرب وبعد روحيّة الجهاد والنضال، فإنّ الساحة لا عمل فيها. ولو تمّت هداية هذه الروحيّات باتّجاه ميادين الثورة، فذلك حسن. وإذا لم يحصل ذلك، فستتحوّل إلى روحيّة معادية للجهاد. هذا الأمر يعدّ من مواضع هجوم الأعداء؛ فهم يحاولون القضاء على روحيّة الجهاد وجعل المجاهد في سبيل اللّه يندم على ماضيه الجهاديّ. هذه الأعمال التي يقوم بها الأعداء هي بعينها مصداق الهجوم.**

**بناءً على المعنى الثاني، فالغزو الثقافيّ بهذا المعنى عبارة عن لجوء العدوّ لطرق خاصّة بهدف الهجوم على أمّهات العقائد والأسس الثقافيّة في المجتمع، ممّا يجعلها متزلزلةً في القلوب. تصوّروا أنّ الهجوم يطال مسائل الزهد والتقوى والاعتقاد بأصل ولاية الفقيه.**

كما أودّ أن أشير إلى أنّ الغزو الثقافيّ يختلف عن التبادل الثقافيّ، فالتبادل أمر ضروريّ. وإنّ أيّة أمّة لا تستغني عن الاستفادة من الأمم الأخرى في كلّ المجالات ومن ضمنها المجال الثقافيّ والمسائل الثقافيّة.

وعلى مدى التاريخ كان الأمر كذلك وكانت الأمم تتبادل فيما بينها آداب العيش والأخلاق والعلوم والأزياء وآداب المعاشرة واللغات والمعارف



والدين. وهذا التبادل الثقافيّ كان أهمّ من سائر المبادلات الاقتصاديّة وتجارة البضائع، وكثيرًا ما أدّى إلى تغيير الدين في الدولة بأسرها، وعلى سبيل المثال فإنّ أهمّ ما حمل الإسلام إلى دول شرق آسيا كأندونيسيا وماليزيا وقسمًا مهمًّا من شبه القارّة الهنديّة كان هو السلوك الشخصيّ للمسافرين من أبناء الشعب الإيرانيّ وليس دعوات المبلّغين.

لقد ذهب التجّار والسياح الإيرانيّون إلى هناك، وتردّدوا إلى تلك البلاد، وكان عاقبة تلك الرحلات أن اعتنق الإسلام شعبًا كبيرًا – ربّما هو أكبر الشعوب الإسلاميّة اليوم – وهو الشعب الأندونيسيّ.

إنّ الذي حمل هذا الإسلام إلى هناك لأوّل مرّة لم يكن السيف ولا القتال بل تلك الرحلات التجاريّة والسياحيّة، وأمّتنا كذلك استلهمت الكثير من الأمم الأخرى، وهذا نهج ضروريّ لتجديد المعارف والحياة الثقافيّة في كلّ أرجاء العالم، وهذا هو معنى التبادل الثقافيّ، وهو أمر مرغوب.

أمّا معنى الغزو الثقافيّ فهو أن تشنّ قوّة سياسيّة أو اقتصاديّة حربًا على المبادئ الثقافيّة لشعب من الشعوب وذلك لتنفيذ أهدافها السياسيّة الخاصّة والتحكّم بمصير ذلك الشعب. إنّهم يفرضون بالقوّة أشياءً جديدةً على تلك الدولة وعلى شعبها من أجل ترسيخها بدلًا من ثقافة ومعتقدات ذلك الشعب. وهذا اسمه غزو.

إنّ الهدف من التبادل الثقافيّ ترميم ثقافة الأمّة وتكميلها، ولكنّ الهدف من الغزو الثقافيّ هو اجتثاث أصول الثقافة الوطنيّة والقضاء عليها. في التبادل الثقافيّ، تستلهم الأمّة الثقافة والأمور الملائمة والمناسبة لها. افرضوا أنّ العلم هو أحد الأمور المستلهمة، افرضوا أنّ شعب إيران لاحظ أنّ الشعوب الأوروبيّة تسعى بجدّ لتطوير نفسها مستفيدةً من روح المغامرة والإقدام وتعلم منها ذلك، فهذا أمر عظيم الفائدة، ويتّجه نحو شعوب الشرق الأقصى فيشاهد أنّ تلك الشعوب دؤوبة في عملها محبّة

للعمل وراغبة فيه فيتعلّم منها ذلك، هذا أمر جيّد جدًّا. يطّلع على البلد الفلانيّ ويرى أنّ شعبه يدرك قيمة الوقت، وهو دقيق ومنظّم، أهله أهل ودّ ووئام واحترام وأدب، فيتأثّر إيجابيًّا بتلك الخصال ويتبنّاها، فإنّ هذا أمر حسن أيضًا.

هكذا هي المسألة في التبادل الثقافيّ. ففيه تتمكّن الأمّة المستقبِلة للثقافة من اكتساب الأبعاد الإيجابيّة والمسائل التي تكمل ثقافتها، وكما يقصد الإنسان الضعيف الطعام أو الدواء المناسب حتّى يستعمله فيصحّ جسمه ويرتفع نقصه، فإنّ الأمّة تبحث عمّا يلائمها من الأمور الثقافيّة فتتعلّمها.

أمّا في الغزو الثقافيّ، فإنّ الامور التي تدخل على الأمّة المغزيّة لا تكون صالحةً لها، بل تكون أمورًا سيّئة. فمثلًا عندما شنّ الأوروبيّون هجماتهم الثقافيّة على بلادنا فإنّهم لم يأتونا بروحيّة الاهتمام بالوقت ولا بالشجاعة ولا بحبّ المغامرة في القضايا والبحث والتنقيب العلميّ، ولم يحاولوا بإعلامهم أن يصنعوا من إيران شعبًا محبًّا للعمل والعلم، لم يفعلوا هذه الأمور. لقد جاؤونا بالتحلّل الجنسيّ فقط. إنّ أمّتنا كانت منضبطةً جنسيًّا لآلاف من سنين مضت، أي إنّها كانت تراعي قضيّة تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، وهذا كان طوال العهد الإسلاميّ، ليس بمعنى أنّ أحدًا لم يكن يرتكب خطأً أو مخالفة، فالخطأ أمر واقع لا محالة في جميع العصور وفي مختلف المجالات، وأفراد البشريّة معرّضون للخطإ دائمًا. لكنّ ارتكاب أخطاء متفرّقة شيء، وأن يصبح الخطأ عرفًا اجتماعيًّا مقبولًا لدى الأمّة شيء آخر.

إنّ شعبنا كان شعبًا منزّهًا عن الخوض في اللهو والعبث والعربدة الواسعة، وهذه الأمور كانت منحصرةً بالمترفين والسلاطين والأمراء وأبنائهم ونسائهم وأمثالهم الذين كانوا يحيون ليلهم حتّى الصباح بممارسة الفواحش. ولأنّ الأوروبيّين كانوا يقضون ليلهم ونهارهم وأيّامهم

وتاريخهم في نوادي الخمور والفحشاء (هذا هو تاريخ أوروبا، اذهبوا وتحقّقوا من هذا الامر)، أرادوا أن يفرضوا علينا هذه العادة المشؤومة الفاسدة، وقد نقلوا هذا الفساد إلى شعبنا بمقدار ما كانوا يستطيعون.

في الهجوم الثقافيّ، يعطي العدوّ لهذا الشعب ذاك الجانب الذي يريده هو من الثقافة؛ ومعلوم ماذا يريد العدوّ. وإذا كنّا قد شبّهنا الأمّة المكتسبة للثقافة في باب التبادل الثقافيّ بإنسان يبحث عن علاج أو غذاء يشتريه ليتناوله، ففي الغزو الثقافيّ ينبغي تشبيه الأمّة التي يقع عليها الغزو بإنسان مريض ملقًى على الأرض ولا يقدر على الحراك ويأتيه عدوّ له ليزرقه إبرةً، فمن الواضح أنّ نوع الإبرة التي سيعطيها ذلك العدوّ المفترض تختلف جوهريًا عن الدواء الذي تذهبون بأنفسكم وتختارونه لوضعه في أبدانكم حسب الرغبة.

إنّ التبادل الثقافيّ فعل اختياريّ منسوب إلينا، أمّا الهجوم الثقافيّ فهو من فعل الأعداء واختيارهم. نتبادل ثقافيًّا لنتكامل ونكمّل ثقافتنا، والعدوّ يقوم بالغزو الثقافيّ ليجتثّ جذور ثقافتنا. التبادل الثقافيّ يتحقّق حين تكون الأمّة قويّةً وقادرةً، أمّا الهجوم الثقافيّ فيحصل عندما تضعف الأمّة. ولذا فإنّكم تلاحظون أنّ المستعمرين عندما قصدوا احتلال آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينيّة بعثوا الإرساليّات المسيحيّة والحركات التبشيريّة المسيحيّة قبل أن يرسلوا رجال السياسة والجند والعسكر إلى تلك المناطق. في البداية نصّروا السكّان الحمر والسود ثمّ ألقوا بحبال الاستعمار على رقابهم، ومن ثمّ طردوهم من ديارهم واجتثّوا أصولهم.

ولو عدتم إلى إيران نفسها في أواخر عهد القاجار، للاحظتم عدد القساوسة الذين جاؤوا بهم من أوروبا بهدف جعل شعبنا مسيحيًّا. لقد كانوا بدائيّين، ولم يعرفوا إلى أين يجب أن يذهبوا إذا أرادوا الترويج للمسيحيّة. لم يوفقوا في عملهم ولكنّهم كانوا يقصدون ذلك. ولا يمكن القول إنّ الرأسماليّين وأصحاب الشركات والمستعمرين الدوليّين يعتقدون

بحضرة المسيح! هؤلاء ما أدراهم من هو المسيح؟! هؤلاء، وحيثما وُجدت ثقافة وطنيّة تدافع عن وجودها، يعملون أوّلًا للقضاء على تلك الثقافة.

إنّ عملهم هو كعمل الجنود الذين يرغبون بالهجوم على قلعة محكمة، فيلجأون إلى إغراق أساساتها بالمياه عسى أن تنهار جدرانها. يعمدون بكلّ الوسائل إلى إضعاف هذه الجدران، هذا أوّل عمل يقومون به. أو أنّهم يعمدون إلى جعل أصحاب القلعة غافلين، وكما يذكر سعدي[الملحق ٩٠] في تلك القصّة التي يسردها في كتابه يقول: "إنّ النوم هو أوّل عدوّ هاجمهم"، حيث ثقلت أعينهم، واستولى عليها النعاس وتمكّن هذا العدوّ الداخليّ من إغماضها وشلّ حركة أيديهم، عندها جاء العدوّ وأوثق أيديهم وأخذ كلّ ما أراد.

هكذا يجري العمل في الغزو الثقافيّ، فمنذ متى بدأ؟ بشكل دقيق، منذ زمان رضاخان. وقد تمّت تهيئة مقدّمات ذلك قبله. وأنجزت الكثير من الأعمال حيث كانوا قد زرعوا المفكّرين التنويريّين التابعين داخل بلدنا.

وعندما جاءت الثورة الإسلاميّة، كانت بمثابة الضربة الموجّهة إلى صدر العدوّ، حيث أرجعته إلى الخلف وأوقفت الهجوم. في مرحلة بداية الثورة، شاهدتم فجأةً أنّ الناس وفي مدّة قصيرة بدأوا يشعرون بوجود تغييرات أساسيّة في أخلاقيّاتهم. ازداد الإيثار بين الناس، تناقص الحرص والطمع، ازداد التعاون والميل نحو الدين، وقلّ الإسراف، وكثرت القناعة. هذه هي الثقافة، هذه هي الثقافة الإسلاميّة.

بدأ الشباب يفكّر بالنشاط والعمل، وانتقل الكثيرون إلى القرى بعد أن اعتادوا حياة المدينة، أرادوا العمل والإنتاج، فتضاءلت الأعمال التي كانت تنمو كالعشب الضارّ في حياة الناس الاقتصاديّة. وهذا يعود إلى السنتين الأوليَين لبداية الثورة، أي في تلك المرحلة حيث تعطّلت مساعي العدوّ الحثيثة والجادّة لزرع بذور الأخلاق السيّئة، وبدأت الحركة نحو الإسلام،

وأُحييت من جديد تلك الثقافة والأخلاق والآداب والخلقيّات الإسلاميّة التي كانت موجودةً في فطرة شعبنا.

طبعًا لم يكن ذلك عميقًا، وإنّما يصبح عميقًا إذا تمّ العمل عليه سنوات عديدة؛ فلم تسنح الفرصة لذلك واستُأنف ذلك الغزو بالتدريج. لقد بدأ في وسط مرحلة الحرب وذلك بواسطة الأدوات التبليغيّة والأفكار الخاطئة والمنحرفة فتركت تلك الرواسب الذهنيّة والروحيّة آثارها على الناس؛ إلّا أنّ حرارة الحرب مجدّدًا وقفت مانعًا أمام ذلك حتّى انتهت الحرب.

بدأت هذه الجبهة الجديدة العمل بشكل جدّيّ بعد الحرب، وأدرك العدوّ بحساب أنّه لا يمكن القضاء على الجمهوريّة الإسلاميّة من خلال الغزو العسكريّ، وإنّ الحسابات الماضية كانت خاطئةً، ووجدوا أنّ القضاء عليها لا يمكن أن يحصل عن طريق الحصار الاقتصاديّ أيضًا. فهل من الممكن أن تهزم الأمّة التي تواجه الحصار الاقتصاديّ بالقناعة والصبر والاعتماد على النفس والتوكّل على الله تعالى؟! لا لن تهزم أبدًا. وقد جرّبنا هذا الأمر في الماضي خلال المنعطفات التاريخيّة والأمم الأخرى قد جرّبت ذلك؛ فهذا ليس أمرًا مختصًّا بنا.

لقد وجدوا أنّه لا يمكنهم تحقيق ما يريدون بالحصار الاقتصاديّ، وأدركوا أنّ عليهم أنّ يدمّروا خلفيّتنا. وإذا أردنا أن نضرب مثالًا للقضيّة فنقول إنّه في الحرب العسكريّة وعندما يلتحم الجنود في الخطوط الأماميّة بالعدوّ فإنّ الطعام يأتيهم من الخلف، والقوّات الجديدة تأتي من الخلف، وكذلك اللوازم الضروريّة، الرسائل الودّيّة من الآباء والأمّهات والأصحاب تصلهم من الخلف. فما دامت الخلفيّة سالمةً، فإنّ القوّات الموجودة في الخطوط الأماميّة تستطيع الاستمرار في الحرب.

ولكن إذا جاء العدوّ وقصف الخطوط الخلفيّة، فسينقطع الطعام وتدمّر الإمدادات، وسيقضى على القوّات البديلة ولن يكون هناك رسائل

تأييد ولا أهل يساندون؛ في هذا الوضع كيف سيتمكّن المجاهد من القتال في الخطوط الأماميّة؟! سيحاول البقاء لمدّة يومَين ولكنّه سيُقضى عليه.

كانت خلفيّتنا نحن الشعب الإيرانيّ، في مواجهة بلطجة الاستكبار العالميّ عبارةً عن ثقافتنا. ونطاق خلفيّتنا كان عبارةً عن الأخلاق الإسلاميّة، التوكّل على الله، الإيمان والارتباط بالإسلام، أي محبّة تلك الأمّ التي استشهد أربعة من أبنائها وهي تقول قدّمتهم في سبيل الإسلام، وهي راضية بذلك.

لقد شاهدت بعض العائلات عن قرب، أي إنّني ذهبت إلى بيوتهم وتحدّثت مع الأمّهات والآباء، لم يروِ لي أحد، رأيتهم بنفسي عن قرب، تلك العائلات التي كان فيها شابَّين أو ثلاثة وقد استشهدوا جميعهم، لم يكن الأمر مزاحًا، فهل من الممكن تحمّل هذه المصيبة؟ كان ينبغي أن تصاب الأمّ والأب بالجنون من الحزن، لكنّ تلك الأمّ والتي تتفوّق بعواطفها الجيّاشة كانت تقول بقوّة كاملة: لقد قدّمتهم في سبيل الإسلام ولا اعتراض عندي.

يا للعجب! إذًا هذا هو الأثر الذي يتركه الإسلام! هذا هو أثر الإيمان بالله تعالى! وقد فهم العدوّ هذا الأمر. يقول الأب والأمّ لابنهما أنت ما زلت في سنّ السادسة عشر، السابعة عشر، اذهب وتابع درسك. اذهب والعب، استمتع بحياتك، فإنّ أخوك قد ذهب واستشهد. فيقول الشابّ: لا! أنا عليّ واجب أيضًا يجب أن أؤدّيه للإسلام. نحن نقرأ هذه العبارات في وصايا الشهداء وقد سمعناه على ألسنة آباء وأمّهات الشهداء وعائلاتهم، هذا هو الأثر الذي يتركه الإسلام.

في يوم من الأيّام، تحدّث الإمام وقال للشباب أنّ الإسلام اليوم محتاج إليكم. بعد ظهر ذاك اليوم نزلت إلى الشوارع إذ كان لديّ عمل، فوجدت أنّ الوضع شبيه بالأيّام الأولى للثورة حيث كان الناس يتّجهون نحو "پاوه"، واستمرّت هذا الحركة وهذا المشهد حتّى نهاية الحرب. وأينما كان اسم

الإسلام وأمر الإمام يصلان إلى الناس - أوامر الإمام كانت أوامر الإسلام والناس كانوا يولون أهمّيّةً للإمام بسبب الإسلام - كانت الأمّة تتحوّل إلى زوبعة، فينطلق الشباب من المدن والقرى والجامعات والأسواق وأماكن العمل والكسب وميدان الكرة ومن كلّ الأماكن. لأجل أيّ شيء؟ لكي يضعوا أرواحهم في معرض الخطر، الأمر ليس مزاحًا! العدوّ لم يكن أعمى، بل كان يراهم. كان العدوّ يحلّل هذه الأمور ويدرك أنّ لهذه الأمّة خلفيّةً، وبأنّه لا يمكن إخضاع هذه الأمّة بالحصار الاقتصاديّ والعسكريّ وغيره ما دامت تلك الخلفيّة موجودةً.

لذلك كان عليه تدمير تلك الخلفيّة؛ ثقافة الأمّة، وأخلاقها وإيمانها وإيثارها واعتقادها بالدين والقيادة والقرآن والجهاد والشهادة؛ وبالتالي القضاء كلّيًّا على كلّ هذه الأمور؛ وبدأ العمل على ذلك. وكانت الأجواء بعد الحرب مناسبةً لذلك. فطالما كانت الحرب مشتعلةً كان الشباب منهمكين بها، كانت الحرب قد جذبتهم ولم يكونوا على استعداد للتجاوب مع تلك الحالة التي أرادها الأعداء، ولكن عندما خمدت هذه النار، أصبحت الأجواء مناسبةً، فخطّطوا بشكل واسع واستعملوا العديد من الأدوات. وعندما أنظر إلى تنوّع الأساليب التي اعتمدها العدوّ، أدرك كم أنّ القضيّة هامّة بالنسبة لهم. من جملة الأعمال التي قاموا بها تحقير وإهانة حركة الأدب والفنّ والثقافة في البلد وجعلها تعيش حالة الانزواء، هذه واحدة من أعمالهم.

من جملة الأعمال الهامّة التي قامت بها الثورة أنّها تمكّنت من إيجاد وتربية مجموعة من المثقّفين والأدباء والفنّانين أصحاب القدرات الثقافيّة، والحمد لله فهؤلاء ليسوا قلّةً. كما ظهر العديد من الشعراء والروائيّين والكتّاب الذين كانوا يملكون مهارةً خاصّةً ودقيقةً في تدوين الأدب الفارسيّ وبحمد الله هم موجودون. إلّا أنّه لا يزال هناك مسافة ليصبحوا أدباء الدرجة الأولى؛ نعم إنّ المؤهّلين ممّن أوجدتهم الثورة كُثُر.

إنّ وطننا في عصور الاستبداد وفي أواخر عهد الملكيّة أصبح عقيمًا، وأصبحنا لا نرى أشخاصًا كبارًا من كتّاب وفنّانين بالأخصّ في بعض الفروع الفنّيّة. ولكنّنا اليوم نرى الكثير من الشباب الجيّد من سينمائيّين وكتّاب مسرح ومخرجين وشعراء وكتّاب قصص. الثورة هي التي اطلقت هذه القوى.

من جملة الأعمال التي قام بها العدوّ عزل هذه المجموعات المؤمنة، فالشابّ عادةً يكون قليل التجربة، فبمجرّد أن يُرى في أحد الأجهزة الرسميّة – على سبيل المثال في أحد المراكز الثقافيّة – بعض الأشخاص يقابلونه بالعبوس، أو لا يهتمّون به، أو يستخفّون به، فذلك يترك أثرًا في حركته فتصبح بطيئةً. أو عندما يشاهد على سبيل المثال في بعض المجلّات المحلّيّة الأدبيّة والفنّيّة حضورًا أو مديحًا لشخصيّات مخالفة لهذا الخطّ وهذا النهج، ينقلب مزاجه وتتغيّر روحيّته. وعندما يذهب أحد صنّاع الأفلام بعمله إلى أحد المراكز ليقدّمه ويطلب العون في الاستمرار فيواجهونه بالرفض وعدم الاهتمام والصدّ، ثمّ يشاهد أنّهم قبلوا أعمالًا لا تصل من الناحية الفنّيّة إلى ما قدّمه هو، وقد قبلوها فقط لأنّها لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، هذا شخص سينزوي من تلقاء نفسه وسيسيطر عليه اليأس.

إنّ قلبي يحترق ويذوب لهؤلاء الشباب المؤمن والثوريّ. وكم من مرّة أسفتُ على عدم الاهتمام الذي يلحق بهؤلاء الشباب المبدعين، الذين لا ينقصهم شيء مقارنةً بمن يسمَّون فنّانين ومشاهير. وفي الكثير من الحالات هم أفضل منهم، إلّا أنّ أحدًا لا يهتمّ، وعندما يدقّق الإنسان في الموضوع يدرك أنّ للمسألة علاقةً بنوايا خبيثة موجودة في مكان ما! أمّا المسؤولون فغير ملتفتين. المسؤولون الثقافيّون هم أشخاص جيّدون إلّا أنّهم في المستويات العليا لا خبر لديهم عمّا يجري في المستويات المتوسّطة، لذلك يصاب هذا الشابّ أو هذه المجموعة من الشباب أو هذه الحركة باليأس.

ومن جملة الأساليب الأخرى التي يمارسها الأعداء في المحافل الدوليّة –

وهذا ما أشعر به واقعًا وأتمنّى أن يدرك الناس بوضوح تلك الآلام الصامتة – أنّهم يزدرون بالنتاجات الفنّيّة التي تحكي عن الروحيّات الثوريّة، مع العلم أنّ المحفل العالميّ الفلانيّ هو محفل غير سياسيّ، ولكنّ باطن المسألة ليس كذلك. هل لاحظتم ما تقوم به المحافل الدوليّة؟ هل لاحظتم ماذا فعل مجلس الأمن والأمم المتّحدة في قضيّة البوسنة والهرسك[الملحق ٩١]؟ هل شاهدتم ماذا فعلت المنظمة الدوليّة للطيران المدنيّ ICAO[الملحق ٩٢] في قضيّة الطائرة الإيرانيّة التي أسقطتها أمريكا؟

الأمريكيّون أنفسهم اعترفوا أنّ التقرير الذي أعدّته المنظّمة كان بالتعاون مع الجيش الأمريكيّ، مع العلم أنّ منظّمة إيكاو هي منظمة دوليّة غير منحازة. فلو قلنا حينها إنّ المنظّمة أعدّت تقريرًا منحازًا لانبرى البعض ليقول إنّنا متشائمون وأنّنا نحدث بلبلةً وأنّ إيكاو منظّمة محايدة فما هي علاقتها بالأمريكيّين وغيرهم؟ تفضّلوا! بعد مضيّ ثلاث أو أربع سنوات من هذه الحادثة اعترف الأمريكيّون أنفسهم أنّ الجيش الأمريكيّ هو الذي ساهم في وضع تقرير تلك المنظّمة والذي بيّن أنّ أمريكا غير مقصّرة في إسقاط طائرة الإيرباص الإيرانيّة! هكذا هي المحافل الدوليّة.

ومن جملة المنظّمات أيضًا المنظّمة التي يطلق عليها اسم "منظّمة العفو الدوليّة"[الملحق ٩٣]. في الظاهر هي لا تحمل أيّة دوافع سياسيّة كمعاداة فلان أو فلان. إلّا أنّ سباتًا عميقًا حلّ بهذه المنظّمة! في البوسنة والهرسك يقتلون آلاف الأشخاص، يتساقطون كورق الخريف، والمنظّمة غائبة بالكامل. لكن عندما نوقف جاسوسًا خبيثًا ومخبرًا لئيمًا ونصدر حكم الإعدام بحقّه – وهو أقلّ بكثير من الجنايات التي ارتكبها بحقّ هذا الشعب – فإنّ المنظّمة تقيم الدنيا ولا تقعدها بأنّه في إيران يحصل كذا وكذا! أهؤلاء غير منحازين، وغير سياسيّين؟! وهذه الأعمال بعينها تقوم بها المحافل الدوليّة الفنّيّة فيما يتعلّق بأفلامنا وأعمالنا المسرحيّة وإنتاجاتنا الخاصّة بالأطفال وغيرها. فكيف يمكن للشخص أن يغمض عينيه ويقول إنّها أمور

غير سياسيّة.

لماذا وفي جميع الحالات التي قدّموا فيها الجوائز نرى غيابًا كاملًا لكلّ أثر ثوريّ، ألا يوجد عندنا أفلام ثوريّة؟! ألا يوجد عندنا شعر ثوريّ؟! ألا يوجد عروض ثوريّة؟! إنّ كلّ النتاجات الثوريّة التي قدّمها شبابنا، ألا يحمل أيّ منها قيمةً فنّيّةً؟! وأنا أحتمل أنّه لولا خوفهم من إراقة ماء الوجه لقدّموا جائزة نوبل لواحد من هذه العناصر المعادية للإسلام والمعادية للثورة بهدف تضخيم هؤلاء في العالم، وبالتالي إزواء العناصر الثوريّة. أليس هذا غزوًا ثقافيًّا؟!

الغزو الثقافيّ كالعمل الثقافيّ هو ممارسة تتّسم بالهدوء وعدم إثارة الضجيج. وتتمثّل إحدى وسائل الغزو الثقافيّ بفكّ عرى ارتباط الشباب المؤمن بدعائم الإيمان الذي يعدّ عنصر حفظ الحضارة؛ تمامًا كالذي فعلوه بالأندلس قبل قرون حين دفعوا الشباب إلى مستنقع الفساد والشهوة والسكر، هكذا يحصل الآن.

لقد ذكرت مرارًا أنّ البعض تدمى قلوبهم عندما يرون النساء في الشارع لا يتمسّكن بالحجاب المناسب، من الطبيعيّ أنّ هذا الأمر سيّئ، ولكنّه ليس المنكر الأساسيّ. المنكر الأساسيّ لا ترونه في الشارع. لقد سأل شخص آخر: ماذا تفعل؟ أجاب: أقرع الطبل! فسأله: ولكن لماذا لا يسمع صوته؟ أجاب: غدًا سيسمع الصوت!

فإذا لم تكونوا أنتم، الشعب والعناصر الثقافيّة، على مستوى عالٍ من اليقظة - لا قدّر الله - فإنّ أصوات انهيار القيم المعنويّة الناتجة عن الهجوم المعادي الخفيّ والذكيّ ستسمع متأخّرةً، ولا قدّر الله، عندما لا يكون الأمر قابلًا للعلاج! ماذا سيحصل إذا أحكموا الحصار حول شبابنا الذين عاشوا الجبهة والحرب؛ في البداية يضعون بين يديه شريط فيديو، ثمّ يستدرجونه إلى مشاهدة الأفلام الجنسيّة الخليعة؛ يثيرون شهوات

الشابّ ويجرّونه إلى مجالس الفساد! عندما يستند المفسدون إلى أطر منظّمة في ممارسة عملهم فإنّهم يفسدون الشابّ وهو في عنفوان شبابه، وهذا ما يفعله العدوّ الآن.

في هذا الإطار، لديّ معلومات من مختلف مدن البلاد، تصلني بحيث لا يكاد يمرّ يوم إلّا وأسمع مثل هذه الوقائع. مَن الذي يفعل ذلك غير العدوّ؟ تهيمن الشهوة على الشابّ ويفقد إيمانه. حتّى هذا الشابّ يبكي في بادئ الأمر ولكنّهم يدفعونه نحو هذا المنحدر بالتدريج. إنّ الأعداء يمارسون اليوم عمليّة إفساد أولادنا في المدارس بهذا النحو، ويجري هذا الأمر في الثانويّات وحتّى في المدارس المتوسّطة. يجدون أشخاصًا يقومون بتوزيع المخدّرات والصور الخليعة بين التلاميذ داخل المدرسة.

أتوجّه إليكم بالسؤال: إذا أبدى مدير مدرسة معيّنة إحساسًا بالمسؤوليّة وخشي عاقبة فساد خمسمئة أو ستمئة أو ألف شابّ يافع من الطلّاب الذين أوكلت إليه رعايتهم، فقام بمعاقبة صبيّ تحوّل إلى آلة بيد الأعداء وهو يوزّع الهيروين داخل المدرسة وبين الطلّاب، فماذا نقول لهذا المدير؟ هل نقول له "إنّ أسلوبك في معاقبة الصبيّ المخطئ يتعارض مع الحرّيّة؟ وأيّ أسلوب هو هذا؟ أنت ضدّ الحرّيّة!" هل هذا الكلام صحيح؟ هل يُخَطّأ مدير مدرسة مسؤول عن مصير ألف فتىً يافع، وقد تحمّل مهمّة تربيتهم وهو لا يريد أن يعودوا إلى آبائهم مدمنين فيقال له: كلّا، لم يكن تدبيرك صائبًا، يجب أن تمنح هؤلاء الشباب حرّيّة الاختيار! فليوزّع الهيروين ومن لا يرغب به بمقدوره أن لا يتناوله! إنّ مسؤوليتك تنحصر في حدود الحديث عن مضارّ الهيروين وحسب! إنّ هذا النمط من التصرّف هو في الواقع من الغزو الثقافيّ. يتّهمون النظام الإسلاميّ بأنّه قمعيّ ويمنع الحرّيّة، ولكن كيف لا نمنح نحن الحرّيّة؟

إنّ العناصر المؤمنة الداخليّة قادرة على الوقوف في وجه الغزو الثقافيّ، فأكرموا هؤلاء أينما وجدوا. هذا هو كلامي، أقول للمسؤولين الثقافيّين

في البلد، بدءًا من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة الإرشاد الإسلاميّ إلى منظّمة الإعلام الإسلاميّ إلى كافّة المؤسّسات والمراكز الثقافيّة، أن استعينوا بهذه العناصر المؤمنة. طبعًا أنا لا أقصد أن تعمدوا إلى الشابّ غير الثوريّ فتطردونه؛ كلّا. هكذا أمر لا يقول به أحد. وفي الأساس هذا ليس منطق الإسلام وليس منطق الثورة. أعطوا الفرص للجميع، اسمحوا لكلّ من يرغب بالعمل لهذا الشعب، وأقول لا تسمحوا بانزواء العناصر المؤمنة.

إذا شنّ عدوٌّ هجومًا عسكريًّا على بلد، فمن سيقف في مواجهته؟ سيقف أمامه كلّ من تربطه ببلده علاقة أقوى من الآخرين، من تربطه بأمّته علاقة أقوى، من لم يتعلّق بزخارف الدنيا، من يشعر بالمسؤوليّة أكثر، ومن هو أشد التزامًا. هكذا شخص هو الذي يذهب للدفاع عن البلد. وأنتم شاهدتم في مرحلة الحرب مَن الذي ذهب للدفاع عن البلد؟ التعبئة كانوا يشكّلون الأساس في الجبهة. التعبويّ هو هذا العنصر المؤمن الثوريّ المهتمّ بمصير بلده ووطنه والمضحّي، وهو الذي ذهب إلى وسط ساحة الحرب وجعل العدوّ يركع.

وهكذا الحال في الثقافة، فالشخص المرتبط بالجهاز الشاهنشاهيّ، والذي ما زال قلبه يخفق لتلك الأيام، لن يكون جاهزًا للدفاع عن النظام والثقافة الإسلاميّة، فلماذا يجب أن نكون في غفلة؟! إنّ الذي يدافع عن الثقافة الإسلاميّة وعن حيثيّة هذه الأمّة ووجودها والذي يقف أمام هجوم العدوّ هو الذي يخفق قلبه للإسلام ويحبّ الإسلام وإيران.

بعض الذين لا دين لهم لا يحبّون وطنهم ولا يقبلون بإيران. فالذي يرضى بسلطة أمريكا على إيران ويشجّع على ذلك هو غير محبّ لوطنه، فهل سينهض هؤلاء بأقلامهم المسمومة لمواجهة الغزو الثقافيّ والدفاع عن الثقافة الوطنيّة والإسلاميّة والإيرانيّة؟! طبعًا لن يفعلوا ذلك.

من الواضح أنّ هؤلاء يشكّلون الطابور الخامس للعدوّ؛ هذا يعمل لمصلحة العدوّ، وذاك يطلب من الله أن يعود الأمريكيّون ويعود النظام التابع لأمريكا والاستكبار والاستغلاليّين. فهل سيعمل هذا الشخص لأجل النظام الإسلاميّ؟ أو سيسعى لأجله؟ طبعًا لن يفعل ذلك! هذه حقيقة واضحة، عليكم الانتباه جيّدًا، أنتم أصحاب المسؤوليّات في الإذاعة والتلفزيون، وأنتم المسؤولون في الصحف، وأنتم في منظّمة الإعلام أو في وزارة الإرشاد والتربية والتعليم أو التعليم العالي أو في المؤسّسات الثقافيّة الأخرى، عليكم جميعًا الانتباه جيّدًا إلى هذه المسألة. الجميع مسؤول، ولا أقصد بالمسؤول الرئيس؛ "كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته"[٣١]، فالجميع مسؤول، وعليكم الالتفات لهذا المعنى.

إنّ هذه الأمّة تحتاج إلى الجهاد والمقاومة والصمود أمام الغزو الثقافيّ للعدوّ، وتحتاج للهجوم على مواطن ضعف العدوّ لأجل الحفاظ على حيثيّتها وكيانها الحقيقيّ والإنسانيّ والإسلاميّ والثوريّ وعلى ثقافتها الوطنيّة. هذا ما يمكن أن يفعله أبناء هذه الجبهة. وأقول إذا أردتم للفنّ أن يرقى ويتعالى في هذا البلد، اعتمدوا على الفنّان الشابّ المؤمن، هذا الشخص هو الذي يمكنه الدفاع عن الإسلام وعن الثورة وعن هذا البلد ٢١/٥/٧١.

**عندما ترون أنّني أطرح مسألة الغزو الثقافيّ وأشدّد عليها، فذلك لأنّ الألم يعتريني من جرّاء هذه المسألة، وقد بذلت جهودًا، وما زلت بفضل اللّه، وأتدخّل في تفاصيل المسائل أحيانًا حتّى إذا أشكل عليّ شخص في هذا المجال قدّمت له الجواب في خطاب آخر، إنّ كلّ ذلك لأنّني أرى هذه الساحة بشكل واضح، وأرى كيف أنّهم يستفيدون من قدراتهم فيستغلّون نقاط الضعف الموجودة في الجمهوريّة الإسلاميّة.**

وأنا أدرك بأنّه إذا التفت الجيل الحاضر، أي الشاب والمفكّر والواعي

(٣١) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٧٢، الصفحة ٣٨، الحديث ٣٦.

والعالم الروحانيّ والشخص المتواجد في أجواء هذه المسائل، وأقرّ بأنّ العدوّ يرغب بالهجوم على قيمه الفكريّة والثوريّة، عند ذلك يمكن حلّ أكثر من نصف القضيّة. وذلك شبيه بالعدوّ الذي يريد الهجوم على حدودنا بهدف اجتياحها، فإنّكم ترتاحون لمجرّد وجود قوًى عسكريّة فعّالة وجيّدة تدرك ما يريد العدوّ، وواضح كيف أنّ بقيّة الأعمال ستنجز من تلقاء نفسها ٧٦/١٢/١٨.

الحركة لا ينبغي أن تكون دفاعيّةً بشكل دائم، وأنا لا أنسى بداية الثورة حيث كانوا يستهدفون بهجماتهم الإعلاميّة بعض الأشخاص ومن جملتهم السيّد بهشتي. في ذاك الوقت، قرّرت وبشكل صريح الدفاع عنه. تحدّثت في عدد من الخطب الكبيرة والهامّة وأتيت على ذكر اسمه، وفي أحد الأيّام كنت أجيب في جلسة مفصليّة على الأسئلة حول موضوع كنت أتحدّث عنه، كانت الأسئلة تكتب وأنا أقرأها وأجيب عنها، وكان أحد الأشخاص حينها قد كتب لي بأنّك كيف ستدافع عن تلك الأفكار – وأنا لا أذكر بالضبط الأفكار التي كنت أتناولها – قلت له: أنا لا أدافع عن تلك الأفكار بل أنا في حالة الهجوم، أيّ دفاع نتحدّث عنه؟ واليوم تعود القضيّة عينها؛ عليكم أن تتّخذوا موضع الهجوم في مقابل هجوم العدوّ، وليس موضع الدفاع ٧٦/١٢/١٨، لأنّ تلك الثقافة هي ثقافة خاطئة، فهل ينبغي علينا أن نسمح لتلك الثقافة الخاطئة أن تدخل إلى فنّنا ٧١/٩/٤؟!

عندما كنت أتحدّث حينها، حمل البعض كلامي على الدوافع السياسيّة، ولكن بيننا وبين الله لم يكن يوجد أيّ دافع سوى الدافع الإلهيّ. لم يكن يوجد أيّ دافع سياسيّ. والوضع الآن هو على هذا النحو، على أساس معرفتي بالمجلّات وأنسي الشديد بالثقافة المكتوبة في هذا البلد. أطالع بعض المجلّات الرياضيّة كذلك. في تلك الأيام – في عامَي واحد وسبعين واثنين وسبعين – كنت أرى أيّة مسائل كانوا يحشونها في ثقافة المجتمع.

لقد بدأت المسألة من هناك؛ كانت بداية المؤامرة، وقد تحدّثت في تلك المرحلة حول الغزو الثقافيّ، طبعًا الآن أبعاده الواسعة باتت واضحةً في المجتمع. نحن نتعرّض الآن حقيقةً للغزو، إلّا أنّ هذه الثقافة التي بدأت تدخل إلى روح هذه الثورة وهؤلاء المؤمنين والإسلام والمتديّنين وتفعل فعلها فيهم - وذلك من خلال مجموعة صغيرة - لها بعد سياسيّ؛ وهذا ليس بالأمر الثقافيّ.

في بعض الأحيان، لا يقبل الإنسان بفكر معيّن، ويقوم برفضه من خلال ردّه فلسفيًّا، ولكنّ هذه الثقافة ليست على هذه الشاكلة. تلك الموجودة في الساحة الآن تحمل إرادةً سياسيّةً وتوجّهًا سياسيًّا. طبعًا ما أنتظره من الأعزّاء والأصدقاء الحاضرين من هذه الفئة هو أن يتعاطوا مع المسألة الثقافيّة والاصطفاف الثقافيّ في مواجهة العدوّ بمزيد من الجدّيّة.

هذه هي مسؤوليّتنا، وهذا هو الشيء الذي إذا قُتلت في سبيله، أشعر أنّني قُتلت في سبيل الله. وكل مَن يُقتل في هذا الطريق فقد قتل في سبيل الله، وكلّ مَن يتحمّل مشقّة في هذا الطريق فقد تحمّلها في سبيل الله. المسألة ليست صغيرة، العدوّ يحاصرنا من جميع الجهات، عن طريق الكتاب، والصحيفة، والراديو والتلفزيون والإذاعات الأجنبيّة ووكالات الأنباء وفبركة الأخبار وإنتاج أنواع الوسائل الثقافيّة وأقسامها.

أمّا أن نجلس مكتوفي الأيدي، لا بل أن نساعد في هذا المضمار فهذا غير مقبول. النظام الإسلاميّ يجب أن يدافع عن نفسه، وهناك الكثير من المخزون الثقافيّ والكلام الذي يمكن أن يُقال في الدفاع عن حقيقة الإسلام والثورة ٧٨/٩/٢٢.

**إنّ البُعد الأساس الذي يركّزون عليه هو إضعاف الإيمان ومحو الآمال وتشتيت الجبهات وجذب الرساميل. وإنّ هذه النقاط التي تحدّثت عنها تشكّل أساس عملهم. أمّا إذا رفضتم ذلك وقلتم شكّلوا لجنةً أو باشرتم بأنفسكم لقراءة ومطالعة خلاصات عن مقالات نفس هذه المجلّات المعَدّدة**

- هذه المجلّات التي تطبع وتنشر في الخارج وتأتي منه - وقرأتم الشعر الذي ينظّمون، والقصص والعروضات الفنّيّة التي يكتبون، واطّلعتم على ماهيّة الأوضاع السائدة وما يرغبون القيام به، ستدركون أنّه تمامًا كما بيّنت! هم يريدون إضعاف الإيمان ومحو الآمال. يريدون جذب الرساميل والسيطرة عليها إن وُجدت. يريدون إلقاء الخلافات وإيجاد التشتّت في الجموع؛ هذه الطريقة التي يتّبعوها.



# انتظار الثورة
# من الجبهة الثقافيّة

إنّ استعراض القوى الثقافيّة ينبغي أن يكون استعراضًا دينيًّا، إسلاميًّا وثوريًّا؛ فهذا ليس فيه مساومة ٧٨/٩/٢٢. اسمحوا للبعض أن يجتنبكم بسبب شعاراتكم، فما أريده هو أن تحتفظوا ببعض خصوصيات الثورة. البعض يتجرّأ الآن على مسائل الثورة الأساسيّة! وكما يقال: تساهل مع المدين يصبح دائنًا. لم يكونوا من قبل يجرأون على إبداء آرائهم في المسائل الواضحة – وإن كانت أفكارًا نظريّةً – الآن يسألون ويبحثون في المسائل الواضحة وفي بيّنات الثورة؛ يبحثون بخبث! وإلّا لو كان بحثهم صحيحًا لكان نافعًا لنا، إلّا أنّ أبحاثهم مغرضة وخبيثة ٧٦/٨/١٢.

يجب أن تدركوا جيّدًا لماذا تجاهدون وتناضلون وتسعون وتتقبّلون النواقص، أليس ذلك لأنّكم تصنعون الحدود؟ لقد أوجدتم حدودًا وتريدون الدفاع عنها، تبغون أن لا يتسلّط الفنّ التابع لقوى الظلم والهيمنة الاستكباريّة والملوث بأنواع المصائب البشريّة والحيوانيّة على أذهان مجتمعكم. أنتم لا ترغبون بالعمل في إطار الأهداف التي يُعمل لأجلها اليوم في الكثير من الأماكن، هذا هو مطلبكم. فما هو الفنّ الإسلاميّ الذي نتحدّث عنه؟ يعني أن يوجد فنّ يتطابق مع مضمون وأهداف وغايات الإسلام ليكون سدًّا أمام الفنّ الذي يؤدّي إلى انحراف الإنسان، وضياع الشباب، وإلهاء البشر بالأمور الوهميّة والكاذبة، ومنع الإنسان من الوصول إلى الكمالات المطلوبة له، والذي يؤدّي به، على المستوى العمليّ، إلى مساعدة الظلمة، وعدم الدفاع أبدًا عن المظلومين في العالم، ووضعه في خدمة سلطة المستكبرين وثرواتهم؛ ليقف هذا الفنّ الإسلاميّ ويحول دون أن يسيطر ذلك الفنّ على أذهان الناس. ونحن لا نملك هدفًا آخر غير هذا.

إذًا يجب أن يكون كلّ شيء محكمًا عند الحدود؛ هذا هو كلامنا. أنتم تدافعون عن الحدود. في داخل شوارع مدينة طهران، من الممكن أن نغضّ الطرف عن شيء من المراقبة والانتباه. نحن لا ندقّق ولا نتوقّع الخطر من المارّة والعابرين. ولكن عندما نكون عند حدود البلد، فلا يمكننا التصرّف



براحة واطمئنان، وبالأخصّ إذا كنّا عند حدود تتعرّض لهجوم العدوّ - كالحدود مع العراق مثلًا. قد لا تنتعلون أحذيتكم هنا، لكن هناك ينبغي أن تكون أسلحتكم بأيديكم. فإذا جاء ذاك اليوم الذي تنتهي فيه الحرب هناك، وتنعم تلك الحدود إن شاء الله بالأمن ويبتعد العدوّ ويصبح عاجزًا عن الاعتداء، هناك سنبني ونزرع ونشيّد الحدائق ونفرش السجّاد ونجلس لنرتاح وننعم بالاطمئنان. لكن ماذا نفعل الآن؟

حدودنا اليوم في حساسية. عندما نمشي في تلك المنطقة، لو أردنا أن ننشد شعرًا فيجب أن يكون حول الحرب، ليذكّرنا دائمًا بالعدوّ، ويلفتنا أن لا نغفل عن أسلحتنا! طبيعة الحدود هي هذه، وهي تختلف عن داخل دائرة الحياة العاديّة.

وفي مجال الفنّ، إذا فقدت مجموعة المدافعين عن الحدود تلك الدقّة في حفظ ورعاية المعايير، عند ذلك سيصل الضرر إلى حدودنا.

لا ينبغي أن نسمح للعدوّ الذي يتمتّع لأسباب عديدة بمجموعة من الإمكانيات أن يصنع لنا أجواءً نشعر معها أنّنا مجبرون على اتّباعه! سواء عملنا بشكل سلبيّ أو أنّ العدوّ استثمر أكثر في هذا المجال؛ وإلّا فمن أين تأتي تلك البهارج التي ترونها على موائدهم؟ كيف يتمّ تأمينها؟ لا بدّ أنّ هناك استثمارات، وبكلّ حال فهذا يدلّ على أهمّيّة القضيّة أكثر.

إنّ الالتزام بالأصول هو الشرط اللازم في أيّ جهاد حقيقيّ، من البداية وحتّى النهاية يجب الالتزام. لقد كان الإمام رضوان الله تعالى عليه حكيمًا حقيقيًّا. لقد شاهدنا مواضيع متعدّدة في معنى الحكمة وتفسيرها سواء في الآثار الفلسفيّة أو الإسلاميّة، إلّا أنّنا عاينّا تجسّم هذه الحكمة في الإمام.

الحكيم هو الذي يبيّن القول الفصل منذ البداية وبواسطة جملة قصيرة وقاعدة كلّيّة، هذا القول الذي لا نصل إليه نحن إلّا بعد مقدّمات. تحدّث الإمام مرارًا وتكرارًا وفي أماكن مختلفة - وقد سمعتموه جميعًا - حيث

كان يقول: نحن نعمل انطلاقًا من تكليفنا، ومن واجبنا، نحن لا نعمل لأجل النتيجة.

لاحظوا كم أنّ هذا الكلام يحتوي على الحكمة. جيّد جدًّا، نحن الآن نرغب أن يباع الفيلم الذي ننتجه بشكل واسع ليصل إلى الشباب. وهو يصبح كذلك بل أكثر إذا عمدنا إلى إظهار تلك الجاذبيّة الجنسيّة بشكل ذكيّ، عندها نصل إلى النتيجة المطلوبة، وتكون مرغوبةً أكثر. ولكن هل هذا هو تكليفنا؟ لا، هذا ليس تكليفًا، بل تكليفنا أن لا نتخلّى عن ذاك الأصل الذي اعتقدنا به والذي وافقنا عليه والذي وعمّدناه بالدماء.

لقد استمرّت الحرب ثماني سنوات، لم تكن مزحةً! فلماذا أظهرنا كلّ هذا المقدار من المقاومة أمام العدوّ؟ ماذا كان يريد العدوّ منّا ليمارس هذا المستوى من الضغط علينا؟ طبعًا هذا الأمر لم يعد خافيًا. لقد ثبت أساس هذا الفكر وهذه الـ "الموافقة" - في عالم "ألستُ" حين قلتَ "بلى" - بالتحضّر لآلاف البلاءات، وأنتم أكثر من الجميع ينبغي أن تلتزموا بهذه الأصول. ويجب المقاومة.

بالطبع أدرك جيّدًا أنّ المقاومة صعبة وأنّ عددًا قليلًا يتمكّن من تحمّلها، إلّا أنّ هذه المجموعة القليلة هم أولئك الأشخاص الذين يصدق عليهم ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٣٢). وأنتم هم هؤلاء الأشخاص. فلا تسمحوا للشكّ أن يتسلّل إليكم. هكذا ستتقدّم هذه الفئة القليلة على الفئة الكثيرة التي لا تمتلك هذه الخصوصيّة وهذا الثبات، بل سيكون لهذه الفئة القليلة الغلبة؛ لذا ينبغي متابعة الطريق بشكل مباشر والبقاء على الصراط المستقيم.

في هذا المجال، كتب أبو حاتم الرازي[الملحق ٩٤] كتابًا في ردّ النظريّات الإلحاديّة لمحمد بن زكريّا الرازي[الملحق ٩٥]. كان هذان العالمان يعيشان في

(٣٢) سورة البقرة، الآية ١٤٩.

زمن واحد، وكلاهما من أهل الري وكان بينهما خلافات. الظاهر أنّ زكريّا قد تحدّث ببعض الأفكار الإلحاديّة على الرغم من كونه مسلمًا ومؤمنًا وقد قرّر أبو حاتم الردّ على تلك الأفكار. قدّم أبو حاتم كلامًا قويًّا متينًا مفاده أنّ الصراط المستقيم هو طريق في كلّ شبر منها أبواب ونوافذ مفتوحة على الجانبين تدعو الإنسان إلى ورودها من هذا الجانب أو ذاك. غير أنّه قد جُعل أمام هذه الأبواب والنوافذ حجاب حرمات الله، الذي يقول: هذه حرمات الله فلا تعتدوها وإلّا فستبتعدون عن الصراط المستقيم. وبالطبع إذا أزحتم الحجاب وسلكتم ذاك الطريق فستسيرون، ولكنّكم لن تصلوا إلى الهدف. فالهدف يمكن الوصول إليه من خلال هذا الطريق المستقيم فقط ولا غير.

إنّ ذلك الهدف الذي صار البشر لأجله من نوع الإنسان، هو أنّ أشرف الخلائق ينبغي أن يتحرّك باتّجاه هدف واحد متعالٍ لا يمكن تصوّره حتّى من قبل عقولنا وسلائقنا العقلانيّة والمادّيّة، وهذا الطريق هو الصراط المستقيم حصرًا.

وعندما ترون أنّ **القرآن الكريم** يشدّد على مسألة الصراط المستقيم ويعتبر أنّ الرسول على الصراط، وعندما نكرّر آية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ من سورة **الحمد** مرّات عديدة كلّ يوم وكذلك الآيات القرآنيّة الأخرى التي تتحدّث حوله، فذلك ليبيّن لنا أهمّيّة الصراط المستقيم.

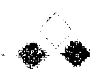
والصراط المستقيم هو الصراط الذي يمرّ من بين حرمات الله التي يقع الإنسان في وساوسها وجاذبيّتها بشكل دائم. إنّ الهداية إلى هذا الصراط أمر لازم، ولكن لماذا كان ينبغي تكرار ذلك القول كلّ يوم وكلّ دقيقة والإصرار على ضرورة حضور القلب عند القول، فلو لم يحضر القلب لم يكن هناك أيّة فائدة؟ في الحقيقة إنّ في كلّ خطوة من طريقنا انشعاب ومفترق، فهناك تقاطع ثلاثيّ، ورباعيّ، وملتقى طرق. وقد يضيع الصراط المستقيم بعض الأوقات، وهذا ما قد يحصل للإنسان في الطريق حيث قد

يظهر له أنّه يتحرّك بشكل مستقيم، لكنّ حركته قد تؤدّي به إلى قرية ميتة مهجورة. وذلك أنّ الطريق الصحيح الأساسيّ فيه اعوجاجات، والإنسان غافل من أن هذا التعرّج هو الطريق الأساسيّ، وليس ما تصوّره مستقيمًا فأودى به إلى تلك القرية الجهنميّة. إنّ معرفة الطريق المستقيم أمر في غاية الصعوبة، ويحتاج الإنسان في تشخيصه إلى طلب العون من الله تعالى ٧١/١١/٤.

علينا أن لا نحجل من أن نعلن عمّا هو ليس إسلاميًا بأنّه غير إسلاميّ ولا نقبله. نحن إيرانيّون، والإيرانيّ قد امتزج منذ ألف وثلاثمئة سنة وكلّ ما لديه بالإسلام، وبلغ أوج رقيّه بالإسلام. إنّ تاريخنا تاريخ مدوّن وليس تاريخًا خفيًّا. انظروا إلى الموجود، فإلى من يعود؟ إنّ الذين تربّوا في الأجواء الإسلاميّة هم الذين كان بإمكانهم إيصال الشعر والدراسات وفروع الثقافة والمعرفة المتنوّعة والموجودة في بلدنا إلى العالم. كان هذا ببركة الإسلام، لذلك يجب القيام بالأعمال الأدبيّة والأعمّ من ذلك بالأعمال الثقافيّة تحت ظلّ تعاليم الإسلام والقيم الإسلاميّة، وهذا يعني أن يفكّر المحقّق والفنانّ والكاتب في ظلّ الفضاء الإسلاميّ.

أعتقد أنّ الترويج للقرآن في مجموعتكم مفيد في هذا الإطار، أي أن يأنس الإخوة والأخوات العاملون بالقرآن. إنّ القرآن كتاب عجيب، ومن المؤسف أنّ الإنسان لا يتمكّن من التعبير عن تلك الأحاسيس بالكلمات. برأيي وحيث إنّ القرآن كتاب عجيب فينبغي فهمه من خلال لغته. فترجمة القرآن ليست قرآنًا على الرغم من أنّها تدلّ على شيء منه، لذلك أعتقد أنّه لا بدّ من الأنس بالقرآن.

إنّ خصوصيّة القرآن تكمن في أنّ الشخص وإن لم يكن مطّلعًا على اللغة العربيّة – على الرغم من أنّه في بيئتنا الفارسيّة تمتزج لغتنا واصطلاحاتنا وثقافتنا بالكلمات العربيّة – فبعد قراءة القرآن بدقّة مرّات عديدة يمكنه



بالتدريج أن يصل إلى فهم وإدراك معين له.

طبعًا الرجوع إلى التفاسير جيّد، والرجوع إلى كلمات العظماء جيّد أيضًا، أمّا الأنس بالقرآن ونهج البلاغة أمر عجيب! في الحقيقة فإنّ نهج البلاغة هو تالي القرآن. فعندما يأنس الإنسان بنهج البلاغة يدرك كم هو غنيّ، ويأتي بعد ذلك الأنس بالصحيفة السجاديّة.

فانظروا أيّة آثار خالصة وضعها الإسلام بين أيدينا، وكلّ الإسلام يوجد فيها، إنّها استثنائيّة. بالطبع النظرة العابرة لا تقدّم للإنسان جوابًا. فلو أنّكم وضعتم أكثر الآيات القرآنيّة جاذبيّةً، والتي تذهل العارف عند قراءتها، أمام إنسان عاديّ فإنّه لن يحصل منها على شيء حتّى لو كان يعلم معناها.

إنّ القرآن يحتاج إلى تدبّر، كما كلّ كلام عميق آخر. ألا يحتاج كلام سعدي إلى تدبّر؟ ضعوا بيتَين من شعر سعدي أمام شخصَين أحدهما عارف بسعدي ويأنس بعباراته والآخر إنسان عاديّ، واقرأوا:

| | |
|---|---|
| ای گه پنجاه رفت ودر خوابی | مگر این پنج روزه دریابی |
| عمر برف است وآفتاب تموز | اندکی مانده؛ خواجه غره هنوز |
| يا من بلغت الخمسين وأنت غافل | فهل تدرك هذه الأيّام الخمسة |
| العمر هو الثلج وشمس تموز قد | أبقت القليل؛ ولا يزال الخواجة مغرورًا |

فهل يمكن أن يستوي هذان الشخصان فهمًا؟ صحيح أنّ الإنسان قد يفهم المسألة من خلال ترجمتها إلّا أنّه لا يتمكن من تذوّق الحكمة فيها؛ إلّا أن يتمكّن من الوصول إلى تلك البيئة، أي يأنس به ويتدبّره.

والواضح أنّ هذه الأمور ضروريّة لمن يرغب بمعرفة الأدب والفنّ الإسلاميّ والإيرانيّ. فالفنّ الإيرانيّ من أوّله إلى آخره هو إسلاميّ، ولا وجود فيه لغير الإسلام. يعمل البعض ويجهد نفسه في الأدب والفنّ، لكن

حيثما ذهب فإنّه لا يصل في النهاية إلّا إلى الإسلام والقرآن. وبما أنّنا اجتمعنا تحت اسم الإسلام، فلا ينبغي، كما يجري عادةً، أن نبحث في القيم الغربية عنّا والتي لا علاقة لها بالإسلام، والتي أدخلوها إلينا في مرحلة السبات والغفلة ٧٢/٧/١٢.

إنّ المقولة الأخرى التي أذكرها باختصار هي الفنّ الثوريّ. إنّ توقّع الثورة من الفنّ والفنّان يعتمد بشكل أساسيّ على الرؤية الجماليّة في هذا المجال، وهذا ليس توقّعًا مبالغًا. لقد نزلت الأمّة خلال ثماني سنوات من حرب الدفاع بكامل وجودها إلى الساحة؛ سارع الشباب إلى الجبهة وضحّوا في سبيل القيم التي يؤمنون بها، وكان ذلك بشكل أساسيّ لأجل الدين على الرغم من وجود عدد من الأشخاص الذين كانوا يضحّون من أجل الدفاع عن الوطن وحدود البلد.

وكانت الأمّهات والآباء والزوجات والأبناء والموجودون في الخطوط الخلفيّة للجبهة يقدّمون ملاحم من نوع آخر. فحاولوا المرور على ذكريات السنوات الثماني للدفاع المقدّس، وانظروا، هل ستجدون أجمل ممّا لدينا في رسم رؤية فنّية عن واقع وحالة مجتمعنا؟ عندما ترون في أرقى النتاجات والآثار الدراميّة في العالم إنسانًا مضحّيًا، ستقومون بمدحه والثناء عليه.

وعندما يصوّر الفيلم أو اللحن أو اللوحة حياة الشخص الثوريّ الفلانيّ – مثلًا جان دارك[اللحق ٩٦] – أو الجنديّ المضحّي في البلد الفلانيّ، فلا يمكنكم إهمال الثناء عليه من قلوبكم وباطنكم ووجدانكم. لقد حصلت في مرحلة السنوات الثماني للدفاع المقدّس وفي الثورة نفسها آلاف الأحداث التي تفوق هذا الأثر الفنّيّ قيمةً وعظمةً وبدرجات كثيرة، وقد حصل ذلك في بيوتكم، أليس في هذا جمال؟ هل يمكن للفنّ أن يعبر من أمام هذه القضيّة من دون اهتمام؟ إنّ ما تنتظره الثورة هو هذا، ولا مبالغة في هذا التوقّع. يقال لماذا لا يُرى هذا الجمال؟ إنّ من لا يهتمّ بهذه القضيّة لا يرغب برؤية الجمال.



أعزّائي! البعض منكم مطّلع على التاريخ بشكل جيّد، وأنا أيضًا على اطّلاع. لقد طالعت أوراق تاريخ السبعين والثمانين سنة الماضية سطرًا سطرًا وقرأت ما قبل ذلك مرارًا وتكرارًا. وفي الحقيقة فقد كنّا أكثر الأمم ابتلاءً ووقوعًا تحت نير القوى الناهبة والمتسلّطة العالميّة.

لقد طالعت بشكل مفصّل حول شبه القارة الهنديّة وترجمت كتابًا في هذا الخصوص(٣٣). وعندما أحاول المقارنة بين إيران وشبه القارة، أرى أنّ أوضاعنا كانت أسوأ من أوضاعها على الرغم من الضغط البشريّ الذي مارسه الاستعمار المباشر الإنجليزيّ. في شبه القارّة، لم يبتلوا بحالة الخيانة والنفاق والفساد والتبعيّة من جهة القوّات الوطنيّة.

لقد دخلت القوّات الإنجليزيّة ذاك البلد، وكانت أبرز الشخصيّات الوطنيّة عبارة عن غاندي[الملحق ٩٧] ونهرو[الملحق ٩٨] ومولانا محمّد علي ومولانا شوكت علي[الملحق ٩٩] وجناح[الملحق ١٠٠] وغيرهم. وقد حارب هؤلاء الإنجليز وتعرّضوا للتعذيب، أمّا أوضاعنا فلم تكن على هذا النحو.

لقد جاء الإنجليز برضا خان كأجير ووضعوه على رأس السلطة لينفّذ ما يريدون. لا يمكن إنكار هذا الكلام، فهذا ليس كلامي أنا؛ إنّه من واضحات التاريخ التي دوّنها المؤرّخون وذكرتها الوثائق التي نُشرت بعد ثلاثين أو أربعين سنة.

كنت قبل عدّة أيّام أطالع وثيقةً بهذا الشأن حيث كان رضا خان يتحدّث في جلسة جمعته مع السيّد ضياء[الملحق ١٠١] والضبّاط الإنجليز، فقال: أنا لا أفهم السياسة ولا دخل لي فيها، اطلبوا أنتم ما شئتم وأنا سأصغي لما تأمرون! وهكذا كان فعلًا، لكن عندما شعروا بوجود ذرّة تزلزل في انصياعه أزاحوه مع أنّه لم يكن في صدد البحث عن الاستقلال الحقيقيّ بل كان يتّجه نحو ألمانيا الهتلريّة، ثمّ أجلسوا ابنه مكانه. هذه جزء من حقائق البلد.

---

(٣٣) وهو كتاب المسلمون في ثورة الهند التحرّريّة، تأليف عبد المنعم نمري نصري.

لقد تمّت إهانة بلد كإيران مع ما له من مميّزات وخصائص ثقافيّة عميقة تتحدّثون عنها وهي أمور صحيحة، وأنا أؤمن بوجودها. لقد تسلّط علينا لمدّة خمسين أو ستّين سنة أشخاص كانوا عبارةً عن دمى، لا لأنّنا لم نكن نحن بالذات – حيث لم تشهد إيران حكومة شعبيّة في السابق – بل لم يكن الأمر إليهم. فيا ليتهم كانوا من الديكتاتوريّين، ففي أقلّ الحالات سيكونون مثل نادرشاه[الملحق ١٠٢] الذي تسلّم السلطة بقوّته أو مثل الآغا محمّد خان[الملحق ١٠٣] الذي وصل بحيلته وحنكته. أولئك وصلوا إلى السلطة بأنفسهم، أمّا ما كنّا نشهده في النظام السابق فليس كذلك.

لقد جاء بهم الأجانب وجعلوهم يتسلّطون على هذه الأمّة، فنهبوا كافّة ذخائرها المادّيّة والمعنويّة، ومع كلّ الآلام والعذابات الكثيرة، نشأت حركة عظيمة لمواجهة هذه الظاهرة المشؤومة، واستطاعت بالصدور العارية والأرواح المضحّية أن تواجه طعنات العدوّ الغدّار لتصل إلى برّ الأمان. أليس هذا جميلاً؟ كيف يمكن للفنّ أن يمرّ غير مبالٍ أمام هذه الأمور؟ هذا ما تنتظره الثورة.

هذا هو الفنّ الثوريّ الذي كنّا نتحدّث عنه منذ بداية الثورة وهذا ما كنّا نطلبه، فهل هذا توقّع زائد عن الحدّ؟ الفيلم والموسيقى والمسرحيّة والرسم وكلّ الفروع الفنّيّة ينبغي أن تتعرّض لهذه القضيّة؛ هذه أمور ضروريّة. إنّ توقّع الثورة من الفنّ والفنّان ليس توقّعًا ينطلق من الإجبار والأنانيّة؛ بل هو يعتمد بشكل أساس على نفس المباني الجماليّة للفنّ. فالفنّ هو الذي يدرك الجمال، وليس من الضروريّ أن تبرز هذه الجماليّات بالبلبل والورد؛ في بعض الأوقات يكون رمي أحدهم في النار وصبره على ذلك أجمل من كلّ الورود والبلابل. على الفنّان أن يرى هذه الأمور وأن يدركها وأن يعبذر عنها بلغته الفنّيّة.

طبعًا أنا لا أنكر وجود آثار فنّيّة قيّمة ظهرت بعد الثورة تتعلّق بالفنّ الدينيّ – هناك بعض النتاجات التي تمكّنّا من الاطّلاع عليها، ولعلّنا

كمستمعين لا يمكننا فهمها بشكل صحيح – وأنا شاكر لكلّ من عمل في هذا الإطار، سواء كانوا ممثّلين وقد أدّوا أدوارهم بشكل راقٍ، أو كانوا مخرجين أو كتّاب سيناريو، وكذلك باقي العاملين في المجالات الفنّيّة الأخرى. وهناك أعمال قيّمة قد حصلت في الرسم والخطّ والتصميم لا يجوز إغفالها؛ إلّا أنّ التوقّع الذي تحدّثت عنه كان موجودًا وما زال.

عندما يجري الحديث عن حفظ القيم ورفدها بالاستمراريّة، أو عن استحالة القيم، فهل يوجد هنا خطّ فاصل؛ أنتم لا يمكنكم القول بأنّنا لا نميل إلى هذا الطرف ولا إلى ذاك الطرف، وهل يمكن ذلك؟ إنّ هذا يعني فقدان الهويّة. وهل يمكن أن يكون الشخص معتقدًا بقيمة وفي الوقت عينه لا يعتقد بها؛ وهل يمكنه أن يمجّد قيمةً معيّنةً وفي الوقت عينه لا يمجّدها؟

هنا على الشخص أن يختار موقفًا وأن يكون ثابتًا عليه. بالطبع أنا هنا لا أصدر حكمًا بالإعدام، فقد يخطئ الشخص، وعليه حينها أن يجبر خطأه. وهذا ما قلته لأصحاب النتاجات الفنّيّة التي عرضها أصحابها عليّ أو وصلت إليّ عن طريق آخر. أنا اطّلعت على هذه النتاجات وكوّنت رأيًا ناقدًا حولها وأوصلته إلى أصحابها.

لقد قام البعض بالطبع بتصحيح الخطإ والبعض الآخر لم يقم بذلك. نحن نتوجّه بالشكر لمن قام بالاصلاحات، وأمّا الذين لم يقوموا بذلك فلم نوجّه اللوم إليهم ولم نسألهم عن سببه. على كلّ الأحوال هنا يوجد بعض الحدود، فهل يمكن أن يكون الإنسان غير مبالٍ فيما يتعلّق بهذه الحدود؟ وقد أشرت قبل هذا أنّ المرء لا يمكن أن يكون غير مبالٍ بالقيم؛ ولا ينبغي إلصاق هذه الأمور بالخطوط والأجنحة السياسيّة.

لقد أحضروا إليّ إحدى الوثائق التي نشرتها وزارة الخارجيّة الأمريكيّة حول انقلاب الثامن والعشرين من مرداد. حينها لم يكن يتجاوز عمري الرابعة عشر أو الخامسة عشر، وقد بقي الشيء القليل في ذهني حول تلك

الحادثة ولكنّني سمعت حولها الكثير وقرأت عنها الكثير أيضًا، إلّا أنّها لم تذكر بهذا التفصيل في أيّ مكان. وقد كتب هذه الوثيقة أولئك الذين كانوا على رأس الأمور في تلك القضيّة، وأرسلوا الوثيقة إلى وزارة الخارجيّة ووكالة الـCIA، وهذه الوثيقة تتعلّق بالأمريكيّين.

طبعًا كانت العمليّات آنذاك مشتركةً بين الأمريكيّين والإنجليز، وهذا ما يتجلّى بوضوح في الوثيقة. وقد لفت انتباهي جزء منها يتعلّق بشخص يدعى كيم روزفلت[الملحق ١٠٤] يقول: عندما دخلنا طهران أحضرنا معنا حقيبةً كبيرةً مملوءةً بالمقالات المكتوبة التي ينبغي ترجمتها وطباعتها في الصحف، بالإضافة إلى ذلك أحضرنا معنا عددًا كبيرًا من رسوم الكاريكاتور.

لاحظوا معي فقد استفادوا من كافّة الوسائل ومن جملة ذلك أسلوب الفنّ الذي استعانت به منظّمة الـ CIA لإسقاط الحكومة التي لا تتّفق معهم والتي لا تحافظ على مصالحهم، والتي تعتمد على آراء الشعب – خلافًا لجميع الحكومات التي شهدها العهد البهلويّ، حيث كانت هذه الحكومة وطنيّةً قانونيّةً جاءت إلى السلطة بواسطة آراء الناس – وفعلوا ذلك تحت ذريعة أنّها قد تلجأ إلى الاتّحاد السوفياتيّ.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الفنّان الكاريكاتوريّ النافع والمفيد لهم، لم يكن موجودًا آنذاك في إيران، لذلك أحضروا معهم الرسوم! وجاء في تلك الوثيقة أنّنا أرسلنا توصيةً إلى القسم الفنّيّ في منظّمة الـCIA وطلبنا منهم إعداد هذه الأمور، وصادف قبل سنتين أو ثلاث سنوات أن أصدر الإيطاليّون كتابًا تُرجم إلى الفارسيّة، وقد أشير فيه إلى وجود قسم فنّيّ في منظّمة الـ CIA، وإلى نشاطاته المتنوّعة. هكذا تستفيد السياسة من الفنّ.

وأنتم ماذا تريدون أن تفعلوا في هكذا أجواء؟ لو جاء السياسيّون في الدنيا كافّةً والمستكبرون كافّةً والظلمة وأصحاب السلطة وأقسموا أمام كتبهم المقدّسة أن لا يستخدموا الفنّ لتحقيق أغراضهم، فمن الممكن

نسبيًّا أن يرتاح بال الإنسان ثمّ يقول جيّد جدًّا، الحمد لله لقد تحرّر الفنّ. ولكنّهم يستخدمون الفنّ فماذا تريدون أن تفعلوا؟ هل تستغنون في مواجهتكم لمطامعهم عن الاستفادة من هذه الوسيلة الفنّيّة التي يصلون من خلالها إلى أطماعهم؟ وهل هذا أمر معقول؟ لا، ليس معقولاً ١/٥/٨٠. إنّ أيّة رسالة وأيّة دعوة وأيّة ثورة وأيّة حضارة وأيّة ثقافة لا يكتب لها البقاء ما لم توضع في قالب الفنّ؛ لا بل لا يمكن لها النفوذ والانتشار، ولا فرق هنا بين نداء الحقّ ونداء الباطل، فالفنّ أداة استثنائيّة ٢٧/١٠/٦٥.

**لذا أقول، عليكم أن تبدأوا من العناصر الذاتيّة الداخليّة الموجودة في جمعكم إذا رغبتم أن لا يصيبكم الانحطاط والترهّل. وعليكم التفكير في العوامل التي ترتبط بما هو خارج عنكم. فكّروا، اقترحوا، واطلبوا، ولا تدعوا تطوير العمل يتوقّف. ابدأوا من أنفسكم وتابعوا العمل ضمن الظروف الموجودة، ومن جملة الأعمال التي ينبغي القيام بها هي أن تنشِئوا جمور مخاطبيكم الخاصّ.**

**وإذا فكّرتم في النفوذ إلى مخاطبي الجبهة المقابلة، فمن الممكن أن يوسوس لكم فكركم هذا فتندفعوا إلى تقليد عمل الجبهة المخالفة. بعض عناصر الجبهة الموافقة الذين يكتبون القصص أو يصنعون الأفلام مثلًا قد يتعرّضون، ولأجل جذب مخاطبي الجبهة المقابلة، لمسائل تعرّض لها وعمل عليها كتّاب ومنتجي الأفلام في الجبهة المخالفة، حيث يستخدمون على سبيل المثال العنصر النسائيّ، أي العامل الجنسيّ، من أجل زيادة جاذبيّة الفيلم، فيقوم هؤلاء بنفس العمل. ذلك مرفوض بكلّ الأشكال لأنّه يساهم في انهيار الجبهة الموافقة، وأنا لا أقبل بذلك. ولا أكتفي بذلك، بل أعتقد ذلك تفكيرًا خاطئًا وعمل مشتبه. يجب علينا صناعة وإيجاد مخاطبينا. فإذا كان العدوّ يكرّر كلامًا لتستأنس به الآذان، فلسنا مجبورين على تكرار الكلام الذي يريده.**

**وإذا كان العدوّ يقوم بإيجاد ذائقة جديدة من خلال إيجاد طعام جديد**

لشعبه، فلسنا مجبرين على اتّباع هذه الذائقة، بل علينا إيجاد ذائقة أخرى تتطابق مع فكرنا وإيماننا وعقيدتنا. وبالخلاصة، إذا استطاع العدوّ إبراز بعض الخصوصيّات في عمله فعلينا أن لا نقلّده.

افرضوا أنّ العدوّ يستخدم في القصّة والشعر والسيناريو خصوصيّة نقد الواقع الموجود، فهل علينا حتّى لا نتخلّف عنه أن نقوم بنقد الواقع الموجود في قصصنا وأشعارنا وأفلامنا؟ هل تعلمون كيف ستكون نتيجة هذا العمل؟ أو أين ستكون النهاية؟ هل نقد الواقع الموجود هو قيمة، وهل نعتبره نحن كذلك؟ في الأساس لماذا نقوم بنقد واقعنا الإسلاميّ والإلهيّ؟ لماذا ننتقد فنبحث عن العيوب والإشكالات والتجريح. لماذا نجرّح بأنفسنا؟ هل هناك إشكال في الواقع الموجود؟ وإذا كان هناك فلنبذل الجهود لرفعه، لماذا نقوم بالتخريب؟ لماذا يجب أن نضع الحجارة أمام السيارة التي تسير ببطء نحو الأعلى، فلو وضعناها ستتوقّف بالكامل، ينبغي علينا مساعدتها من خلال دفعها لتصعد إلى الأعلى.

فمن المؤكّد عندي أنّ انتقاد الوضع الموجود هو إحدى حيل العدوّ، فهم يدركون أنّ الإنسان بطبعه ميّال للنقد، ولذلك يريدون البحث عن أحد ليقوموا بنقده. وواضح مستهدفهم الذي يسعون لزجّه في معرض النقد، هم يقصدون المسؤولين وأصل النظام، ولأنّهم لا يجرؤون على انتقاد أصل النظام، فإنّهم يتعرّضون لأشخاصه وللسياسات الحاكمة فيه. أمّا نحن فلماذا نقوم بهذا العمل؟ فإذا أردنا توجيه النقد، فهناك الكثير من الموارد والقضايا التي تستحقّ ذلك.

هؤلاء يقولون نحن نريد أن نكون ضد السلطة.

في بداية الثورة، قمت بزيارة أحد المعارف - وقد غادر الدنيا الفانية - وقد كنت منذ البداية أقوم بزيارة الأصدقاء والذين تربطني بهم معرفة قديمة، أو على الأقلّ كنت أتواصل معهم هاتفيًّا.

وفي ظلّ تلك المشكلات والصعوبات الكثيرة التي كانت تحيط بنا،

كان المكان الأساسيّ للاستراحة والنوم عندي هو السيارة التي تقلّني من مكان إلى آخر. في الحقيقة لم يكن عندنا وقت للنوم والراحة، مع ذلك كنت أغتنم الفرصة وأتّصل هاتفيًّا بالبعض لأسأل عن أحواله، وأرى إن كان بالإمكان أن يقدّم شيئًا للثورة.

وذات مرّة، اتّصلت هاتفيًّا بذلك الشخص الذي أعرفه وسألت عنه وأخبرته عن حصول الثورة وسألته عمّا يعرف عنها. قلت له إنّ الشاه قد رحل وتغيّرت الأحوال مبيّنًا له واقع الأمور. فجأةً بدأ الحديث وبلحن سيّئ للغاية وقال: إنّ مبنانا هو أن نبقى دائمًا ضدّ السلطة وليس معها. قلت له: أوّلًا هذا المبنى خاطئ للغاية، فهل السلطة سيّئة دائمًا لتكون ضدّها؟ لا، إذا كانت السلطة جيّدةً، عليك أن تكون في خدمتها. ثانيًا أنت تريد أن تكون ضدّ السلطة؟ جيّد جدًّا، هذه السلطة الأمريكيّة تريد اجتثاثنا، هل ترى ما تفعله السلطة الأمريكيّة التي هي أعلى من الجميع؟ كن ضدّ هذه السلطة وقل ما تريد! تلكّأ في الجواب فتركت الهاتف ولم أتواصل معه إلى اليوم. طبعًا حدث في هذه السنوات الأخيرة أن لم يمهله الأجل المحتوم فرحل عن الدنيا.

اليوم، سياسة الجبهة المقابلة هي عين تلك السياسة، وكما هو معروف فقد أوجدوا لها استدلالًا ومنطقًا سخيفًا فراحوا يردّدون نفس الكلام مصرّحين بأنّهم يجب أن يكونوا ضدّ السلطة. لماذا؟ فهل هم مجانين ليكونوا ضدّها، وهي بعدُ سلطة صالحة وإلهيّة.

انظروا إلى الحكومات التي استلمت السلطة منذ بداية التاريخ إلى اليوم سواء في العالم أو في إيران، فهل تعلمون حكومةً كهذه الدولة ورجال سياسة كرجال هذه الدولة الذين يتّسمون بالطهارة والسلامة وحبّ الوطن والناس والتوجّه نحو الله والخوف منه؟ لماذا يجب أن يخالف الإنسان هؤلاء؟ طالعوا تاريخنا. التاريخ البهلويّ كان فضيحةً، وكذلك اقرأوا تاريخ القاجاريّة وانظروا إلى الذين كانوا رجال البلد في أواسط وأواخر سلسلتهم، وانظروا

إلى الموجودين اليوم ومن يمثّلون.

على كلّ الأحوال نسأل، هل من المناسب التجريح بآثارنا ونتاجاتنا الفنّيّة اتّباعًا لعناصر جبهة العدوّ؟ لماذا؟ ما هو الداعي الذي يجعلنا ننفخ الهواء كيفما كان في النار التي أشعلوها، أو أن نوصل الماء إلى طاحونتهم؟

لقد أثار أحد الأصدقاء قضيّة النقد وأشار إلى ملاحظة جيّدة. لنقل، على سبيل المثال، إنّ العدوّ استخدم لهجة الصديق وأسلوبه. فرضًا أنّه قال إنّه لأمر مؤسف أن تلوِّثَ - وأنت بهذا الحُسن - النظامَ - وهو بهذا الحُسن - بهذه الشوائب، ثمّ ذكر عدّة مسائل هي بمثابة التجريح. فهل نفهم من لحن القول أنّ هذا الطرف المتحدّث والناقد هو صديق أم عدوّ؟ ولأنّ المعيار والشاخص الذي ذكرتم هو لحن القول. حسنًا، إنّ أيّ عدوّ يستطيع وبسهولة أن يتّخذ لحن كلام الصديق. ولا يدرك ذلك كلّ أحد. فليس الجميع مصداق الآية ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِيْ لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[٣٤]. إنّ رسول اللّه هو مصداق لتعرفنّهم في لحن القول، وليس الكلّ كذلك. ما قلته أنا هو التجريح، وهو أمر يمكن تشخيصه. في كثير من الأوقات قد يوجّه الأب نقدًا إلى ابنه وقد يستخدم عبارات قاسية وسيّئة ولكنّه لا يريد أبدًا أن يكسر قلبه بالتجريح. ولكن الأعداء والأجانب يجرّحون الطرف الآخر ويحرقونه. وهذا هو المعيار والشاخص.

ومن جملة الأعمال التي يلجأ إليها الأعداء، استخدام المؤثّرات الجنسيّة في الأفلام، أو إظهار الوجوه المخالفة للثورة وللنظام. هؤلاء يصرّون على صنع إنسان ولو من الخشب ليقدّموه للناس؛ يأتون بتلك الوجوه النخرة المتحجّرة ويعرضون شعرها واسمها وأمثال ذلك، فهل يجب علينا تكرار هذه الأمور التي يقوم بها الأعداء؟ لماذا؟ وما الداعي لذلك؟

إنّ سيّئ الحظّ هذا قد أصبح نخرًا، وحتّى عندما كان شابًّا لم يكن سلوكه صحيحًا ولا منهجه سليمًا. وكما يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) حول عبد الله

---

(٣٤) سورة محمّد، الآية ٣٠.

بن عمر الملحق ١٠٥، إنّ هذا الشخص عندما كان شابًّا كان سيّئ الأخلاق، فويلاه الآن وقد كبر! انظر حال هؤلاء أيّام شبابهم لتدرك أيّ حال سيّئة سيكونونها في أيام عجزهم وعقمهم هذه! إذا كان نصيب الجمهوريّة الإسلاميّة منهم هو العقم فهل نأتي نحن لنشيد بهم ونكرّمهم؟ ما هو السبب الذي يدعونا لذلك؟ أيّة خدمة تلك التي قدّموها لهذا البلد؟ أين هي تلك القصّة الناجحة والرواية المؤثّرة والمقالة المميّزة والشعر الجيّد الذي كتبوه وأنشدوه لصالح هذه الأمّة؟ إنّ الذي فعلوه هو أنّهم جرّوا الناس بواسطة أشعارهم نحو الفحشاء، فهل قاموا بأيّ عمل إيجابيّ لنقوم بالإشادة بهذا الفلان أو بزوجته؟ هؤلاء لم يشعروا بأدنى مستوى من المسؤوليّة أيّام الطاغوت؛ لم يشعروا بذرّة من الوجدان، ولم يحاربوا للحظة واحدة ضدّ الظلم الذي كان حاكمًا على هذا البلد، ولم يتحمّلوا حتّى صفعةً أو نظرة عبوس في سبيل اللّه وفي سبيل هذه الأمّة وهذا البلد وفي سبيل إعماره، فهل نقوم بالإشادة بهم؟! إنّ الذي يقوم بتكريمهم هو الذي يكون التكريم أداة عمله، هو الذي تكون هذه سياسته، ويجب عليه أن يقوم بالتكريم. فلو لم يكن هؤلاء الأشخاص لديه، لصنع – كما ذكرت – من الأخشاب إنسانًا واشتغل بتكريمه، فلماذا نستسلم أمام جبهة العدوّ؟

على كلّ الأحوال، إذا اتّحدت جبهتنا، وضاعفت جهودها، ولم تتعب من الجهد المضاعف، وأضفت على الأعمال شيئًا من الجودة، وعملت على إيجاد حالة من التمركز الحقيقيّ، عند ذلك ولما تقتضيه المصلحة يحقّ لهذه الجبهة أن تتوجّه إلى أشخاص من تلك الجبهة، كمثل إنسان بمعدة سليمة يتوجّه نحو لقمة ليأكلها ويهضمها وتغذّي بدنه؛ لا إشكال في هذا. لكن ما دامت الجبهة الموافقة فاقدةً للابتكار في العمل وللقوّة والقدرة، فعليها، وقبل أيّ عمل آخر، بل أوجب من أيّ عمل آخر، أن تهتمّ بنفسها حتّى لا تكون لقمةً سائغةً للجبهة المخالفة.

وأنا لا أقول أن تجعلوا مخاطبيكم من الجبهة الموافقة فقط، فليكن

**مخاطبوكم من كافّة البشر؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[٣٥]. لا أقول أن تأتوا بعدد من أفراد حزب اللّه المؤمنين، ثَمّ تتحدّثوا معهم وتتركوهم، وعلى الباقين أن يتدبّروا أمورهم. لا، بل حافظوا على مميّزاتكم في نداءاتكم ودعوا مخاطبيكم يتذوّقون هذا الطعم ويستلذّون به، كما كان يفعل الأنبياء والمصلحون في العالم، وإلّا فلو أقمنا حائطًا بأنفسنا حول أنفسنا فالويل ثمّ الويل!**

**أمّا فيما يتعلّق بالجاذبيّات، فعقيدتي واضحة في ذلك. في وقت من الأوقات كنت أتحدّث مع عدد من الإخوة الحاضرين هنا، وقلت: إذا كان مقرّرًا إنتاج فيلم أو برنامج حزب اللهيّ فلا يجب أن يكون شديد التحفّظ، فاقدًا للجاذبيّة، قديمًا، سيّئًا، وتكراريًّا. كلّا! أنا أعتقد أنّ بالإمكان أن يكون البرنامج حزب اللهيًّا وإسلاميًّا خالصًا وفي الوقت عينه جميلًا جدًّا وجذّابًا وحلوًا.**

ابذلوا جهودًا في مجال الجمال، وليكن لكم استثمارات في ذلك، لا تقولوا نحن لسنا من أهل هذه الأمور، لا دخل لنا بالتأنّق، أو لسنا من أصحاب الدنيا. لا أيّها السادة! هذه ليست دنيا، إنّها آخرة؛ وذلك على مسؤوليّتي. ابذلوا جهودًا فيما يمكن عمله على مستوى الجمال، أنفقوا الأموال، فلا إشكال في ذلك.

بالطبع عندما نتحدّث عن الجمال لا نقصد الكماليّات أو البهرجة الفاقدة للمضمون. إنّ العمل الفنّيّ هو الجمال الفنّيّ، وإلّا يمكن لإنسان أن يستعمل ورقًا غليظًا وسميكًا تبلغ قيمته ثلاثة أضعاف الورق العاديّ، ولكن فنّه لا يترك أيّ أثر، وقد يقدّم شخص لنا رسمًا بأربعة أو خمسة ألوان شديدة وثقيلة ومختلفة ولا يكون لرسمه أيّ أثر. هذا لا يسمّى عملًا فنّيًّا ٦١/٦/٥. يمكن أن يحصل هذا العمل، وبالتأكيد فإنّ ما أقوله ممكن التحقّق،

---

(٣٥) سورة سبأ، الآية ٢٨.



فنحن لا نريد التحدّث عن أمور مثاليّة.

عند البحث في المجال الثقافيّ للبلد، يجب الالتفات إلى تربية القوى البشريّة. إنّ القوّة البشريّة في أيّ بلد هي كلّ شيء فيه. وإذا فقدنا القوى البشريّة فهذا يعني أنّنا لا نملك شيئًا. قبل مدّة كنت أطالع حول بعض الدول التي حصلت فيها ثورة قبل ثورتنا بسنوات ووصلت إلى بعض النجاحات في المجالات الاقتصاديّة والصناعيّة والحرفيّة وأمثالها. وجدت أنّهم كانوا يشدّدون في برامجهم وخططهم بداية الثورة على تربية القوى البشريّة؛ حيث كان العمل يبدأ في إنتاج القوى البشريّة الفعّالة لأجل إدارة البلد منذ المرحلة الابتدائيّة – وفي بعض الأوقات نجدهم يبدأون من مرحلة ما قبل ذلك – حتّى يصلوا إلى الجامعات ومراكز الدراسات والمعاهد العالية.

إنّ المراحل التعليميّة الابتدائيّة والثانويّة في بلدنا تعتريها المشكلات والنقائص، وجامعاتنا تعتريها المشكلات من ناحية ضعف الجودة ٦٨/٩/٢١.

في الحقيقة إنّ صناعة الإنسان هي أكثر الأشياء أهمّيّةً في أيّ ثورة، وإذا لم تعمد الثورة لصناعة الإنسان فهي لم تفعل شيئًا. وإذا فكّر الشخص بهذا الأمر لوجد أنّ الدليل على هذا المعنى واضح؛ أي إنّ هذا الكلام لا يحتاج حقيقةً إلى الاستدلال لأنّ الدنيا من دون إنسان صالح ستكون عبارةً عن ظاهرة لا روح فيها، مظلمة وعمياء. وإنّ الذي يضفي الروح على العالم الترابيّ ويعطيه القيمة والنور والمعنى والمضمون هو الإنسان ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣٦]. والخليفة هو العنوان الذي أعطاه الله تعالى للإنسان، وجعله في الأرض، فما هي قيمة هذه الأرض من دون الخليفة؟

إنّ العمل الأساس والهامّ الذي عمل لأجله كافّة الأنبياء وعباد الله الصالحين هو إيجاد الإنسان الصالح في هذه الأرض، وكذلك حفظه وتطويره وتكاثره، هذا هو هدف الإسلام. لقد رأيتم كيف أنّ الإمام يتحدّث

---

(٣٦) سورة البقرة، الآية ٣٠.

في بياناته ويقول: "إنّ فتح الفتوح للثورة الإسلاميّة هو صناعة هذا النوع من الشباب"[٣٧]. هذه العبارات لم تكن كلامًا عابرًا جرى على لسان الإمام، هذا أحد المباني الإسلاميّة والإلهيّة المحكمة. إنّ فتح الفتوح في الواقع هو صناعة الإنسان الصالح.

وإنّ المشكلات التي ترونها اليوم وقد ملأت الأرض وذكرتها الزيارات والآثار المتعلّقة بوليّ العصر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء حيث جاء: "كما ملئت ظلمًا وجورًا"؛ فالظلم والجور قد ملأ الأرض وفي كلّ مراحل التاريخ، ثمّ يأتي الإمام ليملأها قسطًا وعدلًا، ولكن لماذا كان هذا الظلم والجور في الأرض؟ لقد كان بسبب عدم وجود الصالحين أوندرتهم، أو بسبب إطاعة وتأليه غير الصالحين.

لقد جاءت ثورتنا لتربّي الإنسان الصالح، ودور الإنسان الصالح هو هذا. وإنّ الذي حفظ هذه الثورة حتّى الآن هو مقدار صلاح البشر الموجود في أمّتنا. نحن لا نبالغ في حقّ أمّتنا. اليوم الصلاح هو الغالب، وهو الذي يحمل اللواء، وهو الحاكم. والحركة نحو الصلاح أصبحت ضمن برامج وخطط، وطبعًا هناك مسافة طويلة للوصول إلى الصلاح المطلق١٠/١٠/٦٩.

وإذا كان بالإمكان هداية وتربية شخص في المجال الأخلاقيّ، ثمّ لم يؤدِّ الإنسان هذا الدور فقد ظلمه وأجحف بحقّه. هناك عدد من الروايات جاء في ذيل الآيّة الشريفة ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٣٨]، حيث يشير المعصوم إلى أنّه الشخص الذي ينجي الإنسان من "حرقٍ أو غرقٍ"، وفي آخر الرواية يقول الإمام أنّه الذي يهدي الإنسان، ثمّ يقول بعد ذلك: "ذلك تأويلها الأعظم"[٣٩]، فأعظم تأويل

(٣٧) من رسالة الإمام الخميني قدّس سرّه إلى القادة العسكريين بتاريخ ٨ آذر ١٣٦٠ هـ.ش.

(٣٨) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٣٩) انظر، أصول الكافي، مصدر سابق، كتاب الإيمان والكفر، باب "في إحياء المؤمن"، الجزء ٢، الصفحة ٢١٠.



وأعظم معنى للآية الشريفة أنّه إذا قتل شخص شخصًا، يعني قد هيّأ ما يوجب ضلاله؛ أو إذا أحيا شخصًا، فقد هيّأ ما يوجب هدايته، عند ذلك يصدق عليه "فكأنّما أحيا الناس جميعًا"؛ إنّ هداية إنسان واحد يحمل قيمة هداية البشريّة جمعاء؛ لأنّ الجوهر الإنسانيّ في هذا الإنسان وفي جميع البشر هو جوهر واحد.

وعندما تقوم بإعانة الجوهر الإنسانيّ وهدايته، سواء في مجالات العقيدة أو الأخلاق، فقد ساعدت الجوهر البشريّ ونصرته. وعلى هذا الأساس سيكون لعملك تلك القيمة والأهمّيّة. وهذا يعني أنّ مسألة الهداية والمساعدة في نجاة البشر، هي مسؤوليّة كلّ شخص يمكنه القيام بذلك.

وقد جاء في الرواية في ذيل الآيّة الشريفة ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾[٤٠] أنّ ذلك هو الطعام المعنويّ، طعام الدين والأخلاق. والنظر إلى الطعام يعني لاحظ ودقّق في ما تستهلكه وما يستهلكه الآخرون منك. وفي هذا الأمر إشارة إلى أهمّيّة الطعام المعنويّ[٤١]. وكذلك جاء في الرواية أنّه عندما أراد الإمام أمير المؤمنين (ع) السفر إلى اليمن لجمع الأموال الشرعيّة لبيت مال القضاء كعمل أساسيّ – كان ذلك في الظاهر أواخر حياة الرسول (ص) وقبل حجّة الوداع بقليل – قدم إلى الرسول (ص) ليسمع منه ما يوصيه به، وقد نُقل عن الرسول (ص) قوله: "ياعليّ! لئن يهدِ الله على يديك رجلًا خير لك ممّا طلعت عليه الشمس"[٤٢]. فلئن هدى

---

الحديث ٢؛ ورد عن فضيل بن يسار قال: "قلت لأبي جعفر (ع): قول الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾؟ قال: من حرق أو غرق، قلت: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ قال: ذاك تأويلها الأعظم".

(٤٠) سورة عبس، الآية ٢٤.

(٤١) انظر، **أصول الكافي**، مصدر سابق، كتاب **العقل والجهل**، باب "النوادر"، الجزء ١، الصفحتان ٤٩ و٥٠، الحديث ٨؛ ورد "عن زيد الشحام عن أبي جعفر (ع) في قول الله عزّ وجلّ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ قال: قلت ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه، عمّن يأخذه".

(٤٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ١٩، الصفحة ١٦٧. "الإمام الصادق (ع): قال أمير المؤمنين (ع): لما وجهني رسول الله (ص) إلى اليمن، فقال: يا علي! لا تقاتل أحدًا حتّى تدعوه إلى الإسلام. وأيم الله! لئن يهدِ الله على

الله بك رجلًا إلى الطريق المستقيم، إلى الحقيقة والفضيلة، فذلك أعظم قيمةً لك من كلّ ما هو على وجه الأرض، من كافّة ثروات الدنيا، وما فيها من سلطة وقوّة ومنزلات مادّيّة دنيويّة. هذه حقيقة؛ لأنّ الثروة والسلطة المادّيّتين تزولان بسرعة، وهما ليستا في عداد القيم الحقيقيّة، وعلى العكس من ذلك فإنّ هداية إنسان واحد، يحوز على الأهمّيّة عند الله تعالى.

في هكذا ظروف يُطرح السؤال التالي: هل يمكن للحكومة أن تدّعي أنّها أوجدت الحرّيّة والأمن، وعلى الناس الذهاب بأنفسهم نحو البحث والمعارضة، فكلّ شخص يمكنه أن يطرح ما يشاء في سوق العرض والطلب، فليذهب وليكن ما يكون؟! لا، لا يمكن ذلك بأيّ شكل من الأشكال.

إنّ من مسؤوليّات الحكومة الإسلاميّة، سواء في هذه الفوضى المحتملة أو حتّى في غير الفوضى، التدخّل في سوق عرض الثقافة والعقيدة والأخلاق، وأن لا تدع شعبها يعيش حالة ضياع واضطراب؛ أي أن تشعر تجاه الآخرين بنفس الشعور والإحساس الذي يعتري الإنسان تجاه زوجته وأبنائه، فكيف ستتصرّفون أنتم إذا علمتم أنّ ابنكم يواجه حالةً من الانحطاط الأخلاقيّ من وجهة نظركم ومن وجهة نظر المجتمع؟

وفي هذا الخصوص، لا أدري إن كنتم طالعتم كتاب السيدة إيزابيل الليندي Isabel Allende[الملحق ١٠٦]، هو كتاب جذّاب جدًّا يتحدّث عن قوم وسلالة "سلفادور آلنده"[الملحق ١٠٧] المعروف. يذكر الكتاب أنّ أحد الموظّفين الهامّين في أحد بلدان أمريكا اللاتينيّة شاهد في أحد الأمكنة اللاأخلاقيّة تصرّفًا غير أخلاقيّ من ابنه - حيث لا يمكن ذكره هنا - في أثناء ذهابه لمشاهدة الأعمال غير الأخلاقيّة التي يأتي بها الشباب الآخرون. ولكنّه تفاجأ بمشاهدة ابنه! عندها تعتريه الدهشة وعدم التحمّل إلى درجة أنّه يصاب بسكتة أو بالجنون من ذلك.

---

يديك رجلًا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت. ولك ولائه".

في الإسلام، لا فرق بين ابن الشخص وأبناء الآخرين؛ فإذا شاهدتم أمرًا غير مقبول ولا يمكن تحمّله يحصل لابنكم، فينبغي أن يكون الإحساس الذي يعتريكم هو بعينه الذي تشعرون به تجاه أبناء الآخرين، فإذا لم يكن بإمكانكم أن تشعروا بنفس الإحساس؛ يجب أن يكون أداؤكم العمليّ على هذا النحو أيضًا.

نعم، تختلف عواطف الشخص تجاه ابنه عن عواطفه تجاه الآخرين، لكنّ المسؤوليّة لا تختلف في الحالتَين، هي واحدة. فلو شاهد أحد الأشخاص يهوي في إحدى الموبقات، فعليه أن يبادر إلى منعه كما يمنع ابنه من ذلك. يجب عليّ وعليكم أن ننظر بهذه الرؤية إلى مقولة الثقافة والإضلال الثقافيّ. طبعًا إنّ لهذا الأمر قواعد، فهو لا يعني أن نصدر بيانًا نعلن فيه أنّ كلّ من يتحدّث خلاف عقيدتنا سنغلق فمه. كلّا، فهذا الموضوع لا علاقة له بتلك المسألة على الاطلاق. إنّ دين الدولة ودين الوصايا الأخلاقيّة هو مقولة تختلف تمامًا عن القوّة والإكراه والظلم. لا ينبغي لأحد الإتيان بتلك الأعمال لأنّ أيّ عاقل لا يقبلها. إنّ الذين يتشبّثون بالقوّة والإكراه في المسائل الأخلاقيّة والدينيّة والعقائديّة هؤلاء محرومون من العقل السليم. نحن لا نوصي بهذه الامور إلّا أنّ المقولات تختلف عن بعضها البعض ١٩/٩/٧٩.

المسألة الأخرى عبارة عن الابتكار والإبداع، عليكم أن تبدعوا. استعينوا بكامل قدراتكم الإنسانيّة والفكريّة لتوضيح الكلام الحقّ بأساليب حديثة، وكلام جديد، واستدلالات عصريّة، وتنظيم جيّد. إنّ كلامًا واحدًا يمكن إظهاره وتقديمه على نحوَين، حتّى أنّ نصًّا واحدًا يمكن تقديمه كذلك. فإذا كتبتم نصًّا جيّدًا حكيمًا ثمّ أعطيتموه إلى شخصَين، فإنّ أحدهما سيقرأه بأسلوب رقيق ممتع يفهمه المستمعون ويلتذّون به والآخر قد يقرأه بأسلوب منفّر يدعو إلى الملل والتعب. وإذا قرأنا نحن نصًّا قام الآخرون بإعداده، وأردنا الإفصاح عنه، فبإمكاننا تبيينه بعدّة وجوه.

ينبغي أن نبحث عن الأسلوب الأفضل عدا عن أنّه يجب توضيحه

بشكل استدلاليّ، وبأساليب متنوعة. لا بل يمكن إيجاد مطالب جديدة. لا تتصوّروا أنّ الكلام، مهما كان، قد قيل؛ كلّا، بل كما يعبّر صائب "يمكن الحديث عن ضفائر شعر الحبيب ردحًا من الزمن"؛ حتّى زمان ظهور وليّ العصر أرواحنا فداه؛ وبعد ذلك لا نعرف كيف سيكون الوضع.

ولكن حتّى ظهور ذاك العظيم، مهما طال الزمن، لو جاء آلاف المفكّرين لتمكّنوا من استخراج آلاف المسائل الجديدة والحديثة من مصادرنا الحاليّة. لا تتصوّروا أنّ العمل قد انتهى وتمّ. كلّ ما كان فقد قاله السالفون وانتهت القضيّة. ليس صحيحًا؛ المسألة ليست كذلك، ففي الفقاهة الاستدلاليّة، والتي كانت أعظم فنوننا ونحن متقدّمون جدًّا فيها. كما أنّ هناك الكثير من الكلام الذي لم يُقال بعد والكثير من الأفكار الجديدة التي يمكن تصوّرها.

وليس صحيحًا أنّ الشخص يجب أن يكون في مستوى العلّامة الحلّي[الملحق ١٠٨] ليأتي بكلام جديد؛ لا، فالأشخاص الذين هم أدنى بكثير يمكنهم الإتيان بكلام جديد من خلال الدقّة والعمل الحثيث، فما بالك في الأمور التي تتعلّق بالتفسير والمعارف، وأصول العقائد، والأخلاق، وآداب الحياة والسياسة والحكمة العمليّة وغيرها.

هناك الكثير من الكلام الجديد في المفاهيم القرآنيّة، ويجب استخراج هذه الأمور من القرآن والأحاديث، لذلك ينبغي الابتكار في هذه المجالات. إنّ إبداع المطالب الجديدة هو الخلق بهذا المعنى، والإنتاج بالمعنى المصطلح عليه اليوم هو عبارة عن الاستنباط وكشف المفاهيم القرآنيّة ثمّ توضيحها بأساليب متعدّدة. وإنّ عملكم الأساس هو الاستفادة من الفنّ والاستعانة بأنواع الإبداع وأقسام الابتكارات. على كلّ الأحوال، اعلموا أنّ العمل الثقافيّ لم يكن كثيرًا في هذا البلد في أيّ وقت من الأوقات ٧٤/١٢/٢١.

الخصوصيّة الأخرى للعمل الثقافيّ هي أنّه ينبغي أن يُنجز بحذاقة

ونباهة. فالتجميع والحشو ليس مهمًّا، بل تنظيم العمل الثقافيّ، وترتيبه، والانتقاء، ووضع كلّ عمل في مكانه. المهمّ فيه أن يكون ذكيًّا. ينبغي أن يكون واضحًا ما هو الهدف الذي وجد لأجله العمل الثقافيّ. ثمّ بعد ذلك، علينا الالتفات إلى هذا العمل، وهل يتّجه نحو ذاك الهدف، وهذا مؤشّر على العمل الثقافيّ الصحيح. هذا هو الشرط الأوّل، وهو اختيار العمل بحذاقة. وهذا الأمر بذاته له عرض عريض، يتطلّب طيفًا من التوجّهات، والدقّة والاهتمام.

الثاني - كما أشرنا - عبارة عن رعاية الاتّجاه الصحيح؛ أي إنّنا عندما نختار الهدف، فعلينا الانتباه إلى عدم الانحراف عنه أثناء العمل، ويجب الدقّة في رعايته ٧٥/٧/٩. كما أنّ الهدف الثقافيّ يجب أن يتّجه نحو الأصول والأسس والقيم والأشياء المكتوبة على ناصية الثورة، كما يقال؛ أي الشعارات الأساسيّة ٧٥/٧/٩. والأمر الثالث هو الجودة والعمق والتنوّع والبلاغة والجمال وأمثال ذلك بما يشمل كلّ أبعاد الجودة.

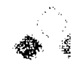
ونحن نعتقد أنّ الطرق الأفضل والحربة الأهمّ في فتح هذه الطرق، والتي يمكنها زرع الهداية الإلهيّة والثوريّة في الأذهان والأرواح، والتي يمكنها أن تكون مثمرةً، هي عبارة عن التنظيم، وإنّ الأشخاص إذا أرادوا العمل للثورة، وكانوا غير منظّمين وغير مجتمعين، فلن يتمكّنوا من القيام بذاك العمل الذي تقوم به المجموعة المنظّمة على مستوى الكيفيّة والكمّيّة ٦١/٩/١٨.

والتنظيم واحد من فرائض المجموعات الشعبيّة التي تسعى للوصول إلى هدف واحد، وهو عبارة عن النظم، أي تقسيم الوظائف والارتباط والاتّصال والعمل بشكل تكامليّ. هذا العمل ليس فقط عملًا غير سيّئ، بل هو جيّد وضروريّ، وإنّ أيّ عمل في الدنيا لا يمكن أن يتقدّم من دون تنظيم؛ والثورة الإسلاميّة في إيران لم تتقدّم ولم تنتصر لولا التنظيم ٦٠/١١/٢٧.

إذًا، العمل التنظيميّ هو عمل جماعيّ يمتاز بأنّ الفرد فيه يذوب في الجمع ويضيع فيه، بحيث يكون هذا الذوبان هو عين استعادة الذات بنحو صحيح. فالإنسان هنا لا يفقد شيئًا بل يضاف إليه. مثال ذلك عندما تضعون مكعّب سكّر في كوب من الماء، فإنّ قطعة السكّر هي أمر مشخّص، تمتلك من الحلاوة بمقدار نفسها، وتمتلك في نفسها كلّ الأمور الحسنة الموجودة في السكّر. عندما تضعونها في كوب الماء فتذوب بالكامل، ولن يبقى منها أيّ ذرّة من تلك الذرّات التي قد نشعر بها تحت أسناننا، أو قد تصدر صوتا لتقول ها أنا ذا! لا يبقى شيء منها، فهي تذوب كلّيًّا في الماء، هذا الماء الذي ذاب فيه قبلها أو بعدها عشر قطع أخرى. لكن هل تعتقدون أنّ ذرّةً واحدةً من هذه القطعة قد فقدت؟ إنّ أيّ شيء منها لم يَزُل.

قطعة السكّر هذه لم ينقص منها حتّى مقدار ذرّة واحدة، لا بل قد أضيف إليها بعض الأشياء، فهي قد امتزجت بالحلاوات الأخرى التي وجدت في الكوب نتيجة ذوبان قطع أخرى من السكّر فيها، وقد سرت الحلاوة من القطع الأخرى إليها، والذي حصل هو أنّ قطعة السكّر قد فقدت تشخّصها وفرديّتها وهكذا يكون التنظيم.

هذا هو الشكل الكامل للتنظيم السليم، أي يجب أن يذوب الفرد في المجموع، وهو عمل سهل في الأساس، لأنّ الإنسان في الأصل هو هكذا. أمّا في التجربة والعمل، فإنّ ما شاهدناه كان مخالفًا لذلك طوال خمسين سنة من القمع الذي أوجده رضاخان ومحمد رضاخان، حتّى لو أنّنا لم نلمس هذه الخمسين سنة عن قرب، إلّا أنّ الثقافة التي أورثونا إيّاها ما زالت ماثلة أمامنا. فطوال التجربة الطويلة للحكم الشموليّ في إيران على امتداد الخمسين سنة الأخيرة، لا بل خلال الـ٢٥٠٠ سنة الأخيرة، كنّا محكومين لنوع من الفرديّة في النظام الحاكم. بالطبع فإنّ الفردانيّة هي من خصائص الشرقيّين، وتاريخ الشرق كان منذ القديم تاريخًا فرديًّا.



وعلى هذا النحو، كان الفنّ والموسيقى واللحن والرياضة في الشرق. كانت الألحان الجماعيّة في المقلب الآخر، لم تكن هنا. وكذلك الرياضة الجماعيّة كانت موجودة هناك. لم يكن سائدًا من الرياضة في الشرق سوى المصارعة، أمّا في الطرف الآخر فالرياضة السائدة هي مثلًا الكرة الطائرة وكرة القدم، وفي الموسيقى كان الأمر على هذا النحو أيضًا حيث أنّ الأوركسترا والألحان التي تنطلق من الحناجر الجماعيّة لم تكن موجودةً في العالم الشرقيّ، وإن وجدت فقد كانت نادرةً.

على كلّ الأحوال، فقد سيطرت الفردانيّة على تاريخ الشرقيّين. أمّا الإسلام فقد عمل في النقطة المقابلة تمامًا لتلك الرؤية، وذلك بأن جعل كافّة الأمور جماعيّةً حتّى العبادة. تعلمون أنّ العبادة هي من أكثر الأعمال شخصيّةً حيث يكون عمل الإنسان مع الله دون دخالة لأيّ أعمال عاديّة أو دنيويّة أو تعاون. إنّها العلاقة بين الإنسان والله، ولا علاقة لأيّ شخص آخر بها؛ تلك العبادة التي فيها نوع دعاء وتضرّع ولا نقصد منها العبادة بالمعنى العامّ، بل تلك المتصوّرة في أغلب الأذهان والتي هي عبارة عن الرابطة الخاصّة للإنسان بالله. هذه العبادة أوصانا الإسلام بالإتيان بها بشكل جمعيّ؛ كصلاة الجماعة والحجّ وغيره، لكن نحن ابتعدنا عن الروح الجماعيّة للإسلام ٥٩/٢/٢.

إنّ المعنى الأوّل والأوضح للتنظيم هو أنّ الأفراد الذين يعملون فيه يسعون وراء جهة واحدة ليبحثوا عن ضالّة واحدة. إنّهم أشخاص يتعاونون ويتشاركون ويترافقون مع بعضهم البعض. إذًا الأخلاق التنظيميّة هي عبارة عن الأخلاق الإسلاميّة المنظّمة، وعن كيفيّة التعاطي بين أخوَين، أو صاحبَي فكر واحد أو ذوَي توجّه واحد. عندما يلتقي شخصان مختلفان عن بعضهما مئةً وثمانين درجةً فسيكون تقابلهما تصادمًا واصطكاكًا. أمّا الأشخاص الذين يتحرّكون في اتّجاه واحد فيكون التقابل بينهم مختلفًا وهو عبارة عن التعاون والتناسق والترافق.

وإذا نظرنا إلى مجموع المقرّرات والتكاليف الموجودة في الإسلام واعتبرناها كأجزاء السيّارة التي تتحرّك مع بعضها طبق نظم خاصّ، فأين مكان الأخلاق هنا؟ الأخلاق، وبرؤية بسيطة جدًّا، قابلة للفهم وهي عبارة عن تلك الوسيلة التي تؤدّي إلى وجود تلك الحركة من دون احتكاك وتآكل وضرر، هذه هي الأخلاق؛ انتبهوا! إنّها كزيت السيّارة. وقد تتعجّبون من هذا إلّا أنّه الواقع والحقيقة.

وإذا كانت الأخلاق الإسلاميّة غير حاكمة في جمع من الناس، فلن يتحقّق المراد والمقصود حتّى لو كانوا يطبّقون المقرّرات ويؤدّون التكاليف بشكل كامل من دون أيّ نقص. فلو أدرت سيّارةً كاملة الصنع ولم يكن في محرّكها زيت، فلن تتحرّك لأنّ الزيت داخل في ماهيّة الحركة، رغم أنّه لا علاقة له بصناعة السيارة إلّا أنّه مؤثّر في الأثر المطلوب منها، وفي استمرار الأثر؛ وهذا هو دور الأخلاق.

وفي ضوء ذلك، تعلّمنا الأخلاق الإسلاميّة أمرَين: أوّلًا أنّها تجعلنا في حالة صراع مع الخصال السيّئة فينا وتساعدنا على القضاء عليها. وثانيًا تقوم بإيجاد الأخلاق الحسنة وتنمية الفضائل الموجودة؛ ويجب أن يجري هذان العملان بموازاة بعضهما البعض.

فعلى سبيل المثال "العجب" من الأخلاق المذمومة؛ وهو الانبهار بالذات. هذه خاصيّة أيّ خُلُق؛ أن أعمل في هذا المكان عشر ساعات بشكل متواصل ولكن أكون شاكرًا وممتنًّا لنفسي، هذا هو العجب. لكن ما هو العيب في أن نكون شاكرين لأنفسنا؟ أو أن نكون راضين عن أنفسنا لأنّنا نعمل؟ إنّ هذا الأمر واضح للغاية، المشكلة أنّنا عندما نمدح أنفسنا، نتوقّع من الآخرين أن يمدحونا. فنحن بهذا النَظم وهذا الجِدّ وهذا الحُسن في العمل، إذًا! ينبغي على الجميع أن يعرفوا قدرنا!

والأمر عينه فيما يرتبط بأخلاق التنظيم، فيجب على الفرد أن يترك

جانبًا حالة رؤية منّته ومحوريّته في قبال الجمع، لأنّها سيّئة لعدّة أسباب إحداها أنّها عجب وهو أسوأ الخصال؛ عالجوا هذا الأمر من خلال المقارنة بين أنفسكم وبين الأشخاص الذين هم أفضل منكم وأكثر تأثيرًا. عالجوه من خلال تضخيم عيوب أعمالكم في أذهانكم وحاولوا قدر المستطاع طرد هذه الحالة من أنفسكم. هذا أحد الاخلاق المذمومة.

وآخر هو "الكِبَر" وهو تضخيم الذات. تارةً قد يترافق مع التعالي على الآخرين والظهور بوجه المتكبّر حيث يقابل الآخرين بالعبوس ويردّ تحيّة الإنسان المحبّ بتعجرف وقلّة أدب، إذ يقول في نفسه: أجل! كان واجبه أن يلقي التحيّة! وتارةً لا، يكون خبث هذا الكبر ودناءته مزروعًا في قلبه وفكره، يكون ظاهره لطيفًا إلّا أنّ باطنه ليس سوى التكبّر والتنمّر.

وفي الحالتين، الأمر سيّئ على صاحبه، وفي الدرجة الثانية، هو سيّئ على الآخرين وعلى الذين يتعاطون مع هذا الشخص. لذلك ينبغي علينا إصلاح أنفسنا لأنّنا عندما نراها أكبر من الآخرين فإنّنا نوجّه ضربةً إلى أنفسنا أوّلًا ومن ثمّ تنقطع الفروع.

من هنا، يجب المبادرة لعلاج هذه الرذيلة والتي هي موجودة في الكثيرين ٥٩/٣/٢. ولو كان التكبّر أمرًا حسنًا، لأعطي الإذن فيه لأنبياء الله تعالى وأوليائه، لكنّ هذا لم يحصل. لقد جعل الله تعالى التكبّر وتعظيم الذات قبيحًا في أعين الأنبياء الذين كانوا ينفرون منه ويتألّمون، وكان التواضع أكثر الأشياء ملاءمةً لهم. إنّ التواضع هو إنزال النفس والأخذ بها إلى الطبقات الأدنى، وهذا ما كانوا يقومون به فقد كانوا أشخاصًا ترابيّين، يعفّرون وجوههم وجباههم بالتراب أمام الله أوّلًا ويسجدون له ويتذلّلون، ويتواضعون أمام المؤمنين ثانيًا ويخفضون أجنحتهم لهم ٥٩/٥/٨.

ولعلّ أحد الأمور التي تؤدّي إلى زوال هذا الخلق السيّئ من الإنسان هو أن يلتصق بما هو مخالف له ولو تصنّعًا ومجازًا فـ"المجاز قنطرة الحقيقة".

إنّ ذلك المتكبّر الذي يصدح صوته بالصلوات ولو تصنّعًا ليطرد الكبر من نفسه ويصرخ بصوتٍ عالٍ باللهمّ...، فهذا يخفّف من الكبر في نفسه قليلًا. والذي يقول عند تقسيم الأعمال إنّ تنظيف المرحاض على عهدتي، فإنّه يزيل الكبر من نفسه. هذه الأمور بالتدريج تحوّله إلى شخص ترابيّ أكثر.

أمّا فيما يتعلّق بمحيط العمل حيث التعاطي مع الآخرين، يجب أن يكون هذا التعاطي بعيدًا عن هذه الخصال الرذيلة التي مرجعها الأنانيّة والكبر. فالعلاقات الحميمة المترافقة مع الصفاء تؤدّي إلى وجود حالة السعي؛ أي إنّها تهيّئ الأرضيّة للذوبان في الجمع وتجعل الحلّ سهلًا، وتقضي على تلك الصعوبات والشوائب والمنازعات التي تلازم الأنانيّة.

في بعض الأوقات، قد يفرض على الإنسان نوع من السلوك غير الملائم، فكيف نتعامل معه؟ أي إنّ سوء أخلاق الآخرين قد يدفع الشخص نحو سوء الخُلق، فماذا يعمل؟ هنا يتّخذ الإنسان بطبعه موقفًا انفعاليًّا، فعندما يتعامل الآخرون بشيء من سوء الأخلاق، تشعرون أنّه لا بد من التعاطي معهم بشكل غير أخلاقيّ، وهذا دور انفعاليّ.

وهنا يقدّم القرآن منهجًا وذلك في قصّة هابيل وقابيل، أي قصّة شخص مؤمن وآخر كافر. وإلّا فكيفيّة تعاطي المؤمن مع المؤمن أمر واضح وبيّن. هناك، حين شعر هابيل، وهو إنسان سليم وطبيعيّ، أنّ قابيل، وهو إنسان غير صحيح وغير طبيعيّ، كان يريد قتله وإلحاق الأذى به، قال هابيل: لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك. وهذا لا يعني أن لا أدافع عن نفسي، أو أن لا أردّ الاعتداء، هذا بحث آخر. فلو بادرت وبسطت يدك إلى السوء، فلا أسعى بذلك السوء إلى ردّك أو مواجهتك. أنت تمدّ يدك إلى السوء، فهل أمدّ يدي نحو السوء قبل أن ينطلق منك وقبل أن تأتي به لأمنعك؟ كلّا؛ هذه الحالة انفعاليّة.

وهكذا تكون الإجابة على الآخرين، فما دام الأمر لا يتعلّق بالواجب، واجب الدفاع عن النفس والدفاع عن الحقّ، فيوجد ما هو أقلّ منه. يجب حتمًا أن لا يصدر منّا أيّ موقف انفعاليّ مقابل السلوك السيّئ والأخلاق القبيحة للآخرين، فبذلك يحلّ الوئام وتزداد المحبّة، وعلى هذا النحو يصبح التعاون والتعاضد ممكنًا، وتزداد العلاقات الأخويّة والحميمة، وتذوب حبّات السكر في الكوب لتشكّل مجموعة الحبات شرابًا منعشًا، لذيذًا، ومفيدًا. وتزول تلك الأنانيّات والفردانيّات والموبقات، ويبقى للإنسان والمجتمع تلك الحالة الإيجابيّة الخالية من الاحتكاكات والمهلكات ٥٩/٣/٢.

في هذا الصدد، يقول الإمام جعفر بن محمّد الصادق (ع): "إذا لم تجتمع القرابة على ثلاثة أشياء تعرّضوا لدخول الوهم عليهم وشماتة الأعداء بهم"[٤٣]. تلك الخصوصيّات الثلاث التي يجب وجودها في الجمع: "وهي ترك الحسد فيما بينهم لئلّا يتحزّبوا فيتشتّت أمرهم، والتواصل ليكون ذلك حاديًا لهم على الألفة، والتعاون لتشملهم العزّة". هذه الخصوصيّات الثلاثة هي أمور ضروريّة للجماعة القريبة من بعضها ٥٩/٦/١٢.

وأسأل الله تعالى أن نتحرّك نحو الأخلاق الأخويّة الإسلاميّة ونحو التعاون الجيّد والسليم سواء كان ذلك على مستوى التنظيم أو على مستوى كلّ المجتمع، وأن نعمل على تقوية هذا النهج وهذا الفكر وهذا الطريق وجعله مقبولًا في الأذهان التي لا تقبله، فالنهج الوحيد هو أن نحاول من خلال أخلاقنا الفاضلة وسلوكنا الإنسانيّ الحسن أن نثبت صحّة وحقّانيّة هذا النهج وهذا الطريق ٥٩/٣/٢.

---

(٤٣) الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني، **تحف العقول عن آل الرسول (ص)**، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (قم: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، الطبعة ٢، ١٣٦٣هـ.ش.)، الصفحة ٣٢٣.

وأوصي بالابتعاد حتمًا عن الاختلاف في الآراء وفي السلائق. دعوا اختلاف السلائق جانبًا واسعوا نحو الوجوه المشتركة. أنا أتعجّب من الذين يحاولون البحث عن نقاط مشتركة مع أشخاص يقفون بلحاظ اعتناقهم للأيديولوجيّات المادّيّة والإلحاديّة في مقابلنا تمامًا، ولكنّهم غير حاضرين لذلك مع إخوتهم المسلمين. ابحثوا عن الأوجه المشتركة، والمشتركات بيننا كثيرة.

الآن، لو نظرنا إلى الأفراد الحاضرين هنا، لوجدنا عددًا من الآراء والسلائق بتعداد الأفراد الموجودين؛ ولكن في النهاية هناك دافع واحد ووجه مشترك واحد جمعنا في هذا المكان؛ لنفتّش عنه، ونعمل على تقويته، لأنّ هذه حصافة كبيرة. هذا الأمر يحتاج إلى ذكاء وحصافة، واليوم ينبغي على المسلمين الثوريّين امتلاك هذه الحصافة ٥٨/٢/١٦.

أمّا فيما يتعلّق بالعمل المؤسّساتيّ والتنظيميّ، أوصيكم بالابتعاد عن البيروقراطيّة والتلهّي بالأمور الإداريّة. واحملوا هذه التوصية على محمل الجدّ وأولوها اهتمامكم بكلّ قوّة لأنّ هذا الأمر هامّ للغاية. لا تجعلوا التنظيم ضخمًا لأنّ تضخيم التنظيم عندما يكون الإنسان عاجزًا عن إنجاز الأعمال فهو أشبه ما يكون بالبدن الضخم الذي يمتلك قلبًا ضعيفًا. أصحاب الهياكل الضخمة يعانون عادةً من برودة في رؤوس الأصابع ومن مشاكل في وصول الدم إلى القلب. الإنسان يقلق ويضطرب جرّاء هذه المشاكل. إذا لم يصل الدم إلى الزائدة فليس ذلك بالأمر الهامّ، لأنّها عضو زائد، وإذا لم يصل إلى الصفراء فلا شيء يدعو للقلق. لكن عندما لا يصل الدم إلى العين فهذا ما يدعو للخوف. عندما يزداد حجم العمل، ويتوسّع، لا بل ويكبر يومًا بعد يوم تظهر هذه المشكلات، وقد جاء في الروايات "قليل يدوم خير من كثير ينقطع"[(٤٤)] ٧١/١١/٤.

---

(٤٤) عبد الواحد بن محمّد التميمي الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكَلِم (قم: دفتر التبليغات الإسلاميّة، الطبعة ١، ١٣٦٦هـ.ش.)، الصفحة ٤٨١، الحديث ١١٠٨٠.

[من جملة الآفّات] التلهّي بالتفكير المجرّد، أي أن نظنّ طالما أنّنا مشغولون فليس مطلوب منّا أيّ شيء آخر؛ نعفي أنفسنا من متابعة أحداث المجتمع الجارية ومواكبتها، ونترك السعي في معرفة الاحتياجات الفكريّة والعمليّة، ولا ندفع أنفسنا للتواصل مع الآخرين والاستماع إليهم وسؤالهم عن مشاكلهم وحاجاتهم، بل نجلس مع أنفسنا ونحيك لها ما تريد. هذه آفّة كبيرة حتمًا. ينبغي أن يكون نمط التفكير واقعيًّا أكثر وعمليًّا أكثر ومواكبًا أكثر وقابلًا للتطبيق أكثر ومتناسبًا بنحو أكبر مع الحاجات.

الآفّة الأخرى هي العجلة؛ فالاستعجال في الأعمال يؤدّي دوما إلى خرابها. الشعور بأنّ الوقت قد تأخّر ويجب الإسراع. إنّ لحظة تباطؤ واحدة بالتأكيد ليست صحيحةً، إلّا أنّ خطوةً واحدةً عجولةً تؤدّي حتمًا إلى الفشل والسقوط. لذلك ينبغي عدم الاستعجال، وأن لا نقارن أنفسنا بحالة تلك الأيديولوجيّة المنافسة حيث يأتي شخص عندهم وقد نزل إلى الميدان حديثًا وكلّما أراد أن يكتب أو يستعرض أمرًا في أيّة قضيّة فيكفيه أن يأتي بكتاب يستنسخه أو يعمد إلى بعض الكتب فينقل منها بعض المطالب كما هي ثمّ يجمع ما حصل عليه فيقدّم لنا كتابًا جديدًا، وهذا ما نراه فعلًا، وكلّ ذلك كلام مكرّر ومستنسخ عن بعضه، وبعضها في الواقع يسبب الغثيان من كثرة التكرار ١٢/١٠/٥٥.

وقليلًا ما تجدون عملًا عميقًا أُنجز على عجلة ودون دقّة. إنّ الجمع من هنا وهناك من دون دقّة هو عمل لكنّه لن يكون عميقًا. ومن الممكن أن يؤدّي دورًا حسنًا وجميلًا، لكن لن يكون له أيّ عمق.

في الظروف الحاليّة للثورة حيث تبرز الحاجة للفكر الإسلاميّ العميق والتعمّق السياسيّ الصحيح وإلى خطّ الإمام، فإنّ الذي نحتاج إليه هو أن نجد رسالتنا. ففي يوم من الأيّام، كانت الرسالة عبارةً عن حثّ الناس من خلال الدوافع الصادقة والحارة إلى وسط الميدان، وإحضارهم إلى

التظاهرات، وقد قاموا بذلك وتحقّق ذاك الإيمان، وفعل الإيمان فعله وأدّى هذا الإنسان رسالته.

وفي يوم أصبحت الرسالة عبارةً عن تحذير الناس من الأخطار والتهديدات المتلاحقة والجدّيّة التي تستهدف الثورة. عندما كانت الثورة في بداية انتصارها، وقف في كلّ ناحية رجل يحمل بوقًا بيدَيه، فيجتمع إليه أربعة أشخاص؛ هذه الأمور يعرفها الناس. لكنّ ما يحتاجون إليه اليوم هو تعميق ذاك الفكر الذي أدّى الإيمان به إلى وجود هذه الخيرات والبركات، علينا أن نعمّق هذا الإيمان في نفوس الشعب، علينا أن نعمل بما من شأنه أن يمكّن الناس من امتلاك المعيار وفهم النهج الأساسيّ والأصيل، ليتحصّنوا ضدّ الضربات ويصيروا منيعين أمامها. هذا أوّلًا ٦١/٩/١٨.

أمّا ثانيًا، فينبغي إتقان العمل، وقد كرّرت الحديث الآتي مرارًا، وقد سمعتموه أنتم بالأخصّ منّي، أنّه نُقل عن الرسول (ص) قوله: "رحم الله امرئً أحيا أمرنا وعمل بأحسنه"(٤٥). وعليه، يجب أن نكون جادّين في العمل، فلا تسمحوا لأيّ خلل أن يتطرّق إلى العمل الذي تقومون به. وإذا ارتفعت جودة العمل، ازدادت قيمته سواء قيمته الدنيويّة أو الإلهيّة؛ فلا تقولوا بأنّنا بذلنا جهودًا كبيرة، ويكفينا الوصول إلى هنا، فعندما تركبون السيارة مع عيالكم وأولادكم وأصدقائكم لتقطعوا مسافة ألف كيلومتر في الجبال، وتكونون شديدي الدقّة والمراقبة مسافة تسعمئة وتسعين كيلومترًا وتقولون لا تهمّ الدقّة في العشرة كيلومترات الباقية؟! فهل يختلف هذا عن عدم الدقّة في المسافة كلّها؟ قد تنزلقون من أعلى الجبل في هذه المسافة المتبقّية. إذًا لا يمكن أن تقولوا لقد قطعنا تسعمئة كيلومتر بأمان وبانتباه، وبات بإمكاننا أن لا ننظر إلى الأمام فيما تبقّى، أو أن ندع المؤشّر يشير إلى نقصان البنزين دون اهتمام، أو أن نترك العجلات التي تحتاج إلى نفخ

---

(٤٥) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، الجزء ١، الصفحة ٦٢.

دون متابعة. فما الفرق؟ المثل المعروف يقول: من الذي قام بالعمل؟ ذلك الذي أتمّه. وفي هذا الكلام حكمة؛ فإن أتممت العمل فقد قمت به ولكن لو قمت بتسعمئة وتسعة وتسعين جزءًا منه ولم تقم بالجزء الأخير فأنت لم تقم بالعمل. هذا هو الإتقان. فلا تسمحوا لأيّ إشكال أن ينفذ إلى العمل ٧٢/٨/٢٥.

اسعوا بقدر المستطاع ليكون عملكم متقنًا، لأنّ الإتقان لا يجلب الضرر؛ وإن حصل تأخير فلا بأس، فلا تعجلوا في الأمر. كما أنّه من الواضح أنّ الإتقان يحتاج إلى جهود أكبر إلّا أنّها أقلّ بكثير من الثمن الذي يدفعه الأفراد عند عدم الإتقان في العمل ٧٥/١٠/١١.

النقطة الأخرى أنّني أعلم أنّ هناك مضائق ولا أدّعي عدمها ٧٢/٢/٦، وعندما يرى الإنسان أنّ المشكلات كثيرة، عليه أن يبذل جهدًا أكبر، وعندما نصل إلى مكان يصبح الحفر فيه صعبًا، علينا أن نحكم الضربة وأن نضاعف القوّة ليساعدنا الله تعالى٧١/٥/٥.

ينبغي أن نعمل بنَفَس طالب الحوزة، بنَفَس الفقراء، وهذا لا يعني أن لا تطلبوا المال والإمكانيّات وأن لا تسعوا وراء ذلك. لا، بل اطلبوا. ولكن إذا لم يحصل، امضوا كما مضى السالكون، فاستمرّوا رغم وجود النقص والفقر.

في إحدى الجلسات تحدّثت حول الكيفيّة التي كنّا نعتلي فيها المنبر ٧٢/٢/٦، كنّا تارةً ندعى إلى اعتلائه، وتارةً أخرى نعتليه دون دعوة – وهذا هو الغالب – كنّا نسعى لإسماع الناس ذاك المطلب الذي قمنا بإعداده وتلك المطالعة التي قمنا بها. كنّا نختلف عن أولئك الأشخاص الذين كانوا يحدّدون مبلغًا خاصًّا لاعتلائهم المنبر، ويطلبون حوالات ماليّة يقبضونها قبل حضورهم ٧٠/١٢/٥. أولئك لم يحملوا نَفَس طلبة العلوم الدينيّة. أنا لا أتحدّث عن نفسي، أنا لا شيء. لكنّ أولئك الذين كانوا يقومون بهذا العمل

ويبلّغون الإسلام، أحاط بهم الضيق والصعوبات من كلّ جانب! كان لنا في مشهد مسجدًا؛ ألهم الله أحد التجار فحوّل دكّانه إلى مسجد. وكنّا إذا سألَنا شخص عن مسجدنا أرشدناه إلى عنوانه حيث كنّا نقول إنّه يقع في زقاق الفردوس، عند جسر الفردوس وأنّكم عندما تدخلون الشارع الفلانيّ تذهبون إلى اليمين، ليس الدكّان الأوّل ولا الثاني، مسجدنا هو الدكّان الثالث! هذه كانت حقيقة. مسجدنا كان الدكّان الثالث، إلّا أنّ ذاك الدكّان الصغير تحوّل إلى محور. لقد أصبح في مشهد مركزًا للخطاب الدينيّ الجديد والجاذبيّات الدينيّة الجديدة.

يمكن القيام بهكذا أعمال، فنحن ما زلنا نحن، لم نختلف عمّا كنّا عليه. ينبغي أن نعود إلى معنويّاتنا وإلى داخل ذواتنا. عندما أتحدّث عن المعنويّات، فأنا أقصد الاعتماد على تلك الاستعدادات الداخليّة وتلك الأمور الموجودة فينا والمتوقّعة منّا. ينبغي أن تفيض هذه الينابيع من داخلنا، وإلّا فهذه الصعوبات موجودة، وعلى كلّ الأحوال ينبغي العمل بهذه الأشياء التي بين أيدينا.

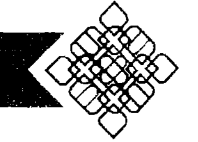
كان المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي[الملحق ١٠٩]، ممثّل السيّد البروجردي[الملحق ١١٠] وممثّل الإمام في النجف، يقول إنّه كان يذهب إلى دكّان قماش ويطلب منه قماشًا لجبّته بمئتي تومان من دون أن يحدّد نوع القماش ومقداره وقيمته، فقط كان يطلب قماشًا بقيمة المال الذي يملكه! وكذلك أنتم ابذلوا وسعكم بكلّ ما هو متيسّر وبما تملكون من إمكانات وأخرجوا استعداداتكم ٧٢/٢/٦.

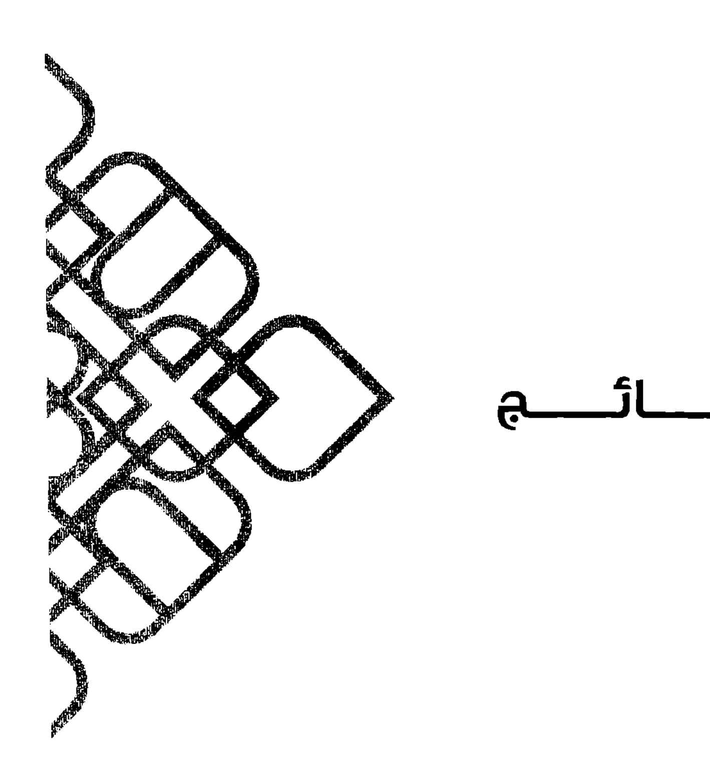
إنّني أرجو أن يلتفت أهل الفنّ إلى قيمته فيجعلوه في مكانه الحقيقيّ، ويلتفتوا إلى قيمة ما يحملون في وجودهم، فيحترمونه. واحترامه هو صرفه في المكان المناسب له. يقول الإمام السجاد (ع): "أما إنّ أبدانكم ليس لها



ثمن إلّا الجنّة فلا تبيعوها بغيرها"[٤٦]. والفنّ يتعلّق بأهمّ أبعاد الروح الإنسانيّة وأكثرها قيمةً، لذلك يجب الوقوف على أهمّيّته وتقديمه قربةً إلى الله. وعندما نقول قربةً إلى الله، فلا يجب أن ينصرف الذهن إلى الحالة القشريّة الريائيّة ١/٥/٨٠.

(٤٦) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٤١.





# النتـــــائـــج

**إنّ ما أودّ الحديث عنه بشكل عامّ هو أن تعملوا لتمنعوا من وصول الجبهة الموافقة إلى مرحلة الانحطاط والترهّل والتساقط.**

**هذه الجبهة تتطلّع إليكم أيّها الإخوة والأخوات، وبمقدار ما أعرف عنكم أنتم الحاضرون في الجلسة - طبعًا لا أعرف أسماء الأخوات الحاضرات حيث لم يتمّ التعريف بهنّ - أرى أنّكم تمثّلون مراكز متعدّدة من جملتها الدائرة الفنّيّة، مركز التنمية الفكريّة للأطفال والناشئة، الإذاعة والتلفزيون، والتجمّعات الفنّيّة الصغيرة وأماكن أخرى.**

**ولعلّ البعض منكم لا يعرف الآخر، ولم يعمل معه، أو البعض يرى شيئًا من العيوب في البعض الآخر، بحيث لو طُلب من أحدكم العمل مع الآخر لم يرضَ بذلك بسبب النواقص والعيوب التي يراها فيه، ولكنّني أنظر إلى جمعكم من نقطة أخرى، فمنكم من هو شاعر أو منتج أفلام، ومنكم من هو كاتب سيناريو أو مؤلّف ومنكم من هو ملحّن أو سينمائيّ، ولعلّ هناك بعض العيوب المحتملة أو أنّها غير موجودة، فأنا لا أنظر إلى ذلك.**

**أنا أرى في جمعكم؛ سواء المعمّم منكم أو غيره، وسواء كان امرأةً أو رجلًا أو شابًّا أو عجوزًا - والعجزة هنا بحمد الله قليلون - جزءًا من الثلاثمئة وثلاثة عشر رجلًا.**

استمرّوا بالحركة توكّلًا على الله وقربةً لوجهه ليقبل منكم إن شاء الله؛ فإذا قبل، كان ذلك أعظم من كلّ شيء. أمّا الألم والحسرة الحقيقيّان فهما في أن نسعى ثمّ لا يقبل الله ذلك لأنّنا كنّا غير مخلصين. تحرّكوا بشكل مخلص وموقن ومتوكّل على الله تعالى، فهو سيساعد وسيقدّم العون المادّيّ وغير المادّيّ.

بالطبع، نجد أنّه وفي بعض الأحيان قد لا يهيّئ الله تعالى العون المادّيّ، فليس بصحيح أن نفترض أنّه يجب عليه تعالى ذلك في جميع الحالات. كلّا، فمهما كانت طبيعة العالم، فإنّ المخطّط الإلهيّ هو الذي يسيّر الأمور.

لقد قطعوا النبيّ زكريّا بالمنشار إلى نصفَين، وقد شاهدت روايةً في

ذيل الآيّة الشريفة ﴿الذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيْل * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّه وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[47]. فوجدت أنّ قوله تعالى ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّه وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ يتعلّق بالذين قُتلوا في سبيل الله. فالقتل في سبيل الله ليس "سوءًا"، ولا يقصد من قوله تعالى ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ أن لا نتلقّى أيّة صفعة؛ بلى نتلقّى الصفعات، لا بل قد يكون ما هو أكبر منها، إلّا أنّ هذا ليس سوءًا إذا نظرتم من خلال المعيار الإلهيّ. ولكن إذا دقّقتم من خلال المعيار المادّيّ والبشريّ فكلّ الأمر سوء. الله تعالى يتحدّث من خلال معاييره لا من خلال معاييرنا المحدودة والمادّيّة.

على كلّ الأحوال، نسأل الله العون، لأن تكون حركتكم لأجل رضا الله وقبوله. ونحن نقرأ في المناجاة الشعبانيّة "إلهي، ما أظنّك تردّني في حاجة قد أفنيت عمري في طلبها منك"، ولكن ما هو ذلك الشيء الذي أفنينا عمرنا لأجله؟ إن شاء الله هو الحصول على رضا الله ومغفرته، هذا هو أصل العمل؛ وهذا ما يجب أن نحصل عليه.

كما يجب أن نكون جميعًا مصداقًا لـ"لا ريب فيه"، وأن تكون عقائدنا لا ريب فيها، محكمةً وقويّةً وأن نقوم بتوضيحها بلغة مناسبة، عند ذلك سنرى بأعيننا بطلان سحر السحرة. أنزلوا المعجزة إلى الميدان وسيبطل سحرهم بنفسه. ستلتهم هذه العقائد "عِصيَّهُم وَحِبَالَهُم". فالمهمّ أن نقوم بإخراج هذه الأيدي البيضاء من جيوبنا، وأن نلقي عصا موسى هذه، وهذا ما يحتاج إلى إبداع ٥/١٢/٧٠.

عندما تصبح كتاباتكم حاكيةً عن الإخلاص، فستهزّ الإنسان وتؤثّر فيه. كلّ ما تقدّمونه بإخلاص سيكون له أهمّيّة كبيرة، وإلّا فالكلّ يقدّم

---

(٤٧) سورة آل عمران، الآيتان ١٧٣ و١٧٤.

التضحيات. البعض يضحّي لأجل تعصّبه وأنانيّته، ويحتمل خطر الموت الذي يهدّده. قد ينفّذ طيّار مناورةً دائريّةً في الجوّ أمام أعين الناس وهو يعلم أنّ احتمال سقوطه هو خمسين في المئة، لكنّه يفعل ذلك رياءً ولأجل إظهار قوّته، وقد يفعل أكثر من هذا بسبب هذه الذاتيّة وحبّ الظهور. والبعض على سبيل المثال قد يضرمون النار بأنفسهم. هذه الأمور لا قيمة لها. يبرز الصفاء والضياء في العمل عندما يتمّ القيام به عن إخلاص، أي يؤتى به لأجل الله تعالى ولأجل التكليف الإلهيّ.

لذلك يجب العمل بشكل جادّ وحثيث لأجل إظهار هذه المسائل ولأجل إسراء هذه الروحيّة على امتداد تاريخنا. يجب أن نستفيد من سنوات الحرب الثماني ٢٥/٤/٧٠. صحيح أنّنا عاينّا ثماني سنوات من الحرب وإراقة الدماء والخوف والاضطراب الدائم، وكنّا لا نستيقظ في أيّ يوم من الأيّام على المسائل الأساسيّة في البلد إلّا وكانت الغصّات والآلام هي المسيطرة؛ وصحيح أنّ الحرب حمّلتنا الكثير من المشكلات والمعوّقات التي لم تكن جزءًا من طبيعتنا، وأنّ الكثير من المجموعات كان بإمكانها القيام بالكثير من الأعمال إلّا أنّ الأحداث العارضة كانت تمنع ذلك. هذه حقيقة مرّة وصعبة رافقها الألم والتعب، لكن بما أنّ ذلك كان يجري بمقتضى العمل في سبيل الخدمة والمحبّة، والهدف الذي هو معشوق الإنسان والذي إليه تتوق قلوب العاشقين، فإنّ كلّ ألم عانيناه كان عبارةً عن لذّة.

وكلّما استذكرت تلك السنوات الثماني وما فيها من آلام وتجارب وصعوبات، تعود بي الذكرى إلى مرحلة النضال قبل الثورة، فصحيح أنّنا مسرورون لأنّ الجهود التي بذلها الشعب الإيرانيّ والعناصر المجاهدة قد وصلت إلى نتائجها المطلوبة بحمد الله؛ إلّا أنّ اللذّة التي كنّا نشعر بها في مرحلة النضال السابق الذي كان يترافق مع المحن والآلام في سبيل الله، كانت لذّةً لا تُنسى من الصعب استعادتها.

في الحقيقة، إنّ مرحلة النضال، بكلّ ما فيها من صعوبات ومحن



واضطرابات وخوف، لها لذّتها الخاصّة والتي لا يمكن حصولها في مرحلة العافية والأمان. تلك اللذّة المعنويّة ناشئة من المحبّة والعشق والعمل الدؤوب للإنسان العاشق الذي يسعى نحو هدف هو محبوبه ومعشوقه.

إنّ هذا الشعور بعينه هو ما نحسّ به في مسألة سنوات الحرب الثماني. لقد ذهبت سنة سبع وستّين إلى منطقة الحرب بعد ذلك الاعتداء الجبان الذي شنّه النظام العراقيّ بعد قبول المعاهدة. كنت هناك في تلك الأيّام. وللمناسبة، اليوم بالذات وقبل مجيئي إلى هذه الجلسة كنت أفكّر في تلك الحالات والساعات والإحساسات التي عشتها آنذاك وكنت أرى أنّها أمور لا يمكن تعويضها بأيّ أمر آخر.

إنّ اللحظات التي يعيشها الإنسان لله، والصعوبات التي يتحمّلها في سبيله، والمسؤوليّة الثقيلة التي يحملها، والقلق الذي يساوره، والمحن التي يتقبّلها، هي أمور لا يمكن تعويضها بأيّ شيء آخر.

إنّ الذي كان يسلّينا ويجعلنا نتقبّل محنة الحرب المفروضة هو وجود التضحيات والإيثار ومشاهد جمال الحضور الثوريّ للشعب في كافّة الميادين والمجالات، وفوق هذا كلّه كان الحضور المنوّر للإمام والرؤية الشاملة لذلك العظيم وإرادته الحاضرة في كلّ مكان والتي كانت في الحقيقة كالجبل سدًّا منيعًا خلفنا.

كنّا نتألّم وكنّا ندرك المحنة العامّة. كنّا نتحمّس جرّاء مشاعر الناس وجهودهم وتضحياتهم، وفي الوقت عينه كنّا نعيش حالةً ممزوجةً بالمعنويّات والعرفان والملحمة والعزم والإرادة الناشئة من وجود الإمام وحضوره. وفي الواقع إنّ هذا الأمر لا يقبل التكرار ولا التجديد.

ينبغي النظر إلى الماضي من هذه الخلفيّة؛ أي أن ننظر إليه بعين الرضا ومن منطلق إنجاز المهمّة، فكلّ مؤمن عندما يؤدّي تكليفه تنتابه السعادة. وهذه السعادة ليست أمرًا معيبًا بل هي أمر حسن، لا يخالطها

التكبّر والعجب وأمثال هذه الأمور. إنّه إحساس من نوع آخر. يقول الإنسان ههنا: الحمد لله الذي وفّقني لأداء تكليفي في هذه المدّة. ينبغي أن نحتفظ في أذهاننا بالذكرى الجميلة لتلك الأيّام وأن نحفظها وأن نسعى إن أمكن لتدوينها على الورق حتّى تبقى للمستقبل.

على مجموعتنا أن تقرّر المضيّ بخطّ الثورة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، نحو أهداف الثورة من دون أيّ نقص أو تردّد أو قبول للضعف في أيّة زاوية من زوايا هذه الأهداف، وأن تمضي بقوّة وقاطعيّة، فالمجال واسع جدًّا. كما يمكن الحضور في جميع الأماكن والشعور بهذا الإحساس، أينما كنّا يجب أن نتحرّك نحو الأهداف بتنسيق كامل واستذكار دائم للإمام [٦٨/٥/١٨].

أمّا فيما يتعلّق بالمستقبل، فعلينا إعداد أنفسنا للخدمة في كلّ مكان وبكلّ الأساليب، من دون أن نكون قد حدّدنا مسبقًا مكانًا خاصًّا للخدمة. منذ بداية الثورة، هكذا كنت وهذا كان مبناي. وعندما كان مقرّرًا أن يعود الإمام رحمة الله عليه كنّا معتصمين في جامعة طهران، وكنّا قد جلسنا مجموعةً من الرفاق المقرّبين وزملاء العمل الذين كانوا من البارزين طوال فترة الثورة، والبعض منهم قد قضى شهيدًا كالشهيد بهشتي، والشهيد مطهّري، والشهيد باهنر، والمرحوم ربّاني الشيرازي[الملحق ١١١]، والمرحوم ربّاني الأملشي[الملحق ١١٢]، نتشاور في مختلف القضايا. قلنا إنّ الإمام سيعود بعد يومَين أو ثلاثة إلى طهران ونحن لا نمتلك الجهوزيّة الكاملة، فلنبادر إلى تشكيل مؤسّسة تكون جاهزةً للعمل عندما يرجع الإمام وتكثر المراجعات وتتوالى الأعمال من كافّة الاتّجاهات. لم يكن هناك كلام عن حكومة.

كنّا حينها أعضاء شورى الثورة، ولم يكن آنذاك هذا الأمر معروفًا عند البعض، حتّى أنّ بعض الأصدقاء أمثال المرحوم ربّاني الشيرازي والمرحوم ربّاني الآملشي كانا لا يعرفان كم هو عدد أعضاء شورى الثورة. كنّا نعمل سويًّا ولم نكن نتحدّث عن الحكومة؛ كنّا نتحدّث عن بيت الإمام، وأنّه عندما يعود إلى طهران هناك بعض المسؤوليّات التي ستستجدّ على العمل.



قلنا لنجلس وننظّم هذا الأمر. جلسنا على طاولة النقاش لمدّة ساعة عصر أحد الأيّام وتحدّثنا حول تقسيم المسؤوليّات، هناك تحدّثت وقلت لتكن مسؤوليّتي تقديم الشاي! تعجّب الجميع، فماذا يعني أن تقدّم الشاي؟ قلت لهم: نعم، أنا أحسن إعداد الشاي، ومع هذا الاقتراح تغيّرت أحوال الجلسة.

فهذه هي الروحيّة التي كنت أتمتّع بها، وعندما تحدّثت بذلك الكلام كنت أعلم أنّ شخصًا لن يقوم بتكليفي بتقديم الشاي ولن يسمحوا لي بذلك، ولكن لو كان الأمر قد وصل فعلًا إلى هذا المستوى كنت سأبادر إلى وضع عباءتي جانبًا وأشمّر عن ساعدي وأقوم بذلك. لم يكن هذا الاقتراح لمجرّد أن أتحدّث بشيء، بل كنت مستعدًّا واقعًا لهذا العمل.

لقد دخلت العمل بهذه الروحيّة، وكنت أكرّر على مسامع أصدقائي أنّني لست ذلك الشخص الذي إن دخل طاولة نقاش يقول: تلك الكرسيّ لي، فإذا وجدتها خاليةً أجلس عليها وإذا لم تكن أنزعج وأترك المكان. لا، أنا لا أمتلك أيّ كرسيّ خاصّ في أيّ طاولة نقاش، بل أدخل وأجلس حيث أجد مكانًا خاليًا.

وإذا شعرت المجموعة أنّ هذا المكان لا يليق بي وعليّ أن أجلس في مكان آخر أفعل ذلك، وإذا اعتبرت أنّ ذاك مناسب لي، أقوم به. الحديث عن هذه الأمور قد لا يكون سهلًا وقد يُحمل على معانٍ أخرى، ولكنّني في الحقيقة أعتقد أنّه يجب أن نكون على هذا النحو من أجل الثورة. لا ينبغي أن نحدّد من البداية مكاننا وكرسيّنا، فإذا أُعطيناه سُررنا وجلسنا وقلنا هذا حقّنا، وإذا وجدنا أنّه لم يمكن الجلوس فيه أو كان أقلّ من مكانتنا نقول لقد ظلمنا، فننزعج ونترك المكان. لم أكن أمتلك هذه الروحيّة منذ البداية، ولم أسعَ كي أكون على هذا النحو؛ هذا هو تكليفنا في مجموعة الثورة ٦٨/٥/١٨.

ـ4 الجبهة يقولون لأحدهم أمسك العربة وانقل الجرحى، وللآخر ارم الآر بي جي، وللثالث اذهب وراقب فإذا رأيت شخصًا يتقدّم نحونا أخبرناَ. إذًا كلّ شخص يقوم بعمل معيّن، فإذا تخلّف هؤلاء الأشخاص عن هذه الأعمال، أصيبت الجبهة بالانهيار. لا يمكن أن تعترض ونقول ما هذا العمل الذي كُلّفنا به، وهل نقل الجرحى عمل؟ ـ4 الواقع فإنّ أهمّيّة نقل الجرحى ـ4 محلّها لا تقلّ عن أهمّيّة إطلاق الآر بي جي.

أينما كنتم ـ4 الجمهوريّة الإسلاميّة، عليكم أن تعتبروا ذلك المكان مركز العالم، وانتبهوا إلى أنّ جميع الأعمال مسوؤليّتكم. فقبل عدّة أشهر من رحيل الإمام رضوان الله عليه كنت أُسأل بشكل دائم: ماذا تريد أن تفعل بعد انتهاء فترة رئاسة الجمهوريّة. طبعًا أنا أحبّ المشاغل الثقافيّة جدًّا؛ كنت أظنّ أنّني بعد إتمام مدّة رئاستي سأذهب إلى إحدى الزوايا وأشتغل بالعمل الثقافيّ. وعندما كنت أُسأل هذا السؤال كنت أقول لهم: إذا طلب منّي الإمام أن أصبح مسؤول التربية العقائديّة-السياسيّة لكتيبة الشرطة ـ4 مدينة زابل، بل لو طلب منّي أن أمارس هذا النشاط ـ4 المخفر بدل الكتيبة، لأخذت بيد زوجتي وأطفالي وذهبت إلى هناك.

والله أنا أقول هذا صادقًا ومن صميم قلبي، أي أنّ زابل بالنسبة لي ستصبح مركز العالم ولعملت ـ4 تلك المنطقة بما يطلب منّي، وأعتقد أنّه علينا العمل والاجتهاد بهذه الروحيّة، وـ4 هذه الحال يبارك الله تعالى أعمالنا ٥/١٢/٧٠.

استعدّوا بشكل دائم لتستفيد منكم الثورة ـ4 أيّ مجال يقتضي ذلك، وتذكّروا أنّه ـ4 بعض الأحيان قد تكون الاستفادة الأفضل من الإنسان الحيّ والعاقل صاحب الشعور، أن يكون كالسلّم الذي يدوس عليه أحدهم لتصل يده إلى مكان ما فينجز عملًا معيّنًا. فما هو الإشكال ـ4 ذلك؟ إذا اقتضت مصلحة الثورة والبلد هذا الأمر، يجب القيام به.

وصيّتي لكم أيّها الإخوة الأعزّاء، بادروا للقيام بالعمل الذي تشعرون أنّ الثورة بحاجة إليه في أيّ مكان كنتم. الثورة بحاجة إلى عمل الأشخاص الفعّالين والصادقين، الشرط الأوّل هو الصدق والإخلاص، فلو فقدناهما في شخص، فمن المحتمل جدًّا أن يكون عمله غير نافع أو أنّه يؤدّي إلى إشكال في مكان ما. فإنّ الشخص الفعّال، الفاقد للصدق والإخلاص، يبقى كالآلة التي إن لم تبقَ تحت المراقبة وظهر خلل في برغيّ فيها، ترون أنّها تلحق الضرر حتّى به. إنّ فعاليّة الإنسان هي أن ينجز كلّ فرد العمل الموكل إليه انطلاقًا من الإخلاص والصدق والنيّة السليمة حتّى يكون إنسانًا وليس آلةً ١٨/٥/٦٨.

أنتم بإمكانكم أن تكونوا تلك الشجرة الطيّبة والمباركة التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[48] هذا الأمر ممكن بالتوكّل على الله وبالاستمداد من الربّ وبإخلاص النيّة الموجودة بينكم والحمد لله، وبمقدار ما تزيدون النورانيّة في أنفسكم.

في النهاية، يجب أن ننوّر أنفسنا، فنحن بحاجة للنورانيّة دائمًا. فكما يضطرّ الإنسان في هواء طهران الملوّث بالدخان أن يغسل بالصابون مرّةً على الأقلّ كلّ عدّة ساعات وإلّا اتّسخ كثيرًا، نحن كذلك في الواقع. أرواحنا هي كذلك، وخاصّة أنتم. أنتم الذين تقومون بهداية الآخرين، فإنّكم ستقعون بمثل هذه البلاءات. يذكر مولوي قصّةً يقول فيها بشكل مجمل: هذا الماء الموجود في الأنهار والبحار هو الذي يزيل جميع الأوساخ والأدران الملتصقة بنا، فمهما كان الإنسان متّسخًا وكريهًا وقذرًا فإنّه يرفع هذه القذارات بهذا الماء ومنه يحصل على الصحّة والجمال والطهارة، إلّا أنّ هذا الماء نفسه يصبح ملوّثًا ويحتاج إلى تنظيف، وتحصل هذه النظافة من خلال العروج؛ يعرج هذا الماء، فيصبح مطرًا فيصير نظيفًا ويعود.

(٤٨) سورة إبراهيم، الآية ٢٤ و٢٥.

إنّ هذه الحركة الدائمة ضروريّة، فإذا لم نقم بهذا العروج لما أمكننا الوصول إلى الطهارة والنظافة. يريد مولوي القول إنّ أهل المعرفة معلّمي البشر الذين يرجع إليهم الناس يجب أن يجعلوا لأنفسهم معراجًا. فلا يمكن بدون عروج، وإلّا صرنا فاسدين.

أنتم في أشدّ الحاجة إلى هذا المعراج لأنّكم تعملون على هداية الناس. أنتم تكتبون، تفكّرون وتبحثون في الشبهات لترفعوها من الأذهان، تدقّقون في الشوائب لتوصلوا الأصالة الى الناس، لذلك يقع على عاتقكم عبء كبير. ولذا تحتاجون إلى هذا المعراج، فلا تغفلوا عنه. وهذا المعراج هو الصلاة، وهو الذكر، وهو التوجّه إلى الله. وهو بالخصوص اجتناب المعاصي. هذا الاتّقاء وهذه الوقاية هي أفضل مصدر للنورانيّة. وإنّ جميع الأعمال الأخرى هي بمثابة العلاج وتناول الدواء، أمّا اجتناب المعاصي فهو بمثابة الحمية التي بحسب الظاهر أثرها أكبر من الدواء المقوّي والمعالج. فعندما يصاب الإنسان بالزكام فإنّ الدواء المقوّي قد لا يكون مفيدًا ما لم يستعن بالوقاية ٧١/٤/١٤.

في هذه السنوات، وفيما يتعلّق بالأعمال الثقافيّة، حاولت قدر استطاعتي الاتّصال بكلّ مكان كنت أحتمل أن يكون فيه حراك ثقافيّ. كنت أبادر للارتباط بكلّ مكان أشعر بأنّ فيه أمل وكنت حيث أمكن أقدّم العون ٧١/٤/١٤. إنّ شبابنا المسلمين يملكون الكثير من الاستعداد. في الواقع عندما أنظر إليهم أرى أنّ روحيّة الثورة قد نمت فيهم إلى مستوى أنّها جعلتهم أفضل فنّيًّا من كثير من الفنّانين القدماء الذين نعرفهم، وعندما يردّون في مجال ما فإنّهم يقدّمون نتاجات جيّدة بمقدار ما يجري تشجيعهم على ذلك وبمقدار ما يفسح لهم المجال. ومن الواضح أنّهم يملكون استعدادات عالية، وما يؤسَف له أنّ ثقافتنا الرسميّة لم تهتمّ بهذه الأمور، والمراكز الثقافيّة الرسميّة لم تهتمّ بهم أيضًا، فكانوا مظلومين.

اعملوا كلّ ما تقدرون عليه في هذا المجال، ولا تخافوا من الضجيج



والضوضاء، ولا تهتمّوا لقولهم إنّكم رجعيّون، ولا تعبأوا بقولهم إنّكم متحجّرون ولا تفهمون. هم المتحجّرون. الذين يقولون عنكم ذلك لا يدركون كلام من يردّدون، ولا يعون بلسان من يتفوّهون. هذا لسان أسياد الثقافة الحاكمة على العالم، أي الثقافة الغربيّة.

هم أنفسهم المتحجّرون. إنّ الغربيّين هم المتحجّرون، فبالنسبة إليهم، كل مخالف لكلامهم لا يُحتمل. أمّا نحن فنتحمّل بسعة صدر كلّ ما ينتج عن الظواهر الثقافيّة. لا بل نتحمّل أكثر ممّا يجب، أمّا هم فلا طاقة عندهم للتحمّل، وهم غير مستعدّين لقبول ثقافة غير ثقافتهم. ولذلك لا تخافوا من هذه التهم والإهانات.

أنتم مفكّرون، واعون، متنوّرون، وتهتمّون، وأنتم ذاك البناء الجديد، وأنتم الغرس الذي تتعلّق به الآمال. حاولوا متابعة العمل الثقافيّ الصحيح والثوريّ والمطلوب وانشروه في البيئة المحيطة بعملكم. نحن لا ننتظر منكم أكثر من هذا، اعملوا في حدود مكان عملكم وبمقدار المسؤوليّة الملقاة على عاتقكم ٧١/٥/٥.

برأيي هناك عاملان لانغراس حزب تودة في بلدنا واتّساع تشكيلاته التي كانت منتشرةً جدًّا بلا ضجيج؛ أحدهما ما يتعلّق بالتنظيم حيث اعتمدوا على المعايير العالميّة، فكان ذلك التنظيم المعدّ سلفًا في الخارج يطرح في جميع الأماكن ويُعمل به من دون تعب أو مشقّة. وثانيهما كان الأدب القويّ الذي تميّزوا به، فقد كان لهم منذ السنوات الأولى لعهد رضا خان القمعيّ أدبيّات قويّة جدًّا.

فلقد شاهدتم أنّهم بعد الثورة مباشرةً أسّسوا ملتقى الكتّاب[الملحق ١١٣]، ولو لم يتشكّل هذا الملتقى لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من نجاحات. لقد طبعوا مئات الكتب ودوّنوا آلاف الكرّاسات والكتابات والتحليلات ونشروها في كافّة الأماكن. هذا ما كنّا نشاهده في مدّة قصيرة من عمر الثورة أي في

السنوات الأولى، وقد كان هذا برأي الذين يريدون أن ينجزوا ذاك العمل أو يريدون أن يحلّلوا (الأوضاع) ذخرًا عظيمًا.

طبعًا كان حزب تودة حزب الباطل، وكانت عقائده باطلة أيضًا، وكان أفراده فاسدين وسيّئين. وكان بعض هؤلاء، الذين يتولّون الأعمال وكنّا نعرفهم عن قرب، أشخاصًا ثانويّين وغير مهمّين لكنّ هذه المركزيّة كانت تمدّهم بالمساعدات لينجزوا أعمالاً هامّةً.

بالطبع، إنّ في قيامي بتشبيهكم أيّها الإخوة والأخوات بتلك المجموعة إهانة كبيرة، فأين أنتم وأين هم! أنتم في الحقيقة صفحة من نور، وبصدق أقول أنتم صفحة من الصفاء والمعنويّات. أمّا هم فكانوا صفحةً من ظلام. أنا كنت قد رأيت بعض هؤلاء عن قرب. كانوا ظلمات فعلًا. لم يكن في وجودهم حتّى نقطة واحدة من النور، كانوا ظلمات محضة! "ظلمات بعضها فوق بعض". أمّا أنتم فالحمد لله نور على نور، وأنا أشعر بالنورانيّة الموجودة فيكم. كان أحد العرفاء يتحدّث بكلام جميل مع أنّه غير محقّق عندي، كان يقول: بعض هؤلاء الكفّار لا يصلون إلى القيامة عندما يموتون. فهؤلاء يتلاشى وجودهم بالكامل في الطريق، فيجعل الله تعالى تلك الذرّات الجيّدة التي كانت فيهم تنجذب نحو المؤمنين!

طبعًا هذا الرؤية غير قابلة للإثبات وأنا لم آخذ بها، إلّا أنّ الكلام جميل، فاجذبوا نحو المؤمنين تلك الذرّات التي يمكن الاستفادة منها، واتركوا ما سوى ذلك يضيع في وادي برهوت. فماذا نفعل بهذه الذرّات؟ هل نقوم بتكبيرها فتنبعث الثورة والإسلام والأفكار السليمة وأصحاب الفكر الإسلاميّ من بين الشرور؟ إذًا فالتعامل السليم أحيانًا يكون في فضحهم وتحطيم أصنامهم وتقريب البعض وجعل بعض المقرّبين أقرب ٧١/٤/١٢ .

وأنا على يقين بأنّ الحركة الثقافيّة في البلد ستتمكّن من عبور تلك الممرّات الضيّقة والصعبة رغم كلّ ما يطرأ من أمور غير ملائمة وستنمو



وتكامل ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾[٤٩] وأنا أشاهد هذا التكامل.

في الحقيقة فإنّنا نشاهد أفكارًا وأذهانًا فعّالةً مبدعةً ووقّادةً، وهذه ستتقدّم نحو الأمام. إنّ أعداء الثورة وأعداء الإسلام لا يمكنهم القيام بما يريدون عن طريق الثقافة. لقد تمكّنوا بالطبع من إيجاد الكثير من المشكلات، وسيقومون باستمرار بإيجادها، ولا شكّ في ذلك؛ إلّا أنّ ما تتمتّعون به إن شاء الله من إيمان وهمّة لن يسمح لهم بتنفيذ مآربهم ٧٩/١١/٢٩.

إنّ القيمة المعنويّة للعمل تزداد كلّما كان الحمل أثقل، وكلّما كان الألم والغصص والهاجس أكبر، ولعلّ تأثيره يكون أعلى وأفضل في الحركة العامّة للتاريخ والحضارة والمعرفة البشريّة والخصوصيّات التي تكون محلّ احترام في التقدير العقلانيّ الصحيح.

وبغضّ النظر عمّا تقدّم، فإنّ الثواب الإلهيّ محفوظ في محلّه وهو أهمّ من كلّ هذه الأمور. فأنتم عندما تقومون بعمل مع تعب ومشقّة، لا تتساوون مع ذاك الذي يقوم بنفس العمل ولكن من دون تعب ومشقّة. ونحن نعتقد أنّ الثواب الإلهيّ هو أفضل وأبقى وأكثر قيمةً. وهذه المدّة التي نطويها ما بين الولادة والممات هي في الأصل لأجل صناعة الحياة الآخرة، ولأجل الوصول إلى ذلك التكامل البشريّ والإنسانيّ، وحتّى نكون كما أراد الله تعالى منّا أن نكون، وحتّى نصل إلى الثواب الإلهيّ. وهذا هو المبنى الاعتقاديّ للأديان ولا يوجد أيّ دين لا ينادي به.

الآن لو جئنا إلى مسيرة حياتنا، إلى عالم الشعر والأدب والموسيقى والرسم والغرافيك وكتابة القصّة والفنّ، ووجدنا عملًا يفرح قلوبنا الحزينة، ويشعرنا أيضًا بأنّنا أنجزنا تكليفنا، وكذلك يترك تأثيره في

(٤٩) سورة الانشقاق، الآية ٦.

مصير بلدنا وأمّتنا وأدبنا وتاريخنا، ويهدي كذلك عددًا من الضالّين، ويكون فوق ذلك موردًا لرضا الله تعالى، فأيّ عمل يعادل هذا العمل؟ هل لديكم ما يمكن أن يقارَن به؟ إنّ هذا العمل هو الأعلى والأفضل. ولو وصل إنسان إليه لوجب عليه شكر الله تعالى في كلّ لحظة آلاف المرات؛ وطبعًا لن يتمكّن من ذلك، لأنّ اللسان قاصر عن الشكر.

إنّ الذي تمكّن من إيجاد عمل يرى أمام عينَيه أنّ العديد من الضالّين والمحتارين والمضطربين يهتدون به ويجدون الطريق من خلاله ويصلون إلى السعادة بواسطة عمله هذا، فمن ناحية سيكون هذا العمل محبوبًا عنده ولا كلفة فيه، لأنّ أهل الفنّ والذوق والأدب عليهم أثناء القيام بعمل ما أن يجعلوه نابعًا من أعماقهم، ومن الناحية الأخرى سيكون هذا العمل موردًا لرضى وسرور الكرام الكاتبين وكروبيّي الملإ الأعلى والشهداء الذين جعلهم الله تعالى رقباء على أعمالنا صغيرها وكبيرها – "وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم" – حيث سيقولون له مئة مرّة أحسنت وبوركت، لقد كتبت سطرًا في هذه القصة، أو إنّك صنعت خمسة دقائق من هذا الفيلم، أو إنّك تلوت بيتَي شعر من هذه القصيدة، أو إنّك دوّنت الخطّ الفلانيّ في المكان الفلانيّ، أو إنّك رسمت اللوحة الكذائيّة؛ وهذا يعني أنّ الله تبارك وتعالى يتفاخر بابن التراب هذا الذي يضاهي الملائكة في مجاهدته. فلئن صار هذا نصيب أحد، فهل سيكون قليلًا؟ بالطبع مثل هذا الإخلاص وهذا التوجّه لا يتحقّق لأيٍّ كان بسهولة. فإذا حصل لإنسان، عليه أن يضعه نصب عينَيه ويعلم أنّه أكثر قيمةً من كلّ متاع الدنيا وثرواتها

٧١/١١/٤.

إذا خطونا وتحرّكنا، هل يمكن أن لا يتقدّم العمل؟ إنّ التحرّك ملازم للتقدّم، وقد وعد الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[50].

---

(٥٠) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.



جاهدوا في هذا السبيل، واعلموا أنّ الهدايّة الإلهيّة ستكون ملك أيديكم. لقد جاء في الآيات الشريفة ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[51] هذه كلّها قد ذكرت بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة؛ لنهدينّهم، ولينصرنّ. كلّ المؤمنين يصدّقون كلام الله ولو من غير قسم، فلماذا أقسم تعالى؟ إنّ هذا القسم هو للدلالة على الأهمّيّة وعلى التحقّق الحتميّ والعينيّ للمسألة؛ ولينصرنّ الله من ينصره، أنتم انصروا الله، ينصركم الله كذلك. والنصرة في أيّ أمر تكون بحسبه. في المجال الثقافيّ تكون النصرة ثقافيّةً، وفي المجال العسكريّ تكون النصرة عسكريّةً. وبعدها يأتي ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ٨١/٩/٢٦.

وورد في الحديث "من كان لله كان الله له"[52]؛ فكلّ من يعمل لله فإنّ الله سيضع في خدمته كافّة الإمكانيّات الإلهيّة والعلم الإلهيّ والقدرة الإلهيّة والسنن الكونيّة ٧٧/١٢/١٥.

**إنّني أنظر إلى مجموعتكم أينما كنتم، وكلّما انتاب قلبي شعور بالغربة في هذا الميدان وأشرق عليه فجأةً نور أمل، كنتم أنتم ذلك النور. أقول هذا حقيقةً. الأشخاص الذين أعرفهم من بينكم؛ أنتم في الواقع هكذا. اعلموا أنّي أدعو كلّ ليلة تقريبًا لمجموعتكم بشكل خاصّ، حتّى أنّني أذكر في الدعاء أسماء بعض الأشخاص والمجموعات.** وعندما أنظر إلى نتاجاتكم، ربّما يندر أن أقرأ شيئًا من هذه النتاجات ولا أدعو من أعماق القلب للكاتب والناشر ولكلّ فريق العمل. أدعو لكم أيّها الإخوة بشكل خاصّ، وصحيح أنّ دعائي ليس له قيمة تذكر، ولكن أقول هذا لتعلموا مقدار تعلّقي بكم وبأعمالكم. أدعو لكم بالإسم بشكل خاصّ، وأسأل الله أن يعينكم ويهديكم ويشملكم برأفته وتوفيقاته ٧١/١١/٤.

---

(٥١) سورة الحجّ، الآية ٤٠.

(٥٢) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٨٢، الصفحة ٣١٩، الحديث ٢.

**بالطبع ينبغي أن أشير لكم إلى مسألة هي أنّكم لو قرّرتم جميعًا - لا سمح الله - ترك هذا الميدان، وقلتم في وقتٍ ما نحن نودّع هذا العمل والنشاط والحضور ونتنحّى جانبًا، فلا أعتقد أنّ هذه الساحة ستبقى خاليةً. كلّا، فعقيدتي أنّ أرض الله لن تُترك دون رعاية.**إنّ العربة الإلهيّة تتحرّك وفق مسارها دون توقّف، ونحن الذين نتخلّف، نحن الذين ترمينا تلك العربة العظيمة المتحرّكة ٦٤/١/٢٨. إنّ المسؤوليّة الإلهيّة لن تُترك أرضًا؛ اعلموا هذا. في يوم من الأيّام وفي زمن من الأزمنة سيصل ذلك الحمل إلى منزله فهنيئًا لمن يحصل على توفيق حَمله ٦٢/٦/٣.

**كنت قبل الثورة أكرّر على مسامع الطلبة والرفاق الشباب الذين كانوا معي وأقول لهم: اعلموا أنّ إرادة الله تعالى إذا تعلّقت بأمر فلن يوقفها شيء، وقد نطق القرآن بهذا** ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٥٣]**، فسيأتي الله تعالى بأيدٍ أخرى وظهر آخر وعاتق ضخم آخر ليؤدّي تكليفه في رفع هذا الحمل. ولكنّ إنجاز العمل سيتأخّر في النهاية، فممّا لا شكّ فيه أنّنا عندما نتخلّى عن مسؤوليّتنا وندعها، ليأتي آخر وينهض بحملها، فلا بدّ من حصول توقّف، والتوقّف في الطريق الإلهيّ ليس جائزًا. إنّ أكبر عمل نقوم به هو الاستفادة من هذه الفرصة والمكانة التي أعطانا إيّاها الله لنقوم بحمل هذا التكليف. في الأساس، إنّ أكبر المفاخر هي أن يجعلنا الله عبادًا له، وأن يطلب منّا أن نحمل هذه المسؤوليّة، لذلك أقول إنّ عليكم بذل الجهد كي لا تندثر هذه الجبهة ولا يزول ذلك الجمع الذي يشكّل الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا من بدريّي هذا الزمان.**

على كلّ الأحوال، عملكم عمل هامّ. أردت أن أشير عليكم بأن تعلموا –

---

(٥٣) سورة المائدة، الآية ٥٤.

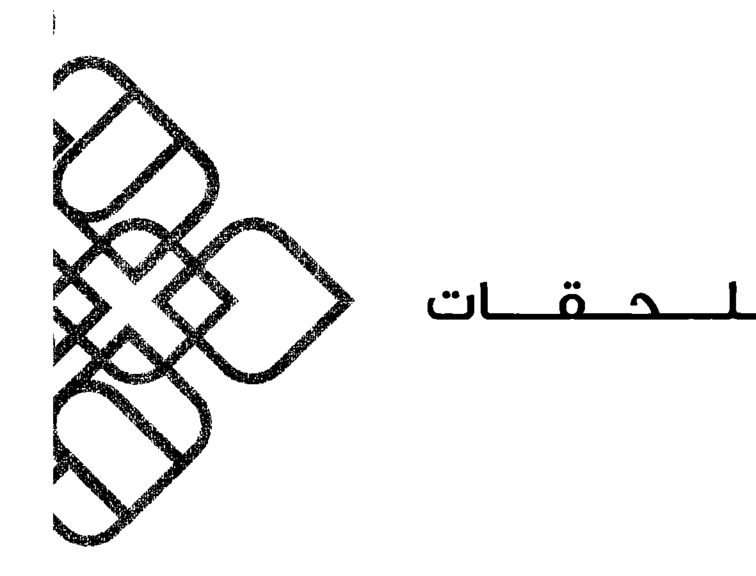


حتّى لو كنتم تدركون – أنّ عليكم أن تستمرّوا وتكملوا المسير في هذا الخطّ وهذا الصراط إن شاء الله، وذلك بالهمّة والسعي المضاعف، وبتصغير المشكلات وتوسيع الخطوات نحو الأمام، وبرؤية الأهداف البعيدة، وبالاستمداد من الله تعالى، وامتلاك الإخلاص –حيث إنّ الإخلاص أساس المسألة. وقد ذكرت أنّنا ندعو لكم أن يوفّقكم الله ويمدّكم بالعون. ونحن مسرورون من وجود هذه الحركة الطيّبة والطاهرة داخل مجتمعنا، وندعو الله أن يوفّقكم للمزيد وأن يلهمكم الأمل والإبداع في الأعمال الأساسيّة ٢٥/٤/٧٠.

**موفّقين إن شاء اللّه. لقد حان وقت الصلاة.**



# ملحقات



### ١. الإمام الخمينيّ (قده)

ولد السيّد روح الله مصطفويّ الخمينيّ في أوائل شهر مهر عام ١٢٨١هـ.ش، وصادفت ولادته يوم ولادة السيّدة الزهراء (ع)، قبل أربعة عشر عامًا من ثورة المشروطة، وذلك في مدينة خمين وفي عائلة متديّنة.

يعتبر جدّه ووالد جدّه من كبار الفقهاء في تلك المرحلة. أمّا والد جدّه فهو من كبار علماء نيشابور، وقد سافر إلى كشمير في الهند بهدف تبليغ الإسلام، إلّا أنّه استشهد بعد هجوم المعارضين.

انتقل جدّه إلى النجف لتحصيل العلم، ثمّ سافر إلى خمين في إيران بعد أن دعاه بعض كبار المدينة للقدوم. أمّا والد الإمام المرحوم السيّد مصطفى، فقد سكن خمين بعد انتهائه من الدراسة في النجف وحصوله على إجازة الاجتهاد، فاشتغل بحلّ المسائل الشرعيّة للناس هناك.

وقف إلى جانب الناس في مواجهة الظلم والأشرار، وقد سافر في العام ١٣٢٠هـ.ق. إلى مدينة آراك للقاء الوالي بهدف تقديم شكوى عن اثنين من الأشرار، إلّا أنّ قطّاع الطرق نصبوا له كمينًا في الطريق فاستشهد عن عمر الثانية وأربعين سنة.

في هذه الفترة، كان عمر روح الله لا يزيد عن خمسة أشهر وكان أصغر أفراد العائلة. بعد شهادة والده، ترعرع الإمام بين والدته وعمّته التي كانت امرأة شجاعة، وقد بلغت شجاعتها أنّها تمكّنت من الحصول على حكم القصاص لقاتل أخيها. أمّا موت العمّة، وبعد ذلك موت الوالدة شكّلتا أكبر مصيبتين أصيب بهما روح الله في عمر الخامس عشر.

وبدأ الفصل الثاني من حياة روح الله حين انتقل عام ١٣٠٠هـ. ش إلى آراك لتحصيل العلم، وكان عمره لا يزيد عن التسع عشر سنة.

التحق روح الله في آراك بجمع من طلبة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائريّ الذي هو من تلامذة الميرزا الشيرازي. وبعد فترة، هاجر آية الله الحائريّ إلى قم فتبعه الإمام بعد أربعة عشر شهرًا.

درس الإمام في قم الفقه والأصول والكلام والفلسفة والعرفان على أيدي أساتذتها. وتتلمذ على أيدي أربعة عشر أستاذًا من جملتها آية الله الحائري، ملكي التبريزيّ والشاه آبادي، صاحب المقامات العرفانيّة العالية الذي استفاد الإمام منه.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الأعمال التي مارسها رضا خان بدءًا من محاربة الإسلام، إلى كشف الحجاب ثمّ العمل على انزواء العلماء، وبالمقابل مواجهة الإمام له، كلّ ذلك ساهم في تشكيل شخصيّته السياسيّة.

بعد خلع رضا شاه ومجيء محمّد رضا، أظهر الإمام ومنذ البدآية انزعاجه من استمرار ذاك التفكير والأسلوب الذي كان موجودًا في السابق.

لذلك نرى الإمام يحذّر في كتاب **كشف الأسرار**، وبعد ثلاث سنوات من حكم محمّد رضا، من استمرار الحكومة الديكتاتوريّة، ويعود أوّل بيان إعلاميّ جهاديّ للإمام إلى الخامس من شهر أرديبشهت عام ١٣٢٣.

كان الإمام في هذه الفترة من أبرز الذين كانوا يراقبون الأوضاع، وهو أحد الأشخاص الذين كانوا يدافعون عن آية الله البروجردي.

بدأ الإمام العمل في المجال السياسيّ بشكل واسع بعد وفاة آية الله البروجردي، وبدأ اسمه يطرح بعنوان مرجع تقليد. اتخذ الإمام موقفًا صريحًا في مواجهة أعمال الشاه، ولعلّ أبرز الأمور التي خالفها؛ وقوفه ضد اللائحة الإصلاحيّة لقانون الايارات والولايات والثورة البيضاء للشاه.

اعتُقل الإمام ليل الخامس عشر من خرداد عام ١٣٤٢هـ.ش ممّا أدّى إلى قيام ثورة كبيرة. بقي لعدّة أشهر في السجن، وحوصر في أحد منازل طهران عددًا آخر من الشهور.

خرج الإمام من السجن وأفشى قضيّة الكابيتالسيون ممّا أدى إلى اعتقاله وإبعاده إلى تركيا، ثمّ إلى العراق وبعدها إلى فرنسا. إلّا أنّ كافّة هذه الأعمال والإبعاد والضغط لم تفلح في فصل الإمام عن إيران؛ حيث كان على تواصل مستمرّ مع الشعب يقدّم له التوجيهات اللازمة.

كما وأسّس الإمام في شهر دي عام ١٣٥٧هـ.ش شورى الثورة وعاد إلى إيران في الثاني عشر من بهمن عام ١٣٥٧ باستقبال جماهيريّ لا نظير له. وفي ١٦ بهمن ١٣٥٧، تمّ تعيين بارزگان رئيسًا مؤقّتًا للحكومة. ومع انتصار الثورة الإسلاميّة في الثاني والعشرين من بهمن ١٣٥٧هـ.ش، بدأ فصل جديد من الحياة السياسيّة للإمام.

عمل الإمام في مرحلة قيادته النظام الإسلاميّ على تأسيس نظام سياسيّ جديد. أيّد النظام الجمهوريّ الإسلاميّ، وأطلق عليه "الحكومة الجمهوريّة اعتمادًا على الآراء العامّة؛ والإسلاميّة نسبة لقانون الإسلام".

وبعد توضيحه نموذج النظام السياسيّ الجديد، فقد تمكّن من تثبيته بشكل قاطع بعد الحصول على ٩٨ بالمئة من الأصوات المشاركة في انتخابات التأييد للنظام الإسلاميّ.

وبعد استقرار النظام الإسلاميّ، عمل المنافقون والمستعمرون الأجانب على إيجاد المؤامرات ضدّ هذا النظام، إلّا أنّ تدابير الإمام ساهمت يومًا بعد يوم في تحكيم أسس الثورة. ثمّ كانت الحرب التي فرضتها الأمم المستعمرة بمثابة امتحان، خرجت منها الأمّة بقيادة الإمام مرفوعة الرأس.

ثمّ انتقل الإمام في الرابع عشر من خرداد عام ١٣٦٨ هـ. ش إلى جوار ربّه وسط تشييع مليونيّ وعزاء عام شارك فيه الإيرانيّون وغير الإيرانيّين، وقد دوّن الإمام في وصيّته: "وبقلب هادئ، وفؤاد مطمئن وروح فرحة وضمير آمل بفضل الله" ليسرع نحو ديار الباقي.

## ٢. الثورة الفرنسيّة

في القرن الثامن عشر، كانت فرنسا تضمّ حوالي الستّة وعشرين مليون نسمة موزّعين على ثلاث طبقات منفصلة عن بعضها البعض؛ الأشراف، الكنيسة وعامّة الناس. وكانت باريس في ذاك الزمان مركز النهضة ومنطلق الفكر إلى أوروبا، واللغة الفرنسيّة هي الرائجة في كلّ مكان.

وكان عدد أفراد طبقة الأشراف لا يتجاوز الأربعمئة ألف شخص احتلّوا المناصب والأعمال العالية في البلد.

أمّا الأشراف الأصيلون، فلا يبلغون عدّة آلاف شخص سكنوا باريس وقصر فرساي. وكان هؤلاء يشكّلون السلالة الملكيّة الأساسيّة المؤيّدة من قبل الملك والذين تدفع لهم الأموال بشكل دائم من الخزانة. وهناك قسم آخر من الأشراف يطلق عليهم عنوان "النجباء" وقد تمكّنوا من شراء هذا اللقب تحت عناوين متعدّدة، وكان هؤلاء يحتلّون المناصب العليا في الجيش والتجارة. سيطرت على هذه الفئات العادات الإقطاعيّة حيث كانوا يبنون القصور ويمتلكون الأراضي والبشر والمحاصيل.

وأمّا الناس العاديّون، فيشكّلون ٩٨ بالمئة من الشعب الفرنسيّ، وهم على مستويين؛ سكان المدن وهم أصحاب الرساميل، والتجّار وأصحاب البنوك الرئيسة، وأصحاب الصناعات والأعمال المشابهة لها. والمستوى الثاني عبارة عن المزارعين والعمّال والأشخاص الذين يعيشون حالة الفقر الذين لا يفكّرون بالثورة ولا بالحضور فيها.

قاد الرأسماليّون والتجّار، ساكني المدن، الثورة الفرنسيّة حيث كانوا يطالبون بالمساواة والحريّة وتحديد سلطة الأشراف (النبلاء) والكنيسة. بينما كان الناس العاديّون يفكّرون في إلغاء الضرائب الإقطاعيّة والإجباريّة التي كانت تفرض عليهم بالإكراه.

ثمّ بدأت أمواج المشاكل الإقتصاديّة وندرة المواد الغذائيّة تضرب فرنسا منذ العام ١٧٨٨م. فارتفعت قيمة القمح ٥٠ بالمئة. وكانت الحكومة الفرنسيّة قد خصّصت مبالغ ماليّة لمساعدة الإستقلاليّين في أمريكا، ممّا أدى إلى إفراغ الخزينة. يضاف إلى أنّ أصحاب الثروات كانوا يدفعون ضرائبًا قليلة، لا بل كان لهم سهم من الخزانة.

حاول لويس السادس عشر حلّ الأزمة من خلال زيادة الضرائب على الأشراف، إلّا أنّهم كانوا غير حاضرين للتخلّي عن مصالحهم من خلال

المجموعات والمؤسّسات التي كانت تحت سيطرتهم.

ازدادت الأزمة تعقيدًا فتقرّر إيجاد حلّ عن طريق إيجاد مجلس طبقيّ، وكان هذا المجلس قد تأسّس في القرن الرابع عشر، ثمّ ألغي بعد ذلك حيث احتوى على ممثّلين للطبقات الثلاث وكان لكلّ ممثّل صوت واحد، حيث عمل لويس السادس عشر على إعادة إحياء هذا المجلس، وأعطى لممثّل الطبقة الثالثة صوتين بدلًا عن الصوت الواحد وذلك بهدف إضعاف الطبقات العليا.

وبهذا النحو، تأسّس المجلس في العام ١٧٨٩م، وهو يتألّف من ١١٣٩ ممثّلًا، حيث كان للكنيسة ٢٩١ ممثّلًا، وللأشراف ٢٧٠ ممثّلًا وللناس العاديّين ٥٧٨ ممثّلًا.

تأسّس المجلس إلّا أنّه واجه الكثير من المشاكل بسبب عدم وجود تجارب سابقة. وقد وصلت المشكلات إلى مستوى أنّ ممثّلي الأشراف كانوا يمنعون ممثّلي الشعب الدخول إلى مبنى المجلس الأساسيّ. وبما أنّ ممثّلي الشعب كانوا على إطلاع على نفسيّات ممثّلي الأشراف حاولوا مقاومتهم.

تمركزت في باريس بأمر من لويس السادس عشر عدّة قوى عسكريّة، فأصبحت أجواء الحكومة عسكريّة، فازداد التشنّج لأنّ بعض الجنود كانوا من ألمانيا أو سويسرا، وكان من المتوقّع أن يقوم هؤلاء بالهجوم على الناس.

وكان يكفي أن يشيع خبر إطلاق نار من هؤلاء الجنود على الفرنسيّين، ليهبّ الناس للدفاع عن أنفسهم. في البداية، هاجموا مخازن الأسلحة، فاستولى الناس على هذه الأسلحة التي كانت تفتقد للبارود. وبما أنّ سجن "باستيل" كان مخزّنًا للبارود ومثالًا للاستبداد في عهد "البوربون" لذلك تحرّكت الجماهير حول السجن، فبدأت شرارة الثورة من خلال الاستيلاء على سجن الباستيل. وقد جاء في نصّ بروتوكولات الصهاينة حول هذه الثورة: "نحن نطلق على هذه الثورة، الثورة الكبيرة".

لعبت مجموعات عديدة دورًا فاعلًا في الثورة الفرنسيّة وذلك خلال



السنوات الأولى، ومن أبرز هذه المجموعات المؤيّدة للملكيّة بقيادة "ميرابو" الذي كان واحدًا من طبقة الأشراف وكان ماسونيًّا، ومجموعة "اليعاقبة" التي رأسها "روبسبير" الذي كان متأثرًا بالأفكار الديمقراطيّة لـ"جان جاك روسو".

في البداية، استلم أتباع السلطنة السلطة. وفي هذه المرحلة، تمّ التقليل من سلطة الملك إلّا أنّ ذلك لم يقنع عموم الفقراء والقرويّين والعمّال. أُلغي لقب الأشراف (النبلاء) ووضعت أملاك الكنيسة في المزاد العلنيّ، وأصبح قساوسة الكنيسة جزءًا من موظّفي الحكومة.

رفض البابا الشكل الجديد للتعامل مع الكنيسة. وحاول لويس السادس عشر الفرار إلّا أنّ محاولته باءت بالفشل فأُودع السجن. كانت كلّ مجموعة تمتلك لنفسها جماعات مسلّحة كانت تؤدّي بعض الأحيان إلى وجود مشاكل فيما بينها.

وبعد مدّة، تمّ تنظيم القانون الدستوريّ، وأصبح الملك يحصل على سلطته من خلال الفرنسيّين. أرغم لويس السادس عشر على قبول القانون الدستوريّ، وأرسل إلى الدول الأجنبيّة طالبًا المساعدة، دخل الجيش النمساويّ في العام ١٧٩٢، فانهارت جبهة الفرنسيّين بعد أن كان لويس السادس عشر قد أرسل سابقًا إلى النمسا خطّة الحرب. لم يتمكّن الناس من تحمّل ما حصل، فهجمت الجماهير على القصر فقتل ألف شخص.

كان روبسبير في هذه المرحلة يقود الجماهير الغاضبة، ممّا أدّى إلى إعدام أعداد كبيرة تجاوز عددهم في أربعة أيّام ١٤٠٠ شخص أغلبهم من الأشراف وأصحاب الكنيسة.

في النهاية، تمكّن الثوّار من السيطرة على باريس، فألغوا القانون، وأوجدوا قانونًا جديدًا وأقاموا انتخابات تتناسب مع الفكر الديمقراطيّ. تمكّن روبسبير الذي كان يتقدّم الجميع في تلك المرحلة من الوصول إلى رئاسة الحكومة الفرنسيّة، فأعلن قيام الجمهوريّة الفرنسيّة.

وعلى الرغم من شعارات الحريّة وحقوق الإنسان التي نادى بها إلّا أنّ فترة حكمه لم تستمرّ لأكثر من سنتين، حيث كانت مرحلة قمع شديد سيطرت على الأجواء الفرنسيّة. أيّد اليعاقبة إعدام لويس السادس عشر، وتمكّنوا من إصدار حكم من المحكمة بحضور وكلاء الدفاع يقضي بإعدامه، فقُطع رأس لويس السادس عشر مع العلم أنّ الثورة الشعبيّة كانت قد ظهرت بسبب الفقر الذي سبّبتها الحروب الخارجيّة.

في هذه الأجواء، حاول روبسبير إبداع طريقة للسيطرة على الأمور، فأعلن أنّه تحمّل الخائنين أكثر ممّا يجب، وأصدر أمرًا بقتل كلّ من يثبت عدم وفائه.

بدأت حملة الإعدامات من جديد؛ فقُتل الكثيرون ومن جملتهم الكثير من الثوّار، وترافقت هذه الحملة مع حملات إهانة للمقدّسات والهجوم على الكنائس، فقُتل ما يقرب من أربعين ألف شخص بيد النظام الجمهوريّ، وأودع مئات الآلاف في السجون. وقد شكّل القتلى: ٨ بالمئة من الأشراف، ١٤ بالمئة من البورجوازيّين، ٦ بالمئة من الكنيسة، ولا يقلّ عن ٧٠ بالمئة من الناس العاديّين.

في العام ١٧٩٤م، كان روبسبير هو الوحيد الذي بقي من قادة الثوّار، فأقام الاحتفالات في تمجيد الثورة الجديدة والنظام. بعد ذلك، بدأت سلسلة إعدامات جديدة ألقت الرعب في قلوب أصدقائه. هذه الأجواء أوقعت الخلافات بين أعضاء الفرقة الحاكمة. حضر روبسبير إلى المجلس ليقدّم توضيحاته حول أمواج القتل المتعاقبة، وهناك تمّ اعتقاله مع عدد من المحيطين به.

وبهذا النحو، تمّ إعدام روبسبير في العام ١٧٦٤ مع اثنين وعشرين شخصًا من أتباعه. عاشت فرنسا بين الأعوام (١٧٨٩م- ١٩١٤) حالات نزاع متعدّدة حيث كان النظام يتغيّر وباستمرار من الملكيّ إلى الجمهوريّ وبالعكس. تغيّر القانون الدستوريّ في فرنسا ثلاث مرات، وعاشت البلاد



سنوات طويلة في القحط والحرب والنزاعات الداميّة. أمّا فرنسا المعاصرة، فهي من آثار الحرب العالميّة الثانيّة. وقد دفنت الكثير من الرؤوس المقطوعة في حنايا هذا النظام الديمقراطيّ.

### ٣. نابليون بونابرت

يعتبر نابليون بونابرت واحدًا من أبرز القادة العسكريّين في التاريخ وفي الامبراطوريّة الفرنسيّة. ولد في جزيرة "كريس" التي كانت تابعة لحكومة "جنوى" (ايطاليا اليوم)، ثمّ احتلّتها فرنسا فيما بعد. درس نابليون في المدرسة العسكريّة خارج موطنه الأساسيّ، فتقدّم بسرعة والتحق بجيش لويس السادس عشر.

عاد إلى موطنه في العام ١٧٨٦م بعد وفاة والده ليشتغل بإدارة بعض أمور العائلة. عمل بين الأعوام ١٧٨٩- ١٧٩٠م على تطويره أفكاره الثوريّة. لم تؤثّر فيه الثورة الفرنسيّة التي حصلت عام ١٧٨٩م حيث لم يكن في تلك الفترة من جملة الأشخاص المهتمّين بالسياسة والثورة.

في العام ١٧٩٢م دخلت فرنسا الحرب مع النمسا، واحتلّت بريطانيا في العام ١٧٩٣م قسمًا من فرنسا. لعب بونابرت دورًا كبيرًا في هزيمة الانجليز، فرقّي إلى رتبة جنرال، وتعرّف على آغوستين روبسبير، الأخ الأصغر لماكسيميليان روبسبير، وقائد مجموعة اليعاقبة في الثورة الفرنسيّة.

صحيح أنّ نابليون لم يكن عضوًا في المجموعة إلّا أنّه كان يحظى بدعم سياسيّ منها. أدّى سقوط اليعاقبة في العام ١٧٩٤م إلى وصوله للسجن إلّا أنّه خرج منه بعد عشرة أيّام لعدم وجود أدلّة على إدانته.

تولّى نابليون في العام ١٧٩٦م قيادة الجيش الفرنسيّ في ايطاليا، وتمكّن بمهارة خاصّة من الضغط على النمسا وحلفائها باتجاه الصلح. فتح في العام ١٧٩٨م مصر التي كانت تحت القيادة العثمانيّة، وبذلك تمكّن من توجيه ضربة للقوافل البريطآية التجاريّة نحو بريطانيا.

أصبحت فرنسا تعيش ظروفًا جديدة حيث اتّحدت النمسا وروسيا وبريطانيا ضدّها. هنا عاشت الحكومة الفرنسيّة واحدة من أزماتها، فرجع نابليون إلى باريس، ثمّ قاد في العام ١٨١٢م انقلابًا في فرنسا وتحوّل إلى واحد من أكبر الشخصيّات الديكتاتوريّة.

كما أصبح بعد العام ١٨١٢م امبراطور فرنسا، ووجدت الدولة المركزيّة على يديه. اعترف بالكنيسة الكاثوليكيّة كدين رسميّ وعمل على إصلاح القانون. في العام ١٨٠٠م، هزم نابليون النمسا، ودخل في نقاش صلح عام في أوروبا لتثبيت قدرة فرنسا في أوروبا.

وفي العام ١٨٠٥م، أراد الهجوم على بريطانيا إلّا أنّه توجّه نحو النمسا وروسيا وألحق بهما هزيمة كبيرة، ثمّ هزم السويد ودخل بولندا، وبقيت بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي وقفت في مواجهته. هاجم نابليون بريطانيا فألحقت به هزيمة كبيرة.

في العام ١٨١٢م، هاجم روسيا بجيش كبير بلغ قوامه ٥٠٠ ألف جنديّ، فاحتلّ كافّة الطرق المؤديّة إلى روسيا، إلّا أنّه أجبر على العودة إلى بلاده بسبب البرد القارس والجوع اللذين قضيا على عدد كبير من جنوده. وتسارعت الأحداث في أوروبا بين مدّ وجزر، فسقطت امبراطوريّة نابليون بنفس السرعة التي وجدت فيها.

أُبعد نابليون إلى جزيرة ألبا في البحر المتوسط، إلّا أنّه هرب منها بعد عشرة أشهر حيث التفّ حوله ألف مقاتل هاجموا باريس وتربّع من جديد على عرشها. أمضى نابليون مئة يوم في عرشه يعيش حالة هدوء إلّا أنّ الحلفاء لم يمهلوه فأعادوا الهجوم ممّا اضطره إلى الحرب. اصطدم الجيشان في "واترلوا" في بلجيكا، فوقف في وجه بريطانيا وهولندا وألمانيا وروسيا.

بعد أربعة أيّام من معركة واترلوا وتحمّل الجيش الفرنسيّ هزائم كبيرة، أجبر نابليون في العام ١٨١٥م على الاستقالة، فأبعد إلى جزيرة

"سانت هيلين" فبقي فيها حتّى آخر حياته. توفي نابليون عام ١٨٢١م بعد معاناة مع مرض السرطان.

عُرف نابليون بذكائه الحاد وتخطيطه العسكريّ الناجح، فكان في أغلب حروبه يتغلّب على أعدائه رغم قلّة عدد جنوده. كان يحسن الاستفادة من نقاط ضعف العدوّ، ويعمل على ايجاد اختلافات داخل جيشه. وصحيح أنّ حكومته كانت أفضل من الحكومة الفرنسيّة السابقة عليه، إلّا أنّها كانت حكومة عسكريّة. ألغيت في عهده العديد من الصحف ووضعت تحت مراقبة شديدة، فكانت الصحف لا تكتب إلّا الذي ترغب الحكومة ايصاله إلى الناس. وفي عهده، اعتقل الكثيرون وقتل عدد كبير.

## ٤. جان جاك روسو

جان جاك روسو فيلسوف وكاتب فرنسيّ مشهور. ولد عام ١٧١٢م في سويسرا وتوفي عام ١٧٨٧م في ضواحي باريس. فقد والدته بعد مدّة قصيرة من ولادته. تابعه والده حتّى سن العاشرة حيث كان يمدّه بالكتب التي تساهم في تنمية قواه العقليّة. في العام ١٨٢٧م، ترك مذهب آبائه وأجداده واعتنق الكاثوليكيّة. بدأ بعد العام ١٨٣٨م التحصيل الجدّيّ لتنميّة أفكاره في مختلف الفروع والعلوم بعد أن عاش فترة مضطربة.

كان يقضي أغلب أوقاته في المطالعة والتفكير، ثمّ اشتغل في السفارة الفرنسيّة في "فينيس" وسرعان ما تركها بعد أن لم يكن بمقدوره التلاؤم مع أحد، ورجع إلى باريس في العام ١٧٤٤م فقيرًا منهار القوى حيث تزوج هناك. أودع أبناءه الخمسة جميعًا الميتم. بعد سنوات عديدة، كتب كتاب **اميل** الذي يدور حول كيفيّة تربية الأطفال، فأعاب عليه فولتير هذا العمل، إذ كيف يعقل أن يكتب شخص حول تربيّة الأطفال وقد أودع أطفاله في الميتم.

شارك في مسابقة تدور حول السؤال التالي: " هل التوسّع والاستقرار

في العلوم وفي الفن يؤدّي إلى إصلاح أخلاق الناس أم لا؟" وفاز بالجائزة الأولى فيها، ممّا أدى إلى نهوض بعض الأشخاص أمثال فولتير، ديدرو ودالامبر للاستهزاء به.

ترك باريس عام ١٧٥٦م واختار مكانًا معزولًا يتفرّغ فيه للكتابة حيث أصدر بعد ذلك عددًا من الكتب من أبرزها "العقد الاجتماعيّ" الذي نشره عام ١٧٦٢م، ثمّ كتاب "اميل" الذي رفع وتيرة الغضب في البرلمان الفرنسيّ عليه. وفي العام ١٧٦٦م، نشر كتاب "اعترافات" الذي يتحدّث فيه عن مراحل التشرّد التي عاشها حيث كان ينتقل من مكان إلى آخر.

### ٥. فولتير

ولد فرانسوا ماري أرويه المعروف بفولتر، الفيلسوف والكاتب المسرحيّ والشاعر، والمؤرّخ والرياضي، والمتخصّص في العلوم الطبيعيّة، عام ١٦٩٤ في باريس. كان منذ طفولته كثير الميل نحو المطالعة، فقرأ الكثير من الكتب وأنشد الشعر منذ صغره، واهتمّ بالأعمال الأدبيّة، وكان يمضي أكثر أوقاته في هذه الأمور رغم معارضة والده.

أنهى دراسته الأولى في باريس، واختار مهنة الكتابة وأطلق على نفسه اسم فولتير. كان يقدح باستمرار بالأشراف والاقطاعيّين، حيث كان يكتب في نقد الطبقات المرفّهة، وينشر ذلك في الصحف ممّا ساهم في شهرته. وكانت الشرطة تراقب أعماله عن كثب، وتجمع كلّ ما ينشره بعد فترة قصيرة. أمّا المسرحيّات التي كان يكتبها، فكانت لا تعرض لأكثر من ثلاث أو أربع ليالٍ بسبب ملاحقة الشرطة له، وهذا ما ساهم في إقبال الناس على مطالعة كتبه.

تعرّفت كافّة الدول على أفكاره حيث كان الناس يتناقلون مقالاته وأفكاره. في النهاية، تمّ اعتقاله بسبب بعض مقالاته النقديّة، وألقي في السجن الباستيل. بقي هناك مدّة أحد عشر شهرًا قبل أن يطلق سراحه إثر

تدخّل بعض الأصدقاء والمحبّين، كما أنّه أصيب في السجن بضعف شديد، ولكنّه بقي يتمتّع بقوّة وصلابة روحيّة منقطعة النظير.

بعد سنتين أودعته الحكومة الفرنسيّة السجن بتهمة الإخلال بالنظام، ولم يطل به المقام حتّى خرج منه بشرط أن يترك الأراضي الفرنسيّة. في العام ١٧٢٦م، ترك فرنسا واتجه نحو بريطانيا التي كانت تتقدّم الدول الأوروبيّة لريادتها في المجال الصناعيّ وحاكميّة الشعب ممّا أثّر فيه.

ثمّ عاد في العام ١٧٢٩م إلى فرنسا بعد الحصول على إذن بذلك. ونشر في العام ١٧٣٠م مجموعة من المقالات حول الأمّة الإنجليزيّة تركت آثارها على المجتمع الفرنسيّ. ثار في العام ١٧٩٢م ضدّ الحكومة والقضاء الفرنسيّين ودافع عن المظلومين الذين كانت الكنيسة والحكومة تمارس عليهم أقسى أنواع الظلم والتعذيب ممّا شكّل صدمة أيقظت وجدان الشعب الأوروبيّ.

اعتبرته الكنيسة منحرف الأخلاق وفاسدًا ودعت الناس إلى رفض مقالاته. نشر عددًا من الرسائل الفلسفيّة، وجّه فيها النقد للمؤسّسات الحكوميّة والكنيسة وفضح الجرائم التي يرتكبونها. بعد ذلك تحوّل نحو البحث حول الإسلام والنبيّ محمّد (ص) ومعرفة المسلمين عن قرب. كان يأمل أن يتعلّم اللغة العربيّة ليتعرّف على الإسلام من خلال الآيات والروايات، فتعرّف على أحد أساتذة اكسفورد العارفين باللغة الإسلاميّة وغرق في دراسات ومطالعات عميقة حول الإسلام.

شكّل العام ١٧٦٣م نقطة عطف في تاريخ أفكار فولتير حيث تمكّن بعد المطالعة والتحقيق من رسم صورة ذهنيّة عن الرسول محمّد (ص) وأتباعه، وغيّر عقيدته في الرسول (ص).

أمّا النتيجة التي وصل إليها هي أنّ الدين الإسلاميّ ليس فقط دينًا يقف في الجهة المقابلة للشيطان، بل هو دين يختلف عمّا قدّمه المسيحيّون المتعصّبون، ينطبق مع موازين العقل وهو قريب جدًّا من الدين المسيحيّ، لا

بل أكمل من الناحيّة التاريخيّة.

قارن فولتير بين السيّد المسيح (ع) والرسول محمّد (ص) فوجد أنّ الرسول (ص) أفضل وأكبر من السيّد المسيح في الشجاعة والفضيلة والمروءة والفراسة. وحاول تجزئة وتحليل قوانين الشرع الإسلاميّ، ثمّ قارن بينها وبين قوانين الشريعة المسيحيّة فوجد أنّ الإسلام أفضل وأكمل من المسيحيّة.

إنّ العمل الدؤوب والتحقيق الذي قام به فولتير ردم الهوّة التي كانت قائمة بين المسلمين والمسيحيّين. طالع لمدّة عشرين سنة حول الإسلام، وذكر في ثلاثين كتابًا من كتبه بالرسول (ص) وفضائله وأوصى بالتعامل الحسن مع أتباعه وحارب المتعصّبين المسيحيّين، فهو يعتبر أنّ مسيحيّة الكنيسة مخالفة لموازين العقل. وأمّا أصول الإسلام فتتوافق مع موازين العقل.

لقد تمكّن فولتير من دفن الخرافات التي ساقها المسيحيّون ضدّ المسلمين. وفي النهاية وبعد عمر مليء بالأحداث، ودّع العالم في العام ١٧٧٨م. أمّا الكنيسة التي حاربها وأوصلها إلى الحضيض بعد أن كانت تعيش في الآفاق، فقد عملت على الانتقام منه ميتًا فحاولوا حرق جسده، إلّا أنّ أصدقاءه قاموا بدفن جثّته خارج المدينة قبل أن ينتشر خبر موته. في العام ١٧٩١م، عمل الثوّار على استخراج جسده وإحضاره من خارج باريس ليدفنوه من جديد على ركام سجن الباستيل الذي أمضى فيه سنوات عديدة، وقد عرف واشتهر بعد ذلك فكان الناس يتطلّعون إليه باحترام وتقدير.

لقد ترك فولتير العديد من المؤلّفات من أبرزها: *Candide*, *Micromégas*، **رسائل فلسفيّة، تاريخ الحضارة الجديد.**



### ٦. فيكتور هيجو

كاتب فرنسيّ صاحب مجموعة من الآثار من أبرزها: **البؤساء وثلاث وستّون**. ولد عام ١٨٠٢م في فرنسا. سافر أيّام صغره إلى الكثير من البلدان بسبب وظيفة والده.

نشر في العام ١٨٢١م كتاب أحدب **نوتردام** الذي يعتبر أكبر أثر له بعد **البؤساء**. وفي العام ١٨٢٢م، نشر جزءًا من قصائده التي أبرز تعلّقه فيها بالبوربون، وقد عيّن له لويس الثامن عشر مبلغ ألف فرنك تدفع له بشكل سنويّ. كتب في العام ١٨٤٧م رواية **البؤساء**. وتوفّي عام ١٨٨٥م.

### ٧. البوربون

آل بوربون عائلة ملكيّة أوروبيّة مهمّة. اقتبس هذا الإسم من قلعة بوربون في فرنسا. بدأت هذه السلالة بالحكم في فرنسا منذ العام ١٥٨٩م. وفي العام ١٧٩٢م، ألغي النظام الملكيّ بعد الثورة الفرنسيّة، إلّا أنّ بعض أفراد العائلة انتقل في القرن الثامن عشر إلى إسبانيا وجنوب إيطاليا فأسّسوا فيها ممالك لهم. ويعود الملك الأسبانيّ الحالي إلى سلالة البوربون.

### ٨. ثورة أكتوبر

عندما وجدت الثورة الصناعيّة، تحركّت عجلة الاقتصاد بأيدي المزارعين الذين يشكّلون ٤/٥ من مجموع سكان البلد. وقد أدّت القروض الكبيرة التي استلمتها الدولة الروسيّة من الدول الغربيّة إلى زيادة الضغط على المزارعين والرعايا. وكانت أفضل أنواع القمح الروسيّ تصدر إلى الخارج بينما يتناول الرعايا الخبز الأسود.

شكّلت طبقة العمّال والمزارعين والرعايا أحد مصادر الثورة الروسيّة، وشكّل المثقّفون المصدر الثاني لها. في تلك الفترة، كان المثقّفون يفتقدون الرؤيّة الموحّدة. وكان البعض يعتقد بأنّ الحركة الثوريّة في روسيا يجب

أن تكون كالثورة في الدول الأوروبيّة، وكان البعض الآخر يعتقد بمحوريّة المجتمع والاشتراكيّة، وهي رؤيّة تخالف النظام الرأسماليّ بشكل كامل.

كان التحرّريّون في النظام الرأسماليّ الصناعيّ يميلون إلى الاصلاحات الاجتماعيّة والسلطة المشروطة التي يشكّلها الديمقراطيّون. وأمّا الثوّار الاشتراكيّون فكانوا يميلون إلى توزيع الأراضي على الأشخاص الذين يعملون فيها، وذلك بهدف معالجة المشاكل التي كانت تواجه المزارعين والرعايا.

أمّا المجموعة الثالثة المعروفة بمجموعة الاشتراكيّين الديمقراط والذين يمثّلون الماركسيّة في روسيا، فقد عملوا على جذب الدعم من المثقّفين الراديكاليّين وطبقة العمّال في المدينة، للقيام بثورة اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة. ترأس هذه المجموعة فلاديمير لينين. وكان ستالين واحدًا من أعضاء هذه المجموعة الذين كانوا يميلون نحو تغريب روسيا، وقد بذلوا جهودًا لإيجاد النظام الرأسماليّ الصناعيّ الأوروبيّ الجديد في روسيا، ممّا أدّى إلى ابتعاد الثوّار عنهم.

في العام ١٩٠٣م، انقسم حزب العمّال الاشتراكيّ الديمقراطيّ إلى قسمين: البلشفيك بزعامة لينين، والمنشفيك بزعامة يولي مارتف، الصديق السابق للينين. كان لينين يعتقد بأنّ الأكثريّة تؤيّده، والواقع لم يكن كذلك. امتاز البلشفيك بالقسوة والشدّة وكانوا يؤيّدون بأنّ الحزب الشيوعيّ يجب اختياره من بين الثوّار المقيّدين بالنظام الحزبيّ. بينما كان يعتقد المنشفيك بأنّ الاشتراكيّة تتكرّس في روسيا بالتدريج والهدوء. أمّا لينين فيعتقد بالقدرة المطلقة على رأس الحزب، وتثبيت الحزب عن طريق التصفيّة، ويقول المنشفيك بأنّ جميع الأعضاء في الحزب متساوون في إمكانيّة الوصول للقمّة.

ازداد الاضطراب والاختلال عام ١٩٠٤م في روسيا على أثر الحرب المسلّحة التي خاضتها روسيا مع اليابان. في كانون الثاني عام ١٩٠٥م



حصلت حادثة الأحد الدامي، حيث قتل على أثر ذلك المئات، ممّا حرّك المشاعر الشعبيّة التي بدأت تنادي بالنظام الجمهوريّ، فكانت الحادثة فاتحة عهد الثورة.

على أثر ذلك، تمّ تشكيل الاتحادات العماليّة في أغلب المدن حيث قاموا بقيادة الثورة. في هذه الأثناء، رجع المثقّفون إلى البلاد الذين كانوا قد هربوا أو أبعدوا عنها. في هذه المدّة، كان لينين خارج روسيا وكان المنشفيك يقودون الثورة العماليّة.

أصيبت روسيا بحالة شلل كامل، وتعطّلت الدولة، عند ذلك أعلن القيصر نيكولا رومانف التراجع ووافق على تأسيس الدوما الوطنيّ؛ مجلس التشريع. وافق الديمقراطيّون على ذلك، إلّا أنّ الاشتراكيين الديمقراط وجدوا أنّ ذلك غير كاف، فنظّموا احتجاجات جديدة. في هذه الأثناء أعلن القيصر تحديد سلطة المجلس.

في العام ١٩١٤م، دخلت روسيا الحرب العالميّة الأولى، فشكّلت الحرب دافعًا قويًّا للثورة على أساس أنّ بعض شخصيّات الثورة أمثال لينين كانوا لا يأملون بتحقّق الثورة في حياتهم طبق الأجواء التي وجدت قبل الحرب العالميّة الأولى. دخل الحلفاء روسيا وتركوا وراءهم مليوني قتيل وجريح وأسير.

ثمّ حاولت المجالس المحليّة مساعدة القيصر إلّا أنّ القيصر كان يسيء الظنّ بها، لذلك لم يوافق على التحالف معها، ممّا جعل الأوضاع تزداد سوءًا؛ فالناس أصبحوا لا يثقون بالدولة، وأصيبت البلاد بانهيار اقتصاديّ، وفقدت المواد الغذائيّة من الأسواق، وكان عدد القتلى والجرحى يزداد يومًا بعد يوم، كما ازدادت الاحتجاجات العماليّة فتعطّلت المصانع وتغيّرت أوضاع روسيا.

في العام ١٩١٧م، حصل اعتصام في أحد مصانع مدينة بتروغراد، سان بتروسبورغ سابقًا. وخلال أسبوع من ذلك، تمّ تسريح كافّة العمّال

إلى الشوارع، ممّا أدّى إلى نشوب حرب داخليّة. حلّ القيصر مجلس الدوما وأمر العمّال بالعودة إلى المصانع والاستمرار بالعمل، وقد ساهمت هذه الأوامر في وجود المرحلة الأولى من الثورة، أي ثورة شباط ١٩١٧.

رفض الدوما طلب الانحلال الذي أصدره القيصر، ولم يهتمّ العمّال لتعاليم النظام، فأقاموا تجمّعات جماعيّة. وقف الجيش إلى جانب العمّال. وبعد عدّة أيّام، تشكّلت دولة مؤقّتة يرأسها المير لفوف أيّدها الدوما. في اليوم الثاني، استقال القيصر من الحكومة. عند ذلك، شكّل الاشتراكيّون شورى عماليّة وممثّلين عن الجنود في بتروغراد لاستلام السلطة.

وبعد مدّة، استقال رئيس الحكومة المؤقّتة فخلفه الكساندر كرنسكي. وفي عهد كرنسكي، تمّ تنظيم المجالس المحليّة لتتسع إلى كافّة الأراضي الروسيّة. كما ارتكب كرنسكي خطأً قاتلًا؛ وهو الاستمرار في الحرب العالميّة وهذا لم يرضِ عموم الناس.

في النهاية، دخل لينين روسيا، وعمل على إخراجها من الحرب. دخل القطار الذي يستقلّه لينين، فاستقبله الآلاف من الرعايا والعمّال والجنود.

كان لينين يودّ القضاء على الديمقراطيّة الجديدة في روسيا والتي وجدت في مرحلة ما بعد سقوط القياصرة، فكان يرغب بإيجاد نظام ديكتاتوريّ مستلهمًا أصوله من الماركسيّة. روّج لشعارات ثلاثة ساعدته في جذب الجنود والعمّال في بتروغراد والشعارات هي: "الصلح الفوريّ مع الألمان"، "الأراضي للفلّاحين"، "والسلطة هي للسوفيات".

والسوفيات في اللغة الروسيّة عبارة عن المجالس المحليّة أو الهيئات التي يقع على عاتقها التصميم والتخطيط.

المرحلة الثانيّة، هي ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م، حيث تحركّت وتطوّرت تحت رقابة حزب البلشفيك بزعامة لينين. حاول مؤيّدو لينين، أي المجالس العمّاليّة والجنود الهجوم دفعة واحدة على القصر الشتويّ في سان بتروسبورغ وعلى مراكز الدولة الهامّة، لاستلام السلطة من الحكومة



المؤقّتة، فسيطروا على كافّة المراكز وأبعدوا كرنسكي.

لم تشهد روسيا في هذه الثورة عددًا كبيرًا من القتلى، كانت تتقدّم في القرى والمدن حيث كان الفلّاحون يحتلّون الأراضي الزراعيّة ويوزّعونها فيما بينهم. شكّل البلشفيك المجالس المحليّة ودخلوا موسكو وأقاموا المؤتمر الثاني للمجالس المحليّة وألغوا المالكيّة الخاصّة، وأوكلوا كافّة الأمور إلى المجالس القرويّة؛ فقسّمت الأراضي بين الناس. وفي العام ١٩١٨م، غيّر البلشفيك اسمهم ليصبح الحزب الشيوعيّ في الاتحاد السوفياتيّ.

تمكّن لينين من تخليص روسيا من الحرب العالميّة من خلال الصلح مع الألمان، وعلى أساس هذا الادعاء، لا يحقّ للبلشفيك ادعاء أيّ نوع من الملكيّة في أراضي فلندا، البلطيق، بولندا، بلاروسيا، اوكرانيا، والأراضي الواقعة في الأراضي العثمانيّة.

عاش الاتحاد السوفياتيّ بين الأعوام ١٩١٨-١٩٢٠ حالة حرب داخليّة. وبعد أن أصبحت السلطة بيد لينين حوّلها إلى نظام ديكتاتوريّ ومنع الاحتجاجات، وحاول بثّ حالة من الرعب أوجدها الجيش الأحمر بقيادة تروتسكي وذلك للقضاء على الاضطرابات الداخليّة وعلى كافّة أعداء الثورة. عمل لينين على القضاء على الشرطة القيصريّة الخفيّة باعتبار ما كان يعيشه الشعب من كراهيّة لها، إلّا أنّه وبهدف الحفاظ على حكومته أوجد جهاز شرطة سياسيّ أكثر وحشيّة من السابق.

في العام ١٩٢٠م، استقرّ الاتحاد السوفياتيّ بشكل كامل وبدأت الديكتاتوريّة الجديدة التي أرسلت عشرات الملايين من الأشخاص إلى مخيّمات العمل الإجباريّ في سيبريا. وبما أنّ الاتحاد السوفياتيّ كان يعيش حالة مغلقة لذلك لم تصل الكثير من أخبار الجرائم إلى أسماع الدنيا. بعد سبعين سنة من الحكم الديكتاتوريّ، انحلّ الاتحاد السوفياتيّ والتحقت أوهام الديكتاتوريّة الواهية والبرولتاريا والشيوعيّة بركب التاريخ.

## ٩. ستالين

ولد يوسف فيساريونو فيتش جوغا شويلي المعروف بـ جوزيف ستالين (١٨٧٨-١٩٥٣) في جورجيا التي كانت في ذلك الزمان جزءًا من الامبراطوريّة الروسيّة. تابع دراسته في مدرسة تفليس الدينيّة، وأصبح في العام ١٨٩٨م عضوًا في الحزب الاشتراكيّ الديمقراطيّ في القوقاز، ثمّ طرد بسبب نشاطاته السياسيّة. التحق بالبلشفيك - أتباع لينين - بعد انقسام الحزب إلى جناحين.

قاد بعد العام ١٩٠٥م مجموعة أخذت على عاتقها تأمين الموارد الماليّة لحزب البلشفيك وذلك من خلال سرقة البنوك. وقد بلغت شهرته العمليّة مبلغًا جعلته يرتقي في الحزب. أطلق عليه لينين لقب ستالين - الرجل الحديديّ- لدوره الهامّ في الثورة الروسيّة الأولى والثورة الثانيّة عام ١٩١٧م.

أصبح في العام ١٩٢٢ الأمين العام للحزب الشيوعيّ في الاتحاد السوفياتيّ. بعد وفاة لينين عام ١٩٢٤، برز في الاتحاد السوفياتيّ ثلاثة من قادة البلشفيك، وهم: "رينوييف"، "كامنوف" و"ستالين". وكان تروتسكي إلى جانب هؤلاء يتمتّع بنفوذ قويّ، وتمكّن ستالين بما يتمتّع به من خشونة وحبّ للمناصب من إبعاد قادة الحزب واستلام السلطة بشكل كامل عام ١٩٢٧م.

حكم ستالين الاتحاد السوفياتيّ مدّة ٢٥ سنة، وامتازت سلطته بالديكتاتوريّة والخشونة، حيث ارتكب في هذه المدّة جرائم عديدة، وخلّف أعدادًا كبيرة من القتلى. استلم ستالين السلطة وتحرّك بسرعة نحو الصناعة. شجّع الرعايا على العمل في المزارع الاشتراكيّة، ممّا أوجد تحوّلات كبيرة على مستوى البناء الاجتماعيّ في البلد. طرد الكثير من الفلّاحين من مزارعهم وأجبروا على العمل في المزارع الاشتراكيّة.

وأمّا التحوّل الذي حصل، فكان عبارة عن تغيير الأوضاع الاقتصاديّة

في البلد وتحريكها من حالة التخلّف إلى مرحلة التقدّم.

في العام ١٩٢٨م، أنهى ستالين السياسة الاقتصاديّة التي أرساها لينين، وبدأ العمل ضمن الخطط الخمسيّة التي أراد فيها تكريس الاشتراكيّة على حساب مئات آلاف البشر. من هنا، دخل مصطلح ستالينيسم القاموس السياسيّ، والذي يشير إلى حالة الاختناق والاضطراب المطبق. عانى الاتحاد السوفياتيّ من القحط بين العام ١٩٣٢م والعام ١٩٣٤م وذلك بسبب مصادرة القمح من قبل سلطة ستالين. عارض الفلاحون المصادرة فواجههم ستالين بالقمع والاعتقال. وقد أدّى القحط المصطنع في أوكرانيا إلى موت حوالي عشرة ملايين أوكرانيّ.

لقد شكّلت حكومة ستالين واحدة من أسوأ الحكومات طوال التاريخ. كان يلقي كلّ من يخالفه بالسجن أو يأمر بقتله. اعتقلت الشرطة المخفيّة الكثير من الأشخاص لأسباب واهيّة، وكانت الأحكام تصدر على المتّهمين قبل المحاكمة. في ثلاثينات القرن العشرين، بدأ ستالين عمليّة تصفيّة كبيرة بلغت أوجّها عام ١٩٣٧ بهدف تطهير الجيش والحزب الشيوعيّ، فأعدم الكثير من قادة الجيش، وتمّ تغيير الكتب الدراسيّة التي تشير إلى الثورة وقادتها، فاستخرجت منها صور القادة العسكريّين المعدمين، وكأنّ الثورة لم تلد سوى لينين وستالين. وإذا كان لا يوجد وثائق حقيقيّة لعدد الأشخاص الذين أعدمهم ستالين، إلّا أنّها تحدّثت عن قتل ما بين ٣ إلى ٦٠ مليون شخص.

بعد الحرب العالميّة الثانيّة، اتّبع سياسة الابتعاد عن الغرب، ممّا ساهم في أن يعيش الاتحاد السوفياتيّ سنوات طويلة في ظلّ الحرب الباردة مع أمريكا والغرب. حكم روسيا بقوّة كاملة حتّى وفاته عام ١٩٥٣م.

بعد ستالين، تولّى خوروتشوف زعامة الحزب الشيوعيّ الذي اتّهم بالخشونة والديكتاتوريّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض الفنّانين الذين كانوا قد تركوا روسيا في

السابق، رجعوا إليها في عهد ستالين ومن أبرزهم: ألكسي تولستوي الذي رجع عام ١٩٢٥، ألكسندر كوبرين عام ١٩٣٦، وألكسندر ورتينسكي عام ١٩٣٤.

### ١٠. الثورة الجزائريّة

حصلت دولة الجزائر على استقلالها بعد الثورة وبعد أن أمضت ١٣٢ عامًا تحت الاحتلال الفرنسيّ، فعُرفت منذ ذاك الحين بالجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة، وأصبحت عضوًا في الأمم المتّحدة.

بدأت جبهة التحرير الوطنيّ الجزائريّ نضالها المسلّح منذ العام ١٩٥٤، فحصلت على الاستقلال بعد ثماني سنوات. عُرفت الجزائر بين الدول العربيّة والأفريقيّة أنّها أرض المليون شهيد لأنّ الجزائريّين قدّموا مليون شهيدًا.

جعلت الدولة الفرنسيّة أغلب دول شمال أفريقيا تحت استعمارها وذلك بهدف الوصول إلى الأراضي الزراعيّة. وكانت قد أرسلت الشباب الجزائريّين إلى الجبهة في الحرب العالميّة الأولى. في المقابل، استلمت الأقليّة الفرنسيّة مقاليد الأمور والمناصب الحسّاسة في الجزائر، وعاشت غالبيّة الشعب الجزائريّ حالة مزرية حيث الفقر والاضطرابات والظلم.

في خمسينيّات القرن العشرين، وُجدت ثورتان في الشرق الأوسط وأفريقيا ساهمتا في تسريع حركة الثورة الجزائريّة. ومن جهة أخرى، ساعدت أمريكا الوطنيّين الجزائريّين ضدّ الدولة الفرنسيّة من خلال إمدادهم بالسلاح، وبدأ الاتحاد السوفياتيّ حركة داعمة للعالم الثالث، فما كان منه إلّا الدفاع عن ثوّار الجزائر.

كما وظهر في ثنايا جبهة التحرير الوطنيّ الجزائريّ مجموعة من القادة شكّلوا طيفًا واسعًا من الناحيّة الفكريّة والأيديولوجيّة. من جملة هؤلاء القادة يمكن الإشارة إلى " الشيخ عبد القادر" الذي نهض لمواجهة

الاستعمار مستعينًا بالأسس والمبادئ الإسلاميّة. وكذلك يمكن الإشارة إلى "عبد الحميد بن باديس" كأحد الوجوه الإسلاميّة في الثورة الجزائريّة حيث كان متأثّرًا بالشيخ محمّد عبده. كذلك يمكن الإشارة إلى قادة إسلاميّين آخرين أمثال "الشيخ العقبي" و"الشيخ الإبراهيميّ". وقد ظهر قادة آخرون من غير الإسلاميّين عملوا على قيادة الثورة من أمثال: "مصالحي الحاج" و"فرحات عبّاس" اللذين كانا أصحاب ميول اشتراكيّة وديمقراطيّة، وكذلك "أحمد بن بلا" الذي قاد حرب عصابات ضد المستعمر الفرنسي، وقد أدت الاختلافات الفكريّة بين قادة الجزائر إلى وجود شرخ كبير بينهم إلّا أنّهم سرعان ما تركوا خلافاتهم جانبًا واتّحدوا منذ العام ١٩٥٤ تحت مظلّة "جبهة التحرير الوطنيّ الجزائريّ".

شكّلت الجبهة جيشًا لتحرير الجزائر، تولّى قيادته "هواري بومدين" حيث أسّسوا قواعد عسكريّة في كلّ من مراكش وتونس والجزائر، وانطلقوا في عمليّات غير نظاميّة ومسلّحة من جبال "كابيلي" في الجزائر ضد الفرنسيّين. وهكذا كانت العمليّات العسكريّة ضد الفرنسيّين تجري في المدن والقرى. قتل الكثيرون حتّى تمكّن جيش التحرير الوطنيّ من إلحاق ضربات قويّة بالجيش الفرنسيّ، ممّا استدعى فرار الفرنسيّين من الجزائر.

في العام ١٩٦٠، أجبرت الحكومة الفرنسيّة على الاعتراف باستقلال الجزائر، وقد شرطت الحكومة الفرنسيّة إعطاء الاستقلال بإقامة استفتاء عام في الجزائر، وكانت النتيجة ٩٠٪ من الشعب الجزائريّ يؤيّد الانفصال عن فرنسا.

بعد خروج فرنسا، تولّى السلطة في الجزائر قادة الثورة. في البداية، اختير فرحات عبّاس رئيسًا للجمهوريّة، وشغل أحمد بن بلا رئاسة الحكومة. بعد مدّة، استقال بن بلا لتصاعد المشاكل بينه وبين أعضاء الثورة، إلّا أنّه مع وصول بن بلا إلى السلطة، انتهى عهد المعتدلين أمثال فرحات عبّاس الذين لزموا بيوتهم، وأسّس بن بلا الدولة الجزائريّة طبق

الايديولوجيّة الاشتراكيّة. أيّد بن بلا الاشتراكيّة الماركسيّة، وقاد الجزائر نحو نظام الحزب الواحد. عمل بن بلا على تصفية منافسيه، وروّج للحزب الواحد أي الحزب الاشتراكيّ، وحصل في العام ١٩٦٤ من الروس على جائزة لينين للصلح.

في العام ١٩٦٥، أعاد بومدين الكرّة فانقلب على بن بلا ونصّب نفسه مكانه.

لم تكن ثورة الجزائر وليدة فكر وعقيدة وأيديولوجية واحدة ومنسجمة، حيث راجت في ذلك البلد ايديولوجيّات متعدّدة يدّعي كلّ منها قيادة الناس ومن جملتها الإسلام، القوميّة، الاشتراكيّة...

عمل قادة الجزائر على تدوين الدستور الجزائريّ الذي اقتربوا فيه من الاشتراكيّة مع العلم أنّ هذا البلد يندرج ضمن الدول الإسلاميّة. وإذا كان الجزائريّون قد ذاقوا الطعم المرّ للأيديولوجيّات الواردة قبل الثورة، فقد عاشوا الحالة نفسها بعد الثورة ممّا أدّى إلى وجود أزمة ثقافيّة واجتماعيّة، واقتصاديّة وسياسيّة بقيت كالنار تحت الرماد حتّى العام ١٣٦٩هـ.ش، حيث ظهرت آثار ثورة الإمام الخمينيّ (قده) على الجزائر، فاختاروا في الانتخابات البلديّة والبرلمانيّة جبهة الانقاذ الإسلاميّ بقيادة عبّاس مدنيّ، إلّا أنّ تبعيّة بعض القادة للأجنبيّ لم تُمكّنهم من ذلك، فأبطلت الانتخابات سواء البرلمانيّة أو البلديّة.

### ١١. بومدين

**محمّد** بن ابراهيم بوخروبة (١٩٢٧-١٩٧٨) المعروف بـ"هواري بومدين" زعيم الجزائر (١٩٦٥-١٩٧٨) ومن الشخصيّات البارزة في حركة عدم الانحياز. هرب إلى مصر عام ١٩٥٢ تجنّبًا للخدمة العسكريّة في الجيش الفرنسيّ. دخل جامعة الأزهر في مصر، والتحق بمجموعة من الشباب الجزائريّين المخالفين ومن أبرزهم أحمد بن بلا.



في العام ١٩٥٠، بدأت مجموعة من شباب الجزائر، وبتوصيّة من "فرحات عبّاس" تأسيس منظّمة سريّة هدفها تحرير الجزائر. أقرّت المنظّمة مجموعة من النشاطات السياسيّة والعسكريّة لتحرير الجزائر. أسّست هذه المجموعة جبهة التحرير الوطنيّ الجزائريّ عام ١٩٥٤م، وأوجدوا داخل الجبهة جناحًا عسكريًّا تحت عنوان "جيش التحرير الوطنيّ الجزائريّ" الذي تولّى بومدين رئاسته عام ١٩٦٠. وكان محمّد بوخروبة قد اختار لنفسه عام ١٩٥٥ اسم هواري بومدين، وارتقى إلى رتبة كولونيل في جيش التحرير. عمل بومدين على تنظيم قوّاته بعيدًا عن الفرنسيّين أي في تونس ومراكش.

ساعد أحمد بن بلا بعد استقلال الجزائر للوصول إلى السلطة، وعيّن نفسه وزيرًا للدفاع والقائد العام للقوّات المسلّحة ورئيس مجلس الثورة الوطنيّة والمعاون الأوّل لرئيس الجمهوريّة.

في العام ١٩٦٥، اشتدّت الخلافات بين الزعيمين، فخلع بن بلا من دون إراقة دماء وترأّس الحكومة التي كانت تضم ٢٦ شخصًا من الثوّار، وأعلن حكومة الجزائر حكومة ديمقراطيّة شعبيّة. كان لهوارين بومدين الكثير من المخالفين بسبب إخفاقاته الكثيرة، حتّى أنّ بعض الأشخاص أمثال فرحات عبّاس كانوا يطلقون عليه لقب الديكتاتور.

دوّن في العام ١٩٧٦ الدستور الجزائريّ، وأصدر منشورًا وطنيًّا. في العام ١٩٧٥، توسّطت الجزائر بين إيران والعراق لإمضاء الاتفاقيّة المعروفة بين الطرفين.

أصيب بومدين عام ١٩٧٨ بمرض السرطان وانتقل إلى الاتحاد السوفياتيّ للمعالجة إلّا أنّه توفي في السنة عينها.

## ١٢. الحلفاء والمتّحدين

بدأت الحرب العالميّة الأولى في العام ١٩١٤، وانتهت عام ١٩١٨ من دون

مقدّمات جمعت أعدادًا كبيرة من الجنود وحصلت نزاعات متعدّدة أدت إلى وجود خسائر جمّة. بدأت النمسا الحرب، وكانت دول المحور التي كانت تحارب وفق مصالحها عبارة عن: الامبراطوريّة الألمانيّة، امبراطوريّة النمسا، المجر، بلغاريا، والامبراطوريّة العثمانيّة حيث شكّلت هذه المجموعة دول المتّحدين. كانت ألمانيا آنذاك حتّى تلك الفترة أقوى سلطة عسكريّة. بدأ المتّحدون الحرب ضد الحلفاء الذين يقودهم فرنسا وبريطانيا.

استمرّت الحرب مدّة طويلة حيث لم يتمكّن أي طرف من إحراز النصر الكامل، فامتدّت الحرب لمدّة أربع سنوات. وقبل أن ينتصر المتّحدون، حصدت الحرب أرواح عشرة ملايين شخص. وبعد انتهاء الحرب، وقعت معاهدة فرساي في باريس، وتحمّل المهزومون غرامة ثقيلة.

في الحرب العالميّة الثانيّة، وُجد تقسيم آخر شبيه لهذا التقسيم الذي شاع في الحرب الأولى.

## ١٣. البورجوازيّون الصغار

هي عبارة فرنسيّة والـBourg تعني المدينة، وهي أيضًا بمعنى صاحب الوسائل الأساسيّة في الانتاج والنقل والتوزيع. تقع هذه الطبقة مقابل شريحة الناس والعمّال. والبورجوازيّة في النظام الرأسماليّ عبارة عن الطبقة الأولى في المدينة والتجّار الأساسيّين فيها، وهم الفئة التي وقفت أواخر القرن التاسع عشر في وجه الكنيسة والأشراف الذين كانوا يحتفظون بالأراضي لأنفسهم، والذين يمتازون عن تلك الفئات بثقافتهم واتخاذهم صناعات حرّة.

ويغلب الظنّ أنّ هذه الطبقة هي التي أسّست للديمقراطيّة، وعملت على الاستفادة من الثورات لاستثمار الناس العاديّين والوصول إلى مزيد من الثروة. وتعتبر البورجوازيّة من المفاهيم الأساسيّة للتاريخ الإجتماعيّ في أوروبا. وبعد ماركس، أصبح المقصود من هذا المفهوم الطبقة الحاكمة على

المجتمع الرأسماليّ، أي طبقة الرأسماليّين ومالكي وسائل الانتاج.

تعرّض مفهوم البرجوازيّة لكثير من التغييرات مع مرور الزمن، فأصبح يطلق على طبقة من الناس في التاريخ الاجتماعيّ لأوروبا تمتلك أيديولوجيّة وفكرًا خاصّين، وكانت تقابل طبقة الأشراف. وبهذا النحو،لم تبقَ البورجوازيّة عبارة عن مقولة اجتماعيّة واقتصاديّة، بل أصبحت تعرف من خلال خصائصها الثقافيّة والأيديولوجيّة والسياسيّة.

أمّا البورجوازيّون الصغار، فعبارة عن صغار الرأسماليّين، وأصحاب الحرف والمهن الصغيرة، وبمعنى آخر هي شريحة صغار منتجي السلع الذين يملكون وسائل الإنتاج ولكنّهم يعتمدون على أنفسهم.

## ١٤. الإمبرياليّة

الإمبرياليّة هي امتداد الامبراطوريّة. وفي الاصطلاح، عبارة عن كلّ نوع من أنواع التسلّط والتوسّع الذي يقوم به القويّ ضد الضعيف. وتطلق الامبرياليّة على البلد الذي يستخدم القوّة لاحتلال واستعمار أراضي بلد آخر، حيث يعمل المحتلّ على إجبار شعب البلد الآخر للرضوخ له، ليستفيد من مصادره الاقتصاديّة والماليّة والإنسانيّة.

مفهوم الاستعمار عبارة عن مفهوم متّصل بشكل كامل بالامبرياليّة التي تمتلك أبعادًا اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة.

يفهم الشيوعيّون من الامبرياليّة المعنى الاقتصاديّ. فالامبرياليّة عندهم ليست سوى ظاهرة اقتصاديّة تاريخيّة، ويطلق السياسيّون في آسيا وأفريقيا هذه العبارة بمعنى التسلّط السياسيّ ويستعملون كلمة الاستعمار للإشارة إلى بعدها الاقتصاديّ.

## ١٥. الرسول الأكرم كان يستفيد من الشعر والشعراء

الشيخ الطبرسيّ، **تفسير مجمع البيان**، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء

والمحقّقين الأخصّائيّين، الطبعة ١ (بيروت: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٩٥)، الجزء ٧، الصفحة ٣٢٦. "رسول الله (ص) – لمّا سئل عن الشعر –: إنّ المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنّما ينضحونهم بالنبل".

### ١٦. العهد البهلويّ والعهد القاجاريّ

القاجار أسرة تركيّة الأصل حكمت إيران بين العام ١١٧٠هـ.ش والعام ١٣٠٤ هـ.ش. مؤسّس هذه السلالة الآغا محمّد خان ثمّ توالى بعده ستّة أشخاص حكموا البلاد: فتح عليّ شاه، محمّد شاه، ناصر الدين شاه، مظفّر الدين شاه، محمّد عليّ شاه وآخرهم أحمد شاه الذي تمّ خلعه فجلس مكانه رضا شاه بهلويّ.

حكمت أسرة البهلويّ - وهو لقب أعطي لرضا خان بعد الانقلاب على القاجار - إيران من العام ١٣٠٤هـ.ش إلى العام ١٣٥٧هـ. ش. حكم رضا خان بهلويّ من العام ١٣٠٤هـ. ش إلى العام ١٣٢٠هـ. ش. ثمّ تمّ خلعه وحلّ مكانه ابنه محمّد رضا بهلويّ وذلك بناءً على إرادة الانجليز، فحكم إيران من تاريخ ٢٥ شهريور ١٣٢٠ إلى تاريخ انتصار الثورة الإسلاميّة أي ٢٢ بهمن ١٣٥٧هـ.ش.

### ١٧. العهد الساسانيّ

الساسانيّون أسرة ملكيّة إيرانيّة حكمت إيران منذ العام ٢٢٤م إلى العام ٦٥١م. أسّس هذه الملكيّة أردشير، وكانت عاصمة إيران في العهد الساسانيّ مدينة تيسفون، المدائن، القريبة من بغداد.

يعود اسم الساسانيّين إلى "ساسان" وأردشير واحد من أحفاده. ويذكر التاريخ أنّ الرسول الأكرم (ص) قد أرسل إلى الملك "خسرو برويز" يدعوه إلى الإسلام.

ويعتبر يزدجر الثالث آخر ملوك العائلة الساسانيّة. وفي النهاية، وجّه عمر بن الخطاب جيشه نحو إيران، وتمكّن من الانتصار على الساسانيّين في حربين كبيرتين هما القادسيّة ونهاوند. وانتهت سلالة الساسانيّين عام ٦٥١م مع موت يزدجر.

## ١٨. ابن سينا

ولد أبو عليّ الحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا عام ٣٧٠ق في قريّة من توابع بخارى، عاصمة السامانيّين. وتوفّي عام ٤٢٨ق في مدينة همدان. درس في بخارى اللغة العربيّة والقرآن والأدب والمنطق ومقدّمات الرياضيّات، وتعلّم العلوم الطبيعيّة والطبيّة بنفسه حيث لم يجد أستاذاً لذلك. بعد مدّة، بلغت شهرته الطبيّة إلى مستوى أنّ الأطباء كانوا يرجعون إليه ويتتلمذون على يديه. حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، ودوّن كتابه المشهور القانون في سن السادسة عشر.

عالج في سن السابعة عشرة نوح بن منصور، الملك السامانيّ في تلك البرهة، وشفي على يديه. بعد هذه الحادثة، سمح له بالدخول إلى مكتبة البلاط الملكيّ للمطالعة، ممّا ساعده في الوصول إلى الكثير من العلوم والمعارف في المجالات الطبيّة والفلسفيّة.

ترك بخارى في عمر العشرين بعد فقدانه والده وضعف الدولة السامانيّة، وانتقل إلى خوارزم التي كانت مركز العلماء والمحقّقين، فاشتغل بالعلم والتحصيل فيها مطمئن البال. بعد مدّة، احتلّ الغزنوي خوارزم فهرب منها العلماء. خالف ابن سينا خشونة محمود الغزنويّون في السياسة والدين، ولمّا رفض تلبيّة دعوته، ترك خوارزم، وتوجّه نحو عدّة مدن حيث استقرّ في همدان عند شمس الدولة الديلميّ.

ثمّ عالج ابن سينا شمس الدولة من مرض القولنج، وقبل وزارته. وفي هذه المرحلة التي انشغل فيها بالعمل السياسيّ والإداريّ، دوّن كتاب الشفاء.

بعد موت شمس الدولة، أودع خليفته ابن سينا أربعة أشهر في السجن حيث دوّن رسالته العرفانيّة، **حيّ بن يقظان**، بالإضافة إلى كتاب آخر في الطب تحت عنوان **القولنج**، ومجموعة أخرى من الرسائل. رحل إلى أصفهان بعد خروجه من السجن، استقبله حاكم أصفهان علاء الدولة كاكويه، فبقي في المدينة أربع عشرة سنة. أكمل في هذه السنوات الكتب التي بدأها، وقدّم كتبًا جديدة في الفلسفة والرياضيّات والموسيقى. هاجم مسعود الغزونيّ أصفهان بهدف إسقاط علاء الدولة، فتمّ نهب منزل ابن سينا حتّى أنّ بعض كتاباته فقدت في تلك الحادثة. بقي ابن سينا حتّى نهآية عمره مع علاء الدولة.

وأخيرًا، توفي ابن سينا عام ٤٢٨ ق حيث مرض أثناء سفره مع علاء الدولة إلى همدان، وما زال قبره معلمًا حتّى اليوم في المدينة.

يعتبر ابن سينا الفيلسوف الأوّل في إيران والعالم الإسلاميّ الذي دوّن كتبًا منظّمة وكاملة في الفلسفة. استفاد من فلسفة أرسطو، فذكر آراءه وآراء أتباعه في كتاب الشفاء، ومع ذلك قدّم ابن سينا آراء جديدة في الفلسفة تختلف عن فلسفة أرسطو. اهتمّ ابن سينا بالإلهيّات الإسلاميّة، وحاول إدخال العقائد الإسلاميّة في فلسفته.

تحدّث في كتاب **القانون** بشكل مفصّل حول تشريح أعضاء بدن الإنسان، أعمال الجراحة، تصنيف الأدويّة وكيفيّة الإستفادة منها. يعتبر هذا الكتاب أهمّ الكتب الطبيّة في العالم، والتي بقيت ترجمته تدرّس لمدّة ستّة قرون في أوروبا، وهو من الكتب الأولى التي طبعت في أوروبا بعد انتشار صفة الطباعة. عُرف ابن سينا في أوروبا باسم "آفسينا" أو "آفيكنا".

دوّن العديد من الرسائل الهامّة في العلوم الطبيعيّة والرياضيّات والمنطق والإلهيّات، جاءت جميعها في كتاب الشفاء. ويعتبر ابن سينا كذلك أوّل فيلسوف في إيران بعد الإسلام يهتمّ بتربيّة وتعليم الأطفال، حيث تحدّث في هذا الخصوص بالتفصيل في كتاب القانون والشفاء ورسالة



تدابير المنازل.

ترك ابن سينا أكثر من ١٣٠ كتاب ورسالة ذكرها تلميذه أبو عبيد الجوزجانيّ.

## ١٩. الفارابي

ولد محمّد بن طرخان، الحكيم والفيلسوف المشهور، المعروف بأبي نصر الفارابي عام ٢٦٠ق في قريّة بالقرب من فاراب في خرسان القديمة. يعتبر الفارابي أكبر علماء المسلمين في القرن الرابع الهجريّ. عرف في تلك المرحلة بألقاب عديدة منها: المعلّم الثاني، أستاذ الفلسفة وملك الحكماء. سافر في صباه إلى بغداد فتعلّم من أساتذتها المنطق والفلسفة اليونانيّة. كان يتقن اللغات الفارسيّة، والتركيّة والعربيّة والسريانيّة واليونانيّة، وقد برع في فهم الفلسفة اليونانيّة إلى مستوى أصبح يطلق عليه المعلّم الثاني، وأطلق على أرسطو المعلّم الأوّل.

عاش الفارابي في مرحلة ضعف الخلافة العباسيّة حيث فقدت في تلك المرحلة العائلات الخراسانيّة الكبيرة التي كانت تعمل في البلاط العباسيّ كالبرامكة، وفقدت الشخصيّات العباسيّة التي كانت تشجّع العلم، لذلك كان أمام العلماء أمثال الفارابي البحث عن حامٍ وسند ومشجّع.

صحيح أنّ الفارابي كان فيلسوفًا، إلّا أنّه أُجبر على ممارسة الطب ومداواة المرضى ليتمكّن من تأمين مصاريف حياته، وهذا ما نجده عند أغلب الفلاسفة المسلمين في تلك المرحلة، لذلك ما زال يطلق لقب الحكيم حتّى يومنا هذا على الطبيب مع العلم أنّ الحكيم هو الفيلسوف والمفكّر.

كانت الكتب الفلسفيّة التي ترجمت أيّام أبي نصر الفارابي كثيرة الأخطاء وغير قابلة للفهم. فكان الفارابي أوّل شخص تمكّن بعد جهد وتعب من فهم آثار أرسطو وأفلاطون وشرح أفكارهما في رسائله وكتبه. والحقيقة أنّ معرفة آثار هذين الفيلسوفين الكبيرين مرهون لجهود أبي

نصر الفارابي.

ترك الفارابي كتابًا في علم النجوم يثبت فيه أنّ ادّعاءات المنجّمين لا أساس لها من الصحّة، فاعتبر آراءهم غير صحيحة وغير ذات قيمة، ويبيّن كتابه الكبير والمعتبر في السياسة سعة اطلاعه على المجتمعات البشريّة.

ولعلّ من أبرز الكتب التي تركها الفارابي، كتاب **آراء أهل المدينة الفاضلة**، بالإضافة إلى ذلك كان الفارابي من أبرز أساتذة الموسيقى، فقد نسب له اختراع القانون لأنّ المعروف أنّ الفارابي كان من أبرز الموسيقيّين.

كان الفارابي شديد الاهتمام بالتربيّة النفسيّة فيما يتعلّق بشخصه وتلامذته، وكان في الحياة الدنيويّة عديم الاهتمام بالسلطة والمال والشهرة.

ترك الفارابي أكثر من ١٠٢ رسالة تشير جميعها إلى ما امتاز به من مهارة في علوم اللغة والرياضيّات والكيمياء والهيئة والعلوم العسكريّة والموسيقى والطبيعيّات والإلهيّات والعلوم المدنيّة والفقه والمنطق.

يعتبر ابن سينا نفسه من تلامذة مدرسة الفارابي ويقال أنّ ابن سينا تمكّن من فهم كتاب **الميتافيزيقيا** لأرسطو بعد مطالعة رسائل الفارابي. حاول الفارابي، في كتبه الفلسفيّة، تقريب الفلسفة من الاعتقادات الدينيّة للناس. وبعبارة أخرى، أراد تخليص المعتقدات الدينيّة من الأوهام والخرافات من خلال الأصول الفلسفيّة. توفّي الفارابي في دمشق عن عمر الثمانين وترك مجموعة قيّمة من الآثار العلميّة باللغة العربيّة.

## ٢٠. قصّة الأمير أرسلان

جرت هذه القصّة على لسان الميرزا محمّد عليّ نقيب الممالك، وهو قاصٌّ كان يحدّث ناصر الدين شاه القاجاري بالقصص، وكانت فخر الدولة ابنة ناصر الدين شاه تجلس في غرفة خلفيّة تكتب القصص بدقّة. وهكذا دوّنت قصّة الأمير أرسلان.



## ٢١. الأندلس

في العام ٩٢ق، جهّز موسى بن النصير، حاكم شمال أفريقيا، جيشًا قوامه ٧ آلاف شخص. وفي خلال مدّة قصيرة، تمكّن من فتح شبه جزيرة أيبريا؛ أسبانيا والبرتغال، بشكل كامل، وتمكّن من عبور سلسلة جبال بيرنيه ووصل إلى الأراضي الفرنسيّة، وأقام في الأندلس حكومة إسلاميّة استمرّت حتّى العام ٨٩٧ق.

بما أنّ الإسلام هو دين الفكر والعلم والعقل، فكان أينما حلّ، وجد نور العلم. ولقد خرج من الأندلس علماء كبار بعد أن شعّ نور الإسلام فيها، لعبوا دورًا كبيرًا في الحضارة الإسلاميّة والبشريّة وقدّموا للعالم آثارًا هامّة.

يقول المستشرق الإنجليزيّ "لاين بل" : "عاشت أسبانيا ثمانية قرون في ظلّ الحكم الإسلاميّ، أضاءت حضارتها أوروبا. انتشرت في هذه المنطقة العلوم والصناعات والآداب. وفي هذه المنطقة، اكتملت علوم الرياضيّات والفلك والتاريخ والفلسفة والقانون وعلم النبات". لقد حصل هذا التقدّم في الأندلس الإسلاميّة في وقت كانت أوروبا تغرق في الركود الذي فرضته القرون الوسطى.

من جهة أخرى، شكّل الاختلاف والتفرقة والفساد الأخلاقيّ عاملان هما أساس الآفات التي ابتلي بها الحكم الإسلاميّ في الأندلس. ولعلّ الخلافات الداخليّة بين المسلمين بالأخصّ بين الفئات الحاكمة من أبرز أسباب سقوط حكومة المسلمين فيها. ويشير التاريخ إلى أنّ الخلافات بين العرب المصريّين والقحطانيّين بدأت منذ دخول الأندلس، ولم تنتهِ في أيّ وقت من الأوقات، فكان إذا وصل أحدها إلى الحكم أسقط الآخر ومارس ضده الظلم.

ومن جملة الأعمال التي مارسها العرب بعد دخول الأندلس أنّهم وجدوا أنفسهم أفضل من برابرة شمال أفريقيا الذين لعبوا الدور الأكبر في فتح

جزيرة أيبيريا. بل كان العرب ينظرون إليهم بنوع من الحقارة ممّا عمّق الخلافات الداخليّة. نتج عن هذه الخلافات توجّه الفريقين المختلفين نحو العدوّ المسيحيّ الذي كان يعدّ العدّة لهكذا أجواء، حيث بدأ العدوّ يساعدهما للقضاء على بعضهما البعض.

تفرّق الحكم الإسلاميّ في الأندلس إلى دول صغيرة، عمل المسيحيّون على القضاء عليها بالتدريج، فبدأت المدن تسقط الواحدة تلو الآخرى فسقطت "بلنسيه" في العام ٦٣٦ق و"مرسيه" في العام ٦٦٨ق و"ميورقه" في العام ٦٨٥ق. واستمرّ الوضع على هذا المنوال حتّى نهاية القرن السابع، فلم يبقَ في أيدي المسلمين سوى حكومة "غرناطة".

بعد سقوط الحكومات الإسلاميّة الصغيرة، هيّأ العدوّ نفسه لحكومة بني نصر في غرناطة، وقد تمكّنوا في العام ٨٩٧ق من القضاء كليًّا على الحكم الإسلاميّ في الأندلس.

أمّا العامل الثاني الذي لعب دورًا كبيرًا في سقوط الأندلس، هو توجّه الكثير من الناس والحكّام نحو الفساد. لقد أدّى شيوع الفساد على مستوى الحكّام والمجتمع إلى عدم التفاتهم للصلاح والسلامة والتقدّم في المجتمع، وفقد هؤلاء الغيرة والحميّة الدينيّة، فما كانوا يهتمّون به هو السلطة واللذائذ. لذلك سقطت المدن من أيديهم الواحدة تلو الأخرى. وقد وصل الفساد بين الحكّام أنّ "المعتصم بن صمادح" حاكم "المريّة" كان يعشق فتاة مسيحيّة، أخذها من والديها بالقوّة ممّا أدّى إلى إراقة دماء كبيرة بين المسلمين.

وقّع مسيحيّو الشمال اتفاقًا مع الحكّام المسلمين، فسمحوا لهم بإقامة المدارس وأماكن التنزّه، فكان الشباب المسلمون يدرسون في المدارس المسيحيّة ويتلقّون التعاليم المسيحيّة. وكانت الفتيات المسيحيّات الجميلات تجول في المنتزهات تجذب الشباب المسلم إليها. وبالتدريج، راج توزيع المشروبات المحرّمة، فابتعد المسلمون عن عقائدهم الدينيّة، فأصاب

الفساد المجتمع الإسلاميّ فسقط من الداخل.

## ٢٢. الميرزا ملكم خان الأرمنيّ

ولد الميرزا ملكم خان ناظم الدولة عام ١٢٤٩ق في أصفهان. والده "يعقوب ميرزا" من أرامنة محلّة "جُلفا" في أصفهان. غيّر مذهبه فأصبح مسلمًا، وقد ذكر المؤرّخون أنّ إسلامه كان غطاءً للنفوذ إلى البلاد والتجسّس. وبما أنّ يعقوب ميرزا كان يتقن اللغة الفرنسيّة، فكان على ارتباط بالسفارتين الفرنسيّة والروسيّة. وبما أنّه كان صديقًا لـ"الميرزا آغا خان النوري"، الصدر الأعظم آنذاك، ومنافسًا لـ"الميرزا تقي خان أمير كبير"، فقد تمكّن من إرسال ابنه ملكم إلى فرنسا. ركّز ملكم في باريس مطالعاته حول العلوم الطبيعيّة والمسائل السياسيّة.

بعد مقتل أمير كبير، رجع إلى إيران بعنوان أنّه أحد أبرز المتعاونين مع الاستعمار الإنجليزيّ. عمل في قصر ناصر الدين شاه مترجمًا، وأصبح معروفًا بعد أن أسندت إليه عدّة مهام خارج إيران. انتسب في إحدى هذه الأسفار، وكان حينها في عمر الرابع والعشرين إلى منظمة الماسونيّة.

وعندما رجع إلى إيران أسّس ما عرف بـ"غرفة النسيان"، وذلك بعد أن عمل ووالده على خداع ناصر الدين شاه مستفيدًا من التشكيل التنظيميّ للماسونيّة. ويجدر الإشارة إلى أنّ هذا المركز عبارة عن مكان نشاط أعضاء الماسونيّين. كانت هذه الحركة بداية حركة ليبراليّة في أوروبا، ولعبت دورًا كبيرًا في الثورة الفرنسيّة وثورة المشرطة في إيران. تمتاز بنشاطاتها الخفيّة. وبما أنّ أعضاء هذه المجموعة يؤدّون القسم على عدم البوح بمعلوماتهم خارج مراكزهم، لا بل عليهم نسيان هذه المعلومات خارج المراكز، فقد أطلق على تجمّعهم في إيران غرفة النسيان. بعد مدّة، اطلع الشاه على نشاطات هذا المركز وأساء الظنّ بأعضائه، فأمر بإبعاد ملكم خان وتعطيل نشاطات مركزه. انتقل ملكم إلى تركيا، وتواصل مع الميرزا

فتحعلي آخوندزاده.

بعد مدّة، تحسّنت الأوضاع بينه وبين ناصر الدين شاه بعد وساطة قام بها الميرزا حسين خان، مشير الدولة، الذي كان الصدر الأعظم. رجع للعمل في سفارة لندن، وبدأ منذ ذاك الحين تقديم امتيازات حسّاسة وهامّة للأجانب بالأخصّ الإنجليز. وكان من أبرز الامتياز الذي أعطيت للأجنبيّ امتياز رويتر، والملاحة في كارون وتأسيس مراكز القمار. أجبر العلماء ناصر الدين شاه على إغلاق هذه المراكز، فطلب من ملكم خان إرجاع الأربعين ألف ليرة التي كان قد استعملها، ولمّا رفض ملكم ذلك، عزله من السفارة ونزع عنه كافّة الألقاب التي كان منحه إيّاها. بعد ذلك، قام ملكم بنشر صحيفة تحت عنوان "القانون" حاول فيها نشر تعاليم الماسونيّة وتمجيد الشاه.

رجع ملكم لخدمة البلاط بعد مقتل ناصر الدين شاه ووصول مظفّر الدين شاه إلى السلطة، حيث تمّ تعيينه في سفارة روما، فأوقف صدور صحيفة القانون. توفّي ملكم عام ١٣٢٦ق في سويسرا، وأحرق جسده حسب وصيّته، وهذا يعني أنّ إسلامه كان تدبيرًا سياسيًّا وليس اعتقادًا حقيقيًّا.

### ٢٣. الميرزا فتحعلي آخوندزاده

ولد عام ١١٩١هـ.ش في مدينة نوخه. والده الميرزا محمّد تقي من أهالي خامنه حيث هاجر إلى نوخه. تقع مدينة نوخه في جمهوريّة آذربايجان الحاليّة التي كانت تابعة لإيران في تلك المرحلة.

عاش أيّام طفولته مع عائلته في خامنه، ومن ثمّ في مشكين شهر. وبعد ذلك انتقل إلى كنجه، ثمّ عاد إلى نوخه ليكمل تحصيله العلميّ. سافر إلى تفليس وعمل مترجمًا عند أبارون روزن حاكم جورجيا، وبقي بهذا العمل حتّى نهاية عمره.

عُرف في تفليس من خلال فن العرض المسرحيّ وكتابة المسرحيّات.

كتب أغلب آثاره باللغة التركيّة الآذريّة حيث كان يزينها بعض الأوقات بالأشعار الفارسيّة. ترجمت آثاره إلى الروسيّة والفارسيّة. اشتهرت مسرحيّته "تمثيلات" التي قام فيها بنقد العادات والأخلاق السائدة بين أهالي القوقاز وآذربيجان. تركت كتاباته آثارًا على كتابات الحركة الدستوريّة في إيران. عمل بشكل جديّ على تغيير رسم الخط العربيّ إلى الألفباء اللاتينيّة.

توفّي آخوندزاده عام ١٣٥٧ش في تفليس.

### ٢٤. الحاج سيّاح محلّاتي

ولد الميرزا محمّد علي محلّاتي عام ١٢١٥ش في محلّات، اشتهر بلقب "الحاج سيّاح" لسفره الكثير إلى مختلف أنحاء العالم وإلى أغلب مناطق إيران حيث بدأ السفر، ولم يكن له من العمر أكثر من ثمانيّة عشر عامًا. ترك الحاج سيّاح أثرين وهما: **أسفار الحاج سيّاح وذكريات الحاج سيّاح.** شرح الوقائع والأحداث التي عاينها خلال سفره إلى أقصى نقاط أوروبا وأمريكا الشماليّة والدول الشرقيّة ومن جملة ذلك الهند. وهو أوّل إيرانيّ قبل الجنسيّة الأمريكيّة. أسّس في العام ١٢٨٥ش مع عشرة أشخاص آخرين منظمة الماسونيّة في إيران. توفّي الحاج سيّاح عام ١٣٠٤ش في شميران عن عمر ٨٩ سنة.

### ٢٥. رويتر

عُقد اتفاق رويتر بين دولة إيران واليهوديّ الإنجليزيّ "بارون جوليوس دورويتر" عام ١٣٥٠ش في عهد ناصر الدين شاه وبجهود الصدر الأعظم الميرزا حسين خان سبهسالار، ومن خلال الجهود التي بذلها الميرزا ملكم خان أسّس رويتر وكالة الأنباء الإنجليزيّة التي حملت اسمه.

بناءً على هذه الاتفاقيّة، يتمّ حصر كافّة عمليّات استخراج المعادن

في إيران من قبيل معدن الفحم الحجريّ، الحديد، النحاس، الرصاص، النفط، وكلّ المعادن الأخرى باستثناء الذهب والفضّة والأحجار الكريمة، به لمدّة سبعين سنة، ويضاف إليها الاستفادة من الغابات وانتشار قنوات ريّ المياه وإحداث سكك الحديد والتراموا والطرق، وخطوط التلغراف والمصانع. كذلك يتمّ حصر كافّة أعمال الجمارك وتصدير المحاصيل إلى إيران لمدّة خمس وعشرين سنة به أيضًا. وبناءً على هذا العقد، يدفع رويتر الإنجليزيّ مبلغ أربعين ألف بوند و٦٠٪ من الفائدة الحاصلة من ذاك الامتياز.

يعتبر هذا الامتياز لا سابقة له في تاريخ إيران حتّى أنّ البعض اعتبره نوعًا من المواهب الكبيرة وجزءً من بيع البلد لأنّه، وبناءً على هذا الامتياز، تفقد إيران استقلالها السياسيّ والاقتصاديّ وتتحوّل إلى مستعمرة إنجليزيّة من دون سفك دماء. وكما يقول كرزن: "يتضمّن هذا العقد تسليمًا كاملًا لكافّة مصادر الدولة للأجانب حيث لم يحصل مثله لا في الوهم ولا في الخيال ولا سابقة له في التاريخ.

أجبر ناصر الدين شاه على إبطال هذا العقد قبل تنفيذه بعد اعتراض الروس وظهور اعتراضات داخليّة بقيادة الحاج ملا عليّ الكنيّ.

تابع رويتر حقوقه في فسخ العقد، وتمكّن في النهآية من الحصول على امتياز البانك الشاهنشاهي في إيران لابنه.

### ٢٦. الريجي

يعتبر عقد الريجي – حصر تجارة التنباك – ثمرة السفر الثالث لناصر الدين شاه إلى أوروبا، حيث وقّع عليه تحت تأثير المفكّرين المتنوّرين الذين شجّعوه للسفر ومشاهدة الحضارة الغربيّة. استقبل المستثمرين الأجانب في إيران بعد أن لعب بعض الأشخاص أمثال محمّد حسن خان اعتماد السلطنة، والميرزا علي خان أمين الدولة والميرزا ملكم خان ناظم الدولة

والميرزا حسين خان سبهسالار دورًا بارزًا في هذا الإطار. كان ناصر الدين غير مطّلع على كيفيّة هذا الاستثمار، فأمضى في العام ١٣٠٧ق عقدًا مع الميجور تالبوت الإنكليزيّ يقضي بإعطائه امتياز تجارة الدخّانيّات في إيران لمدّة خمسين عامًا. أمّا العقد، فكان مبعث تعجّب الجميع لما يمتاز به من سعة وتقديم كلّ شيء للأجنبيّ.

بعد عودة الشاه إلى إيران، عمد تالبوت إلى تأسيس شركة يبلغ رأسمالها ٦٥٠ ألف ليرة، ودخل طهران خفية بحيث لم يطّلع على وجوده في الأيّام الأولى سوى أمين السلطان وأعضاء السفارة الإنجليزيّة. بعد مدّة، تمّ إمضاء الاتفاق بين تالبوت وأمين السلطان وكان من نصيب ناصر الدين شاه مبلغ ٢٥ ألف ليرة عدا الهدايا.

ويعتبر هذا الاتفاق ناقضًا لاستقلال البلد ومضرًّا بكافّة العاملين في هذا المجال أعمّ من الزارع والتاجر... في تلك المرحلة، كان العديد من الإيرانيّين يعملون بالتنباك وكانوا يصدّرون سنويًّا حوالي ٤٣٥ طنًّا إلى تركيا والهند وأفغانستان، من هنا قدّروا الربح الإنجليزيّ بأنّه يبلغ ١٥ ألف ليرة سنويًّا.

سقط الاتفاق بعد صدور الفتوى المشهورة للميرزا الشيرازي، مرجع التقليد الشيعيّ آنذاك، والتي حرّم بموجبها استعمال التنباك والدخان.

## ٢٧. عبد الله مستوفي

عبد الله مستوفي مؤلّف كتاب **قصّة حياتي**. ولد عام ١٢٥٥هـ.ش في طهران وفي عائلة متديّنة، وهو من جملة المتخرّجين الأوائل من المدرسة السياسيّة التي أسّسها الميرزا حسن خان مشير الدولة.

تعلّم مستوفي اللغة الفرنسيّة، وتعرّف على علي أكبر دهنحدا. بقي مع دهنحدا مدّة خمس سنوات ونصف حيث انتقل للعمل في سفارة إيران في سان بتروسبورغ الروسيّة، إلّا أنّ صداقتهما استمرّت لأكثر من ذلك. وقد

أظهر مستوفي رغبة شديدة في الكتابة. من جملة آثاره: ترجمة الثورة الفرنسيّة الكبيرة، أبطال الباطل، حاكمة الإنسان والحيوان، أربعون ساعة في المحاكمة. ولعلّ أهمّ المؤلّفات التي تركها هو الكتاب ذي المجلّدات الثلاث الذي يتحدّث فيه عن الحياة اليوميّة للناس في المئة سنة الأخيرة، والذي كتبه بأسلوب سهل وجذّاب وبسيط. توفّي عبد الله مستوفي عام ١٣٢٩هـ.ش.

## ٢٨. الميرزا نصر الله النائيني

ولد الميرزا نصر الله النائيني عام ١٢٦١ق في نائين. تولّى مسؤوليّات متعدّدة في أواخر العهد الناصريّ إلى بداية سلطنة محمّد علي شاه، وحمل ألقابًا متعدّدة من أبرزها: مصباح الملك (١٢٩٩ق)، ومشير الملك (١٣٠٨ق)، مشير الدولة (١٣١٧ق). وقّع مظفّر الدين شاه قانون المشروطة عندما كان صدرًا أعظمًا، وهو من وضع تاج الملك على رأس محمّد علي بعد موت مظفّر الدين.

أصبح وزير العسكر عام ١٣١٢ق، واستلم عام ١٣١٧ق وزارة الخارجيّة بعد موت محسن خان مشير الدولة فحمل اللقب. لعب دور الوسيط في الثورة الدستوريّة. وهو أوّل شخص تلفّظ بكلمة الدستوريّة حين لم يكن هناك أيّ كلام حولها قبل تحصّن أتباعها في حديقة السفارة الإنجليزيّة في قلهك وعلى سبيل المثال كان المتحصّنون في حرم السيّد عبد العظيم يطالبون بالعدالة.

وعندما كان العلماء في قم، كان المتحصّنون في قلهك يطالبون بالعدالة التي تنبع من "الشرع الأحمدي"، و"السنّة المحمّديّة"، فعمد مشير الدولة وبحجّة أنّ بيان المتحصّنين يفتقد الجانب القانونيّ، إلى إضافة الدستوريّة على البيان، وقد لاقى هذا العمل تأييدًا من قبل السفارة الإنجليزيّة. لعب مشير الدولة دورًا في مقدّمات الحركة الدستوريّة وتأسيس المجلس. توفّي



عام ١٣٢٥ق بأسلوب مشكوك بعد أسبوعين من اغتيال علي أصغر خان أتابك، أمين السلطان، رئيس وزراء محمّد علي شاه، ودفن جسده في مزار الإمام زاده صالح في تجريش.

### ٢٩. حسن مشير الدولة

الميرزا حسن خان مشير الدولة (١٢٥١-١٣١٤هـ.ش) هو أكبر أبناء الميرزا نصر الله خان مشير الدولة النائينيّ، ومن عاصروا المرحلة الأخيرة في العهد القاجاريّ، والمرحلة الأولى من العهد البهلويّ. أنهى دراسته العسكريّة والحقوقيّة في موسكو. له العديد من المؤلّفات من أبرزها: **إيران القديمة وتاريخ إيران القديمة والقصص الإيرانيّة القديمة**. تولّى مسؤوليّات عدّة في الوزارة، وأصبح رئيسًا للوزراء. توفّي عام ١٣١٤ش، ودفن في مزار الإمام زاده صالح في تجريش.

### ٣٠. حسين مؤتمن الملك

الميرزا حسين مؤتمن الملك (١٢٥٣-١٣٢٦ش) هو الابن الثاني للميرزا نصر الله خان مشير الدولة. درس في باريس ولندن. أصبح لعدّة مرات عضوًا في المجلس، ووزيرًا وتولّى رئاسة المجلس الوطنيّ في المجالس الثالث والرابع والخامس ومؤلّف كتاب **مجموعة معاهدات إيران والدول الأجنبيّة**. توفّي في طهران على أثر إصابته بمرض سرطان عمود الفقرات، ودفن في مقبرة العائلة في الإمام زاده صالح في تجريش.

### ٣١. مدرّس

ولد السيّد حسن مدرّس عام ١٢٨٧ق في إحدى قرى أردستان وفي عائلة علمائيّة. والده السيّد اسماعيل من السادة الطبطبائيين. سافر في عمر السادسة مع والده إلى قمشه، فدرس هناك على يد جدّه المير عبد الباقي.

في سن السادسة عشرة، انتقل إلى أصفهان لإكمال علومه بعد موت المير عبد الباقي.

توجّه في العام ١٣١١ق إلى النجف الأشرف لإكمال تحصيله العلميّ؛ فدرس على يد الأخوند الخراسانيّ والسيّد محمّد كاظم الطبطبائي اليزدي مدّة سبع سنوات، حيث حصل على مرتبة الاجتهاد. عاد في العام ١٣٢٤ق إلى أصفهان واشتغل بتدريس الفقه والأصول. في العام ١٣٢٨ق، وأثناء افتتاح الدورة الثانيّة للمجلس، اختاره علماء النجف واحدًا من المجتهدين الخمسة الحائزين على الشرائط للنظارة على تأييد قوانين مجلس الشورى الوطنيّ لجهة مطابقتها، وتوجّه نحو طهران فكان له حضوره في مجلس الشورى الوطنيّ.

تجدر الإشارة إلى أنّ الروس هدّدوا إيران عام ١٣٢٩ق بعد حضور شوستر الأمريكيّ إلى إيران، فكان مدرّس من جملة المخالفين لهذا التهديد.

أصبح ممثّلًا في المجلس مع انطلاق الحرب العالميّة الأولى واحتلال إيران من قبل الحلفاء. في العام ١٣٣٤ق، هاجر إلى قم مع بعض ممثّلي المجلس ورجال السياسة بهدف مواجهة اعتداءات الروس والإنجليز على إيران، وشكّل هناك لجنة الدفاع الوطنيّ. لاحقت القوات الروسيّة المهاجرين ممّا اضطرهم إلى التوجّه نحو غرب البلاد ومن هناك إلى كرمانشاه، كرند وقصر شيرين حيث وصلوا إلى اسطنبول. شكّل المهاجرون دولة في المهجر، فتولّى مدرّس وزارة العدل فيها.

انتهت الحرب العالميّة الأولى في شعبان عام ١٣٣٦ق، فرجع مدرّس إلى طهران، فاشتغل بالتدريس في مدرسة سبهسالار. في العام ١٣٣٧ق، أقرّ وثوق الدولة اتفاقيّة ١٩١٩ مع الإنجليز إلّا أنّ المجلس ألغى الاتفاق المذكور على أثر مخالفة مدرّس.

بعد انقلاب الثالث من اسفند عام ١٢٩٩هـ.ش، اعتقل العديد من منادي الحريّة ومن جملتهم مدرّس الذي أُبعد إلى قزوين وسجن فيها، ثمّ



خرج من السجن بعد عزل السيّد ضياء الدين. أصبح ممثّلًا لمدينة طهران في مجلس الشورى الوطنيّ في دورته الرابعة فكان نائبًا لرئيس المجلس. مُنع من تأييد خطاب اعتماد النوّاب الموافقين لاتفاقيّة ١٩١٩ التي طرحها وثوق الدولة. وخالف توجّه رضا خان وأتباعه الذين حاولوا في المجلس الرابع تأييد تغيير النظام. في الدورة الخامسة للمجلس، طلب مدرّس وستّة أشخاص آخرين، مساءلة رضا خان بسبب سوء السياسة الداخليّة والخارجيّة.

في العام ١٣٠٤ش، أيّد المجلس إنهاء السلالة القاجاريّة وتسليم الملكيّة إلى رضا خان. في الدورة السادسة للمجلس، وجد مدرّس طريقه إليه. وفي العام١٣٠٥ش، دبّر رضا خان حادثة اغتيال أدّت إلى جرحه. أمّا في المرحلة السابعة للمجلس، أعلن النظام الشاهنشاهيّ العسكريّ أنّ مدرّس لم يحصل حتّى على صوت واحد. اعتقل عام ١٣٠٧ش بأمر من رضا خان، وتمّ إبعاده إلى خواف فبقي فيها مدّة تسع سنوات يعيش تحت رقابة القوى الأمنيّة. انتقل في العام ١٣١٦ش إلى كاشمر حيث اغتيل في السنة نفسها على أيدي القوى الأمنيّة وكان حينها صائمًا.

أمضى مدرّس عمره في محاربة الاستعمار والاستبداد، ولم يخشَ شخصًا عند توضيح الحقائق. أثنى عليه الإمام الخمينيّ (قده) في بياناته بسبب ما يمتاز به من خصائص.

### ٣٢. السيّد محمّد حسين الطبطبائي

ولد السيّد محمّد عام ١٢٥٨ق في كربلاء. تلقّى دروسه الأولى في العلوم العربيّة وآدابها، ودرس الفقه والأصول عند والده، والحكمة عند الميرزا أبو الحسن جلوه، وتتلمذ في سامراء على أيدي الميرزا محمّد حسن الشيرازي.

انتقل إلى طهران بعد اقتراح قدّمه له الميرزا الشيرازي، فحاول الابتعاد عن أفراد الدولة. كان يتحدّث للناس عن الحريّة والتحرّر، وكان يرغب في

أن يدرك مقدار الظلم والاجحاف اللاحق بهم، حتّى أن مظفّر الدين شاه كان يتحدّث بصراحة ويقول إنّ السيّد محمّد يريد وجود حكومة جمهوريّة.

طالب السيّد محمّد بوجود حكومة وطنيّة وبتطبيق القانون والعدالة، لا بل كان يعتبر هذا الأمر جزءًا من الوظائف الشرعيّة.

في بداية الحركة الدستوريّة، وعندما أرسل آية الله البهبهاني، معتمد الإسلام الرشتي إلى العلماء المشهورين ومن جملتهم آية الله الطبطبائي للسؤال عن رأيهم في التعاون والمساعدة ضدّ عين الدولة، كتب السيّد محمّد الطبطبائي في جواب آية الله البهبهاني: "إذا لم يكن هناك غرض شخصيّ، فسأكون معكم". على كل الأحوال، بدأ التعاون بين هذين الرجلين، لا بل يمكن اعتبار ذلك القدم الأولى في الحركة الدستوريّة. ذاع حديث البهبهاني والطبطبائي بين الناس وأصبح لهما العديد من المؤيّدين ممّا شكّل قوّة ضاغطة على الحكومة أجبرتها على قبول طلباتهم. كان هذان العالمان يفكّران منذ البدآية في القانون ودار الشورى.

لعب السيّد محمّد الطبطبائي، العالم العارف والواعي، دورًا مؤثّرًا في الحركة الدستوريّة بالأخصّ في البعد الفكريّ وتعبئة الناس. وكان يصرّ في هذه الحركة على قيام حكومة عين الدولة بإيجاد سلطة للعدالة ومجلس شورى أو لجنة تقوم بخدمة الناس.

أعلن آية الله الطبطبائي وآية الله البهبهاني اتحادهما العلنيّ في مواجهة مظفّر الدين شاه، وذلك بعد عودة الأخير من السفر الثالث إلى أوروبا في شعبان ١٣٢٣ق.

اعترض مع بعض العلماء على أعمال الحكومة ضد التجّار، وقرّر ترك العاصمة والتحصّن في مقام عبد العظيم. كان عدد المتحصّنين في المقام يزداد يومًا بعد يوم. في هذه الأثناء، أرسل السيّد محمّد طلباته في رسالة نقلها السفير العثمانيّ إلى الشاه، ومن أبرز ما طلب وجود مركز للعدالة.

أعلن مظفّر الدين شاه للسفير العثمانيّ موافقته على طلب السيّد

محمّد، وأبلغه قبول كلّ طلبات المتحصّنين، فعاد السيّد إلى طهران حيث أطلق على هذه الحركة، الهجرة الصغرى. وقد أظهر الناس سرورهم لهذا العمل وتأييدهم له.

أصدر مظفّر الدين شاه أمرًا بتأسيس مركز للعدالة إلّا أنّ عين الدولة كان يتهرّب من ذلك، لا بل كان يسعى جاهدًا لإيجاد الاختلاف في صفوف المتحصّنين وإبعاد المخالفين وإيداع البعض منهم السجن. في هذه الأجواء، كتب آية الله الطبطبائي إلى عين الدولة أكّد له أنّه ماضٍ في مواجهته حتّى الوصول إلى إيجاد المجلس واتحاد الدولة والشعب.

ازداد عين الدولة مشادّة مع الثوّار، واعتقل العدد الكبير منهم وأبعد الآخرين، عند ذلك كتب السيّد الطبطبائي عريضة مفتوحة وجّهها إلى مظفّر الدين شاه ذكّره فيها بأنّ المملكة تعيش الخراب والرعيّة لا عمل لها سوى الحيرة والتسوّل وأنّ ظلم الحاكم يزداد و.. ازدادت قساوة عين الدولة بعد العريضة فوقعت بعض الحوادث والتي قتل فيها السيّد عبد الحميد، الطالب الحوزويّ الشاب، وقتل وجرح عدد آخر من الطلاب والتجّار. لذلك تحرّك بعض العلماء مع السيّد محمّد الطبطبائي والسيّد عبد الله البهبهانيّ فهاجروا إلى قم، وتحصّن بعض التجّار في حديقة السفارة الإنجليزيّة في قلهك بعد موافقتها.

التحق الشيخ فضل الله النوري ولأوّل مرّة بالمخالفين. تحركّت المشاعر الشعبيّة على أثر مهاجرة العلماء إلى قم. أرسل علماء النجف رسائل التأييد للعلماء والشجب لما تقوم به الحكومة. ازدادت الاحتجاجات فأجبر مظفّر الدين شاه على عزل عين الدولة وجعل عضد الملك مسؤولاً عن إعادة العلماء من قم. في الرابع عشر من جمادى الثانيّة ١٣٢٤ق، أصدر قانون المشروطة وافتتح مجلس الشورى الوطنيّ.

تشكّل المجلس الأوّل وكان آية الله الطبطبائي، كذلك السيّد عبد الله البهبهاني والشيخ فضل الله النوري، حاضرًا فيه حيث قاد مع العلماء

الآخرين القيادة الفكريّة لأعضاء المجلس. وفي هذه الدورة، فوّض اليهود السيّد عبد الله البهبهانيّ الوكالة عنهم، وكذلك فوّض الأرامنة الوكالة للسيّد محمّد الطبطبائي. ابتعدت الحركة الدستوريّة عن المسير الصحيح بعد ظهور نوع من التطرّف عند العلمانيّين وتدخّل القوى الأجنبيّة وعدم إيفاء الدولة بالتزاماتها وازدياد الظلم الذي كانت تمارسه، فازداد الظلم ممّا أدّى إلى إغلاق المجلس بشكل دمويّ.

بعد قصف المجلس، تمّ اعتقال الطبطبائي في حديقة أمين الدولة. قام الجنود بضربه وتمزيق ثيابه، ومن ثمّ نقلوه مع السيّد عبد الله البهبهاني إلى حديقة الشاه. طلب محمّد علي شاه من السيّد محمّد الطبطبائي ترك طهران، فرحل مع عائلته إلى مشهد التي استقبله أهلها استقبالاً منقطع النظير. استمرّ في مشهد بنشاطاته ممّا دفع والي مشهد إلى إرسال تقارير عنه إلى طهران. وعندما فتح المجاهدون القوقازيّون والفيلانيّون والبختاريّون طهران، عزلوا محمّد علي شاه (١٣٢٧ق)، رجع الطبطبائي إلى طهران، فاستقبله الناس، إلّا أنّ الحكومة العلمانيّة عملت ضد السيّد محمّد ممّا دفعه إلى الانزواء بعد اغتيال السيّد عبد الله البهبهاني.

نهض آية الله السيّد محمّد الطبطبائي من جديد بعد بداية الحرب العالميّة الأولى (١٣٣٤ق) وهجوم الروس والإنجليز على إيران، فترك طهران، وتوجّه مع عدد كبير من الأشخاص نحو بغداد ومن هناك إلى اسطنبول، وعاد إلى طهران أواخر العام ١٣٣٦ق. توفّي عام ١٣٣٩ق ودفن في مرقد عبد العظيم في مدينة الريّ.

عندما كان الشيخ فضل الله النوري متحصّنًا في مرقد السيّد عبد العظيم لمواجهة الحركات اللادينيّة في المجلس، بدأت الصحف توجيه التهم والاساءات إليه، إلّا أنّ السيّدَين الطبطبائي والبهبهاني لم يحرّكا ساكنًا في الدفاع عن الشيخ فضل الله النوري وهما اللذان استفادا من نفوذه في الحركة الدستوريّة الأولى، وعملا جاهدين على ثنيه عن مواقفه

وحذراه من الاستمرار في حركته.

كان السيّد عبد الله البهبهاني شخصًا شجاعًا إلّا أنّه لم يكن من أصحاب الفكر، لذلك كان لا يدرك جذور الأفكار الطبيعيّة والإنسانيّة، وحذّر من سيطرة الأفكار والنظريّات الإسلاميّة، ومع ذلك، فقد تمّ اغتياله فيما بعد على أيدي الإفراطيّين الديمقراط.

### ٣٣. محمّد صادق الطبطبائي

السيّد محمّد صادق بن السيّد محمّد الطبطبائي هو أحد قادة الحركة الدستوريّة، ولد في طهران عام ١٢٦٢ش. درس في النجف الأشرف. انتقل إلى طهران في بداية سلطنة مظفّر الدين شاه القاجاريّ. عمل إلى جانب والده والمراجع الآخرين في إطار نشاطات الحركة الدستوريّة. أُبعد إلى مشهد ثمّ إلى أوروبا في مرحلة الاستبداد الصغير. بقي في المجلس لثلاث دورات. اختير في العام ١٣٠٣ش سفيرًا لإيران في تركيا. اختار الانزواء والابتعاد بين الأعوام ١٣٠٦ش و١٣٢٠ش. عاد إلى المجلس عام ١٣٢٢ش في الدورة الرابعة، وأصبح رئيسًا للمجلس بأكثريّة ضعيفة.

عمل السيّد صادق في الخط المقابل للسّيد حسن مدرّس، وهو من الأصداقاء المقرّبين لرضا خان. انتسب إلى منظمة الماسونيّة في إيران، وشارك في اللجنة التي عملت مع رضا خان على ايجاد الانقلاب وايصال رضا خان إلى السلطة. لعب دورًا مؤثّرًا في وصول رضا خان إلى رئاسة الوزراء. بعد ذلك، عمل في سفارة إيران في تركيا وخلع لباس العلماء، وارتدى اللباس الرسميّ الغربي. تولّى مناصب متعدّدة في زمان رضا خان. أسّس حزب الاتحاد الوطنيّ وحزب الشعب. توفّي عام ١٣٤٠ش.

### ٣٤. الشيخ فضل الله النوري

يقول الإمام الخمينيّ: "انظروا إلى تلك المجموعات التي تريد إبعاد

العلماء.. قتلوا المرحوم النوري وحرّفوا مسير الأمّة وحوّلوه إلى مسير آخر وهذا ما يجري الآن".

في إحدى قرى كجور في مازندران، ولد عام ١٢٥٩ق للملا عبّاس ولدًا اعتبره فضلًا إلهيًّا فأطلق عليه اسم "فضل الله". بدأ دراسته الأولى في منطقته، وأنهى مرحلة السطوح بنبوغٍ واضح، فدوّن في تلك المرحلة كتابًا فقهيًّا. ساهم شوقه الكبير لتحصيل العلم والمعارف والاستفادة من علماء النجف في الهجرة إليها حيث أصبح في مدّة قصيرة من أبرز تلامذة وطلّاب الحوزة العلميّة في النجف. وفي تلك المرحلة، بدأ التدريس في الحوزة أيضًا. حضر درس الميرزا الشيرازي الكبير مدّة اثني عشر عامًا ودرس على يد الشيخ راضي ميرزا حبيب الله الرشتي مدّة ثماني سنوات ممّا جعل منه مجتهدًا بارزًا وفقيهًا معروفًا.

كان آية الله الطبطبائي وآية الله البهبهاني يدركان مدى محبوبيّة الشيخ فضل الله بين الناس، وكانا يعرفان أنّهما لن يتمكّنا من القيام بأيّ عمل من دونه، لذلك زاراه في منزله وتحاورا معه وطلبا منه العون والمساعدة في الحركة التي شرعا بها. أمّا جواب الشيخ فضل الله لهما فهو: "أنا لا أرضى بعدم احترام العلماء، ولا أرضى بإهانة الشريعة، لذلك لن أدعكم تكونون لوحدكم، سأكون حاضرًا معكم، ولكن يجب أن يكون الإسلام والشرع هو المقصود، لا تتصرّفا بما من شأنه إيجاد أسباب إهانة الشرع والعلماء".

لقد تحرّك الشيخ مع هذه الحركة مع أنّه كان حتّى تلك المرحلة ما يزال يعيش حالة شكّ وتردّد في أصالتها وهويّتها الإسلاميّة. تحرّكت قافلة المهاجرين يوم ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٢٤ من طهران إلى قم وكان في مقدّمتها آية الله الطبطبائي وآية الله البهبهاني. وتحرّك الشيخ فضل الله النوري مع مؤيّديه بعد حركة القافلة بقليل. وصل خبر حركة العلماء ضدّ الدولة إلى سائر العلماء، فبدأوا بالتواصل مع قادة الحركة وإرسال ممثّلين إلى قم لدعمها.

تمكّن الإنجليز بواسطة أعضاء الماسونيّة والمفكّرين التابعين لها من النفوذ داخل الثوّار وبعض قادة الحركة، فبدأ بثّ الشائعات من أنّ الدولة ستهاجم الناس، وهذا ما دفع للجوء إلى السفارة الإنجليزيّة، وانتشرت بين الناس فكرة التحصّن في السفارة.

في النهاية، طلب بعض التجّار اللجوء إلى السفارة. وأعلنت السفارة أنّها ستدافع عن هذه المجموعة حتّى تحقيق النصر لطالبي العدالة. منذ هذه اللحظات، بدأ النفوذ والتأثير البريطانيّ والفكر الغربيّ فأصبح أعضاء الماسونيّة جزءًا أساسيًّا من قادة هذه الحركة، فعندما تبدّلت ماهيّة الحركة تغيّر اسمها، فأطلق عليها الحركة الدستوريّة.

توقّف الشيخ فضل الله النوري، وهو صاحب رؤية سياسيّة ثاقبة، عند التحصّن في السفارة الإنجليزيّة وتغيير اسم الحركة، فوجد في القضيّة مؤامرة يهيّئ لها المفكّرون والانجليز وأدرك أنّ خطرًا عظيمًا بدأ يهدّد الثورة. هنا خاطب الشيخ فضل الله النوري العلماء قائلًا: "إلى هنا جرت الأمور بشكل حسن، ولكن ماذا ستفعلون بعد ذلك! وما هو هدفكم؟".

أجاب السيّد محمّد الطبطبائي: "مقصودنا هو الحركة الدستوريّة ومجلس الشورى الوطنيّ. الحركة الدستوريّة هي التي تجعل حدودًا للملك وللوزراء بحيث تمنعهم من التصرّف كيفما أرادوا، وهي التي تؤمّن الحريّة الكاملة للشعب، وتضع قانونًا وحدودًا لكافّة الأعمال المتعلّقة بالدولة والأمّة والشرع".

ردّ الشيخ النوري على جواب السيّد:

إنّ الفوائد التي ذكرتها للحركة الدستوريّة، وأنّها تضع حدودًا للملك وللوزراء، فهذا أمر جيّد. ولكن قولك بأنّها تعطي الحريّة الكاملة للشعب، فهذا أمر باطل في الإسلام لا بل هو عبارة عن الكفر. فالحريّة التي تقصدون بها أن يعمل كلّ فرد ما يريده غير موجودة في الإسلام. وأمّا قولك بأنّ الحركة الدستوريّة تقوم بإيجاد ووضع قانون، فالقانون عندنا نحن المسلمون قد وضع قبل أكثر من ألف وثلاثمئة سنة، وإذا دوّن قانون بهدف تنظيم

وإصلاح العلاقات الاجتماعيّة والاداريّة، فمن الضروريّ أن يكون مطابقًا للشرع الإسلاميّ. وأمّا قولك بأنّ القانون يضع حدودًا للشرع، فاعلم بأنّ الشرع والدين لا حدود لهما.

وبعد افتتاح مجلس الشورى الوطنيّ، كان للشيخ فضل الله حضور لافت فيه. لقد أدرك مبكرًا المؤامرة التي يدبّرها المفكّرون المتنوّرون وأعضاء الماسونيّة، وبيّن ذلك لبعض الأشخاص أمثال آية الله الطبطبائي وآية الله البهبهاني، ومع ذلك رافقهما في الحضور إلى المجلس علّه يتمكّن من الحؤول دون وجود قوانين تخالف الإسلام.

طبعًا، كان أعضاء المجلس المفكّرين منهم وأعضاء الفراماسون، يتحركّون في اتجاه آخر، جاؤوا بالقوانين الأوروبيّة وغيّروا بعض الأمور الشكليّة فيها، وطرحوها باعتبارها دستورًا للبلاد. وأثناء تدوين المسودّة المتمّمة للدستور والتي من وظيفتها تبيين حقوق ووظائف المجلس، كتب الشيخ فضل الله مسودّةً بيّن فيها ضرورة وجود شورى من العلماء تأخذ على عاتقها النظارة على جميع القوانين.

وأدخلت المسودّة مادّة ثانية في الدستور إلّا أنّها اختلفت عن الشكل الذي دوّنه الشيخ فضل الله الذي خالف، ومنذ البداية، مسودّة القانون الدستوريّ الذي أورد بعض الأمور المخالفة للإسلام، ومن جملة ذلك، مساواة المسلمين وغير المسلمين أمام القانون ممّا أثار غضب بعض المجموعات العلمانيّة والمتطرّفة أمثال تقي زاده ضدّ الشيخ فضل الله.

بعد مدّة، أصبح نفوذ البهائيّين والماديّين كبيرًا في المجلس، وبدأت المطبوعات تثير الكثير من الإشاعات التي تحمل نوعًا من الإهانة للمقدّسات والعقائد الشيعيّة، فاستشعر الشيخ فضل الله وجود خطر كبير. تحرّك الشيخ مع أتباعه إلى حرم عبد العظيم اعتراضًا على سيطرة الماديّين والطبيعيّين على المجلس وعلى وجود فضاءٍ معادٍ للإسلام فيه، واعتراضًا على ما تحمله المطبوعات من فساد، وبدأ إصدار نشرة تبيّن آراءه وأفكاره ذات الصلة بأوضاع البلد.



في تلك الفترة، كانت أغلب الصحف بيد الأشراف منوّري الفكر؛ أمثال حبل المتين، صور اسرافيل، روح القدس،... لذلك بدأت تصويب حملاتها باتجاه الشيخ فضل الله، وألصقت به الكثير من التهم أمثال مناصرته للإستبداد، ووصفته بأنّه واحد من علماء البلاط، وأنّه من المرتشين وطالب رئاسة وعميل الاستعمار الروسيّ.

أمّا الهدف الأساس الذي عمل لأجله الشيخ فضل الله، هو الدفاع عن الشريعة. كان يشعر بأنّ الحركة الدستوريّة التي يعمل لأجلها أمثال تقي زاده، تشكّل خطرًا على الإسلام وعلى إيران، لا بل هي أسوأ من القاجار بالنسبة للشريعة. وقد كرّر مرارًا خطابه للناس في حرم عبد العظيم:

> أيّها الناس، أنا لا أرفض وجود مجلس الشورى الوطنيّ، لا بل أنا الذي عملت على تأسيسه أكثر من الآخرين. علماء النجف كانوا في البداية مخالفين لهذه الحركة، وأنا الذي أتيت بالأدلّة والبراهين فجعلتهم مؤيّدين لها، وعلى هذا الأساس، فأنا وجميع المسلمين نمتلك عقيدة ورأيًا واحدًا، والاختلاف هو بيني وبين مخالفي الدين.

تكمن المشكلة الأساسيّة أنّ الحركة الدستوريّة عبارة عن مفهوم مبهم لا يمكن استخراج معنىً أوضح منه، فأصحاب الحركة في تبريز كانوا في الغالب يمتلكون حالة روحيّة افراطيّة معادية للعلماء، ويمتازون بأنّهم أشخاص خشنون يعملون على القتل والاغتيال ويؤيّدون العلمانيّة الديمقراطيّة الواردة. بينما أتباع الحركة الدستوريّة في أصفهان كانوا في الغالب يشبّهون تقي زاده؛ أي أنّهم كانوا يؤمنون بضرورة أن تكون إيران ظاهرًا وباطنًا، جسمًا وروحًا كالغرب.

حاول بهبهاني ثني الشيخ وأتباعه عمّا كان يقوم به في عبد العظيم ففشل في ذلك، ثمّ أعلن مخالفته العلنيّة له. لا بل لم يكتفِ بذلك بل كتب إلى المراجع الكبار يضعهم في أجواء خلافه مع الشيخ. إلّا أنّ مقتل أتابك أعظم، أمين السلطان، رئيس وزراء محمّد علي شاه، عام ١٣٢٥ق عند خروجه من السجن بمعيّة البهبهاني كسر تحصّن الشيخ فضل الله، ودفع

البهبهاني والطبطبائي إلى مساعدة الشيخ من جديد، فأعادوه وأتباعه إلى طهران بشكل يدلّ على الاحترام.

بعد فتح طهران من خلال القوات البختياريّة والمجاهدين الفلانيّين وأتباع الحركة الدستوريّة وسقوط محمّد علي شاه، تمّت محاصرة منزل الشيخ فضل الله حيث كان للأجانب أيادي طولى في قيادة هذه العمليّة. دخل أعضاء السفارة الروسيّة منزل الشيخ، وطلبوا منه اللجوء إليها.

خالف الشيخ ذلك بشدّة، ثمّ طلب من جميع أتباعه التفرّق عنه حتّى لا يلحق أيّ ضرر بهم. عند ذلك، هاجم بعض المعاندين منزل الشيخ واعتقلوه وأودعوه السجن في ساحة "توبخانه" في الثالث عشر من شهر رجب عام ١٣٢٧ق يوم ولادة الإمام أمير المؤمنين (ع). أقيمت محاكمة شكليّة ترأس المحكمة "يبرم" الأرمنيّ، فحكمت على الشيخ بالإعدام.

وقبل ساعة ونصف من غروب الشمس، قادوه إلى منصّة الإعدام ولم يسمحوا له بأداء فريضة العصر، توجّه الشيخ نحو السماء، وقال: "أفوّض أمري إلى الله!. إنّ الله بصير بالعباد". صعد الشيخ على كرسيّ الإعدام، وتحدّث حوالي العشرة دقائق أمام الناس وقال: " اللّهم اشهد أنّني حدّثت الناس بما كان يجب عليّ أن أحدّثهم به... وفي اللحظات الأخيرة، أعود وأكرّر أنّ مؤسّس هذا الأساس، هم غير المتديّنين الذين خدعوا الناس، إنّ هذا الأساس مخالف للإسلام".

ثمّ نزع عمامته عن رأسه، وقال: "لو نزعوا هذه العمامة عن رأسي فسينزعونها عن رؤوسكم جميعًا". في تلك اللحظات، جاء أحد رجال ذاك الوقت ليقول له: وقّع على الحركة الدستوريّة وانجُ بنفسك من الموت، فأجابه: " لقد رأيت رسول الله البارحة في منامي وأخبرني أنّني سأكون الليلة ضيفًا عنده، لذلك لن أوقّع". توجّه نحو القبلة ورفع سبابته وقرأ الشهادتين وقال: "هذه الكوفة الصغيرة" حيث أراد تشبيه أهل طهران بأهل الكوفة ناقضي العهد.

وضع يوسف خان الأرمنيّ حبل الإعدام حول عنق الشيخ، ثمّ رفع الحبل إلى الأعلى، وما هي إلّا لحظات حتّى أصبح الشيخ جثّة لا روح ولا حياة فيها. وقامت فرقة بعزف الموسيقى، وأخذ آخرون بالتصفيق وعمّ السرور، وكان من جملة هؤلاء ابن الشيخ. كانت الريح في طهران قويّة، فوقع جسد الشيخ على الأرض إثر تمزّق الحبل، فرماه أتباع الحركة الدستوريّة بكلّ ما وصلت إليه أياديهم ووجّهوا للجنازة الإهانات وعاملوها بعدم احترام.

بعد شهادة الشيخ فضل الله النوري، وصل مراجع النجف إلى اليقين بأنّ الحركة الدستوريّة انحرفت عن مسيرها. وتبرّأوا منها وقد وصل الأمر إلى درجة أن قرّر الآخوند الخراسانيّ، وهو أكبر مرجع تقليد، المجيء إلى طهران ومشاهدة أتباع الحركة الدستوريّة عن قرب، فإذا كانوا من الغارقين في الغرب، فسيقوم على أساس ذلك بإصدار فتوى يحرم الانتساب للحركة الدستوريّة والعمل معها. إلّا أنّه وقبل أن يتحرّك تمّ تسميمه في النجف بشكل مريب.

وبعد سنة من شهادة الشيخ، استشهد السيّد عبد الله بهبهاني في منزل بعد أن ضرب بالرصاص لمعارضة القوانين المخالفة للإسلام، وهدّدوا السيّد محمّد الطبطبائيّ بالقتل فلم يسمح له بعد ذلك بالخروج.

كما شارك الشيخ فضل الله النوري في ثورة التنباك بشكل فعّال، فكان الرابط والواسطة الأساسيّة بين طهران وسامراء، حيث كان يضع الميرزا الشيرازي بشكل دائم في أجواء طهران وأخبارها.

## ٣٥. تقي زاده

ولد السيّد حسن تقي زاده (١٢٥٦-١٣٤٧ش) في تبريز. يعتبر واحدًا من أشهر المؤلّفين والمؤرّخين والسياسيّين في زانه. والده السيّد تقي من الذين درسوا في النجف الأشرف ومن أبرز علماء تبريز. درس حسن المرحلة الأولى، والتي اشتملت على الفارسيّة، ومقدّمات اللغة العربيّة والمنطق

والفقه والأصول عند علماء تبريز.

ثمّ أصبح يميل إلى الرياضيّات القديمة، وتوجّه بعد ذلك نحو علم الكلام والحكمة والطب القديم، وقد درس بعيدًا عن أنظار والده العلوم الباطنيّة والتصوّف والعرفان وطالع، وحقّق بعض المسالك الدينيّة المخالفة للمشهور أمثال الشيخيّة وغيرها. بعد وفاة والده، توجّه نحو العلوم الجديدة وكان عمره لا يتجاوز الثامنة عشر، فتعلّم الطب والتشريح وكان بارعًا في اللغة الفرنسيّة.

أسّس في سن الرابعة والعشرين مدرسة في تبريز تحت اسم "تربيت" بهدف الترويج للفكر الغربيّ إلّا أنّ مخالفة العلماء منعت المدرسة من نشاطها. بعد ذلك أسّس مكتبة بمساعدة بعض أصدقائه حيث بدأ يبيع الكتب الدينيّة والكتب الغربيّة. أصبحت مكتبته بعد مدّة مركزًا لتردّد المجدّدين والمتنوّرين وطالبي التحرّر في آذربيجان.

انتقل في العام ١٢٧٩ش إلى المدرسة الأمريكيّة في تبريز لتعلّم اللغة الإنجليزيّة. سافر في العام ١٢٨٢ش إلى القوقاز، اسطنبول، مصر، بيروت، ودمشق. بعد شيوع الوباء في إيران، وفي مصر التقى بالشيخ محمّد عبده.

عاد إلى تبريز ليقود الحركة الدستوريّة فيها وليكون واحدًا من المنادين بالحريّة في المدينة. أصبح ممثّلًا لأهالي تبريز في مجلس الشورى الوطنيّ الأوّل وتمكّن في مدّة قصيرة من قيادة جناح الأقليّة الذي كان يغلب عليه طابع التنوير والتجديد. ساهم في تدوين مسودّة القانون المتمّم للدستور وخالف بشدّة آراء الشيخ فضل الله النورين بالأخصّ تلك التي تنادي بنظارة العلماء على القوانين، وأصبح يعرف منذ ذاك الحين بالسياسيّ المخالف للعقائد الدينيّة ممّا لفت أنظار السفارات الأجنبيّة في إيران نحوه.

التجأ إلى السفارة الإنجليزيّة بعد قيام الروس بقصف المجلس، ومن هناك تمكّن من الذهاب إلى أوروبا. تردّد بين فرنسا وانكلترا، وأصبح في لندن تحت حماية ادوارد براون، المستشرق والجاسوس الإنجليزيّ. انتسب



إلى الفراماسون، وتمكّن من التأثير على المفكّرين المتنوّرين في الداخل والخارج. كما عاد إلى تبريز أواسط العام ١٢٨٧ش بشكل سرّيّ، وذلك بعد اشتداد الاعتراضات الشعبيّة ضدّ محمّد علي شاه. في تلك المرحلة، كان المتنوّرون التبريزيّون يتحلّقون حول ستار خان وباقر خان وكانت أقليّة معدودة تتبع تقي زاده.

دُعي إلى طهران من قبل بعض الشخصيّات أمثال عضد الملك، نائب السلطنة، ومحمّد علي خان التنكابنيّ والعقيد أسعد بختياريّ وذلك بعد سقوط محمّد علي شاه، فكان له نشاط في اللجنة التي تمّ تأسيسها لإدارة البلد بشكل مؤقّت وللتخفيف من غضب المتطرّفين أصحاب الحركة الدستوريّة.

أصبح ممثّلًا لأهالي تبريز في الدورة الثانيّة لانتخابات مجلس الشورى الوطنيّ. وقد أدّت بعض الأبحاث أمثال دخالة الدين في السياسة إلى تحزّب الممثّلين في المجلس ضد بعضهم البعض. وأمّا نتيجة هذا الصراع داخل المجالس، فلم تكن سوى إعدام الشيخ فضل الله النوري، كذلك علم الحركة الدستوريّة في شهر مرداد عام ١٢٨٨ش، واغتيال آية الله السيّد عبد الله البهبهاني، أقوى قائد في الحركة الدستوريّة عام ١٢٨٩ش.

وجاء في المجلّد الثاني من كتاب ظهور وسقوط السلطة البهلويّة أنّ قرار اغتيال الشيخ فضل الله النوري قد اتّخذ في لجنة تضمّ حسين قلّي خان نوّاب، والسيّد حسن تقي زاده، وحسن وثوق الدولة، وإبراهيم حكيم الملك، ومحمّد ولي خان التنكابني والعقيد أسعد بختياري وعدد آخر من الأعضاء.

بعد هذه الأحداث، أصبح تقي زاده عدوًّا للعلماء، فأفتى بعض علماء النجف، ومن جملتهم الآخوند الخراساني بفساد المسلك السياسيّ لتقي زاده وعدم لياقته للمجلس وبضرورة خروجه من إيران. بعدها، انتقل إلى تبريز لحين زوال الأزمة، وقد أدّى الغضب الشعبيّ إلى تركه إيران فانتقل إلى اسطنبول.

عاش مدّة في اسطنبول وتردّد بين العواصم الأوروبيّة، وقد استدعاه الألمان للتعاون معهم حيث كانوا يحاولون الإطاحة بالنشاطات الروسيّة والإنجليزيّة في إيران. ومن ثمّ انتقل إلى إيران بعد انتقال السلطة من القاجاريّين إلى البهلويّين وتولّى مناصب متعدّدة. نشر عددًا كبيرًا من المقالات الأدبيّة والاجتماعيّة والعلميّة والتحقيقيّة في مجلّة **"كاوه"**. وقد طبعت مقالاته فيما بعد في عدّة مجلّدات.

## ٣٦. السيّد عبد الله البهبهاني

السيّد عبد الله البهبهاني، مجتهد وواحد من قادة الحركة المشروطة. ولد في النجف عام ١٢٥٦ق. درس المقدّمات والسطوح العالية في النجف على أيدي علماء مشهورين من جملتهم الشيخ مرتضى الأنصاري، الحاج الميرزا حسن الشيرازي، الحاج السيّد حسن الكوه كمري والشيخ راضي النجفي وحصل على إجازة الاجتهاد. انتقل إلى طهران عام ١٢٩٥ق فكان وارثًا لوالده ومتوليًّا لمنصبه الدينيّ والاجتماعيّ.

ذُكر اسمه أوّل مرّة في التاريخ السياسيّ الإيرانيّ بعد قضيّة تحريم التنباك عام ١٣٠٩ق. تحدّثت بعض المصادر أنّه لم يكن مؤيّدًا لفتوى تحريم التنباك، وكان مؤيّدًا للوكالة الحصريّة التي أعطيت للأجنبيّ وقد سبّب هذا الأمر سقوط اعتباره بين الناس. ومنذ تلك اللحظة، أصبح محلّ اهتمام الصدر الأعظم، أمين السلطان حيث أصبحت علاقاتهما قويّة ومحكمة. وقد استمرّ الوضع على هذا المنوال حتّى العام ١٣٢١ق عندما أصبح عين الدولة صدرًا أعظمًا بدلًا من أمين السلطان.

بعد انتشار صورة السيّد نور البلجكي في مجلس بلباس العلماء عام ١٣٢٣ق، ارتقى البهبهاني وأخرج صورة نور أمام الناس وطلب إخراجه من البلاد وتوبيخه. وقد دعم التجّار الحملة ضد نور، واتّهموه بالعمل طبق مصلحة التجّار غير المسلمين.



تحصّن التجّار في حرم عبد العظيم (ع). من هنا، بدأ البهبهاني جهاده ضد الاستبداد والحكومة المستبدّة. كاتب البهبهاني أربعة من مجتهدي طهران طلبًا للمساعدة، فلم يستجب له سوى السيّد محمّد الطبطبائي حيث عقدا اجتماعًا في منزله. وتمّ فيه اتفاق التعاون والتضامن الكامل.

وبعد عودة مظفّر الدين شاه من أوروبا، ازداد اعتراض الناس والعلماء على طريقة عمل الدولة ممّا أدّى إلى وجود الحركة الدستوريّة. من جملة الأعمال التي أدّت إلى اعتراض الناس والعلماء ارتفاع سعر السكر وتوبيخ التجّار. وقد سبّب الأمر بداية إلى وجود تجمّعات اعتراضيّة بقيادة الطبطبائي والبهبهاني في مسجد الشاه، ومن ثمّ كانت المهاجرة إلى حرم عبد العظيم (ع).

ومن ثمّ استمرّ التحصّن على رغم المحاولات التي بذلها عين الدولة. وفي النهاية، تدخّل السفير العثمانيّ، ممّا أدى إلى تلبيّة طلبات المتحصّنين والتي كان من أبرزها وجود بيت أو مركز العدالة، فاستقبل البهبهاني والطبطبائي استقبالاً منقطع النظير. بعدها أصبحا في منزلة اجتماعيّة رفيعة وبقيا إلى جنب بعضهما البعض حتّى اشتهرا بـ"السيّدين السندين".

خالف عين الدولة وعوده، فضغط الناس على السيّدين ممّا أدّى إلى حصول اشتباكات بين الناس والحكومة، فقُتل أحد الطلاب، ونزل الناس وتحصّنوا مع البهبهاني والطبطبائي والشيخ فضل الله في مسجد الشاه وطالبوا من جديد بتأسيس بيت للعدالة.

في العشرين من جمادى الأولى عام ١٣٢٤، فتح الجنود المدجّجين بالسلاح النار باتجاه الناس فقتل عدد كبير منهم، وقيل حينها أنّ البهبهاني أظهر في هذه الحادثة شهامة منقطعة النظير. بعد مدّة ازداد ضغط العلماء فكانت الهجرة الكبرى إلى قم، وكان حضور الشيخ فضل الله إلى جانب السيّدين بمثابة الضربة القاضيّة التي انهالت على عين الدولة.

بعد أقلّ من شهر، أثمرت جهود الناس والعلماء، وأقيل عين الدولة

وانتخب مشير الدولة صدرًا أعظمًا، وأصدر الشاه القانون الذي طالبت به الحركة الدستوريّة، فرجع العلماء إلى طهران مكلّلين بالنصر والاحترام.

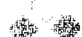
افتتح مجلس الشورى الوطنيّ في الثامن عشر من شعبان ١٣٢٤. شارك العلماء الثلاث: فضل الله النوري والطبطبائي والبهبهاني وكانوا نشطاء فيه. بعد عدّة أيام من افتتاح المجلس، توفّي مظفّر الدين شاه، وأصبح محمّد علي شاه ملكًا. لم يخالف البهبهاني والطبطبائي انطباق القوانين مع الشريعة، ولكنّهما اختارا السكوت، فانفصل السيّدين عن الشيخ فضل الله النوري لاصراره على انطباق القوانين مع الشريعة.

اشتدّت خصومة محمّد علي شاه للمجلس، فحاصر الجنود الروس المجلس. علم البهبهاني بالأمر، فجهّز أنصاره الذين شقّوا صفوف الجنود الروس ووصلوا إلى المجلس وحاولوا منع الروس من الوصول إلى المجلس إلّا أنّ الشاه قد اتّخذ قراره فأغلقوا المجلس بالمدفعيّة، لذلك لجأ البهبهاني مع بعض أنصاره إلى حديقة أمين الدولة.

هاجم الجنود الروس المكان وتعرّضوا للموجودين فيه بالضرب والشتم، ونقلوا الجميع إلى حديقة الشاه. وهناك أهان الشاه البهبهاني بشكل كبير وكان حينها جريحًا، ثمّ أمر بإبعاده إلى العتبات المقدّسة.

بعد سقوط محمّد علي شاه وفتح طهران على أيدي أتباع الحركة الدستوريّة، رجع البهبهاني إلى طهران قبل يوم من افتتاح الدورة الثانيّة للمجلس عام ١٣٢٧ق فكان له استقبال كبير. تأثّر كثيرًا عندما سمع نبأ إعدام الشيخ فضل الله النوري. لم يتولَ البهبهاني أيّ منصب في المجلس في هذه الدورة، لكنّه لم يبتعد عن النشاط السياسيّ. كان الناس يتجمّعون في منزله باعتباره أحد مؤسّسي الحركة الدستوريّة. كان المجلس آنذاك يتألّف من مجموعتين الأكثريّة المعتدلة والأقليّة الديمقراطيّة، وكانت الأكثريّة تتّبع البهبهاني بينما خالفه الديمقراطيّون.

في النهاية، أقدم أربعة أشخاص مسلّحين على مهاجمة آية الله



البهبهاني في منزله فقتل عام ١٣٢٨ق. وصل الخبر إلى الخارج فتعطّل السوق وهبّ الناس للإنتقام. وعلى الرغم من بقاء القتلة مجهولين، إلّا أنّ الناس اتّهموا الديمقراطيّين بالتخطيط لذلك بالأخصّ شخص تقي زاده. تمّ تشييع البهبهاني في موكب مهيب ثمّ نقل جثمانه إلى النجف ليدفن في مدافن العائلة.

## ٣٧. الميرزا حسن مستوفي

الميرزا حسن خان مستوفي الممالك الآشتياني ابن الميرزا يوسف مستوفي الممالك الصدر الأعظم عند ناصر الدين شاه. ولد عام ١٢٩٢ق في طهران، بقي لقب مستوفي الممالك، وزير المال، مدّة قرن في عائلته. بدأ الدراسة في الخامسة من عمره، فدرس العلوم المتداولة آنذاك والصرف والنحو العربيّ والأدب وبعض الأمور الشرعيّة. منحه الشاه لقب "مستوفي الممالك" عام ١٣٠١ق وأمره بمتابعة الأعمال التي كان يقوم بها والده في وزارة المال بعد وفاة والده وكان عمره آنذاك اثني عشر عامًا.

بعد وصول مظفّر الدين شاه إلى السلطة، ضعف موقعه في البلاط، فاختار الابتعاد وسافر إلى أوروبا، وخلال عشر سنوات قضاها في أوروبا صرف ثروة والده في الحياة المرفّهة. كان شديد التعلّق بالشطرنج والصيد وكثرة النساء والأولاد.

أثّرت إقامته في أوروبا على أفكاره. عاد إلى إيران بعد استقرار الحركة الدستوريّة وذلك باصرار من أمين السلطان أتابك الأعظم، رئيس وزراء محمّد علي شاه، فتولّى وزارة الحرب. ثمّ أسّس تجمّعًا تحت عنوان مجمع الإنسانيّة وعمل في الأمور السياسيّة إلى جانب الدكتور مصدّق.

وبعد فتح طهران وخلع محمّد علي شاه، تمّ اختياره رئيسًا لوزراء أحمد شاه. أصبح مستوفي رئيسًا للوزراء ست مرّات. كذلك تولّى وزارة الحرب، وأصبح نائبًا في المجلس ووزيرًا مشاورًا في إحدى الحكومات... ولعلّ من

أبرز الأحداث التي حصلت في عهده: اغتيال آية الله البهبهاني، وقوع الحرب العالميّة الأولى، احتلال قسم من إيران بواسطة الروس والانجليز والعثمانيّين، إقفال المجلس الثالث بسبب المهاجرة، ظهور القحط، الاغتيال غير الموفّق لمدرّس والإعلان عن عدم الانحياز في الحرب العالميّة الأولى.

في العام ١٣٠٢ش، طلب مدرّس سحب الثقة عن الدولة، فاستقال مستوفي وأعطى مكانه لمشير الدولة. في العام ١٣٠٥ش، تتوّج ملكًا فطلب من مستوفي تشكيل الحكومة. طلب من رضا شاه الحريّة في اختيار الوزراء، فوافق باستثناء وزارة الحرب التي أوكلها إلى فروغي.

وفي أواخر العام ١٣٠٦ش، عرضت لائحة إصلاح قانون العمل في البلد على المجلس، ممّا أثار اعتراض آلاف العمّال الذين رفضوا التنقيص من حقوقهم الماليّة. طلب من الوزراء إعادة البحث في الثقة الممنوحة للحكومة، فاستقال مستوفي قبل ذلك وترك السلطة ولم يرجع إليها.

توفّي مستوفي عام ١٣١١ش على أثر إصابته بنوبة قلبيّة. كان يميل نحو السياسة الروسيّة في إيران. لذلك كان الروس سواء قبل الثورة البولشيفيّة أو بعدها يؤيّدونه.

## ٣٨. محمّد علي فروغي

ولد محمّد علي فروغي المعروف بذكاء الملك الثاني عام ١٢٥٤ش في طهران. والده محمّد حسين الملقّب بذكاء الملك الأوّل والمتلخّص بفروغي من أدباء وشعراء عصر ناصر الدين شاه. كان متأثّرًا بآراء وأفكار الميرزا ملكم خان. يعتبر محمّد علي فروغي من مؤسّسي منظمّة الوعي الإيرانيّ وكان في عمر الثانيّة والثلاثين حيث وصل إلى مقام الأستاذ الأعظم عام ١٢٨٦ش. يقول "مهدي بغداد" أنّ الجدّ الأعلى لهذه العائلة، من يهوديّي بغداد الذين قدموا إيران للتجارة وسكن أصفهان وأصبح مسلمًا. لذلك اشتهرت عائلة فروغي بجذورها اليهوديّة.



عمل مترجمًا في وزارة الاستخبارات والأمن القوميّ في أواخر سلطنة ناصر الدين شاه. وكان والده يعمل مدرّسًا في مدرسة العلوم السياسيّة التي أسّسها نصر الله خان مشير الدولة، كذلك عمل محمّد علي مترجمًا فيها ثمّ أصبح بعد ذلك أستاذًا.

دخل المجلس في الدورة الأولى، وتولّى رئاسة المدرسة السياسيّة عام ١٢٨٦ش بعد وفاة والده، وفي هذه الأيّام انتسب إلى بيت النسيان. أصبح ممثّلًا لطهران في الدورة الثانيّة لانتخابات المجلس.

تولّى محمّد علي رئاسة الديوان العالي في البلد ثلاث مرّات وأصبح رئيسًا للوزراء ثلاث مرّات، وتولّى وزارة الحرب ثلاث مرّات ووزارة المال ثلاث مرّات ووزارة الخارجيّة ثلاث مرّات ووزير العدل مرّة واحدة.

بعد اشتداد الأزمة بين الانجليز والروس من جهة ورضا خان من جهة ثانيّة، أصرّت تلك الدول على تحويل النظام نحو الجمهوريّة. لعب محمّد علي فروغي دورًا كبيرًا في وصول محمّد رضا إلى السلطة، وبذلك ساهم في استمرار النظام البهلويّ التابع والديكتاتوريّ.

توفّي محمّد علي فروغي عام ١٣٢١ش.

## ٣٩. حزب تودة

يعتبر حزب تودة مركز اليسار الإيرانيّ ذي الرؤيّة الشيوعيّة حيث سادت أفكاره إيران لمدّة قرن من الزمن.

بعد إمضاء قانون الحركة الدستوريّة، بدأ النزال بين المجموعات السياسيّة والاجتماعيّة المتنوّعة لإيجاد النظام الذي ترغب به، ومن جملة هذه المجموعات، المجموعة التي كانت تُعرف بالسوسيال ديمقراط وهي مجموعة كانت تنشط في المجلس تحت عنوان الحزب الديمقراطيّ.

بعد عدم تحقّق أهداف الدستوريّة، انقسم السوسيال ديمقراط في إيران إلى قسمين: الاستبداد المنوّر والحزب الشيوعيّ. عند وصول رضا

خان إلى السلطة، جرت ملاحقة أعضاء هذا الحزب، فوقع ٥٣ من أفراده في السجن؛ إلّا أنّ هذا الحزب بدأ نشاطه من جديد بعد فشل رضا خان في مواجهة المثقّفين.

بعد إبعاد رضا خان عام ١٣٢٠ش، وبدء عودة المثقّفين إلى إيران، بدأ الحزب نشاطه تحت عنوان حزب تودة حيث تولّى رئاسته في تلك المرحلة سليمان ميرزا اسكندري. بدأ الحزب بعد ذلك افتتاح فروع له في إيران حيث بلغ عدد المنتسبين إليه حوالي الألف شخص.

كما شكّل البورجوازيّون الصغار والموظّفون الإداريّون والعسكريّون في المجتمع أهمّ الفئات التي انتسبت إلى حزب تودة، إلّا أنّ الحزب فقد وهجه بين الناس بعد إصراره على الدفاع عن المصالح الروسيّة في إيران وإعطاء امتياز نفط الشمال لهم. استمرّ نشاط الحزب حتّى العام ١٣٢٧ش حيث جرت محاولة اغتيال محمّد رضا شاه، فكانت مناسبة لإعلان عدم قانونيّة الحزب فتمّ اعتقال قادته.

بعد وقوع اختلافات بين البلاط والمجلس وحكومة مصدّق، أصيب المجتمع بحالة هرج ومرج، فاغتنم الحزب الفرصة ليعاود النشاط. تمّ اعتقال وإعدام القادة العسكريّين والسياسيّين للحزب بعد انقلاب ٢٨ من مرداد. أصبحت نشاطات الحزب غير علنيّة بعد الإعلان عن عدم قانونيّة الحزب كما حصل ذلك مع الأحزاب الأخرى.

عاد إلى الحياة السياسيّة العلنيّة في بهمن ١٣٥٧ش بعد انتصار الثورة الإسلاميّة حيث ترأّسه آنذاك كياالنوري. كان الحزب في هذه الفترة يتظاهر بالدفاع عن الإمام الخمينيّ (قده) وأتباعه إلّا أنّه لم يتمكّن من التخلّص من القيود الروسيّة التي كانت تكبّله.

أعلن عن انحلال الحزب عام ١٣٦٢ش بعد الافشاء عن أعماله السوداء.



### ٤٠. كيانوري

ولد نور الدين كيانوري ابن الشيخ مهدي النوري وحفيد الشيخ فضل الله النوري عام ١٢٩٤ش في قرية بلده في مازندران. تلقّى علومه في إيران وألمانيا فحصل من جامعة آخن على شهادة دكتوراه في هندسة الطرق والبناء.

عاد إلى إيران عام ١٣١٩ش بعد انتهاء دراسته، والتحق في العام ١٣٢١ش بحزب تودة جديد التأسيس. أجبر على ترك إيران عام ١٣٣٤ش بعد حلّ الجناح العسكريّ للحزب، فانتقل إلى الاتّحاد السوفياتيّ ثمّ هاجر عام ١٣٣٦ش إلى جمهوريّة ألمانيا الديمقراطيّة.

بعد اشتداد الثورة في إيران عام ١٣٥٧ش، تولّى منصب الأمين العام للحزب مكان ايرج اسكندري، وعاد في العام ١٣٥٧ش إلى إيران.

بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، أعلن رسميًّا عن تولّيه الأمانة العامّة للحزب في إيران. ترشّح لانتخابات الدورة الأولى للمجلس. وقد اشتهرت المناظرة التي جرت أوائل الثورة بين الشهيد بهشتي وكياالنوري. اعتقل كياالنوري وبعض أعضاء الحزب عام ١٣٦١ش بعد إفشاء خيانة الحزب وتجسّسهم لمصلحة الروس. أطلق سراحه عام ١٣٦٨ش. توفّي كياالنوري عام ١٣٨٧ش.

### ٤١. جلال آل أحمد

ولد جلال الدين سادات آل أحمد المعروف بجلال آل أحمد ابن السيّد أحمد الحسينيّ الطالقانيّ في محلّة السيّد نصر الدين وهي واحدة من أقدم أحياء طهران، عام ١٣٠٢ش بعد سبع بنات. كان والده من العلماء المعمّمين، وهذا يعني أنّ جلال عاش في بيت متديّن. كان همّ والده أن يهيّئ جلال لخلافته في المسجد والمنبر.

درس بدايةً في المتوسّطة، ومن ثمّ انتقل إلى الثانويّة حيث واجه معارضة

الوالد الذي كان يعتبر أنّ الدراسة في مدارس الدولة تحرف الولد عن الدين والحقيقة. يقول جلال آل أحمد: "بعد الانتهاء من المتوسّطة لم أتمكّن من متابعة الدراسة بل قيل لي اذهب إلى السوق للعمل. ذهبت إلى السوق إلّا أنّني وجدت أنّ دار الفنون يقيم دروسًا ليليّة فتسجّلت فيها من دون علم الوالد".

بعد انتهاء الدراسة في الثانويّة، أرسله والده إلى النجف لمتابعة الدراسة الحوزويّة عند عمّه السيّد محمّد تقي. لم يتمكّن من البقاء في النجف سوى أشهر قليلة فرجع إلى إيران.

بعد عودته إلى إيران، بدأت تلاحظ عليه آثار الشكّ والترديد وعدم الاعتقاد بالدين ممّا أثار العائلة ضدّه. انتسب جلال آل أحمد عام ١٣٢٣ش إلى حزب تودة وتنكّر بالكامل للأفكار الدينيّة. صادف أيّام شبابه، والتي هي أيّام البلوغ، كثرة الحركات اليساريّة لحزب تودة في إيران وتوجّه الشباب نحو شعارات ذاك الحزب المتطرّفة واندلاع الحرب العالميّة الثانيّة وكلّها أسباب ساهمت في تغيير مساره الفكريّ.

اجتمعت كلّ تلك الأسباب فتغيّر الشاب، وأصبح يضع خاتم العقيق في إصبعه وتحوّل إلى شاب مرتّب ومنظّم يرتدي اللباس الأمريكيّ.

دخل عالم الكتابة عندما طبع عام ١٣٢٤ش قصّة حملت عنوان "**زيارت**" في مجلّة "**سخن**"، وطبع في العام نفسه مجموعة من القصص في كتاب واحد. سافر عام ١٣٢٤ش إلى آبادان لافتتاح فرع حزب تودة والاتّحاد العمّاليّ التابع له.

تولّى مسؤوليّات عدّة في حزب تودة بعد نشاطاته البارزة فيه، ويقول: "تمكّنت خلال أربع سنوات من العمل في حزب تودة من الوصول إلى عضويّة اللجنة الحزبيّة في طهران بعد أن كنت عضوًا بسيطًا... طلب منّي عام ١٣٢٥ش إدارة شهريّة "الناس" تحت نظر الطبريّ، واستمرّ الوضع على هذا المنوال حتّى طباعة العدد ١٨".

أصبح في العام ١٣٢٦ش موظّفًا في التعليم والتربية. وفي العام نفسه، انفصل مع عشرة أشخاص آخرين من جملتهم خليل ملكي عن حزب تودة حيث أصبحوا جزءًا من القوّة الثالثة. قدّم هؤلاء الأشخاص نقدًا للحزب إذ أنّهم لم يتصوّروا أن يصبح حزبٌ إيرانيٌّ آلةً بأيدي الدول الأجنبيّة.

وفي هذا العام، قرّر مع جماعة تقديم استقالة جماعيّة من الحزب. وقد كتب بنفسه حول هذه الوقائع عندما أكّد مدى افتخاره بالحزب الذي وقف في يوم من الأيام للدفاع عن العمّال والفقراء. ولكن ما استدعى انتباهه وجعله يفكّر مليًّا في الحزب وطريقته عندما رأى الدبابات الروسيّة (عام ١٣٢٣ش أو ١٣٢٤) تقف مليئة بالجنود دفاعًا عن التظاهرة التي أطلقها الحزب.

في العام ١٣٢٦ش، طبع كتاب **من آلامنا** وهو عبارة عن عشر قصص قصيرة. ثمّ طبع كتبًا أخرى وترجم عددًا آخر من أبرزها كتب: **جيّد وكامو وسارتر وداستايوفسكي**. كتب في العام ١٣٣٧ش كتاب **مدير المدرسة ومصير قفران النحل**. وبعد سنتين ،كتب **جزيرة خارك في الخليج اليتيم**. وبين العام ١٣٤٠ش إلى العام ١٣٤٣، كتب **نون والقلم وثلاث مقالات أخرى وكتاب الأعوام الثلاث** و"**التغرب**" **والسفر إلى روسيا**. وفي العام ١٣٤٥، كتب **كركدن**، وفي **خدمة وخيانة المفكّرين**، **ولعنة الأرض**، وترجم **العبور عن الخطّ** الذي هو آخر آثاره.

اشتدّ غضب آل أحمد على المفكّرين عندما أظهروا عدم مبالاتهم اتّجاه حادثة الخامس عشر من خرداد حيث كتب بعد ذلك كتابه المعروف في **خدمة وخيانة المفكّرين**. قدّم جلال آل أحمد في كتابه نقدًا للمفكّرين بسبب ابتعادهم عن الجماهير، وسطحيّتهم، ومخالفتهم للاعتقادت الدينيّة لأغلب أفراد المجتمع وتعاونهم مع السلطة الحاكمة. وفي المقابل، أثنى على الدور المميّز للعلماء في الارتباط مع الجماهير وقيادة الشعب في الأحداث الهامّة أمثال تحريم التنباك والحركة الدستوريّة وتأميم النفط،

وفي النهاية حادثة الخامس عشر من خرداد عام ١٣٢٤ش، وذلك بقيادة الإمام الخمينيّ (قده).

توفي جلال آل أحمد الكاتب المشهور والقدير عام ١٣٤٨ش عن عمر السادسة والأربعين بعد أن اختار أواخر عمره الهجرة إلى الغابة ليعيش فيها يفكّر في الحقيقة.

## ٤٢. خليل ملكي

ولد في تبريز عام ١٢٨٠ش. والده الحاج ميرزا فتحعلي. بعد انتهاء دراسته الإبتدائيّة والمتوسّطة، توجّه إلى طهران حيث درس في المدرسة الألمانيّة. حصل عام ١٣٠٧ش على منحة دراسيّة في ألمانيا، فدرس في فرع الكيمياء إلّا أنّ المساعدة الدراسيّة قطعت عنه لمخالفته نظام رضا خان ممّا اضطره للعودة إلى إيران لإكمال دراسته.

تعرّف في ألمانيا على الدكتور تقي أراني وأصدقائه فكانت النتيجة ارتباطه بالمحافل الفكريّة. بقي نشاط المجموعة خفيًّا إلى أن تمكّنت الشرطة من اعتقال ما عرف حينها بمجموعة الـ ٥٣ شخصًا.

أُطلق سراحه من السجن عام ١٣٢٠ش مع أصدقائه. بعد سقوط رضا خان، دخل الروس إيران واحتلّوا مناطق في الشمال، وأسّسوا حزب تودة الذي اعتمد في الأساس على أعضاء مجموعة الـ٥٣. صحيح أنّ ملكي كان أبرز قادة الحزب إلّا أنّه كان يحمل أفكارًا تخالف أصدقاءه ورفاقه في موضوع العلاقة مع روسيا وتلقّي التعليمات منها.

في العام ١٣٢٥ش، نزلت أوّل ضربة على حزب تودة بعد خسارة الفرقة الديمقراطيّة في آذربيجان ممّا أدّى إلى وجود اختلافات فكريّة بين قادة الحزب. نتج عن هذه الخلافات انفصال خليل ملكي مع بعض الأعضاء عن الحزب عام ١٣٢٦ش. أسّس المنفصلون مجموعة أطلقوا عليها القوّة الثالثة.



أعلن الحزب الجديد مجموعة من الأولويّات: محاربة البلاط وحزب تودة، الدفاع عن دولة مصدّق والدفاع عن عمليّة تأميم النفط حيث اتّحد هذا الحزب عام ١٣٣٠ش مع مظفّر بقائي.

استمرّ هذا التعاون حتّى العام ١٣٣١ش حيث انفصل بقائي عنه نتيجة مواقفه من حكومة مصدّق، فالتحق بقائي وحزبه بمعارضي مصدّق بينما استمرّ ملكي وحزبه – القوّة الثالثة – بتأييد تأميم النفط ومواجهة الانجليز ومخالفة السياسة الاستعماريّة لروسيا.

أُعلن عن نهاية نشاط الحزب مع حصول انقلاب الثامن والعشرين من مرداد ١٣٣٢ش حيث تمّ اعتقال ملكي. بدأ ملكي بعد اطلاق سراحه من سجن فلك الأفلاك، خرم آباد، بتشكيل جلسات أسبوعيّة في منزله يقوم فيها بتقديم تحليلات للمسائل السياسيّة والحزبيّة والاجتماعيّة في إيران، ثمّ أصدر مجلّة باسم حزب الحياة التي غيرّت اسمها بعد فترة لتصبح العلم والحياة بعد الضغط الذي مارسه السافاك.

في العام ١٣٣٩ش، أسّس ملكي تجمّع الاشتراكيّين في إيران، وأصدر في العام ١٣٤٢ش بيانًا أثنى فيه على مقاومة العلماء للاستبداد ودافع عن النهضة الشعبيّة. اعتقل بعد سنتين مع بعض أصدقائه بتهمة العمل الأمنيّ ضد إيران وحكم عليه بالسجن لمدّة ٣ سنوات.

بعد اعتقال ملكي، انهالت الاعتراضات من الشخصيّات والتجمّعات الداخليّة والدوليّة التي طلبت من الشاه العفو عنه على أساس أنّه شخص مريض وقد يؤدّي به السجن إلى الموت. أطلق سراحه عام ١٣٤٥ش. بعد إطلاق سراحه، بدأ ينشر مقالاته في الصحف بأسماء مستعارة من جملتها "م. مهر" و"م. مهران".

نشط ملكي في الجانب السياسيّ، وترك العديد من الترجمات التي تتمحور حول العالم الثالث. توفّي ملكي عام ١٣٤٨ش.

### ٤٣. الدكتور عليّ شريعتي

ولد الدكتور علي شريعتي عام ١٣١٢ش في مدينة مزينان في خراسان. والده محمّد تقي شريعتي من العلماء المفكّرين. أنهى دراسته الثانويّة في عمر السادسة عشر. انتسب عام ١٣٣٤ش إلى كليّة العلوم والآداب الإنسانيّة في مشهد بعد افتتاحها حيث كان يعمل قبل ذلك في وزارة الثقافة. رفض رؤوساء الكليّة طلب انتسابه فكان يحضر في الصفوف كمستمع ولم يُعِر أيّ اهتمام لاعتراضات المسؤولين.

أنهى الدراسة في الكليّة وقدّم أطروحة ثمّ حصل على منحة دراسيّة، فاختار باريس التي سافر إليها عام ١٣٣٨ش.

في العام ١٣٤٨ش، فتحت حسينيّة الإرشاد أبوابها أمام الجميع وبالأخصّ الشباب باعتبارها واحدة من المراكز الثقافيّة الإسلاميّة. كان الدكتور شريعتي يحضر في الأسبوع عدّة ساعات يتباحث مع الآخرين ويحاضر بكامل القوّة والصلابة.

ومن خلال ما كان يتمتّع به من قوّة بحثيّة ورؤيّة واسعة، كان يقوم بتحليل تاريخ وطنه وتاريخ العالم الإسلاميّ ودراسة الشخصيّات المقدّسة والكبيرة في العالم الإسلاميّ. وكان يتحدّث حول الحياة الحاليّة للمجتمع الإيرانيّ في تلك المرحلة وما يعتريه من ضعف ومشكلات وما يحيط به من جوانب تشير إلى الانحطاط وذلك لما كان يتمتّع به من رؤيّة ثاقبة فحاول وبشجاعة منقطعة النظير أن يجعل الشعب وبالأخصّ جيل الشباب يدرك الوقائع المؤلمة التي يعيشها.

جعلت نشاطات الدكتور شريعتي أعداء الدين والأمّة يعيشون حالة خوف حقيقيّة، لذلك منعوه من التدريس في جامعة مشهد. وبعد ذلك، منعوه من إلقاء المحاضرات في حسينيّة الإرشاد لا بل علّقوا أبواب الحسينيّة بعد مدّة من الزمن.

تمكّن شريعتي من التأقلم مع هذه الحياة الجديدة مع أنّه كان يتألّم من



الابتعاد عن الناس، فبدأ يشغل نفسه بالكتابة فلم يرقَ ذلك لأعدائه ممّا أدّى إلى اعتقاله عام ١٣٥٣ش فبقي في السجن الانفراديّ مدّة ١٨ شهرًا.

ترك شريعتي طهران عام ١٣٥٦ش متوجّهًا إلى أوروبا وتوفّي بتاريخ التاسع والعشرين من خرداد عام ١٣٥٦ بشكل مريب.

كان شريعتي يتحدّث عن الإمام الخمينيّ بعنوان "المرجع الكبير في عصرنا".

## ٤٤. محمّد تقي شريعتي

محمّد تقي شريعتي والد الدكتور شريعتي، ولد عام ١٢٨٢ ش في مزينان التابعة لسبزوار. والده الشيخ محمود وجدّه الآخوند الملا قربان علي من أبرز علماء المسلمين في تلك المنطقة، والملّا قربان علي من جملة تلامذة الملا هادي السبزواري.

درس مقدّمات الصرف والنحو العربيّ عند والده، وسافر إلى مشهد في عمر الخامسة عشر للدراسة في حوزتها. بدأ منذ الهام ١٣٢٠ش التدريس في مدارس مشهد بالإضافة إلى الدراسة. وفي هذه المرحلة، بدأ نشاطه المعارض لحزب تودة واعتقادات أحمد كسروي. سجن لمدّة من زمن في العام ١٣٣٦ش والعام ١٣٥٢ش بسبب نشاطاته المعادية للحكم البهلويّ.

وتوفّي عام ١٣٦٦هـ.ش. ودفن في مشهد. ترك العديد من الآثار من أبرزها: **الوحي، النبوّة، التفسير الجديد، الخلافة في ظلّ القرآن والسنّة، المهديّ موعود الأمم، ومنهج التعرّف على نهج البلاغة.**

## ٤٥. القوّة الثالثة

القوّة الثالثة عبارة عن نظريّة سياسيّة. أسّس لها خليل ملكي، وهي نظريّة طرحت في أوروبا، ثمّ أصبحت نظريّة سياسيّة في قالب تيّار وحزب سياسيّ في إيران. والمقصود منها وجود قوّة ثالثة تقابل القوّتين الأساسيّتين في

البلد: السلطة الحاكمة وحزب تودة. هذا على مستوى الداخل، وأمّا على مستوى الخارج، فهي قوّة تقابل القوّتين الأساسيّتين أي أمريكا والاتّحاد السوفياتيّ، حيث تعمل هذه القوّة لتكون مستقلّة عن كلا القوّتين. والقوّة الثالثة هي تعبير آخر للعالم الثالث.

تمّ تأسيس القوّة الثالثة بعد الانفصال عن حزب تودة عام ١٣٢٦ش بسبب ارتباط الحزب بالاتّحاد السوفياتيّ، وتولّى قيادته مجموعة من المفكّرين التنويريّين وعلى رأسهم خليل ملكي. وأمّا أبرز أعضائه: جلال آل أحمد، محمّد علي فنجي، مسعود حجازي، داريوش آشوري، مرتضى مظفّري، علي أصغر حاج سيّد جوادي وغيرهم.

## ٤٦. الدكتور مصدّق

ولد محمّد مصدّق عام ١٢٦١ش في طهران. والده الميرزا هدايت الله الآشتياني المعروف بـ"وزير دفتر"، وهو أكبر رجال العهد الناصري ووالدته ملك تاج خانم بنت عبد المجيد ميرزا وهي حفيدة عبّاس ميرزا وليّ عهد القاجار ونائب السلطنة. درس مصدّق المقدّمات في تبريز ثمّ انتقل إلى طهران لإكمال دراسته.

انتخب ممثّلًا في الدورة الأولى لانتخابات المجلس إلّا أنّه تمّ رفض تمثيله لأنّه لم يتمّ الثلاثين من العمر. انتقل مصدّق في العام ١٢٨٧ش إلى فرنسا لاكمال دراسته ثمّ سافر إلى سويسرا حيث حصل على شهادة دكتوراه في الحقوق. عاد إلى إيران مع بداية الحرب العالميّة الأولى، فعمل في وزارة الماليّة باعتبار عمله السابق في الأمور الماليّة. استقال من وزارة الماليّة في حكومة صمصام السلطنة بسبب اختلافه مع وزير الماليّة آنذاك ثمّ سافر إلى أوروبا بعد تشكيل حكومة وثوق الدولة الثانيّة.

رفض مصدّق الحكومة التي جاءت على أثر انقلاب السيّد ضياء ورضا خان. أصبح ممثّلًا لطهران في انتخابات مجلس الشورى الوطنيّ الخامسة



والسادسة. ومع نهاية الدورة السادسة للمجلس وبداية ديكتاتوريّة رضا شاه، اختار مصدّق المنزل. اعتقل أواخر حكومة رضا شاه، إلّا أنّه أطلق سراحه بعد أشهر عدّة، فوُضِع قيد الإقامة الإجباريّة في منزله في أحمد آباد.

عاد إلى طهران عام ١٣٢٠ ش بعد احتلال إيران من قبل الروس والبريطانيّين حيث أزيح رضا شاه. أصبح ممثّلًا مرّة أخرى لأهالي طهران في الدورة الرابعة عشرة لانتخابات مجلس الشورى الوطنيّ. عمل على منع إعطاء أيّ امتياز لروسيا ما دام جنودها موجودين في إيران. لم يتمكّن من الوصول إلى المجلس في الدورة الخامسة عشرة بعد تدخّل قوام السلطنة والشاه والجيش.

أسّس الدكتور مصدّق عام ١٣٢٨ش الجبهة الوطنيّة الإيرانيّة التي جذبت النشاطات السياسيّة إليها بعد إقرار اتفاقيّة النفط.

وجد مصدّق طريقه إلى المجلس في الدورة السادسة عشرة على الرغم من تدخّل الشاه والبلاط ووجود صناديق مزوّرة وإلغاء الصناديق الموجودة في طهران. أيّد المجلس خطّة تأميم النفط التي قدّمها آية الله الكاشاني والدكتور مصدّق وذلك بعد إعدام رئيس الوزراء آنذاك بواسطة فدائيّي الإسلام. وصل مصدّق إلى رئاسة الوزراء بعد استقالة حسين علاء الذي تولّى الوزارة بعد رزم آرا. فأعلن عن برنامجه الهادف إلى إصلاح قانون الانتخابات وتنفيذ قانون تأميم النفط.

سافر إلى نيويورك للدفاع عن إيران بعد الشكوى التي تقدّم بها الإنجليز إلى الأمم المتّحدة ثمّ سافر إلى لاهاي حيث أوضح هناك بعض النقاط المتعلّقة بقانون النفط، وقد اعتبرت المحكمة غير صالحة لدراسة الشكوى البريطانيّة، فاعتبر الأمر انتصارًا لمصدّق في إحقاق حقوق الشعب الإيرانيّ.

استقال مصدّق بعد عدم وفاء الشاه بتعهّداته فحلّ مكانه قوام إلّا أنّ

الاعتراضات الشعبيّة ومساعدة آية الله الكاشاني أجبرت الشاه على إعادة مصدّق إلى الحكومة وذلك في الثلاثين من تير عام ١٣٣١ش.

بعد سنة من ذلك، وقّع الشاه قرار عزل مصدّق فسقطت حكومة مصدّق حيث لم تتكرّر حادثة الثلاثين من تير بعد بروز الخلافات بين مصدّق وآية الله الكاشاني. تمّت محاكمة مصدق بعد انقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢ش في محكمة عسكريّة حكمت عليه بالسجن لمدّة ثلاث سنوات. وبعد انتهاء السنوات الثلاث تمّ إبعاد مصدق إلى أحمد آباد حيث بقي حتّى نهاية عمره تحت مراقبة السلطة. توفّي الدكتور مصدق عام ١٣٤٥ ش عن عمر الرابعة والثمانين بعد إصابته بمرض السرطان.

أوصى مصدّق أن يدفن إلى جانب شهداء الثلاثين من تير في ابن بابويه إلّا أنّ مخالفة الشاه أدّت إلى دفنه في إحدى غرف منزله في أحمد آباد.

### ٤٧. انتلكتويل intellectuelle

طرحت مسألة الفكر والإبداع بعد حقبة القرون الوسطى ووجدت في القرن السابع عشر الميلاديّ طبقة أطلق عليها المفكّرون التنويريّون ثمّ ظهرت هذه الطبقة في القرن التاسع عشر في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينيّة. ويقابل كلمة انتلكتويل في اللغة الفارسيّة كلمة "روشنفكر" أي المفكّر المتنوّر. وتعود جذور الكلمة إلى "انتلكت" التي تعني الذهن، والذكاء، والقدرة على الإدراك والفهم والابداع.

وهذا يعني أنّ الشخص المفكّر هو إنسان ذكيّ صاحب فهم وإدراك. وعلى هذا الأساس، تطلق الكلمة على طبقة اجتماعيّة تمتاز باستعدادها الفكريّ والذهنيّ. هذا من حيث اللغة، أمّا المقصود من الكلمة في الاصطلاح، فهي عبارة عن طبقة أو فرد من طبقة يؤدّي عملًا فكريًا.

فإذا قسّمنا المجتمع من ناحية العمل، وجدنا مجموعتين: الأولى هم الذين يؤدّون أعمالًا تحتاج إلى قدرات جسميّة وبدنيّة. والثانية هم الذين

يؤدّون أعمالًا فكريّة أو ذهنيّة كالشعراء والمؤلّفون والوعّاظ والعلماء وغيرهم.

هذا هو المقصود من كلمة انتلكتويل إلّا أنّ المترجمين عندما أرادوا ترجمة الكلمة إلى الفارسيّة وضعوا مقابلها كلمة "روشنفكر" ومن هنا بدأ الخطأ، لأنّ كلمة "روشنفكر" لا تحتاج إلى تحليل، فالمقصود منها في الفارسيّة الشخص صاحب الفكر المنوّر أي الفكر الذي لا يتوقّف ولا يتحجّر وهم الأشخاص الذين يعملون ويستدلّون ويحلّلون بعد ملاحظة أوضاعهم وأوضاع بلدهم ومجتمعهم.

والنتيجة أنّ كلمة "روشنفكر" عبارة عن صفة لفكر الفرد ولكن كلمة "انتلكتويل" عبارة عن صفة لعمل الفرد.

## ٤٨. جان بول سارتر

ولد سارتر عام ١٩٠٥م في فرنسا. وبشكل عام تشكّلت حياته من مرحلتين: الأولى بدأت بعد كتابة أثره المشهور **الوجود والعدم**. كان سارتر يعتقد بأصل الحرّيّة للإنسان ويؤمن بأنّ "الإنسان محكوم بالحريّة".

أمّا المرحلة الثانيّة من حياته، فهي التي ظهر فيها إنسانًا مفكّرًا نشيطًا في المجال السياسيّ. أيّد سارتر الشيوعيّة مع أنّه لم ينتسب للحزب الشيوعيّ بشكل رسميّ. ويعتقد بأنّ على الإنسان أن يحدّد مصيره بنفسه ويعتقد بأنّ القوى الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة في المجتمع والخارجة عن رقابة الإنسان، تلعب دورًا أساسيًّا في تحديد مسير حياة الأشخاص.

حصل سارتر في العام ١٩٦٤م على جائزة نوبل للآداب إلّا أنّه امتنع عن قبولها. توفي سارتر عام ١٩٨٠م.

من أبرز مؤلّفاته: **تعالي الأنا الموجودة، التخيّل، تخطيط لنظريّة الانفعالات، الوجود والعدم، الوجوديّة مذهب إنسانيّ ونقد العقل الجدليّ**.

## ٤٩. فيديل كاسترو

ولد كاسترو عام ١٩٢٦م شرق كوبا. أمّا عائلته، فذات جذور أسبانيّة هاجرت إلى كوبا على أمل الحصول على مستقبل أفضل. اشتغل والده في نقل السكّر عبر سكك الحديد فكان يتمتّع بوضع ماديّ جيّد.

درس كاسترو في المدارس الكاثوليكيّة، وأنهى دراسته في مدينة سانتياغو الكوبيّة. تحوّل في العام ١٩٤٧م أيّام الجامعة إلى شخص فعّال ونشيط في المجال السياسيّ. شارك بفعّاليّة مع المبعدين الذين عملوا على إسقاط ديكتاتور الدومينكان، وأيضًا في العصيان الذي انطلق من ضواحي مدينة بوغوتا في كولومبيا.

امتاز في تلك المرحلة بعقائده المعادية لأمريكا، وما زال يُذكَر حتّى اليوم باعتباره واحدًا من أبرز الشيوعيّين. أصبح فيديل كاسترو عام ١٩٥١م عضوًا في الحزب الإصلاحيّ الأرثوذكسيّ. رشّحه الحزب لمجلس العوام. وقبل الانتخابات، أقدم الجنرال "فولجينكو باتيستا" على الانقلاب، فاجتمعت الأحزاب السياسيّة في كوبا لإسقاط الديكتاتور باتيستا. وفي هذه المرحلة، قاد كاسترو مجموعة من ١٦٠ من الثوّار. لم يفلح كاسترو وأتباعه حيث اعتقلوا بتهمة العمل لإسقاط الحكومة. حكم عليه بالسجن لمدّة ١٥ عامًا.

بعد مرور سنتين، اطمأنّ ناتيستا إلى استتباب الأمن في البلاد، فأصدر عفوًا عامًّا عن السجناء السياسيّين، ومن جملتهم كاسترو. هاجر فيديل مع أخيه راؤول إلى المكسيك حيث أسّس حركة السادس والعشرين من جولاي، وبدأ بالتأسيس لجيش ثوريّ مع الثوريّ الأرجنتينيّ تشيكيفارا.

نزل كاسترو عام ١٩٥٦م مع ٨١ شخصًا مسلّحًا في سواحل كوبا. فقُتل الجميع أو جرحوا ما عدا فيديل وراؤول وتشيكيفارا الذين فرّوا إلى جبال "سيراماسترا" فبدأوا من هناك حرب عصابات. التحق بهم عدد كبير من الأشخاص حيث انتصر فيديل كاسترو أخيرًا في مواجهة جيش الباتيستا

الفاقد للأخلاق.

وقف الفقراء والفلّاحون إلى جانب كاسترو الذي وعدهم بالإصلاح على مستوى الأراضي. دافعت أمريكا عن باتيستا فقصفت قوّاتها مواقع الثوّار. في العام ١٩٥٩، توجّه ثلاثون ألف جنديّ بقيادة تشيكيفارا إلى كوبا حيث تمكّنوا من استلام السلطة. أقسم فيديل كاسترو اليمين باعتباره رئيسًا للوزراء وذلك لما كان يتمتّع به من محبوبيّة لدى الشعب، بينما كان القادة السياسيّون الباقون يفتقدون هذه الحالة.

بعد استلام كاسترو الحكم، أعلنت أمريكا وجود حكومة ديكتاتوريّة في كوبا حيث بدأت منذ اللحظة الأولى حالة العداء معها. أجرى كاسترو الإصلاحات التي نادى بها وأسّس حكومة إشتراكيّة في كوبا.

في هذه الأثناء، غادر الكثير من أغنياء كوبا إلى الولايات المتّحدة. أيّد الاتّحاد السوفياتيّ حكومة كاسترو وأمدّه بصواريخ نوويّة. عرف الأمريكيّون بالأمر، فدار النقاش بين القوّتين العظيمتين تعهّدت أثناءه أمريكا بعدم الهجوم على كوبا بينما تعهّد السوفيات بإخراج الرؤوس النوويّة من كوبا.

في العام ٢٠٠٨، أوكل كاسترو مهامه إلى أخيه راؤول بعد تدهور حالته الصحيّة وإجراء بعض العمليات الجراحيّة. تغيّرت سياسة كاسترو بعد العام ١٩٩١ مع سقوط الاتّحاد السوفياتيّ، فتوجّه لتوثيق علاقاته مع تشافيز في فنزويلا وموارالس في بوليفيا حيث كان معارضوه يدركون أنّ بقاء نظامه مرهون بشخصه.

## ٥٠. تشيكيفارا

ولد أرنستو رافائيل غيفارا ولاسرنا عام ١٩٢٨م في الأرجنتين. اشتهر باسم تشيكيفارا وهو طبيب وثوريّ وسياسيّ ماركسيّ.

يعتبر واحدًا من أعضاء حركة فيديل كاسترو التي استلمت السلطة في كوبا عام ١٩٥٩م. تولّى في حكومة كوبا الجديدة عدّة مناصب من جملتها:

رئاسة البنك المركزيّ، وزارة الصنائع ثمّ سفيرًا. ترك كوبا بهدف تحريك الثورات في الدول الأخرى. انتقل في العام ١٩٦٦م إلى جمهوريّة الكنغو الديمقراطيّة ثمّ سافر إلى بوليفيا. اعتقل عام ١٩٦٧ في بوليفيا بعد عمليّات نفذها الـCIA إلّا أنّ الجيش البوليفيّ قام بقتله.

### ٥١. الميرزا الشيرازي

آية الله السيّد حسن الشيرازي المعروف بـ"الميرزا الشيرازي". ولد عام ١٢٣٠ق في شيراز. توفّي والده الميرزا محمّد الشيرازي عندما كان طفلًا، فتولّى خاله رعايته.

أنهى دراسة المقدّمات في عمر الثامنة، ثمّ درس الفقه والأصول. وفي سنّ الثانية عشرة، بدأ الدراسة عند الشيخ محمّد تقي، أحد مدرّسي شيراز. بعد ذلك انتقل إلى مدرسة "صدر" في أصفهان حيث درس فيها العلوم العقليّة والنقليّة.

بقي في أصفهان عشر سنوات يعمل فيها على تحصيل العلم على أيدي علماء كبار من أمثال المرحوم الشيخ محمّد تقي الأصفهاني، الميرزا حسن خاتون آبادي والعلامة الشيخ محمّد إبراهيم الكلبيكاني (الكرباسي). هاجر عام ١٢٥٩ق إلى "النجف". تعرّف في النجف على الفقيه القدير والعالم الكبير "مرتضى الأنصاري". وبما أنّه وجد في الشيخ ما كان يبحث عنه، صرف النظر عن العودة إلى أصفهان.

بعد وفاة الشيخ الأنصاري، توجّه الناس نحو تلامذته للإطلاع على تكاليفهم في مسألة المرجعيّة. وبعد مدّة من البحث، استقرّ الرأي على مرجعيّة الميرزا الشيرازي. رفض الميرزا بداية قبول المرجعيّة باعتبار عدم لياقته لها إلّا أنّه في النهاية أذعن لقبول مسؤوليّة مرجعيّة الشيعة في العالم.

تتلمذ على يديه الكثير من طلّاب العلم، وقد وصل عدد الطلاب البارزين الذين نهلوا العلم على يديه إلى ٣٧٠ شخص. ومن جملة تلامذة



الميرزا الشيرازي الآخوند الملّا محمّد كاظم الخراساني والسيّد محمّد كاظم اليزدي.

رفض الناس العقد الذي وقّعه ناصر الدين شاه، والذي أعطى فيه امتياز التنباك في إيران للإنجليز، واتّجهوا إلى المرجع الميرزا الشيرازي. أرسل الميرزا عدّة رسائل إلى ناصر الدين شاه الذي لم يهتمّ بها فأصدر فتوى تحريم التنباك المشهورة والتي تنصّ على التالي "بسم الله الرحمن الرحيم: اليوم استعمال التنباك والتوتون بأيّ نحو كان في حكم محاربة إمام الزمان".

أدّت هذه الفتوى إلى إلغاء عقد التنباك الذي أبرمه الشاه. توفّي الميرزا الشيرازي عام ١٣١٢ق. نقل جسد هذا العالم الربانيّ إلى النجف ودفن في جوار المرقد الملكوتيّ لأمير المؤمنين (ع).

## ٥٢. الميرزا الآشتياني

ولد الميرزا الآشتياني عام ١٢٤٨ق في آشتيان وفيها بدأ الدراسة. سافر في سن الثالثة عشرة إلى بروجرد فبقي فيها أربع سنوات درس فيها الأدب، وحضر درس المرحوم السيّد شفيع جابلقي لمدّة سنة وصف.

بعد ذلك، توجّه إلى النجف حيث درس على أيدي أساتذتها ومن أبرزهم الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري. كان بداية يجلس خلف الستار للإستماع لدرس الشيخ باعتبار أنّه كان صغير السن إلّا أنّ سؤالاً وجّهه للشيخ ساهم في التفات الشيخ إلى نبوغه فدعاه للحضور ثمّ بدأ يقرّر درس الأستاذ للآخرين.

رجع المرحوم الآشتياني إلى إيران عام ١٢٨٢ ق بعد سنة على وفاة الشيخ الأنصاري بعد أن حصل على مرتبة الاجتهاد. فسكن طهران حيث عمل على نشر أفكار وآراء وتحقيقات الشيخ الأنصاري الجديدة في علم الأصول، لذلك اجتمع لديه الطلاب من الأطراف لينهلوا من علمه.

سافر الآشتياني عام ١٣١١ق قاصدًا الحجّ، وعند العودة، عرّج على العتبات المقدّسة في العراق فاستقبله الميرزا الشيرازي. وكان هذا الاحترام يحمل بعدَين أوّلًا تجليل شخصيّته العلميّة، وثانيًا تقوية العلماء حيث كان ناصر الدين شاه ما زال على قيد الحياة.

بعد بروز قضيّة التنباك وصدور فتوى التحريم، وقف الآشتياني في معارضة الشاه الذي عمل ومن خلال بعض الرسائل التي وجّهها للآشتياني على إجباره على إلغاء الفتوى إلّا أنّ الآشتياني رفض الانصياع للشاه، فبدأ يتعامل بخشونة مع الآشتياني فخيّره بين الخروج من طهران أو تدخين الغليون علنًا فاختار الخروج من طهران. عرف العلماء بمسألة الخروج من طهران وحضر الناس في الساحات وتوجّهوا إلى القصر فحصلت بعض الاشتباكات التي تركت ٣٠ قتيلًا وجريحًا. تفاقمت الأوضاع فانصاع الشاه وقرّر إلغاء امتياز التنباك.

يعتبر المرحوم الآشتياني من أعاظم علماء الشيعة على مستوى الفقه والأصول وهذا ما تؤكّده آثاره العديدة ومنها: **بحر الفوائد** وهو حاشيّة على رسائل الشيخ مرتضى الأنصاري، **رسالة في الأجزاء**..

توفّي هذا الفقيه الكبير عام ١٣١٩ق في طهران.

### ٥٣. السيّد عبد الحسين اللاري

السيّد عبد الحسين اللاري فقيه وعالم دين وسياسيّ إسلاميّ في القرن الأخير. ولد عام ١٢٦٤ق في عائلة علمائيّة في النجف الأشرف وذلك في زمان فتحعلي شاه القاجاري. أنهى دراسته الإبتدائيّة في سن السابعة في الكتاتيب، ثمّ توجّه بعد ذلك نحو مدارس العلوم الدينيّة. درس على أيدي علماء كبار من أبرزهم الميرزا الشيرازي، الشيخ محمّد حسين كاظمي والملا لطف الله المازندراني ووصل في سن الثانيّة والعشرين إلى مرحلة الاجتهاد.



أرسله الميرزا الشيرازي إلى قرية لار لرفع الظلم الماليّ عنها فاشتهر منذ ذاك التاريخ باللاري. بدأ في المدينة تدريس العلوم الدينيّة والاضطلاع بالوظائف والمسؤوليّات الدينيّة، وأسّس في المدينة حوزة علميّة وقد بقي لمدّة ٢٥ سنة المرجع الدينيّ لأهالي فارس.

يعتبر السيّد عبد الحسين من أبرز العلماء المجاهدين في مرحلة الحركة الدستوريّة. قدّم فكرة الحركة الدستوريّة المشروعة في محاولة للحفاظ على الثقافة الأصيلة للدولة الإسلاميّة.

انتقل في أواخر عمره إلى جهرم. ترك اللاري عددًا من الآثار من أبرزها: **الآيات الظالمين، إكسير السعادة في أسرار الشهادة، حاشية على الشرح الكبير، القانون الوطنيّ** باللغة الفارسيّة وغير ذلك.

توفي السيّد اللاري في عام ١٣٤٢ق.

## ٥٤. البلشفيك

البلشفيك في اللغة الروسيّة تعني الأكثريّة وهي مجموعة من حزب العمّال السوسيال دمقراط الماركسيّ في روسيا. افترق البلشفيك بقيادة لينين عام ١٩٠٣ عن مجموعة المنشفيك فأسّسوا الحزب الشيوعيّ في الاتحاد السوفياتيّ.

## ٥٥. پيشه ورى

ولد برويز جواد زاده خلخالي أو السيّد جعفر بيشه ورى عام ١٢٧٢ش في إحدى قرى خلخال. هاجر مع عائلته إلى روسيا حيث درس هناك. أصبح بعد الثورة الشيوعيّة عضوًا في اللجنة المركزيّة لحزب العدالة. دخل شمال إيران عام ١٢٩٩ ش بمساعدة الجيش الأحمر.

أقام مع باقي أعضاء حزب العدالة، المؤتمر الأوّل للحزب الشيوعيّ في إيران. أصبح وزير داخليّة جمهوريّة كيلان إلّا أنّه ترك إيران بعد

فشل ثورة الغابة. عاد بعد مدّة إلى إيران وتولّى مسؤوليّة الأمانة العامّة للحزب الشيوعيّ في إيران. استمرّ في نشاطه حتّى العام ١٣٠٦ ش حيث اعتقل. أطلق سراحه عام ١٣٢٠ش بعد صدور عفو عام. امتنع عن العمل مع صحيفة "آزير" التي كانت تهدف إلى الدفاع عن سياسة الاتّحاد السوفياتيّ.

ترشّح في العام ١٣٢٢ش لعضويّة مجلس الشورى الوطنيّ، وحاز على المرتبة الأولى إلّا أنّه تمّ رفض صلاحيّة دخوله إلى المجلس على الرغم من دفاع مصدق عنه. انتقل السيّد جعفر بيشه وری عام ١٣٢٤ش إلى تبريز حيث أسّس فرقة آذربايجان الديمقراطيّة وهناك أعلن عن جمهوريّة آذربيجان المستقلّة. وفي هذه الأثناء، قام باحتلال بعض الثكنات العسكريّة في تبريز وأروميّة وأردبيل.

هرب إلى آذربيجان الروسيّة عام ١٣٢٥ش بعد أن أخلى الجيش الروسيّ كردستان وآذربيجان الإيرانيّتين وقبل وصول القوات الإيرانيّة إليه. جُرح بعد سنة على أثر حادث سير وتوفّي في اليوم التالي في المستشفى. اتّهم الجهاز الأمنيّ السوفياتيّ بتدبير عمليّة موته.

أظهرت الوثائق السريّة التي ظهرت بعد نهاية القرن فيما يرتبط بالحرب الباردة أن تشكيل جمهوريّة آذربيجان المستقلّة كان بأمر من ستالين، والمعروف أنّ جيش الاتّحاد السوفياتيّ كان مؤيّدًا لحكومة بيشه وری بحيث كان يمنع الجيش الإيرانيّ من التعرض له.

## ٥٦. الدكتور بهشتي

ولد الدكتور السيّد محمّد حسين بهشتي عام ١٣٠٧ش في أصفهان. والده من علماء أصفهان وإمام جمعة المدينة. دخل الكتاتيب في سن الرابعة فتعلّم القراءة والكتابة بسرعة. بعد ذلك، انتقل إلى المدرسة الثانويّة إلّا أنّه ما لبث أن تركها حيث فضّل الدراسة في الحوزة العلميّة التي دخلها



عام ١٣٢١ش.

انتقل في العام ١٣٢٥ش إلى حوزة قم العلميّة، وحصل في العام ١٣٢٧ش على شهادة دبلوم في الأدب حيث أكمل دراسته الأكاديميّة إلى جانب دراسته الحوزويّة. دخل في العام نفسه كليّة الإلهيّات المعقولة والمنقولة فحصل في العام ١٣٣٠ على شهادة ليسانس. وبعد ذلك، رجع إلى قم حيث اشتغل في ثانويّة الحكيم نظامي بتدريس اللغة الإنجليزيّة. أسّس في العام ١٣٣٣ش ثانويّة "دين ودانش" في قم حيث تولّى الإشراف عليها حتى العام ١٣٤٢ش. تمكّن بين العامين ١٣٣٥ش- ١٣٣٨ش من إكمال دراسته الجامعيّة فحصل على شهادة دكتوراه في الفلسفة والإلهيّات.

نشط الشهيد بهشتي في الحركة الثوريّة عام ١٣٤١ش وعام ١٣٤٢ش، لذلك أجبره السافاك على ترك قم والتوجّه إلى طهران. توجّه بعد ذلك إلى هامبورغ باقتراح قدّمه آية الله الحائري وآية الله الميلاني حيث تولّى إمامة المسجد والعمل على الحالة الدينيّة لأبناء تلك المنطقة. سافر في هذه المدّة إلى عدد من الدول أبرزها السعوديّة، سوريا، لبنان، تركيا، العراق بهدف لقاء الإمام (قده).

عاد في العام ١٣٤٩ش إلى إيران حيث كان نشيطًا في المجالات العلميّة والثقافيّة والسياسيّة. اعتقله السافاك عدّة مرات وأودعه السجن. شكّل في شهر "آذر" عام ١٣٥٧ش شورى الثورة بأمر من الإمام الخميني (قده). واشتهر بعد الثورة باعتباره أحد أبرز المنظّرين في المجالات السياسيّة والاجتماعيّة. أسّس حزب جمهوريّ إسلاميّ بهدف تربيّة النخب السياسيّة المثقّفة والتعرّف عليها.

كما أصبح نائب رئيس مجلس خبراء القيادة في مرحلة تدوين الدستور فلعب دورًا محوريًا. أصبح وزيرًا للعدل لمدّة من الزمن بعد استقالة الحكومة المؤقّتة عام ١٣٥٨ش ثمّ عيّنه الإمام الخمينيّ (قده) رئيسًا للديوان العالي في البلد. استشهد بتاريخ السابع من تير ١٣٧٠ش مع ٧٢ من رفاقه عندما

كان يحاضر في مقرّ الحزب فالتحقوا بركب شهداء كربلاء.

## ٥٧. الشهيد مطهّري

ولد الأستاذ الشهيد آية الله مطهّري عام ١٢٩٨ش في قرية فريما في مشهد في عائلة متديّنة علمائيّة. انتسب في سن الثانية عشرة إلى الحوزة العلميّة في مشهد، فدرس مقدّمات العلوم الإسلاميّة. انتقل عام ١٣١٦ش إلى قم لإكمال دراسته الحوزويّة على رغم محاربة رضا خان الشديدة للعلماء وممارسة الضغط عليهم، ورغم مخالفة الأصدقاء والأقارب لهذا التوجّه.

بقي مطهّري مدّة ١٥ سنة في قم درس فيها على أيدي مجموعة من الأساتذة من أبرزهم المرحوم آية الله البروجردي والإمام الخميني (قده) والمرحوم العلّامة محمّد حسين الطبطبائي.

كذلك درس الأخلاق والعرفان عند المرحوم الحاج علي آغا الشيرازي. ومن جملة أساتذة الشهيد مطهّري أيضًا المرحوم آية الله محمّد حجّت والمرحوم آية الله السيّد محمّد محقّق الداماد. شارك الشهيد في قم في النشاطات السياسيّة والإجتماعيّة إلى جانب التحصيل العلميّ فكان له حضور مع مجموعة فدائيّي الإسلام.

انتقل عام ١٣٣١ش إلى طهران مع أنّه كان يعتبر في تلك المرحلة واحدًا من أبرز الأشخاص الذين تعلّق عليهم الآمال في الحوزة. عمل في طهران مدرّسًا في مدرسة مروي، واشتغل إلى جانب ذلك بالكتابة وإلقاء المحاضرات. في العام ١٣٣٤ش، بدأ أوّل جلسة تفسير في اللجنة الطلابيّة الإسلاميّة. وفي هذا العام أيضًا، بدأ التدريس في كليّة الإلهيّات والمعارف الإسلاميّة في جامعة طهران.

وعندما تأسّست اللجنة الإسلاميّة للأطباء عام ١٣٣٧ش كان الأستاذ مطهّري أبرز المحاضرين فيها حيث واكب مع اللجنة حتّى العام ١٣٥٠ش. رافق الإمام الخميني (قده) في المحطّات الجهاديّة وكان من أبرز منظّمي



ثورة الخامس عشر من خرداد في طهران. اعتقل في الخامس عشر من خرداد عام ١٣٤٢ش بعد إلقاء خطاب تهجّم فيه على شخص الشاه. أطلق سراحه بعد ٤٣ يومًا وذلك بعد مهاجرة العلماء من القرى والمناطق باتجاه طهران واشتداد الضغط الشعبيّ.

كلّفه الإمام الخميني (قده) مع عدد آخر من الأشخاص تولّي قيادة هيئة المؤتلفة الإسلاميّة بعد تأسيسها. بعد اغتيال حسنعلي منصور رئيس الوزراء في تلك المرحلة بواسطة الشهيد محمّد بخارائي، تمكّن السافاك من التعرّف على قيادة حزب المؤتلفة. وبالتالي، تمّ اعتقالهم إلّا أنّ الشهيد مطهّري نجا من الاعتقال بعد أن صادف وصول ملف الاغتيال والمعتقلين إلى أحد القضاة الذين درسوا في قم عند الشهيد مطهّري. بدأ الشهيد مطهّري التأليف في مواضيع متعدّدة وإلقاء المحاضرات في الجامعات، وفي مسجد هدايت والمسجد الجامع في نارمك.

أسّس في العام ١٣٤٦ش مع بعض أصدقائه حسينيّة الإرشاد إلّا أنّه استقال من الهيئة الإداريّة فيها عام ١٣٤٩ ش بعد التصرّفات التي كان يقوم بها أحد الأعضاء لجهة الانفراد في اتّخاذ القرارات من دون المشاورة والامتناع من ايجاد شورى علمائيّة تتولّى الإشراف على الأعمال العلميّة والتبليغيّة لحسينيّة الإرشاد.

اعتقل عام ١٣٤٨ش بعد توقيعه على بيان موقع من العلامة الطبطبائي وآية الله الحاج السيّد أبو الفضل مجتهد الزنجاني بجمع التبرّعات للمشرّدين الفلسطينيّين. وتولّى الإشراف على البرامج التبليغيّة لمسجد الجواد بين العامين ١٣٤٩ش و ١٣٥١ش. واستمرّ الوضع على هذا المنوال حتّى إقفال المسجد وحسينيّة الإرشاد.

ثمّ اعتقل الشهيد مطهّري من جديد. وبعد إطلاق سراحه، بدأ نشاطاته في جاويد ومسجد أراك. بعد مدّة تمّ إغلاق مسجد جاويد في العام ١٣٥٣ش، ومنع الشهيد مطهّري من ارتقاء المنبر حيث استمرّ الوضع

إلى حين انتصار الثورة الإسلاميّة.

يمكن القول أنّ أبرز الخدمات التي قدّمها الشهيد مطهّري تتمثّل في تقديم أيديولوجيّة إسلاميّة أصيلة وذلك من خلال التدريس والتأليف وإلقاء المحاضرات. ومع اشتداد النشاطات اليساريّة بين الأعوام ١٣٥١ش و١٣٥٧ش، فإنّ الشهيد مطهّري - كما الإمام الخمينيّ (قده) - يعتبر من الأوائل الذين أدركوا مدى الخطر الذي تشكّله منظّمة "مجاهدي خلق" حيث منع الآخرين من التعاون معها، لا بل كان الشهيد مطهّري من أوائل الذين توقّعوا تغيير أيديولوجيّة المنظّمة. أسّس في طهران مع بعض العلماء "تجمّع العلماء المناضلين" في طهران على أمل أن ينتقل التنظيم العلمائيّ إلى القرى الأخرى.

كان التواصل بين الشهيد مطهّري والإمام الخميني يتمّ من خلال الرسائل إلّا أنّ الشهيد مطهّري تمكّن عام ١٣٥٥ش من السفر إلى النجف ولقاء الإمام والحديث معه حول المسائل الهامّة في الثورة وأوضاع الحوزات العلميّة. كذلك تمكّن من السفر إلى باريس أثناء وجود الإمام فيها حيث تحدّث معه في قضايا الثورة، وقد بقي إلى جانب الإمام الخمينيّ (قده) بعد انتصار الثورة فكان محلّ ثقته. وأخيرًا، استشهد الشهيد مطهّري بعد إطلاق الرصاص عليه عام ١٣٥٨ش بواسطة مجموعة الفرقان المجرمة.

## ٥٨. العلّامة الطبطبائي

ولد العلّامة السيّد محمّد حسين الطبطبائي عام ١٢٨١هـ.ش. في تبريز. بدأ دراسته في سن التاسعة مع العلم أنّه فقد والديه في سن مبكّرة. تمكّن في مدّة قصيرة من تعلّم القرآن والكتب المتداولة تلك الأيّام، وفي العام ١٢٩٧ توجّه نحو العلوم الحوزويّة.

انتقل في العام ١٣٠٤ش إلى النجف وخلال ١١ سنة قضاها هناك تتلمذ على أيدي علماء كبار من أمثال الميرزا محمّد حسين النائيني، السيّد أبو

الحسن الأصفهاني، الشيخ محمّد حسين الغروي الأصفهاني، الميرزا علي الإيرواني، الميرزا علي أصغر ملكي مفسّر القرآن والميرزا علي القاضي الطبطبائي، صاحب العديد من الكرامات والمكاشفات.

انتقل في العام ١٣٢٥ إلى قم حيث تابع نشاطه العلميّ. يقول العلّامة:

عندما أتيت إلى قم حاولت التدقيق في البرامج الدراسيّة للحوزة، وقارنت بينها وبين حاجات المجتمع الإسلاميّ فوجدت في برامجها بعض النواقص، فاعتبرت أنّ من مسؤوليّتي رفع هذا النقص.

ولعلّ من أبرز الأمور التي كانت تعاني منها الحوزة تتعلّق بتفسير القرآن والأبحاث العقليّة، لذلك بدأت بتدريس التفسير والفلسفة مع العلم أنّهم كانوا في ذاك الزمان لا يعتبرون تفسير القرآن علمًا يحتاج إلى التحقيق والتدقيق. لا بل كانوا يعتبرون التوجّه نحو تفسير **القرآن** ليس من شأن الذين يملكون القدرة على التحقيق في الفقه والأصول. وجدت أنّ هذه الأمور ليست عذرًا لي أمام الله تعالى لذلك تابعت نشاطي الذي انتهى بكتابة تفسير الميزان.

لم يكتفِ العلّامة الطبطبائي بالدرس الفلسفيّ العام، بل شكّل درسًا خاصًّا لطلّابه البارزين أمثال الشهيد مطهّري بهدف دراسة الفلسفات الغربيّة بالأخصّ المادّيّة. وقد أثمرت هذه المحاولات تدوين كتاب **أصول الفلسفة والمنهج الواقعيّ**.

أطلق في العام ١٣٢٨هـ.ش. درسًا جديدًا في الفلسفة، حيث طبعت تقريرات درسه في رسالة تحمل عنوان **لبّ اللباب**. يعتبر العلّامة الطبطبائي مجتهدًا في العلوم العقليّة والنقليّة وأديبًا بارزًا في الأبحاث الأدبيّة. كتب العلّامة بالعربيّة والفارسيّة وأنشد أشعارًا في الفارسيّة.

شارك في العام ١٣٤١هـ.ش. في الجلسات التي كان يقيمها علماء الحوزة والتي تتمحور حول الثورة الإسلاميّة ومستقبلها. وقد وقّع ذاك البيان الذي وقّعه ٩ من مراجع ذاك العصر في توضيح مفاسد نظام الشاه، فكان توقيعه إلى جانب توقيع الإمام الخميني قدّس سرّه.

كان العلّامة الطبطبائي عاجزًا عن النشاط والفعاليّة بعد انتصار

الثورة الإسلاميّة بسبب المرض وتقدّمه في العمر. وقد ترك العديد من الآثار الهامّة من أبرزها **تفسير الميزان**.

توفّي هذا العالم الربّانيّ عام ١٣٦٠هـ.ش.، ودفن في صحن مقام السيّدة المعصومة في قم.

## ٥٩. هنري كوربان

هو فيلسوف ومفكّر غربيّ ورئيس المعهد الفرنسيّ الإيرانيّ في طهران وأستاذ جامعة السوربون في فرنسا. ولد هنري كوربان عام ١٩٠٣م. درس الفلسفة في فرنسا مدّة أربعة عشر عامًا، وتخصّص في فلسفة هيغل وكان على علم كامل بالحقول المهمّة للفلسفة في الغرب. وهو تلميذ "لوئي ماسينون" المستشرق والعالم العرفانيّ المعروف حيث كانت تربطه به علاقة قويّة. تعرّف من خلال أستاذه على شهاب الدين السهروردي والفلسفة الإشراقيّة. انتقل إلى تركيا مع بداية الحرب العالميّة الثانيّة، وهناك وجد كتب شهاب الدين السهروردي حيث أمضى فترة الحرب في مطالعتها. أثّر الفكر الإشراقيّ على هنري كوربان لذلك نجد أنّ أغلب آثاره تدور حول الإشراق.

بعد ذلك، ركّز مطالعاته حول الإسماعيليّة، ثمّ حول صدر المتألّهين والعرفان الإيرانيّ. كان على علم كامل بالفلسفة الإسلاميّة وعلى علاقة خاصّة بالحكمة والفلسفة الإلهيّة. وبما أنّه كان شديد الاهتمام بهذه المواضيع، كان يتواصل مع العديد من المفكّرين أمثال المرحوم آية الله العلّامة الطبطبائي، السيّد جلال الدين الآشتياني، مهدي الهي قمشه اى، السيّد كاظم عصار والسيّد حسين نصر.

تعرّف هنري كوربان على العرفان والفلسفة عند الطبطبائي، وأعجب بقدرته العلميّة وكمالاته المعنويّة، فحاول لقاء العلّامة خلال الفترة التي كان يمضيها في إيران بهدف دراسة المذهب الشيعيّ. ولمّا كان العلّامة



يدرك القدرات العلميّة عند كوربان، وافق على لقائه مع أنّه كان كبيرًا في السنّ ومريضًا فكانا يلتقيان مرّة في الأسبوع في طهران، حاول فيها العلّامة الإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي كان يطرحها هنري. لذلك يمكن القول أنّ العلّامة مهّد لمسألة التعريف بالمذهب الشيعيّ في الغرب بواسطة هنري كوربان.

كان هنري يعتقد بأنّ كلّ عارف يجب أن يكون شيعيًّا لأنّ أساس الولاية موجودة في كلمات أهل البيت والرسول وعليّ عليهم السلام، وأنّ أحد أقطاب عالم الوجود هو المهديّ (عج) حتّى قيام الساعة. كما ويعتقد بأنّ الخلافة يجب أن تكون بلا واسطة كما في خلافة الرسول (ص) والأئمّة الآخرين.

تمكّن كوربان من تعريف الغرب بالسهروردي وملّا صدرا. مارس العديد من النشاطات العلميّة في إيران وفرنسا كان من أبرزها المحاضرة التي ألقاها عام ١٣٤٩هـ.ش. في إيران وفي جامعة مشهد حول الولاية عند الشيعة. بقي كوربان يتردّد على إيران مدّة ٢٥ سنة.

ترك العديد من الآثار من أبرزها: **تاريخ الفلسفة الإسلاميّة، الفلسفة الإيرانيّة، الفلسفة المقارنة والإسلام الإيرانيّ** (٤ مجلّدات). توفّي هنري كوربان عام ١٩٧٩م.

### ٦٠. آبا كلاه، آبى كلاه

آبا كلاه، آبى كلاه مسرحيّة من تدوين غلامحسين ساعدي. ولد ساعدي عام ١٣١٤هـ.ش. في تبريز. بدأ نشاطه في الكتابة في الصحف حيث كتب في عدد منها ومن أبرزها: **صعود، فرياد وجوانان**. اعتقل بعد حادثة الثامن والعشرين من مرداد عام ١٣٣٢هـ.ش.، وبقي عدّة أشهر في السجن.

أكمل دراسته، فحصل على شهادة دكتوراه في الطب، ثمّ تابع الدراسة في علم النفس الطبيّ في طهران. ترك العديد من الكتابات من أبرزها

المسرحيات الخمسة من جملتها: **أفضل آب في الدنيا، خمسة عروض للحركة الدستوريّة آبا كلاه، آبى كلاه**... ترك ساعدي إيران بعد العام ١٣٥٧هـ.ش. حيث استقرّ في فرنسا وهناك كتب **آتللو في بلد العجائب**. توفّي عام ١٣٦٤هـ.ش. في باريس.

## ٦١. السيّد طالقاني

ولد المرحوم آية الله الطالقاني عام ١٢٨٩هـ.ش. في عائلة متديّنة تمتاز بالعلم والفضيلة والروح الثوريّة المعارضة للظلم. بدأ بتعلّم المفاهيم الإسلاميّة على يدي والده أبو الحسن وهو ذاك الشخص الذي عبّر عنه الإمام الخميني قدّس سرّه بطليعة الأتقياء.

تابع دراسته الدينيّة في المدرسة الرضويّة ومن ثمّ المدرسة الفيضيّة في قم. وكان على معرفة عميقة بالإمام الخميني قدّس سرّه.

حصل آية الله الطالقاني على إجازة الاجتهاد من مراجع ذاك الوقت، ومن أبرزهم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي. انتقل بعد ذلك إلى طهران حيث اشتغل بتدريس العلوم الدينيّة في مدرسة سبهسالار. أعلن عام ١٣١٨هـ.ش. عن غضبه من النظام الحاكم، وذلك من خلال توزيع بيان يدين فيه قضيّة كشف الحجاب ممّا أدى إلى اعتقاله وإيداعه السجن.

بدأ بعد العام ١٣٢٠هـ.ش. بتشكيل مجموعات سياسيّة إلّا أنّ الأمر لم يستمرّ حيث اعتقله السافاك على أثر حادثة ٢٨ مرداد ١٣٣٢هـ.ش. بتهمة إخفاء واب صفوي في منزله. لم يطل بقاؤه في السجن حيث أطلق سراحه وعاد من جديد إلى العمل والنشاط.

المعروف عن آية الله الطالقاني أنّه أدّى دورًا هامًّا جدًّا في ثورة تأميم النفط وعمل بشكل كبير على مستوى إخراج حقوق الشعب الإيرانيّ المسلم من أيدي المستعمرين. اعتقل آية الله الطالقاني عام ١٣٤٢هـ.ش. على

أثر حادثة ١٥ خرداد وحكم عليه بالسجن لمدّة عشر سنوات. لم يتوانَ في السجن عن متابعة نشاطه والمعروف أنّه كتب في **ظلال القرآن** وهو في السجن حيث كان يسعى لتعريف الآخرين بعظمة القرآن الكريم.

بقي آية الله الطالقاني مدّة أربع سنوات في السجن حيث أجبر النظام على إطلاق سراحه بعد ازدياد الضغوطات الداخليّة والخارجيّة عليه، فعاد آية الله الطالقاني إلى موقعه الأوّل حيث النضال والمواجهة. اعتقل مرّة أخرى عام ١٣٥٠هـ.ش. مع شروع احتفالات ٢٥٠٠ عام على الشاهنشاهيّة فبقي في السجن مدّة ثلاث سنوات في زابل وثمانية شهرًا في بافت كرمان.

عمل آية الله طالقاني كلّ ما بوسعه في مساعدة الثورة الإسلاميّة لجهة تحقيق النصر وبعد انتصار الثورة تولّى رئاسة شورى الثورة الإسلاميّة. وانتخب ممثّلًا لأهالي طهران (١٢ مرداد ١٣٥٨) في مجلس خبراء التقنيّين. وفي هذا العام، كلّفه الإمام الخميني قدّس سرّه إقامة أوّل صلاة جمعة في طهران.

توفّي آية الله طالقاني عام ١٣٥٨هـ.ش. على أثر إصابته بسكتة قلبيّة.

**٦٢.** اقتبس اسم الماركسيّة من كارل ماركس المؤسّس العلميّ للمدرستين السياسيّتين الإشتراكيّة والشيوعيّة. والماركسيّة مدرسة سياسيّة واجتماعيّة تأثّرت بأفكار كارل ماركس الفيلسوف والثوريّ الألمانيّ الذي عاش أواخر القرن التاسع عشر.

ويعتبر انجلز من الذين ساهموا في وجود الفكر الماركسيّ.

وضح ماركس في آثاره تاريخ التحوّلات في العالم على أساس الفلسفة الماديّة، واعتبر أنّ تكامل وسائل الإنتاج وكيفيّة امتلاك هذه الوسائل والاستفادة منها هو أساس التحوّلات الاجتماعيّة ثمّ درس تاريخ البشر باعتباره صورة للنزاعات الطبقيّة بين الظالم والمظلوم والمستثمِر والمستثمَر.

ومن خلال ذلك، يمكن العبور من الإقطاعيّة إلى البورجوازيّة

والرأسماليّة حيث يؤدّي هذا التغيير إلى وجود طبقة جديدة باسم "البروليتاريا": أي العمّال الذين لا يملكون أيّ من وسائل الإنتاج سوى قوّة العضلات. ويعتقد بأنّ هذه الطبقة ستطغى في يوم من الأيّام بسبب الضغوطات التي تمارسها الرأسماليّة لتؤسّس في النهاية مجتمعًا جديدًا خاليًا من الطبقات والذي هو المجتمع الشيوعيّ.

طبعًا ليس من السهل الحديث حول أصول الماركسيّة حيث دوّن ماركس وانجلز آلاف الصفحات في شرحها إلّا أنّه يمكن تلخيص أساس الفكر الماركسيّ في العناوين الآتيّة:

١. الاقتصاد أمر مؤثّر في تحديد مصير التاريخ والتاريخ ليس سوى النزاع والحرب بين الطبقات والمجموعات التي تعارضت مصالحها الإقتصاديّة. لذلك أوجدت الحرب الطبقيّة في كافّة مراحل التاريخ بين العبيد وأصحابهم ثمّ بعد ذلك بين الإقطاعيين والفلّاحين الفقراء، وفي النهآية بين العمّال والرأسماليّين وينتهي هذا النزاع بانتصار العمّال ووجود طبقة العمّال البروليتاريا.

٢. الدولة ليس لها أيّ دور سوى تعيين الطبقة الحاكمة؛ أمّا في المجتمعات الرأسماليّة، فالدولة تقوم بالحفاظ على مصالح أصحاب الرساميل واستثمار طبقة العمّال. وينتهي هذا الاستثمار عند زوال الملكيّة الخاصّة بالأخصّ ملكيّة وسائل الإنتاج حيث يستلم العمّال الحكومة. وتشكّل ديكتاتوريّة البروليتاريا المرحلة الأولى ولكن بعد استقرار النظام الجديد والوصول إلى المجتمع الشيوعيّ المثاليّ حيث تزول الدولة.

٣. يمكن تغيير النظام الرأسماليّ بواسطة الثورة والقوّة فقط. وقد رفض ماركس فكرة إمكانيّة تغيير الرأسماليّة بواسطة الأساليب السلميّة وأصدر المشروع الشيوعيّ وفيه دعوة صريحة للعمّال للقيام ضد الطبقة الرأسماليّة.



حاول ماركس وانجلز تأسيس أفكارهما على أساس المادّية الديالكتيكيّة وهي عبارة عن محاولة لإثبات أصالة المادّة عن طريق منطق الديالكتيك بمعنى أنّنا إذا وضعنا متعارضين مقابل بعضهما البعض مثال ذلك أدلّة وجود الروح وعدمها فيحصل الجدال والتنافر ليكون هناك أمرًا ثالثًا صادرًا عن التعارض بين الأمرين. المادّية الديالكتيكيّة بشكل عام عبارة عن مذهب الحادي ينفي كلّ قوّة وراء الطبيعة.

## ٦٣. السيّد جمال الدين الأسد آبادي

ولد السيّد جمال الدين الأسد آبادي عام ١٢٥٤هـ.ق. تعلّم القرآن في سن الخامسة ثمّ ذهب في سن العاشرة إلى قزوين لدراسة العلوم الدينيّة. انتقل في سن ١٢ إلى طهران حيث سكن فيها ثمّ قام المرحوم السيّد محمّد صادق الكهراي بتعميمه.

انتقل من طهران إلى بروجرد حيث تتلمذ لمدّة ثلاث سنوات على أيدي العالم العارف المعروف الميرزا محمود المجتهد. انتقل مع والده لزيارة العتبات المقدّسة في العراق فتعرّف على الشيخ مرتضى الأنصاري ووصل في سن السابعة عشرة إلى مرتبة الاجتهاد على يديه. كذلك انتقل السيّد جمال إلى الهند بأمر من الشيخ الأنصاري.

سافر في سنّ ١٩ إلى مكّة، ومنها انتقل إلى إيران حيث زار الإمام الرضا (ع). انتقل من خرسان إلى كابول التي عاش فيها مدّة ست سنوات. ثمّ سافر إلى مصر حيث شغل في الأزهر كرسيّ التدريس. ومن المعروف أنّ قسيس المسيحيّين المعروف في ذاك الزمان قد أسلم على يدي جمال الدين الأسد آبادي.

بعد أربعين يومًا من هذه الحادثة، قامت الحكومة المصريّة بطرده من البلاد إلّا أنّه عاد إليها بعد سنتين. وفي هذه المرحلة، تعلّم محمّد عبده من السيّد جمال الفقه والفلسفة والحديث.

عاش مدّة تسع سنوات في مصر ثمّ انتقل عام ١٣٠٠هـ.ق. إلى أمريكا، ومن هناك سافر إلى باريس. تعلّم اللغة الفرنسيّة في مدّة ثلاثة أشهر والتحق به محمّد عبده حيث أصدرا مجلّة "**العروة الوثقى**". كان السيّد جمال الدين يتقن العديد من اللغات ومن أبرزها: الانجليزيّة، العربيّة، الفرنسيّة، الروسيّة، التركيّة، والفارسيّة.

في العام ١٣٠٢هـ.ق.، استقال غلادسون، رئيس الوزراء البريطانيّ، من منصبه وحلّ مكانه تشرشل فوجّه دعوة للسيّد جمال الدين لزيارة لندن للإستفادة منه على المستوى السياسيّ إلّا أنّه لم يوفّق لذلك. بعد ذلك، ترك السيّد جمال لندن وعاد إلى إيران التي لم تدم إقامته فيها مدّة سنة حيث سافر إلى روسيا فبقي هناك سنتين.

وبعد ذلك انتقل إلى ألمانيا، وبعد بروز قضيّة امتياز التنباك، كتب السيّد جمال للمرحوم آية الله الشيرازي وبيّن له قضيّة الامتياز بشكل مفصّل فأدّت العمليّة في النهاية إلى صدور فتوى تحريم التنباك والتوتون. عاد السيّد جمال الدين إلى إيران التي خطب فيها في يوم من الأيّام حول الفساد الموجود في البلاط وتحصّن في مقام عبد العظيم إلّا أنّ جنود النظام تمكّنوا من سحبه بالقوّة وأخرجوه من إيران. توفّي السيّد جمال في العام ١٣١٤هـ.ق. في تركيا حيث دُسّ السمّ له، ودفن في مقبرة ماتشكا التركيّة.

## ٦٤. الفلسفة اليونانيّة

تعتبر اليونان عند الكثير من العلماء والكثير من سكّان المعمورة المولد الأساس للفلسفة، لا بل إنّ العديد من الآثار الفلسفيّة القيّمة تعود إلى فلاسفة اليونان. وما زالت أفكار فلاسفة اليونان تترك آثارها منذ عشرات القرون على الفلاسفة المعاصرين. وتعتبر آثينا مصدر المعنويّات اليونانيّة وطليعة الفكر الفلسفيّ. وقد وصل فيها الفكر الفلسفيّ إلى أوجّه قبل أربعة



قرون من الميلاد حيث ظهر فلاسفة كبار من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو مع العلم أنّ فلاسفة آخرين تقدّموا سقراط وأفلاطون من أمثال هرقليط، طالس وانكسيمانوس.

بعد موت أرسطو عام ٣٢٢ق.م.، وسقوط الدولة وقيام الامبراطوريّة المقدونيّة بواسطة فيليب، قامت ثلاث مدارس فلسفيّة هي: الشكاكيّة والأبيقوريّة والرواقيّة وقد حاولت هذه المدارس جبران المشكلات النفسيّة والمعنويّة التي كان يعاني منها اليونانيّون الذين أصيبوا باليأس.

من هنا يتحدّث بيرون (بورهن) الشكّاك (٣٦٥-٢٧٥ق.م.) عن أنّ معرفة الحقيقة أمر محال فكان يدعو أتباعه لامتلاك السعادة والهدوء النفسيّ والابتعاد عن الجريمة. واعتبر أبيقور (٣٤١-٢٧٠ق.م.) أنّ السعادة هي في التخلّص من الغضب والصعوبات حيث بدأ الفلاسفة يؤكّدون على أصلين أساسيّين بدل المفاهيم الفلسفيّة الإنتزاعيّة، والمفهومان هما: أصل الاطمئنان المطلق للروح (أو الاستواء)، والثاني هو عدم الألم الناتج من الهدوء والاطمئنان الذي يحصل على أثر الإبتعاد عن التفكير. لعلّ أغلب الأبحاث التي جاءت في هذه المرحلة تحكي عن غضب عارم صبّه هؤلاء على الفلسفة الإشراقيّة الأفلاطونيّة.

يمكن القول أنّ الرواقيّة هي المدرسة التي تركت آثارًا كبيرة على مستوى التحوّل السياسيّ اليونانيّ والرومانيّ وتجذّرت أفكار هذه المدرسة في الوجدان الغربيّ.

وصلت أفكار اليونانيّين بالأخصّ أفلاطون وأرسطو إلى عالمنا عن طريق العديد من الأشخاص أمثال سيسرون، آغوستين، أكويناس، ماكياولي، بدن، هيجل، هايز وروسو. لا يمكن القول أنّ الفلسفة اليونانيّة أثّرت على الفسلفة الغربيّة، بل يجب القول أنّ بداية الفلسفة الغربيّة كانت في الغرب.

وقد تركت الفلسفة اليونانيّة آثارها على الفلاسفة المسلمين حيث يعتبر أبو يوسف بن اسحاق الكندي أوّل فيلسوف مسلم اقتبس من رسائل

أفلاطون. كذلك الفارابي المعلّم الثاني – في القرن الثالث الهجريّ - تأثّر بالفكر الفلسفيّ اليونانيّ بالأخصّ أفكار أفلاطون. وهكذا تركت الفلسفة اليونانيّة آثارها على العديد من الفلاسفة المسلمين أمثال أبو الحسن العامري، ابن سينا، ابن مسكويه، ابن فاتك، ابن هندو، أبو البركات البغدادي، الغزّالي، ابن باجه، ابن رشد، وغيرهم. ويكفي أن نعلم أنّ الفلاسفة المسلمين أطلقوا على أرسطو لقب المعلّم الأوّل.

## ٦٥. الأشعريّ والمعتزليّ

الأشاعرة والمعتزلة مدرستان كلاميّتان سنّيّتان. يمثّل الأشعريّة الكلام الرسميّ المعترف به والمعتزلة كلام الأقليّة.

**المعتزلة:** الاعتزال مدرسة عقليّة ظهرت بداية القرن الثاني الهجريّ ووصلت إلى الأوج في القرن الثالث الهجريّ. ويمكن اعتبار المعتزلة من جملة المفكّرين المسلمين الأوائل الذين اعترفوا بوجود اختلاف بين العلوم العقليّة والنقليّة. يعتمد المعتزلة في الغالب على الأدلّة العقليّة حتّى أنّهم يعتبرون العقل أهمّ شاهد لإثبات الأبحاث العقائديّة والدينيّة فكانوا يبالغون في حجّيته.

يمتاز المعتزلة برفضهم التقليد الأعمى من دون بحث وتحقيق ورجوع للعقل وهذا ما دفعهم للإستفادة من العلوم العقليّة التي راجت في زمانهم. يعتقد المؤرّخون أنّ ظهور المعتزلة يعود إلى وجود شخصين بارزين هما واصل بن عطاء الغزّال (٨٠-١٣١ق) وعمرو بن عبيد وهما تلميذا الحسن البصري (٢١-١١٠ق). ابتعد واصل عن عقيدة الخوارج والمرجئة في مرتكب الكبيرة، وقدّم نظريّته الخاصّة التي تقول "بالمنزلة بين المنزلتين"، وانفصل عن أستاذه الحسن البصري، لذلك أطلق عليه لقب الاعتزال.

يعتقد المعتزلة بأصول خمسة تشكّل الأركان الأساسيّة لمدرستهم وهي عبارة عن :التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين والأمر



بالمعروف والنهي عن المنكر.

ساند واصل وأتباعه العباسيّين في أواخر مرحلة بني أميّة فأصبح الكلام المعتزليّ هو المعترف به رسميًّا. وفي عهد المأمون، أسندت الأشغال الهامّة في الديوان العباسيّ إلى المعتزلة، إلّا أنّ الأمور لم تجرِ كما يشتهي المعتزلة وذلك مع وصول المتوكّل إلى الخلافة (٢٣٢ق) فتغيّرت الأوضاع بالكامل ولعبت الظروف السياسيّة دورًا في إبعاد المعتزلة.

واجه الإمام المعصوم (ع) المعتزلة بالطعن واللعن، واعتبر عقائدهم من سنخ العقائد الإلحاديّة.

**الأشاعرة:** بعد أفول نجم المعتزلة في أيّام المتوكّل، ظهر أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعريّ (٢٦٠ق) الذي يعود نسبه إلى أبو موسى الأشعريّ، فأسّس لمذهب كلاميّ جديد يقوم على أساس أحاديث أهل السنّة والحديث مع احتفاظه بالأدلّة العقليّة لتحكيم مباني أهل الحديث.

ويعتبر أبو الحسن الأشعريّ من المعتزلة ومن تلامذة أبو علي الجبائيّ (٣٠٣هـ.ق.). ثمّ تاب عن عقائده الاعتزاليّة، وبدأ بلعن المعتزلة علنًا وأظهر ندمه على الأيّام التي قضاها معتقدًا بأفكار المعتزلة. ويمكن القول أن تركه الاعتزال يعود لمسائل تتعلّق بأمور معقّدة أمثال صفات الباري، الجبر والاختيار وبالأخصّ العلاقة بين هذه الأمور ومسألة العلم والقدرة والإرادة، حيث لم يتمكّن الأشاعرة من حلّ إشكالاتهم الفكريّة على أساس عقائد المعتزلة.

اعتمد الأشعريّ في توضيح عقائده على الوسيطة، فلم يكتفِ بالنقل فقط على طريقة علماء أهل السنّة القدماء ولم يقبل الاعتماد بالكامل على العقل كما المعتزلة، بل تمسّك بالنقل واستعان بالعقل لتفسيره. ظهر العديد من الأشاعرة البارزين من أمثال: الإمام محمّد الغزّالي، الإمام فخر الدين الرازي والقاضي عضد الدين الأيجي.

اختلف الأشاعرة والمعتزلة في عدد كبير من المسائل لا يتّسع لها هذا

البحث إلّا أنّ أهمّ ما اختلفوا فيه: صفات الله تعالى الذاتيّة، الحسن والقبح العقليّ والشرعيّ، إمكان رؤيّة الله تعالى، الإمامة، العصمة ومسائل أخرى.

## ٦٦. المرحوم باهنر

ولد حجّة الإسلام الدكتور محمّد جواد باهنر عام ١٣١٢هـ.ش. في عائلة متديّنة بسيطة في مدينة كرمان، فدرس القراءة والكتابة والقرآن في مكاتيب المدينة ثمّ بدأ دراسة العلوم الدينيّة في المدرسة المعصوميّة.

استمرّ باهنر في دراسته الإبتدائيّة والمتوسّطة حتّى تمكّن من الحصول في العام ١٣٣٢هـ.ش. على الشهادة الثانويّة ثمّ انتقل إلى قم لدراسة العلوم الإسلاميّة في الحوزة العلميّة. درس الفقه عند المرحوم آية الله البروجردي ثمّ درس الفقه والأصول عند الإمام الخميني (قده) والتفسير والفلسفة عند العلامة الطبطبائي.

توجّه باهنر بعد ذلك للدراسة الجامعيّة فتمكّن عام ١٣٣٧هـ.ش. من الحصول على شهادة ليسانس في الإلهيّات. وبعد ذلك، حصل على شهادة الماجستير في العلوم التربويّة وشهادة الدكتوراه في الإلهيّات من جامعة طهران.

اشتغل الشهيد باهنر بالتدريس وتأليف الكتب الدراسيّة حيث دوّن حوالي الثلاثين كتابًا وكرّاسًا لتعليم المعارف الإسلاميّة. كذلك تابع نشاطه الإجتماعيّ وساهم في تأسيس مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة ومركز التوحيد ومدرسة الرفاه.

بدأ في العام ١٣٤١هـ.ش. نشاطه مع الإمام الخميني (قده) في الثورة الإسلاميّة والسياسيّة التي أطلقها العلماء بقيادة الإمام الخميني (قده).

اعتقل عام ١٣٤٢هـ.ش. بعد سلسلة من المحاضرات ألقاها في عدد من المساجد وذلك في الذكرى السنويّة لحادثة الفيضيّة. وبعد ذلك، دخل السجن ست مرّات. وفي العام ١٣٥٠هـ.ش.، صدر الأمر بمنعه من

ارتقاء المنبر. كلّفه الإمام عام ١٣٥٧هـ.ش. مع بعض الأشخاص بإدارة وتنظيم بعض الاعتصامات، وفي العام نفسه عيّنه عضوًا في شورى الثورة الإسلاميّة.

تولّى الشهيد باهنر مسؤوليّات عدّة بعد انتصار الثورة الإسلاميّة من أبرزها: مسؤوليّة نهضة محو الأميّة، ممثّل أهالي كرمان في مجلس الخبراء، ممثّل شورى الثورة الإسلاميّة في وزارة التربية والتعليم، ممثّل أهالي طهران في مجلس الشورى الإسلاميّ.

كان الشهيد باهنر شديد الاهتمام بمصير التعليم في إيران وبمصير شباب الثورة حيث كان همّه الأساس كيفيّة الإرتقاء بذلك، فتولّى وزارة التربية والتعليم في حكومة محمّد علي رجائي. بعد شهادة الدكتور بهشتي إثر تفجير مقرّ الحزب الجمهوريّ، تولّى باهنر الأمانة العامّة للحزب. وبعد انتخاب رجائي رئيسًا للجمهوريّة، اختير باهنر رئيسًا للوزراء حيث نالت حكومته الثقة في المجلس بالأغلبيّة القاطعة.

استشهد هذا العالم الرباني الذي أمضى عمره في خدمة الناس المظلومين مع صديقه القديم محمّد علي رجائي، رئيس الجمهوريّة، بعد تفجير مبنى رئاسة الوزراء، كان ذلك في الثامن من شهريور عام ١٣٦٠هـ.ش.

### ٦٧. ماكسيم غوركي

ولد ألكسي ماكسيموفيتش بشكوف عام ١٨٦٨م. اشتهر باسم ماكسيم غوركي، وهو قاصٍ وكاتب وروائيّ، كتب للثورة الروسيّة ومن مؤسّسي الطريقة الواقعيّة الاشتراكيّة.

اشتهر بكونه كاتبًا ومؤلّفًا إلّا أنّه في الحقيقة واحد من قادة الثورة الروسيّة.

قتل عام ١٩٣٦م عن عمر الثامنة والستين بعد دسّ السمّ له بواسطة

مجموعة معارضة للإتحاد السوفياتيّ. ترك عشرين أثرًا من جملتها: **الأمّ، جامعاتي، ثلاثة رفاق، في الأعماق**، وغيرها.

### ٦٨. الاشتراكيّة socialist

يقصد من الاشتراكيّة حالة الميل نحو الإجتماعي وهي مصطلح مقتبس من social الفرنسيّة والتي تعني الإجتماعيّ.

السوسياليّة بمعناها الواسع عبارة عن طيف متنوّع من الأفكار والمفكّرين يشتركون باعتقادهم بضرورة المساواة بين البشر وزيادة دور العمّال في إدارة المجتمعات.

وعرّف قاموس اكسفورد السوسياليسم بأنّها نظريّة أو سياسة تهدف إلى نظارة المجتمع على كافّة أدوات الانتاج بدءًا من رأس المال، والأرض.. وغير ذلك وإدارة ذلك لجهة تحصيل المصالح الجماعيّة أو الدفاع عنها. ويقع هذا التعريف في مقابل الرأسماليّة التي تعترف بالملكيّة الخاصّة لأدوات الإنتاج والتوزيع وتبادل البضائع في المجتمع.

تشير بعض الدراسات إلى أنّ جذور الاشتراكيّة تعود إلى آثار أفلاطون الذي يؤكّد إلى أنّ ثروة الأفراد تتعلّق بالجميع، لا بل يجب أن تكون في خدمة الجميع وأنّ على الدولة تعيين أعمال الأفراد.

يعتبر ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م) واضع الفلسفة الاشتراكيّة الجديدة فأصبحت على يديه أيديولوجيّة مدوّنة أطلق عليها "الاشتراكيّة العلميّة". ثمّ جاء لينين وستالين ليدافعا عن الاشتراكيّة الماركسيّة فأصبحت نظامًا كاملًا في الاتحاد السوفياتيّ.

وتشكّل مسائل الملكيّة الخاصّة والاقتصاد الحرّ ومحاربة عدم المساواة من أبرز المسائل التي امتاز بها النظام السياسيّ والاقتصاديّ في الإسلام.

شرّع الإسلام الملكيّة الخاصّة وأكّد على الاقتصاد الحرّ، واعتبر أنّ ذلك يؤدّي إلى زيادة الإنتاج والمنافسة في ساحة العمل والتجارة وسبب



تشجيع الآخرين على العمل وإيجاد الإحساس بالمسؤوليّة عند القيام بالعمل. واعتبر الإسلام العمل كالجهاد في سبيل الله الذي يحمل الشرف للإنسان. ورفض الإسلام التكاسل ونهى عنه. والدولة مكلّفة في الإسلام تهيئة الإمكانيّات للعمل والتجارة وعليها إحلال الأمن للناس لينطلقوا باطمئنان إلى العمل الاقتصاديّ.

من جهة أخرى، وضع الإسلام قوانين ثابتة تمنع إيجاد الأرضيّة لتراكم الثروة والأموال عند مجموعة خاصّة؛ فالربا في الإسلام حرام. ثمّ إنّ الإسلام نهى عن احتكار الأموال واستغلال الأفراد والغشّ وإلحاق الضرر بممتلكات الآخرين.

والدولة مكلّفة في الإسلام الرقابة على السوق ومنع الغلاء والإجحاف والغشّ في المعاملات. وأوجب الإسلام على الأفراد تأدية الخمس والزكاة في المال لتأمين حياة الفقراء في المجتمع الإسلاميّ..

ومن هنا، يمكن القول أنّ النظام الاقتصاديّ الإسلاميّ لا يلتقي على الإطلاق مع النظام الاشتراكيّ الذي يقود الناس نحو الفقر والحاجة.

## ٦٩. ألكسي تولستوي

تولستوي، كنوت ألكسي نيكولايفيتش، شاعر وروائيّ روسيّ (١٨٨٢-١٩٤٥م). ويعتبر من طبقة الأشراف، لذلك ورث لقب كونت. وكان من أصحاب الثروات لذلك عاش حياة مرفّهة. درس في أحد الفروع الحرفيّة في سان بطرسبورغ، إلّا أنّ حبّه للشعر والأدب دفعه نحو الكتابة.

نشر ديوانه الشعريّ الأوّل عام ١٩٠٧م. بدأ منذ العام ١٩١١م كتابة القصص القصيرة والمسرحيّات فلفت انتباه الناس. نشر في العام ١٩١٢م أفضل رواياته بعد الثورة والتي حملت عنوان **السيّد لنك**. انتقل عام ١٩١٤ إلى الجبهة ليعمل كصفحيّ إخباريّ ممّا اضطره إلى ترك الكتابة. التحق عام ١٩١٧ بمعارضي الثورة، وهاجر إلى فرنسا حيث عمل في إحدى

المجلّات الروسيّة هناك. بعد فترة، اقتنع بالثورة وطلب العودة إلى الوطن فعاد إلى وطنه وسكن موسكو.

كتب أثناء إقامته في باريس مجموعة من الروايات من أبرزها **طفولة نيكيتا**؛ والتي هي عبارة عن قصّة حياته. وعند عودته إلى روسيا كتب روايته المشهورة **درب الآلام** *Road to Calvary* في ثلاثة أقسام. وهي صورة عن مرحلة الحرب والثورة وهدفها. رسم صورة عن أحداث وتاريخ وأوضاع روسيا المتشنّجة والحروب الداخليّة التي عانت منها وردّة فعل المفكّرين على الثورة الحمراء. اشتهرت روايته الجديدة، وذاع صيتها وتركت آثارًا كبيرة على مستوى الأدب الروسيّ.

ترك تولستوي مجموعة من الآثار التاريخيّة من أبرزها وأشهرها **بيتر الكبير** في ثلاثة مجلّدات حيث رسم فيه صورة المراحل السابقة في روسيا. ويشكّل بيتر الكبير البطل الأساسيّ وهو قيصر إصلاحيّ، بذل كلّ جهوده في سبيل نجاة البلد من الخراب...

ثمّ كتب في العام ١٩٤٥م الرواية التاريخيّة المعروفة **إيوان المخوف**؛ والتي دونها على أساس الوثائق التاريخيّة. وبهذ النحو، ارتقى المستوى الأدبيّ لتلستوي إلى أعلى مستوياته؛ فاعتبر في عداد المؤلّفين الأوائل في الاتحاد السوفياتيّ.

ومن جملة آثاره الأخرى قصّة **الخبز** التي أثنى فيها على ستالين، وقصص **المدينة الزرقاء** التي تدور حول النظام الجديد في روسيا. تمكّن تولستوي عام ١٩٣٧م من النفوذ إلى أجهزة الحكومة السوفياتيّة. وحصل في العام ١٩٣٨م والعام ١٩٤٢م على ميداليّة لينين، ثمّ أصبح عضوًا في أكاديميّة العلوم.

## ٧٠. شولوخوف

ولد ميخائيل شولوخوف عام ١٩٠٥م في الضواحي نهر الدون. والده قرويّ

بسيط، تعود جذوره إلى الروس وأمّه من أوكرانيا. ترك دراسته في العام ١٩١٨م بسبب اندلاع الحرب الداخليّة والتحق بالجيش الأحمر. ظهرت تجربته في آثاره بشكل واضح؛ وهو كاتب واقعيّ تعرّض في كتاباته للشعب ولثورة أكتوبر.

تعتبر روايته **الدون الهادئ** من أهمّ آثاره وهي في أربعة مجلّدات، عمل على كتابتها منذ العام ١٩٢٨م وانتهى منها عام ١٩٤٠م. ومن جملة آثاره الأخرى: **يحاربون لأجل أرض آبائهم والأرض الحديثة البناء**.

حصل شولوخوف عام ١٩٤١م على جائزة ستالين، وفي العام ١٩٦٠ على جائزة لينين، وفي العام ١٩٦٥ على جائزة نوبل للأدب. توفّي عام ١٩٨٤م.

## ٧١. الصفويّة

الصفويّة عائلة شيعيّة إيرانيّة حكمت إيران بين العام ٨٨٠ش إلى العام ١١٠١ش. يعتبر الشاه إسماعيل الأوّل مؤسّس السلالة الملكيّة الصفويّة، وقد توّج عام ٨٨٠ش في تبريز، وآخرهم الشاه سلطان حسين الذي أسقطه الأفغان عام ١١٠١ش.

## ٧٢. الميرداماد

ولد المير برهان الدين محمّد باقر الأسترآبادي المعروف بالميرداماد عام ٩٦٩ق، واشتهر بالمعلّم الثالث، وهو فيلسوف ومتكلّم وفقيه مشهور إبّان المرحلة الصفويّة، وواحد من الأركان الأساسيّة للمدرسة الفلسفيّة في أصفهان. والده المير شمس الدين محمّد الأسترآبادي المشهور بالداماد، وهو من السادات الحسينيّين في جرجان.

تزوّج محمّد الأسترآبادي ابنة علي بن عبد العال المعروف بالمحقّق الكركي لذلك أطلق عليه الداماد الصهر. ورث الميرداماد هذا اللقب من والده. يعتبر ملا صدرا من أبرز تلامذته، ويعتبر العصر الصفويّ أفضل

العصور التي تطوّر خلالها الفكر الشيعيّ في الكثير من المجالات. وإذا كان المحقّق الكركي ترأّس الحركة الفقهيّة، فإنّ الميرداماد ترأّس الحركة العقليّة.

ترك الميرداماد أكثر من ٢٥ كتابًا ورسالة ما زال البعض منها موجودًا. توفّي الميرداماد عام ١٠٤٠ق في النجف.

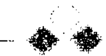
## ٧٣. الأسلوب الهنديّ

منذ القرن التاسع الهجري وبسبب استقبال الهند للشعراء الفارسيّين وعدم اهتمام ملوك الصفويّة بالأشعار المتداولة، هاجر العديد من الشعراء إلى الهند حيث اشتغلوا هناك بالشعر والشاعريّة. وبما أنّ هؤلاء الشعراء يعيشون في مكان بعيد عن اللغة الأمّ ويظهرون ميلًا لتوضيح المسائل والمفاهيم بشكل دقيق وفنّيّ، وبما أنّ اللغة الجديدة تركت آثارها على لغتهم وثقافتهم، فقد وجد أسلوب شعريّ جديد أطلق عليه الأسلوب الهنديّ.

وقد أطلق بعض الأدباء على هذا الأسلوب عنوان الأسلوب الأصفهانيّ أو السبك الأصفهانيّ. استمرّ هذا السبك من القرن التاسع حتّى الثالث عشر الهجريّ، وامتاز بخصائص أبرزها العبارات والتشبيهات والكنايات الظريفة والدقيقة والتركيبات المعقّدة والصعبة.

لعلّ أبرز الشعراء الذين اعتمدوا هذا السبك: كليم الكاشاني، نظيري النيشابوري، عرفي الشيرازي، عبد القادر بيدل، صائب التبريزي، غني الكشميري، وحيد القزويني وطالب الآملي.

وقد شاع في الشعر الفارسيّ السبك العراقيّ قبل السبك الهنديّ، وقبل ذلك شاع السبك الخراسانيّ. بعد وصول القاجار للسلطة، ارتدّ الشعراء عن السبك الهنديّ واعتمدوا السبك القديم للشعراء الإيرانيّين.



### ٧٤. الزنديّة

حكم الزنديّون إيران مدّة ست وأربعين سنة في المرحلة الواقعة بين سقوط الأفشاريّين وظهور القاجار. وقد ترأّس هذه السلالة في إيران كريم خان زند (وكيل الرعايا) الذي وصل إلى السلطة عام ١١٦٣ق. وتوفّي كريم خان عام ١١٩٣ق. نشب نزاع كبير بعد كريم خان حيث توالى سبعة أشخاص بعده على الحكم. ويعتبر لطفعلي خان آخر ملوك الزنديّة الذي قتل على أيدي الآغا محمّد خان القاجاري عام ١٢٠٩ق.

### ٧٥. صائب

صائب التبريزيّ واحد من شعراء الغزل في القرن الحادي عشر الهجري وأشهر شاعر في العهد الصفويّ.

ولد الميرزا محمّد علي صائب التبريزيّ عام ١٠٠٠ق في تبريز. وعائلته واحدة من ضمن ألف عائلة هاجرت بأمر من الشاه الصفويّ عبّاس الأوّل من تبريز إلى عبّاس آباد في أصفهان.

انتقل صائب في العام ١٠٣٤ق من أصفهان إلى الهند ثمّ إلى هرات وكابول. عاد إلى إيران عام ١٠٤٢ق فأقام في أصفهان. أعطاه الشاه الصفويّ عبّاس الثاني مقام ملك الشعراء.

عاش صائب ثمانية وسبعين عامًا. توفّي في أصفهان عام ١٠٨٦ أو ١٠٨٧ق. يعتبر صائب من الشعراء المكثرين من الشعر حيث كتب بين ٦٠ ألف بيت إلى ٢٠٠ ألف بيت شعريّ. لم يبقَ من أشعاره أكثر من ثلاثة أو أربعة آلاف بيت وجميعها في الغزل.

### ٧٦. كليم

ولد أبو طالب كليم الكاشانيّ، ملك الشعراء، في همدان. كانت ولادته بين العام ٩٩٠ إلى العام ٩٩٤ق، واشتهر بلقب كليم الكاشاني لإقامته الطويلة

في كاشان. توفّي عام ١٠٦١ق في الهند. درس كليم الكاشانيّ مدّة من الزمن في شيراز، ثمّ هاجر إلى الهند في عهد جهانكير شاه الجورجانيّ، ثمّ رجع إلى إيران ورحل من جديد إلى الهند. مدح أمراء البلاط الهنود فأطلقوا عليه لقب ملك الشعراء. يعتبر كليم من المبدعين على مستوى المعاني والماهرين في الأنواع الشعريّة.

### ٧٧. عرفي

عرفي الشيرازي الملقّب بجمال الدين والذي كان يوقّع اسمه "عرفي" واحد من مشاهير وشعراء شيراز. ولد عام ٩٦٣ق في شيراز. اشتهر بالكمال والفضل والعلم والدعابة وسرعة البديهة. اتبع مسلكًا مخالفًا للقدماء في الشعر. كان يكثر من التشبيهات والاستعارات بحيث كان يضيع المعنى المطلوب. سافر عدّة مرّات إلى الهند، وتقرّب من بلاط أكبر شاه الهندي.

توفّي عام ٩٩٩هـ.ق. عن عمر الثالثة والستين، ونقلت جثّته من لاهور إلى النجف الأشرف.

### ٧٨. طالب الآملي

محمّد طالب آملي زاده الذي كان يوقّع اسمه "طالب" والمعروف بـ"طالبا" وملك الشعراء، واحد من شعراء القرن الحادي عشر الهجريّ. ولد طالبا عام ٩٩٤هـ.ق. في إحدى قرى مدينة آمل.

خرج في سن السادسة عشرة من مازندران وهاجر إلى أصفهان. ثمّ انتقل إلى كاشان فتزوّج هناك، ثمّ عاد إلى موطنه ومن هناك سافر إلى خرسان، ثمّ إلى الهند التي بقي فيها مدّة قبل أن ينتقل إلى قندهار ليكون في خدمة غازي خان ترخان أمير السند.

رجع إلى الهند بعد موت غازي خان ثمّ انتقل إلى لاهور فالتقى مع شابور الطهراني الذي قدّمه إلى اعتماد الدولة، فدخل إلى بلاط جهانكير شاه،



الشاه الرابع في سلالة جورجي الهند. حصل في العام ١٠٢٨ق على لقب ملك الشعراء. بقي في البلاط حتّى نهاية عمره. توفّي في لاهور عام ١٠٣٦هـ.ق.

### ٧٩. تذكرة نصر آبادي

تذكرة نصر آبادي لمؤلّفها الميرزا محمّد طاهر نصر الآبادي كتبها بالفارسيّة وانتهى من تأليفها عام ١٠٨٩ق. دوّنها باسم صفيّ ميرزا المعروف بالشاه سليمان الصفويّ. وتحتوي على تذكرة أحوال ومختارات من أشعار ما يقرب من ألف شاعر في العهد الصفويّ.

### ٨٠. ملّا صدرا

ولد محمّد بن إبراهيم الشيرازي الملقّب بـ"صدر الدين" والمشهور بالملّا صدرا وصدر المتألّهين حوالي العام ٩٨٠ق في مدينة شيراز.

والده إبراهيم بن يحيى القوامي، أحد وزراء الدولة الصفويّة ورجل صاحب نفوذ وثروة. بذل كلّ جهوده في سبيل تربية وتعليم ابنه الوحيد، صدر المتألّهين الذي ظهر نبوغه منذ طفولته. درس المقدّمات في شيراز في مدّة قصيرة ثمّ انتقل إلى أصفهان لإكمال علومه.

تتلمذ صدر المتألّهين بداية على الشيخ بهاء الدين العاملي المشهور بالشيخ البهائي، فتعلّم منه العلوم النقليّة حيث حصل على إجازة الاجتهاد. ثمّ تتلمذ على يدي الميرداماد حيث بقي سنوات عديدة ينهل من فيض علمه. ويعتقد أنّ صدر المتألّهين قد استفاد في أصفهان من العارف والزاهد والرياضيّ الكبير في ذاك العصر المير أبو القاسم ميرفندرسكي. ترك أصفهان بعد ظهور مضايقات من المحيطين به بالأخصّ العلماء الظاهريّين والقشريّين المخالفين لطريقة العرفان، واختار العزلة والانقطاع في قرية كهك القريبة من قم، فبقي فيها سبع سنوات. وحسب بعض الروايات، بقي صدر المتألّهين في كهك خمسة عشر عامًا فوصل في هذه المرحلة إلى مرحلة

الكشف والشهود ومشاهدة الحقائق الباطنيّة. يقول صدر المتألّهين في هذا الشأن: "...فاطلعت على أسرار لم أكن اطلعت عليها إلى الآن، وانكشف لي رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان بل كلّ ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان..."

بعد تلك المرحلة، ذاع صيت صدر المتألّهين وأصبح يتوافد إليه محبّو العلم من كلّ حدب وصوب لينهلوا من علمه.

دعاه والي فارس الله وردي خان وبنى له مدرسة في شيراز وما زالت تلك المدرسة معروفة حتّى اليوم باسم "مدرسة خان" فاشتغل فيها بالتدريس والتعليم.

ترك عددًا كبيرًا من المؤلّفات وتتلمذ على يديه أشخاص تركوا آثارًا علميّة كبيرة من أبرزهم الملّا محسن الفيض الكاشاني والملا عبد الرازق اللاهيجي وهما تلميذا صدر المتألّهين وصهراه.

بقي يشتغل بالتأليف والتدريس حتّى نهاية عمره، توفّي أثناء عودته من السفر السابع إلى الحجّ حيث كان يحجّ ماشيًا وذلك عند البصرة وذلك في العام ١٠٥٠هـ.ق.

### ٨١. الفيض الكاشاني

الملّا محمّد محسن الفيض الكاشاني من علماء القرن الحادي عشر الهجريّ، عاصر الشاه عبّاس الثاني. ولد في كاشان عام ١٠٠٧ق. درس المقدّمات في موطنه ثمّ انتقل إلى شيراز، فالتحق بطلاب صدر المتألّهين وتزوّج من ابنته. يعتبر الفيض الكاشاني من كبار علماء عصره.

ترك العديد من المؤلّفات في العلوم العقليّة والنقليّة والحكمة والأخلاق من أبرزها: **أبواب الجنان، تفسير الصافي، التفسير الأصفى، كتاب الوافي، الشافي، مفاتيح الشرائع، أسرار الصلاة، علم اليقين في أصول الدين، سفينة النجاة، شرح الصحيفة السجاديّة، فهرس العلوم** وديوان



أشعار. ترك الفيض الكاشاني أكثر من ثلاثة عشر ألف بيت شعريّ. توفي عام ١٠٩٠هـ.ق. ودُفن في شيراز.

**٨٢. اللاهيجي**

الملّا عبد الرازق اللاهيجي والده علي اللاهيجي، يلقّب بـ"الفيّاض"، حكيم، شاعر، ومتكلّم إيراني. هو واحد من تلامذة ملّا صدرا وصهره. وقد أطلق عليه ملّا صدرا لقب الفيّاض.

يمتاز بشخصيّته إذ إنّه صاحب ذوق وطبع، له أشعار راقية وغزليّات جميلة. يشمل ديوانه الشعريّ الموجود في مكتبة الحضرة الرضويّة على عدّة آلاف من الأدبيات الشعريّة. كانت تربطه صداقة قويّة مع الشاعر صائب التبريزي، أبرز شعراء العهد الصفويّ. أمّا مؤلّفاته، فتحكي عن عظمة مقامه العلميّ. عاش هذا الفيلسوف العظيم، كما الكثير من العلماء والمحقّقين، فقيرًا وابتعد عن كلّ مراكز السلطة لرغبته في الاحتفاظ بطهارة روحه. توفي بعد ٢١ سنة من وفاة أستاذه فترك الدنيا الفانية عام ١٠٧١هـ.ق.

أمّا أبرز آثاره الفلسفيّة والكلاميّة، فعبارة عن: **الشوارق** في مجلدين، **شرح تجريد الاعتقاد**، **تعليقات على شرح الإشارات**، **شرح هياكل النور** للسهروردي، **حواشي على تعليقات الخضريّ**، **وتفسير اللاهيجي**.

**٨٣. حافظ**

الخواجة شمس الدين محمّد بن بهاء الدين حافظ الشيرازي شاعر كبير. عاش في القرن الثامن الهجريّ، وولد ما بين العام ٧٢٧ و٧٩٢هـ.ق. يعتبر من أكبر شعراء الغزل في إيران وأكثرهم محبوبيّةً. لا يوجد أيّ مصدر يتحدّث حول حياة هذا الشاعر، وقد دوّنت العديد من الكتب في تحليل وتوضيح أشعاره.

## ٨٤. رودكي

رودكي من شعراء العهد السامانيّ حيث عاش في القرن الرابع الهجريّ. تتحدّث بعض الأخبار عن أنّ رودكي كان أعمى منذ الولادة وتشير أخبار أخرى إلى أنّه أصبح أعمى فيما بعد. ولد في منطقة رودك القريبة من سمرقند.

يعتبر رودكي من كبار شعراء الفارسيّة، ويطلق عليه عنوان أب الشعر الفارسيّ، حيث لا يوجد ديوان شعر بالفارسيّة قبله. كتب رودكي أكثر من مليون بيت شعريّ. توفّي عام ٣٢٩هـ.ق.

## ٨٥. قدسي مشهدي

أسّس في العام ١٣٢٥هـ.ش. مع بعض أصدقائه منتدى الفردوسيّ الأدبيّ، ومارس إلى جانب ذلك النشاطات السياسيّة فاعتقل على أثر ذلك عدّة مرّات. أُطلق سراحه عام ١٣٥٥هـ.ش. من السجن، فعمل في مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة على ترجمة وتصحيح الكتب. بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، تولّى منصب المدير العام للثقافة والإرشاد الإسلاميّ في خرسان. وعمل عدّة سنوات مدرّسًا في الجامعات حيث كان يتقن اللغتين العربيّة والفارسيّة.

توفّي الأستاذ غلام رضا قدسي مشهدي الأستاذ الجامعيّ والشاعر والأديب عام ١٣٦٨هـ.ش.، ودفن في صحن حرم الإمام الرضا (ع).

## ٨٦. ولتغربلنّ غربلة

**العلّامة جعفري، خلاصة ترجمة وشرح نهج البلاغة، الصفحة ١٣٤.**

خطب الإمام (ع) بهذه الخطبة عندما بايعه الناس في المدينة فقال:

ذمّتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم أنّ من صرحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات ألا وأنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها



يوم بعث الله نبيّه (ص) والذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة ولتساطنّ سوط القدر حتّى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا وليقصّرن سبّاقون كانوا سبقوا.

## ٨٧. حزب "جمهورى اسلامى"

بدأ العلماء بقيادة الإمام الخمينيّ (قده) المواجهة السياسيّة ضد النظام البهلويّ بعد حادثة الخامس عشر من خرداد ١٣٤٢ش. بعد مدّة، أضحى وجود تنظيم منسجم حاجة ملحّة. وأصبحت هذه الحاجة أكثر ضرورة في السنوات القريبة من انتصار الثورة الإسلاميّة وحضور المجموعات والأحزاب اليساريّة والشيوعيّة أمثال حزب تودة، وفدائيّي خلق، وبعض المجموعات الإلتقاطيّة أمثال منظّمة مجاهدي خلق وبروز مجموعات قوميّة وليبراليّة حيث شعر المتديّنون بضرورة الحاجة إلى تنظيم متديّن منسجم يتمكّن من قيادة العمل الثوريّ، من هنا بدأ البعض العمل لإيجاد هذا التنظيم.

قدّم الشهيد بهشتي فكرة إيجاد هكذا حزب في مرحلة متقدّمة وذلك بعد انقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢ش. يقول الشهيد بهشتي حول الفكرة الموجودة عنده وكيف يمكن أن تصبح عمليّة :

بدأنا التفكير مع مجموعة من الأصدقاء عام ١٣٥٦ش بإيجاد نواة حزب علمانيّ يقوم على أساس التقوى والإيمان والجهاد والرؤيّة الإسلاميّة الراقية يكون خلّاقًا على مستوى الفكر الإسلاميّ وبريئًا من كافّة الميول غير الإسلاميّة والإلتقاطيّة حيث تقوم هذه النواة بإيجاد فروع سياسيّة واجتماعيّة يمكنها أن تؤسّس لتنظيم سياسيّ قويّ يمكنه ملء الفراغ الموجود.

إنّ حركة الثورة قبل انتصارها جعلت القادة الأساسيّين يتركون فكرة تشكيل الحزب جانبًا، فبقيت تلك الأفكار التي قدّمها الشهيد بهشتي مجرّد اقتراحات. بعد انتصار الثورة ومجيء الإمام، بدأ العمل بشكل رسميّ لتأسيس الحزب بعد أن أبدى الإمام (قده) تأييده لذلك حيث بدأ الحزب

نشاطه بتاريخ ٢٩بهمن ١٣٥٧ش.

أسّس الحزب خمسة من القادة الفاعلين والنشطين وهم: السيّد محمّد حسين بهشتي، محمّد جواد باهنر، السيّد علي الخامنئي، علي أكبر هاشمي رفسنجاني وعبد الكريم الموسوي الأردبيلي.

بعد تأسيس الحزب، وزّع على الشعب وبشكل واسع طلبات العضويّة مرفقة برؤيته حيث بدأ الحزب يستقبل الأعضاء. في اليوم الأوّل، تمّ تسجيل أسماء العضويّة في الحزب لينتسب إليه أكثر من ٨٠ ألف شخص. وبعد مئة يوم على تأسيسه، شرح الدكتور باهنر مواقف الحزب في القضايا السياسيّة والإعتقاديّة والإقتصاديّة والثقافيّة حيث وصل أعضاء الحزب في تلك الأيّام إلى أكثر من مليوني شخص.

أمّا أبرز نشاطات الحزب، فعلى النحو الآتي:

١. لعب الحزب دورًا هامًّا في التخطيط والمشاركة وتنفيذ المراسم أمثال: يوم العامل، يوم المرأة، الدفاع عن الطلبة المسلمين، اتّباع خطّ الإمام (قده) في حادثة احتلال وكر التجسّس الأمريكيّ. لعب دورًا فعّالًا في تأييد أصول الدستور بالأخصّ الأصول الإقتصاديّة والقضائيّة وبشكل خاص الأصل ١١٠ - ولآية الفقيه-، المشاركة السياسيّة في الاستفتاء على الجمهوريّة الإسلاميّة والدستور وانتخابات مجلس الشورى، تأسيس وإطلاق وحدات ومراكز متعدّدة أمثال دور النشر، المراكز العمّالية والطالبيّة وغيرها.
٢. العمل لتقويّة الدولة وإبعاد الفتن.
٣. لعبت صحيفة، جمهوريّ إسلاميّ الناطقة الرسميّة باسم الحزب دورًا بارزًا في إفشاء مخطّطات الحركات المخالفة للثورة بالأخصّ حزب تودة، الليبراليّين، وحكومة بني صدر.
٤. تمكّن الحزب من خلال المراكز التي أنشاها من تربية الكوادر الفعّالة، وتمكّن أيضًا من إدارة قسم كبير من السلطة التنفيذيّة



والحضور في الحكومة وسائر أركان الدولة ومجلس الشورى والسلطة القضائيّة وبالتالي تحقيق الكثير من الانجازات.

ويظهر من خلال نشاطات الحزب أنّه بذل جهودًا كبيرة في سبيل استقرار الأصول والقيم الإسلاميّة وأهداف الثورة الإسلاميّة وتثبيت قواعد الجمهوريّة الإسلاميّة على رغم التيّارات المخالفة والمعادية سواء في الداخل أو الخارج.

ويمكن فهم الدور الكبير الذي لعبه الحزب من خلال استهدافه بشكل دائم واستهداف قادته وكوادره، ولعلّ أبرز حادثة تعرّض لها الحزب هي محاولة اغتيال آية الله الخامنئي بتاريخ ٧تير ١٣٦٠ش في صالون اجتماعات المكتب المركزيّ للحزب.

بعد بروز مجموعة من الاختلافات والمشكلات الداخليّة والخارجيّة كتب آية الله الخامنئي وحجّة الإسلام هاشمي رفسنجاني بتاريخ ١١ خرداد ١٣٦٦ش، رسالة إلى الإمام الخمينيّ (قده)، طلبا فيها توقيف نشاطات الحزب فوافق.

### ٨٨. اليسار واليمين

يعتبر مصطلحا اليسار واليمين من أبرز التقسيمات الرائجة في العالم والتي تشير إلى الأحزاب والحركات السياسيّة. وتعود بنا جذور هذين المصطلحين إلى الثورة الفرنسيّة. في العام ١٧٨٩م، أصدر لويس السادس عشر بضغط من الثوّار الفرنسيّين قرارًا بتشكيل مجلس طبقيّ من أشراف والكنيسة وعامّة الناس وقد بحث هذا المجلس حول حقّ إعطاء الفيتو للملك، أي هل يحقّ للملك اتخاذ قرار يخالف الحاكميّة الشعبيّة وهل هو أعلى منها؟

عند الاستفتاء على هذه المسألة داخل المجلس، انقسم المجتمعون إلى فرقتين الموافقين والمخالفين. فكان الموافقون يجلسون إلى الجانب الأيمن

لرئيس المجلس والمخالفون إلى الجانب الأيسر. وبهذا النحو، بدأ التفريق بين اليمين واليسار. بعد ذلك، دخل هذان المصطلحان المعترك السياسيّ.

وبعد مدّة لاحقة أيضًا، حصل هذا الأمر في التجمّع الوطنيّ للثورة الفرنسيّة حيث كان يجلس ممثّلو الثورة في الجانب الأيسر والمحافظون في الجانب الأيمن وكان المعتدلون أيضًا يجلسون في الوسط بين الاثنين فاستخدم هذا المصطلح أيضًا. بناءً على ما تقدّم، يطلق الجناح الأيسر في القاموس السياسيّ على الأفراد الذين يحملون روحيّة الثورة والتغيير والجناح الأيمن على الأفراد المخالفين للثورة والتغيير، بل هم مجموعة ينادون بالعودة إلى الماضي.

تغيّرت مفاهيم هذين المصطلحين مع مرور الزمان، فأصبح الجمهوريّون في فرنسا معروفين بجناح اليسار والمنادون بالملكيّة بالجناح الأيمن. ثمّ أصبح المنادون بتدخّل الدين في النظام الاجتماعيّ في عداد جناح اليمين وأولئك المنادون بفصل الدين عن السياسة في عداد جناح اليسار.

بعد ظهور الرأسماليّة ووجود طبقتين البورجوازيّين والعمّال، كان اليسار يمثّلون الرؤية المخالفة للمالكيّة الخاصّة والمؤيّدة لاقتصاد الحكومة ويقابله اليمين. طبعًا فيما بعد تبدّلت بعض الأفكار في كلا الطرفين، حيث أصبحت كلّ فرقة تقبل شيئًا من الأخرى وبالعكس، وهذا ما حصل في أوروبا إذ اختفى الفاصل بين الجناحين على المستوى العمليّ.

أمّا دراسة أحزاب اليمين واليسار في إيران، فيعود بنا إلى المئة سنة الماضية. وإذا رجعنا إلى مرحلة الحركة الدستوريّة لوجدنا ظهور ميول متنوّعة من نوع اليمين واليسار. وفي هذا الإطار، لعب الحزب الاشتراكيّ الديمقراطيّ الإيرانيّ المدعوم من روسيا دورًا في الاختلافات التي حصلت بالأخصّ بعد الثورة.

وفي هذه الأجواء، ظهر تيّار اليمين المدافع عن السلطة الملكيّة والمخالف لأيّ تغيير. وتجدر الإشارة إلى تأسيس الحزب الشيوعيّ الإيرانيّ عام



١٢٩٩هـ.ش. المدعوم من البلشفيك بشكل مباشر والذي كان ينادي بوجود حكومة اشتراكيّة في محافظة كيلان شمال إيران.

أمّا فيما يتعلّق بمرحلة ما بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، فإنّ الحركات السياسيّة كانت تقسّم إلى "إسلاميّة" و"وطنيّة"، وذلك حتّى مرحلة ما قبل إسقاط بني صدر عن سدّة رئاسة الجمهوريّة. بعدها ظهر جناحان جديدان داخل الحركة الإسلاميّة أطلق عليهما اليمين واليسار؛ أمّا الاختلاف بينهما فكان يتمحور حول القضايا الإقتصاديّة.

## ٨٩. التكالب على الدنيا

الظاهر أنّ النبيّ (ص) في هذا الحديث الشريف كان يعدّد بعض أوصاف المتّقين.

الديلمي، **إرشاد القلوب إلى الصواب**، الجزء ١، الصفحة ١٣٥: وقال النبيّ (ص):

> إنّ من أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا؛ فهم الأتقياء الأنقياء الأصفياء الذين إذا شهدوا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا تعرّضهم بقاع الأرض وتحفّ بهم ملائكة السماء تنعم الناس بالدنيا وتنعموا بذكر الله. افترش الناس الفرش وافترشوا هم الجباه والركب وسعوا الناس بأخلاقهم تبكي الأرض عليهم لفقدهم ويسخط الله على بلدٍ ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف شعثًا غبرًا. يراهم الناس فيظنّون أنّ بهم داءً أو قد خولطوا أو ذهبت عقولهم وما ذهبت بل نظروا إلى أهوال الآخرة فزال حبّ الدنيا عن قلوبهم عقلوا حيث ذهبت عقول الناس فكونوا أمثالهم.

## ٩٠. سعدي

أبو محمّد مصلح بن عبد الله المشهور بسعدي الشيرازي (٦٠٦-٦٩١ق) شاعر وكاتب. اشتهر بشعره ونثره القويّ والمحكم والجذّاب. بلغ مقامه

عند أهل الأدب مرحلة أطلقوا عليه فيها لقب أستاذ الكلام. من أبرز آثاره **كلستان** في النثر و**بوستان** في الشعر بالأخصّ الغزليّ منه.

### ٩١. البوسنة والهرسك

البوسنة بلد جبليّ في الغالب يحدّه من الشمال والغرب كرواتيا ومن الشرق صربيا ومن الجنوب مونتيفرا والبحر الأدرياتيكيّ.

يبلغ عدد سكان البوسنة أربعة ملايين ونصف مليون نسمة. ٤٨٪ من السكان بوسنيّون، ٣٧,١٪ صرب، و١٤,٣٪ كروات، ويبلغ المسلمون ٤٠٪، والأرثوذكس ٣١٪، والكاثوليك ١٥٪.

بعد سقوط النظام الشيوعيّ في يوغسلافيا، ظهرت فكرة إزالة هذا البلد. وأدّى طلب الحريّة للمواطنين والقوميّات المختلفة في ست جمهوريّات من جمهوريّات يوغوسلافيا السابقة إلى وجود مخالفة مع الخطّة التي قدّمها الصرب والتي تحمل عنوان الصرب الكبرى فبدأت أزمة يوغوسلافيا.

وكانت النتيجة اعتداء الصرب على سلوفانيا وكرواتيا وشروع الحرب. أمّا النتيجة على مستوى كرواتيا فكان الإعتراف الدوليّ الرسميّ بها؛ وأمّا البوسنة والهرسك، فكانت أمام مفترق طريقين: الاستقلال أو التبعيّة للصرب.

الاعتراف الرسميّ بالبوسنة والهرسك دولة مستقلّة كان مشروطًا في أوروبا وأمريكا بوجود استفتاء عام. في البدآية، منع الصرب هذا الاستفتاء. أمّا البوسنة والهرسك فأجرت استفتاءً بناءً على الأصول الدوليّة. وتحت رقابة المراقبين الدوليّين، شارك فيه مليون ونصف شخص أي ما مقداره ٦٤٪ من عدد السكان حيث أيّدوا تشكيل جمهوريّة البوسنة والهرسك المستقلّة. في العام ١٩٩٢م، اعتُرف رسميًّا بدولة البوسنة والهرسك وأصبحت عضوًا في الأمم المتحدة.



بعد يوم واحد من الاعتراف الرسميّ باستقلاليّة البلد، قام الصرب بالاعتداء عليه، فهاجم أكثر من ١٢٠٠ جنديّ صربيّ القرى البوسنيّة وقطعوا أوصال البلد من سكك الحديد، الطرق، التلفون والإذاعة والتلفزيون، وقصفوا جميع المدن والقرى وكذلك المطار والمستشفيات والمساجد والكنائس والمدارس. وفي الحقيقة، بدأت عمليّة قتل جماعيّة في البلد.

قُتل في الحرب أكثر من ٢٥٠ ألف مسلم، وتمّ تهديم أكثر من ٨٠٠ مسجد ومركز ثقافيّ وهجّر أكثر من مليون ونصف إنسان من منازلهم. حوصرت سارايفو من العام ١٩٩٢م إلى العام ١٩٩٦م. وقتل من أهالي هذه المدينة أكثر من ١٠ آلاف شخص وجرح ٥٠ ألف آخرين وكان ينفجر يوميًّا في سارايفو ما لا يقلّ عن ٣٢٩ صاروخ، وقد نزل على سارايفو في الثاني والعشرين من كانون الأوّل عام ١٩٩٣م ٣٧٧٧صاروخ. أمّا الخسائر الماديّة التي لحقت بالمنازل، فكبيرة لا يمكن إحصاؤها.

تمّ استخراج أكثر من ٤٧٠٠ جثّة حتى العام ٢٠٠٠م من المقابر الجماعيّة، وبلغ عدد المفقودين ١٧٦٨٩ شخص. ومنذ العام ١٩٩١م إلى الآن ما يزال ٤ملايين شخص يعيشون مهجّرين يتنقلون من مكان إلى آخر، وبلغت الخسائر الماليّة للبوسنة ٢٩ مليار دولار.

بتاريخ ٢١نوفمبر١٩٩٥، وقّعت الأطراف المتنازعة معاهدة صلح في ديتون أوهايو، توقّفت بموجبها حربًا استمرّت ثلاث سنوات. أبقت معاهدة الصلح على حدود البوسنة، وتمّ تشكيل حكومة ديمقراطيّة متعدّدة القوميّات، واختير "علي عزّت بيكوفيتش" أوّل رئيس للجمهوريّة حيث كان يقود المسلمين في الحرب فحكم البوسنة حتّى العام ٢٠٠٠م.

**٩٢. أيكاو (ICAO: International Civil Aviation Organization)**

تأسّست منظّمة أيكاو عام ١٩٤٤م أثناء تنظيم معاهدة النقل الهوائيّ

المعروف بمعاهدة شيغاغو. والأيكاو منظّمة متخصّصة تابعة للأمم المتّحدة وظيفتها تطبيق المعايير العالميّة على الخطوط والطلعات الجويّة وإدارة الخطوط الجويّة في العالم. وقد أعلن عن وجودها بشكل رسميّ عام ١٩٤٧م.

انضمّت إيران في العام ١٣٢٧ش إلى معاهدة شيكاغو، وبالتالي إلى منظمة الأيكاو. أمّا المقرّ الدائم للمنظّمة فمدينة مونتريال في كندا.

تتألّف الشورى الأساسيّة للمنظّمة من ٣٣ بلدًا يتمّ انتخابهم لمدّة ثلاث سنوات. في العام ١٣٦٧ش، أسقطت القوّات الأمريكيّة طائرة إيرانيّة كانت متّجهة من بندر عبّاس إلى دبي، فقُتل جميع ركابها البالغ ٢٩٠ شخصًا. شكّلت منظّمة الأيكاو لجنة تحقيق في القضيّة إلّا أنّ تدخّل القوّات الأمريكيّة ساهم في نشر تقرير ظالم عن الحادث حمل فيه المسؤوليّة لقائد الطائرة. وقد ظهر كذب هذا التقرير في تصريحات الأمريكيّين وتصرّفاتهم وذلك بعد تقديم وسام من قبل أمريكا لقائد البارجة وينسن لقيامه بقتل ٢٩٠ شخصًا مظلومًا.

## ٩٣. منظّمة العفو الدوليّة

منظّمة العفو الدوليّة هي منظّمة غير حكوميّة هدفها الدفاع عن حقوق البشر، كما جاء في المنشور العالميّ لحقوق الإنسان. أمّا المركز الأساس للمنظّمة ففي لندن.

بناءً على تعريف المنظّمة، فهي مكلّفة ملاحقة كلّ ظلم يلحق الأفراد في أيّ بلد من العالم، إلّا أنّ هذه المنظّمة كأخواتها أداة بيد القوى العالميّة الظالمة المستبدّة حيث تتخذ المنظّمة قراراتها بدوافع سياسيّة تحافظ من خلالها على مصالح الغرب. وقد ظهر هذا الأمر جليًّا في المواقف التي اتّخذتها هذه المنظّمة حيال إيران وحيال الجرائم الصهيونيّة. وقد لطّخت المذابح التي حصلت في البوسنة جبين هذه المنظّمة.



## ٩٤. أبو حاتم الرازي

ولد أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي في بشابويه في منطقة الريّ وهو واحد من المبلّغين والمتكلّمين والمحدّثين المشهورين في القرن الرابع الهجريّ. عاصر محمّد بن زكريا الرازي. اختلف في كونه إماميًّا أو إسماعيليًّا. ترك العديد من الآثار من أبرزها: **أعلام النبوّة**؛ وفيه إجابات أبو حاتم الرازي على الأفكار الإلحاديّة لمحمّد بن زكريّا الرازي. توفّي أبو حاتم عام ٣٢٢ق.

## ٩٥. محمّد بن زكريّا الرازي

ولد "أبو بكر محمّد بن زكريّا" عام ٢٥١ق وهو من كبار العلماء الإيرانيّين، وأبرز طبيب مسلم في القرون الوسطى، وإلى جانب ذلك عالم في الفيزياء والكيمياء والفلسفة. تعلّم في ري الرياضيّات والفلسفة والنجوم والأدب. ثمّ درس الكيمياء في مرحلة شبابه، وبعد ذلك أقبل على الطبّ بعد أن أُصيب بمرض في العيون فاشتهر بعلم الطب.

تولّى رئاسة مستشفى ري التي أسّسها الحاكم أبو صالح منصور بن إسحاق السامانيّ. ثمّ تولّى رئاسة مستشفى بغداد. كان القادة والأمراء يدعونه إلى بلاطهم بسبب شهرته في عالم الطبّ. ترك الرازي حوالي ٢٣٧ كتابًا. وأمّا أبرز مؤلّفاته الطبيّة فكتاب **الحاوي** وكتاب **الطب الملوكيّ** وكتاب **الجدري والحصبة** الذي لاقى قبولًا واستحسانًا عند الأوروبيّين.

يعتبر الرازي من العلماء التجريبيّين حيث كان يعتبر التجربة أفضل من علم الطبّ.

وللرازي انجازات كبيرة على مستوى علم الكيمياء إذ يعود الفضل إليه في اكتشاف "أسيد السولفوريك" وقد ترك العديد من الكتب في الكيمياء من أبرزها **كتاب الإكسير وكتاب التدبير**.

أُصيب الرازي أواخر حياته بعمى العيون بسبب اشتغاله الزائد بالكيمياء وتوفّي عام ٣١٣ق.

وأمّا في البُعد الفلسفيّ، فكان له عقائد خاصّة به، لم يرضَ أفكار أفلاطون ولم يستسلم لها. كان يعتقد بـ"أجزاء الذرّة" فيما يتعلّق بتركيب الأجسام.

وكان له عقيدة خاصّة في مسألة " القدماء الخمسة"، وقد رفض بعض الفلاسفة أمثال الفارابي وأبو الحسن البلخي وعلي بن رضوان المصريّ وابن هيثم البصريّ عقيدة الرازي في هذه المسألة.

ترك الرازي بعض الكتب التي كانت تبعث على الجدل بين العلماء من أبرزها كتاب في النبوّات الذي أطلق عليه الآخرون "**نقض الأديان**" وكتاب في حيل المتنبّئين الذي أطلق عليه " **مخاريق الأنبياء**". طبعًا هذه الكتب غير موجودة إلّا أنّ أبا حاتم الرازي وناصر خسرو نقلا أفكارًا عنها تبيّن أنّه كان ينكر النبوّات.

لا يمكن تقديم رأي صريح في هذا الخصوص لعدم وجود كتب الرازي إلّا أنّه لا يمكن اعتباره من منكري النبوّات بل كان يخالف مدّعي النبوّة، بالأخصّ وأنّ الرازي يتحدّث بشكل صريح حول التوحيد والمعاد وأصالة وبقاء الروح، فكيف يمكن لمن يقبل هذه الأصول أن ينكر النبوّات؟

يضاف إلى ذلك أنّ الرازي ترك كتابًا هامًّا يحمل عنوان في **آثار الإمام الفاضل المعصوم** والذي دوّنه بناءً على الرؤية الشيعيّة للإمامة، وكذلك ترك كتابًا آخر يحمل عنوان **الإمام والمأموم المحقّين** الذي يظهر فيه ميوله الشيعيّة.

ليس بعيدًا أن يكون الرازي من علماء الشيعة؛ حيث كان يتعرّض أمثال هؤلاء العلماء من أصحاب هذا النمط الفكريّ إلى اتّهامات من قبيل الكفر والزندقة من قبل أعداء الشيعة. طبعًا لا يمكن إنكار أنّ للرازي اشتباهات وانحرافات ولكنّ ذلك لا يصل إلى مستوى إنكار النبوّات والشرائع.

عارض الرازي مجموعتين: الأولى الأشخاص الذين خالفوا أفكاره الفلسفيّة أمثال الفارابي والبلخي وابن هيثم، والثانية الذين خالفوا أفكاره



الدينيّة أمثال الإسماعيليّين.

## ٩٦. جاندارك

جاندارك أو الآنسة أورليان. ولدت عام ١٤١٢م ومعروفة بأنّها من أبطال فرنسا القوميّين وقدّيسة في الكنيسة الكاثوليكيّة.

تولّت قيادة الفرنسيّين في حرب المئة عام ضد الانجليز. أُسِرت بعد خيانة رئيس البلديّة في مدينة "كنبي يني" وبيعت إلى الانجليز، حوكمت بتهمة العمل ضدّ الكنيسة وأحرقت عام ١٤٣١. بعد مدّة من ذلك، أُعيدت المحاكمة حيث تمّ الإعتراف عام ١٤٥٦م بقداستها.

## ٩٧. غاندي

موهن دس غاندي - مهاتما بمعنى الروح الكبيرة-، القائد السياسيّ والأخلاق للهند، ولد عام ١٨٦٩م في عائلة متوسّطة من طبقة التجّار. والده رئيس حكومة محليّة ووالدته امرأة متديّنة حيث تركت هذه السجيّة أثرها في الولد. كان غاندي كوالديه بوذيًّا.

درس بداية في جامعة الهند، وتزوّج ولم يتجاوز عمره الثالثة عشر. بعد أن توفّي والده، تمكّن من إقناع والدته بالسماح له بالسفر إلى لندن لدراسة الحقوق بعد أن قطعت عليه عهدًا بعدم الاقتراب من النساء والشراب واللحوم. توجّه إلى لندن في سن التاسعة عشرة برفقة زوجته وأربعة أبناء حيث بدأ دراسة الحقوق.

بدأت التغيّرات تطال أخلاقه وروحيّته في الشهور الأولى، فأقبل على تعلّم الكمان وأساليب الخطابة... ثمّ تعرّف على أخوين متصوّفين تعلّم منهما بساطة العيش وأكل النباتات. عندما كان في لندن، بدأ مطالعة الآثار الدينيّة لمذهبه الدينيّ ثمّ طالع الأديان الأخرى بالأخصّ المسيحيّة والإسلام. وقد ترك كتاب **نور آسيا** لمؤلّفه أدوين آرنولد أثرًا كبيرًا بالأخصّ

ذاك الفصل المتعلّق برسول الإسلام (ص). وعندما انتهى من مطالعة الإنجيل كان يشهد تحوّلًا أخلاقيًّا كبيرًا.

أمّا حول كيفيّة تعاطيه مع الغرب، فكان له أسلوبان: الأوّل ظهر عليه في أيّام شبابه حيث جذبه الغرب فأقبل على التقليد، والثاني عندما بلغ سنّ الرشد الفكريّ ووسّع من مطالعاته حول الأديان والثقافة الشرقيّة، فخرج من قالب الإنسان العاديّ ليكون منظرًا للحياة الإنسانيّة.

في سنّ الرابعة والعشرين وبعد مدّة قصيرة على وفاة والدته، انتقل إلى جنوب أفريقيا للدفاع عن حقوق الهنود في تلك المنطقة. بعد ثلاث سنوات، رجع إلى الهند يحمل معه تجربة واسعة في المحاماة والدفاع عن المظلوم. في هذه المرحلة، كتب العديد من المقالات التي تتناول ما يقوم به الاستعمار في العالم الثالث ممّا أدّى إلى تعرّض الجنود له عدّة مرات بالضرب والسجن، لا بل حرّك الغضب الاستعماريّ الأوروبيّ ضدّه.

قرّر أن يجول في أرجاء الهند بالقطار ذي الدرجة الثالثة ليتعرّف على نفسيّات الناس وأوضاع حياتهم، وليتعرّف عن قريب على كيفيّة الحياة التي يعيشها أبناء الطبقة الثالثة وليطلع على حاجيّاتهم وما هي الضروريّة لتطوّرهم ورقيّهم.

تولّى في العام ١٩٢١م قيادة المؤتمر الوطنيّ الهنديّ. وفي هذه المرحلة، تمكّن من تعليم الناس أسلوب النضال غير المسلّح. كان يخاطب مواطنيه قائلًا: "ناضلوا في طريق الحقّ ولكن لا تلجأوا إلى القوّة عندها ستنجحون". بعد سنة من ذلك، بدأ إظهار آرائه الثوريّة فحرّم البضائع الأجنبيّة، واختار السكوت في مواجهة الاتّهامات الموجّهة إليه حيث اختار المقاومة السلبيّة، وفي هذه الأثناء حكم عليه بالسجن لمدّة ست سنوات.

أدّى مرض الأباندیس الذي أصيب به إلى إطلاق سراحه عام ١٩٢٤م لكن ساهمت المدّة التي قضاها في السجن في لجوئه لمطالعة آثار العلماء الكبار أمثال بيكن، كارلايل، راسكين، امرسون، تورو وتولستوي. بدأ

في العام ١٩٢٥م برنامج الصيام السياسيّ الذي امتدّ لمدّة سبعة أيّام اعتراضًا على أتباعه الذين لا يصغون ولا يتناقدون. ويعتبر العام ١٩٣٠م نقطة انعطاف هامّة في نضاله حيث دعى الشعب الهندي لرفض إعطاء حقّ الملح الحصريّ للإنجليز. وفي هذا الاعتراض، ظهرت القوّة الهنديّة حيث خرج الناس إلى الشوارع في مسيرات اعتراضيّة كبيرة. وقد اعتقل غاندي وبعض المعترضين الآخرين في هذا اليوم.

أطلق سراحه في العام نفسه فسافر إلى بريطانيا للمشاركة في مؤتمر. وفي هذا السفر، التقى برومن رولان وموسوليني. بعد ذلك بدأ العمل في الهند لتغيير الأذهان ودعوة الناس للثورة.

حاور الإنجليز مرّات عديدة حتّى العام ١٩٤٧ حول استقلال الهند حتّى تمكّن نهاية الأمر من الحصول عليه إلّا أنّ الخلافات الداخليّة بدأت في العام نفسه والتي أريد منها تقسيم البلد إلى قسمين: الهند وباكستان. حصل هذا التقسيم بعد مقتل الآلاف وتشريد عدد كبير آخر.

تمكّن غاندي في مدّة ٢٩سنة من تغيير سياسة الهند بالكامل إلّا أنّ شخصه لم يتغيّر حيث كان مصرًّا على أصوله الأخلاقيّة. لعب دورًا كبيرًا في القضاء على النزاعات بين أبناء شعبه الهند والمسلمين، وبرز دوره بشكل أكبر في الدعوة للعمل ضد الاستعمار.

لم يتحمّل أعداؤه وجوده فخطّطوا لقتله. في العام ١٩٤٨م، ألقوا قنبلة يدويّة على الغرفة التي كان يسكنها إلّا أنّها لم تصبه. وفي اليوم التالي، قام هنديّ متطرّف باغتياله. عندما هوى إلى الأرض نادى بكلمتين فقط "هه رام" (يا الله).

## ٩٨. نهرو

جواهر لال نهرو (١٨٨٩-١٩٦٤م) الذي يطلق عليه عنوان "المعلّم"، واحد من كبار قادة "حركة الاستقلال" و"المؤتمر الوطنيّ" في الهند.

انتخب في العام ١٩٤٧م أوّل رئيس حكومة في هذا البلد، فبقي في هذا المنصب حتّى نهاية عمره. قبل استقلال الهند، بقي نهرو ما يقرب من عشر سنوات غير منتظمة ينتقل بين السجون. تمكّن بعد وصوله لرئاسة الحكومة وبمساعدة أصحابه من إيجاد قوانين جديدة لبناء المجتمع الهنديّ ومن أبرزها: إلغاء النظام الطبقيّ. يعتبر نهرو و "أحمد سوكارنو" و "المارشال تيتو" و "جمال عبد الناصر" من مؤسّسي "حركة عدم الانحياز". وقد صادف تأسيس الحركة مع حوادث ٢٨ من مرداد ١٣٣٢ش في إيران. وفي أوّل جلسة للحركة أرسل نهرو تحيّاته لمصدّق الذي كان في السجن.

## ٩٩. مولانا محمّد علي ومولانا شوكت علي

مولانا محمّد علي (١٨٧٨-١٩٣١م) ومولانا شوكت علي (١٨٧٣-١٩٣٨م)، أخوان ومن أبرز علماء الشيعة في الهند. تعاونا مع غاندي في مسألة النضال ضدّ الاستعمار. عملا بشكل حثيث على موضوع الوحدة بين المسلمين والهنود.

## ١٠٠. جناح

ولد محمّد علي جناح عام ١٨٧٦م في كراتشي. دخل في العام ١٨٩٢م جامعة لينكولن، وتخرّج محاميًا بعد أربع سنوات. امتاز بهمّته وانضباطه الفكريّ ممّا ساهم في صعوده إلى مراكز السلطة. دخل عالم السياسة عام ١٩٠٥م.

عندما دخل محمّد علي جناح المؤتمر الوطنيّ الهنديّ تحوّل دور المؤتمر من مدافع عن البريطانيّين إلى مخالف لهم. وكان المسلمون قد أسّسوا حزبًا لهم تحت اسم "مسلم ليك"، فعمل هذان الحزبان في سبيل استقلال البلد.

كان جناح رجلًا عالمًا بعيدًا عن العصبيّات المذهبيّة والقوميّة لذلك كان



أفضل ممثّل لاتحاد المسلمين والهنود. عندما دخل غاندي عالم السياسة عام ١٩١٨م، دخل حزب المؤتمر وطرح فكرة المقاومة السلبيّة إلّا أنّ محمّد علي جناح خالف ذلك. لم يختلف جناح وغاندي حول المسائل العقائديّة، بل اختلفا في أسلوب العمل.

وكان جناح قد تحدّث سابقًا مع إقبال اللاهوري حول تأسيس بلد مسلم ومستقلّ تحت اسم باكستان. بعد العام ١٩٤٠م، بدأ جناح البحث الاستدلاليّ العلنيّ حول هذه المسألة. في العام ١٩٤٧م، حصلت مذابح كبيرة بين المسلمين والهنود ولم تتمكّن الأحزاب من تهدئة الأجواء. في النهاية، وافق غاندي على استقلال باكستان للحؤول دون إراقة دماء أكثر. وافق "مونت باتن" نائب السلطنة الانجليزيّ على المسألة فحصلت باكستان على استقلالها عام ١٩٤٧م. بقي جناح حوالي ١٣ شهرًا على رأس الحكومة الباكستانيّة، حدّد خلالها سياسة الحكومة الخارجيّة. حاول جناح جاهدًا حلّ مسألة كشمير وإيجاد العلاقات الحسنة مع الهند. توفّي جناح عام ١٩٤٨م.

كان شديد التقيّد بالقوانين الإسلاميّة حتّى أنّه جعل ذلك شعار الحكومة الباكستانيّة. كان يعتقد بأنّ الإسلام ليس دينًا فرديًّا بل ذو أبعاد إنسانيّة واجتماعيّة. كان يتطلّع إلى حكومة إسلاميّة وديموقراطيّة.

### ١٠١. السيّد ضياء

ولد السيّد ضياء الدين الطبطبائي صيف العام ١٢٦٨ش في شيراز. والده "السيّد علي آغا اليزدي" الذي التحق بثوّار الحركة الدستوريّة فنفاه محمّد علي شاه القاجاري إلى مدينة ساري. كان السيّد ضياء الدين حادًّا أكثر من والده ومن أكثر المدافعين عن الدستوريّة.

يعتبر السيّد ضياء من أوائل الذين ألقوا القنابل على منازل المخالفين للحركة الدستوريّة. شارك في المواجهات العسكريّة التي بدأتها الحركة

الدستوريّة في طهران، والتي طلبوا فيها من الشاه القبول بما يريدون.

كان من الماهرين في الصحافة والنشر لذلك حاول الانجليز الاستفادة منه. شارك ممثّلًا للصحف الإيرانيّة في تتويج ملك بريطانيا، جورج الخامس، وبعد عودته إلى إيران نشر صحيفة مشهورة "رعد".

ظهر السيّد ضياء في كتاباته أنّه من أبرز المفكّرين التنويريّين المدافعين عن المصالح الانجليزيّة. دافعت صحيفته بشكل علنيّ عام ١٩١٩ عن مسألة تحويل إيران إلى مستعمرة بريطانيّة.

لم يكتفِ السيّد ضياء بالعمل الصحفيّ للدفاع عن الانجليز، بل شكّل لجنة عرفت بـ"كميّة آهن" وظيفتها ملاحقة اتفاقيّة ١٩١٩ التي تندرج في إطار المطامع البريطانيّة.

عمل الشهيد مردس بشكل جاد على إسقاط اتفاقيّة ١٩١٩، لذلك بدأ السيّد ضياء يفكّر بأسلوب آخر للدفاع عن الانجليز. وترافق ذلك مع سقوط القياصرة في روسيا. بدأ البريطانيّون يفكّرون بشكل جاد في التعويض عن تلك الاتفاقيّة، لذلك خطّطوا لانقلاب الثالث من اسفند.

وبعد الانقلاب، أصبح السيّد ضياء رئيسًا للوزراء وألّف حكومة. وقد اشتهرت حكومته بالحكومة السوداء حيث اعتقل أعدادًا كبيرة من مخالفيه. عاشت حكومته مدّة ٩٦ يومًا فقط. وفي هذه المدّة، أغلق الكثير من الصحف وألقي بعض الشخصيّات والوزراء السابقين في السجون من جملتهم مصدّق الذي كان يشغل في تلك المرحلة مسؤوليّة محافظة فارس.

أمّا حول أسباب سقوط حكومته؛ فقد قيل الكثير لكنّ المعروف أنّ حرب السلطة بين رضا خان والسيّد ضياء وترجيح الانجليز لرضا خان أدّى إلى سقوط تلك الحكومة.

انتقل السيّد ضياء إلى جنيف بعد الاستقالة. كان يملك مزرعة في غزّة في فلسطين. اختير عام ١٣١٠ رئيسًا للأمانة العامّة للمؤتمر الإسلاميّ في القدس. اتّهم أثناء سكنه في فلسطين بشراء الأراضي من الفلسطينيّين

وبيعها للصهاينة.

عاد إلى إيران عام ١٣٢٢ش، وأصبح ممثّلًا لمدينة يزد في المجلس حيث كان الدكتور مصدّق الممثّل الأوّل لأهالي طهران والذي حاول الاعتراض على وجوده واتّهمه بالعمالة للبريطانيّين. أسّس السيّد ضياء حزب "الإرادة الوطنيّة" للدفاع عن المصالح البريطانيّة.

عاش منذ أواسط ١٣٣٠ش إلى آخر عمره في مزرعته في منطقة سعادت آباد في طهران. توفّي عام ١٣٤٨ش على إثر إصابته بسكتة قلبيّة، ودفن في حرم عبد العظيم في مدينة ري.

### ١٠٢. نادر شاه

ينتسب نادر شاه إلى قبيلة أفشار، كان يطلق عليه بداية نادر قلي. عندما هاجم الأفغان والروس والعثمانيّون أطراف إيران أواخر العهد الصفويّ، توجّه نادر شاه مع عدد من الفرسان حيث التحموا مع طهماسب الصفويّ وتمكّنوا من إخماد الفتن الداخليّة وطردوا الأفغان. أصيب طهماسب بالحسد لما كان يتمتّع به نادر شاه من موقع بين الناس، لذلك جهّز جيشًا كبيرًا لمهاجمة العثمانيّين ممّا أدّى إلى مقتل آلاف الجنود الإيرانيّين وهرب هو من المعركة.

أمّا نادر شاه فجهّز جيشًا واتّجه نحو غرب إيران فدخل قلب الامبراطوريّة العثمانيّة فأضاف إلى إيران العديد من المدن. وقد وصل الأمر به إلى أن اتّجه نحو القوقاز التي كانت تحت سيطرة الروس. اتّجه عام ١١٤٨ق إلى منطقة دشت مفان، واجتمع مع كبار القوم، ريش سفيدان، الذين أعلنوا لياقته للملكيّة.

وجّه تهديدًا إلى الهند ثلاث مرّات لتسليم ٨٠٠ أفغانيّ شاركوا في قتل الإيرانيّين، ولمّا لم يستجب الهنود، دخل منطقة السند وأعدم ٨٠٠ معتديًا أفغانيًا. منح نادر شاه الحكومة للملك الهنديّ محمّد كوركاني معتبرًا أنّه

لم يأتِ معتديًا، بل أتى لأنّه لا يتخلّى عن حقوق شعبه.

بقي نادر شاه مدّة ١٢ سنة في السلطة. أصبح في أواخر حياته عصبيًّا شكّاكًا إلى درجة أنّه ألحق العمى بابنه وقتل الكثير من القريبين منه. قُتل عام ١١٦٠ق على يدي بعض قادة جيشه. بعد نادر شاه، تولّى الملكيّة كريم خان زند الذي كان واحدًا من قادة الجيش فأسّس سلالة الزنديّة.

## ١٠٣. الآغا محمّد خان

ولد الآغا محمّد خان عام ١١٢١ش في منطقة بين ساري وجورجان. أقيم حفل تتويجه في ساري عام ١١٦١ش. وتوفّي عام ١١٧٧ش في شوشا.

في العام ١١٥٧ش، كان الآغا محمّد خان مشغولًا بالصيد في باستين شيراز عندما أخبرته عمّته بموت كريم خان زند، فأسرع الحضور إلى طهران ومنها إلى ورامين حيث ادّعى السلطنة على إيران. ثمّ انتقل إلى ساري حيث ساعدته بعض المجموعات في إسقاط الزنديّة وإعلان الملكيّة للقاجار. في البداية، أخضع الولايات الآتيّة لحكمه: جورجان، مازندران وجيلان. عمل على إخضاع إخوته لحكمه فتوجّه لمحاربتهم. بعد ذلك، سيطر على آذربيجان وكرمانشاهان.

سيطرت النزاعات على وارثي الحكومة الزنديّة. وفي النهاية، تمكّن لطفعلي خان زند وبمساعدة الحاج إبراهيم خان كلانتر الشيرازي من الجلوس على كرسي الملك. استمرّت الحرب بين الآغا محمّد خان ولطفعلي خان زند مدّة خمسة عشر عامًا. ثمّ تمكّن الآغا محمّد خان من التغلّب عليه بعد أن زاد من قدرته العسكريّة، وبعد أن فتحت له أبواب شيراز السريّة بمساعدة الحاج إبراهيم خان كلانتر. هرب لطفعلي خان زند إلى كرمان. في العام ١١٧٢ش جهّز الآغا محمّد خان جيشًا كبيرًا اتّجه به نحو كرمان.

تمكّن من إلحاق الهزيمة بلطفعلي زند، وترك مذابح كبيرة بحقّ أهالي تلك المنطقة. قام الآغا محمّد خان باقتلاع أعين أعداد كبيرة من أهالي



كرمان وقتل أعدادًا أخرى بشكل غريب. يقول البعض أنّه أمر بإيجاد مرتفع من الأعين المنزوعة، وقيل أنّ عدد من اقتلعت عيناه بلغ ٧٠ ألف شخص. ترك الآغا محمّد خان جنوده أحرارًا في المدينة وسمح لهم القيام بما يحلو لهم فيها. أمّا لطفعلي خان زند، فقد اقتلع عيناه بداية ثمّ قتله بشكل مفجع. وبهذا النحو، انتهت سلالة الزنديّة، وبدأت سلالة أخرى هي القاجار التي تحمل الإيرانيّون في عهدها أشدّ المصائب.

## ١٠٤. كيم روزفلت

ولد كرميت روزفلت، المعروف بكيم، عام ١٩١٦م في بونيس آيرس في الأرجنتين. وهو حفيد تيودور روزفلت رئيس جمهوريّة أمريكا السادس والعشرين. أنهى دراسته الجامعيّة في جامعة هارفرد فحصل على شهادة دكتوراه، ثمّ اشتغل بتدريس التاريخ. قيل أنّه كتب أطروحة حول "الفنون الإعلاميّة في الحرب الداخليّة البريطانيّة". لذلك كان عارفًا بطرق مواجهة الأزمات الداخليّة للبلد. عندما بدأت الحرب العالميّة الثانية، أسّس فرانكلين روزفلت أوّل منظمة أمنيّة أمريكيّة، كان كيم حينها يبلغ الخامسة والعشرين من العمر حيث بدأ العمل مع المنظّمة الأمنيّة، كان ذلك في العام ١٩٤١م.

يتحدّث كرميت روزفلت ويقول أنّ من أوائل المسائل التي بدأ البحث حولها كانت تاريخ إيران المعاصر. عندما تمّ تأسيس دائرة الخدمات الاستراتيجيّة (أ.أس. أس) عام ١٩٤٢م كان روزفلت من الأوائل الذين انتقلوا إليها، فتولّى دائرة الشرق الأوسط. في العام ١٩٤٤م، قام بأوّل زيارة إلى إيران. يقول روزفلت أنّه بعد هذه الرحلة تمّ إرساله إلى إيطاليا إلّا أنّ الشرق الأوسط أكثر جاذبيّة من إيطاليا.

في صيف عام ١٩٤٧م، دخل روزفلت طهران وكانت حوادث آذربيجان في أوجّها، التقى محمّد رضا خان شاه، وانتقل مباشرة للجنوب للقاء قبائل

القشقائي. بعد هذه الرحلة، انتشرت في الصحف الأمريكيّة مجموعة من التقارير حول القبائل القشقائيّة موثقة بالصور.

في العام ١٩٤٧م، تمّ تأسيس الجهاز الأمنيّ الأمريكيّ (CIA)، فكان روزفلت واحدًا من العاملين فيه. في العام ١٩٤٨م، سُمح للـCIA بشكل رسميّ التخطيط لعمليّات عسكريّة لذلك تمّ تأسيس دائرة العمليّات فيها، فكان روزفلت من الأركان الأساسيّة لهذه الإدارة. تولّى دائرة الشرق الأوسط واستقرّ في بيروت حيث عمل أستاذًا للتاريخ في الجامعة الأمريكيّة في بيروت. في هذه المدّة، مارس أعماله الأمنيّة تحت غطاء ثقافيّ حيث تولّى رئاسة لجنة الأمريكيّين أصدقاء الشرق.

بتاريخ ١٦تير١٣٣٢ش، دخل روزفلت إيران عبر الحدود العراقيّة بجواز سفر مزوّر حيث كان يحمل اسم جيمز ف لاكريج، وذلك لقيادة التآمر الأمريكيّ والانجليزيّ في ٢٨مرداد١٣٣٢ش. وبما أنّ روزفلت كان ذو سوابق كبيرة في العمل في إيران والشرق الأوسط لذلك تمكّن في ٢٨ مرداد من إيصال محمّد رضا خان شاه البهلويّ إلى السلطة. وبالتالي، فإنّ محمّد رضا خان مديون له في وصوله إلى العرش.

في العام ١٩٥٨م، ابتعد روزفلت عن العمل الأمنيّ بعد ١٧ سنة قضاها في هذا العمل، وبدأ بآخر في واحدة من أكبر خمس شركات نفطيّة كبيرة في العالم. لعب دورًا كبيرًا في صفقات السلاح الكبيرة التي عقدها الشاه مع أمريكا بين العام ١٣٤٣ والعام ١٣٥٧ش.

بعد انتصار الثورة، أصدر كتابًا بيّن فيه أسباب حصول انقلاب ٢٨ مرداد في إيران، فأوضح أنّ ذلك كان للحؤول دون سيطرة الشيوعيّين. توفّي عام ٢٠٠٠م.

## ١٠٥. عبد الله بن عمر

عبد الله بن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني، ولد في السنة التي كانت

فيها البعثة أو قبل ذلك بقليل في مكّة. عندما رافق الذين هاجروا من مكّة إلى المدينة كان صغيرًا. حضر حرب الخندق لأوّل مرّة ثمّ شارك بعد ذلك في معارك متعدّدة من أبرزها مؤتة. كذلك شارك في بعض الحروب التي خاضها الخلفاء أمثال حرب اليرموك وفتح أفريقيا.

يعتبره أهل السنّة من كبار علماء الحديث، ويستندون إلى كلامه في الأمور الفقهيّة إلّا أنّه كان يهتمّ بسنّة والده أكثر من اهتمامه بسنّة رسول الله (ص). عندما وصل الإمام علي (ع) إلى الخلافة كان عبد الله بن عمر من الأشخاص القلائل الذين لم يبايعوه، بل اعتبر أنّ بيعة علي فتنة. وبعد ذلك، امتنع عن مساعدة الإمام علي (ع) في الجمل وصفين والنهروان، وقيل أنّه ندم فيما بعد على ذلك.

يكفي في جهل عبد الله بن عمر أنّه لم يبايع عليًّا بينما بايع معاوية. وعندما وصل الحجّاج بن يوسف إلى مكّة مرسلًا من قبل عبد الملك بن مروان، لقيه عبد الله بن عمر ليلًا، وقال له: سمعت عن رسول الله أنّه من مات وليس له إمام فقد مات ميتة جاهليّة. ثمّ طلب منه أن يمدّ يده ليبايعه باعتباره رسول عبد الملك. كان الحجّاج يعرف أنّ عبد الله يتحدّث بهذه الأمور انطلاقًا من خوفه لذلك نعته بالأحمق وأهانه ومدّ له رجله من تحت اللحاف ليبايعه برجله لأنّه يصعب عليه مدّ يده. بعد ذلك، قُتل عبد الله بن عمر بأمر من الحجّاج عام ٧٣ق عن عمر ٨٣ سنة.

## ١٠٦. ايزابيل آلنده

ولدت ايزابيل آلنده عام ١٩٤٢م في البيرو. والدها "توماس آلنده" ابن عم سلفادور آلنده رئيس جمهوريّة تشيلي. اتّسمت أغلب رواياتها بالواقعيّة.

في العام ١٩٨١م، بدأت كتابة رسائل إلى جدّها المريض، فانتهى بها الأمر إلى روايتها الكبيرة **بيت الأرواح**.

كتبت رواية **يائولا** عام ١٩٩١م ويائولا اسم ابنتها التي أُصيبت بالكوما

بعد أن حصل اشتباه في إعطائها الدواء. ترجمت رواياتها إلى أكثر من ثلاثين لغة. من جملة رواياتها: **بيت الأرواح، عن العشق والظلال، يائولا...**

هربت إلى فنزويلا عام ١٩٧٣م بعد الانقلاب الذي قاده بينوشه على أساس أنّها من أقارب سلفادور آلنده، فبقيت هناك ١٣ سنة.

حصلت في العام ٢٠٠٣م على الجنسيّة الأمريكيّة، وتعيش الآن في سان فرانسيسكو.

### ١٠٧. سلفادور آلنده

سلفادور آلنده سياسيّ ماركسيّ ومن مؤسّسي الحزب الاشتراكيّ في تشيلي. كان رئيسًا للجمهوريّة منذ العام ١٩٧٠م حتّى العام ١٩٧٣ بعد مقتله إثر الإنقلاب الذي حصل في الحادي عشر من سبتمبر ١٩٧٣. وهو أوّل رئيس جمهوريّة ماركسيّ يصل الحكم بآراء ديمقراطيّة.

قبل وصوله إلى رئاسة الجمهوريّة، حصل على رتب ومقامات متعدّدة حيث كان سيناتورًا وممثّلًا في المجلس ووزيرًا. كان سلفادور طبيبًا لذلك عمل وزيرًا للصحّة.

### ١٠٨. العلّامة الحلّي

ولد حسن بن يوسف الحلّي عام ٦٤٨هـ.ق. في مدينة الحلّة، وعرف فيما بعد بآية الله العلّامة الحلّي. والدته امرأة محصنة عفيفة، ووالده الشيخ يوسف سدير الدين من أبرز علماء وفقهاء عصره. تلقّى علومه الأولى والمقدّمات والمبادئ في سن مبكرة جدًّا لذلك أطلق عليه في طفولته لقب جمال الدين.

درس في الحلّة عند مجموعة من عظماء الفقهاء والمتكلّمين والفلاسفة، فحصل على إجازة الاجتهاد ونقل الحديث. أمّا أبرز أساتذته: الشيخ يوسف سديد الدين (والده)، المحقّق الحلّي، الخواجة نصير الدين



الطوسي، السيّد رضيّ الدين علي بن طاووس، السيّد أحمد بن طاووس، يحيى بن سعيد الحلّي وغيرهم.

ظهر نبوغه في وقت مبكر في علوم متعدّدة أبرزها الفقه والحديث والكلام والفلسفة وأصول الفقه والمنطق والرياضيّات والهندسة. وانتشر خبره في أغلب المدن الأخرى وأصبح الجميع يطلق عليه لقب "العلّامة". بعد رحيل المحقّق الحلّي عام ٦٧٦ق زعيم ومرجع الشيعة، لم يجد طلّابه سوى العلّامة الحلّي يحمل لياقة المرجعيّة. كان ذلك في وقت لم يتجاوز فيه عمر العلّامة الحلّي أكثر من ٢٨ سنة. من هنا، أطلق عليه لقب "آية الله" وهو ما يزال صغير السنّ. والجدير بالذكر أنّ هذا اللقب كان يطلق عليه فقط.

ترك العلّامة الحلّي الكثير من الكتب القيّمة في مختلف المجالات الفقهيّة والأصوليّة والكلاميّة والرجاليّة والتفسيريّة والفلسفيّة والأدبيّة. توفّي العلّامة الحلّي عام ٧٢٦ق، وشيّع جسده الطاهر في النجف ودفن إلى جوار مقام الإمام علي (ع).

### ١٠٩. الشيخ نصر الله الخلخالي

المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي ممثّل آية الله البروجردي في العراق. وقد شيّد مدرسة آية الله البروجردي الكبيرة في النجف وحسينيّة آية الله البروجردي في كربلاء وسامراء.

يعتبر المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي من أبرز الوجوه المعروفة في الحوزات العلميّة في العراق، وكان محور الكثير من أمور الحوزات. كان على اتّصال دائم بالإمام (قده) قبل الإبعاد إلى العراق، لذلك وبعد إبعاد الإمام الخميني (قده) إلى العراق عمل بشكل جديّ لنصرته والدفاع عنه، ولعب دورًا هامًّا في الترويج لمرجعيّة الإمام (قده) بعد وفاة آية الله الحكيم في الهند وباكستان وأفغانستان والحجاز.

بالإضافة إلى ذلك، أصبحت مدرسة آية الله البروجردي الكبيرة في النجف المكان الأساس لأتباع الإمام ومحلّ إقامتهم حتّى أنّ الإمام كان يصلّي المغرب فيها. وعندما كان الإمام يزور كربلاء كان يقيم الجماعة في حسينيّة آية الله البروجردي. لعب دورًا محوريًّا أيضًا في نقل الأموال الشرعيّة من إيران ومن شيعة العالم إلى النجف وأوجد الحقوق الشهريّة لطلّاب العلم في الحوزات.

## ١١٠. البروجردي

والد آية الله الحاج حسين البروجردي العلّامة الحاج السيّد علي الطبطبائي، أحد كبار علماء ومراجع الشيعة في القرن الرابع الهجريّ. انتهت إليه زعامة ومرجعيّة الشيعة في العالم ورئاسة حوزة قم العلميّة بعد وفاة آية الله الأصفهاني.

ولد المرحوم آية الله البروجردي عام ١٢٩٢ق في مدينة بروجرد، وتوجّه منذ طفولته إلى تحصيل العلوم الدينيّة. بعد الانتهاء من المقدّمات، انتقل إلى دار العلم في أصفهان حيث كان آنذاك في عمر الثامنة عشر. درس سطوح الفقه والأصول والأدب العربيّ على أيدي أساتذة من أمثال أبو المعالي، السيّد مدرّس وآية الله درتشه. ودرس الحكمة والفلسفة والكلام والمنطق عند الحكيم القشقائي والحكيم الكاشاني. انتقل إلى النجف الأشرف بعد ثماني سنوات من الإقامة في أصفهان.

درس المرحوم البروجردي في النجف على أيدي علماء كبار أمثال الآخوند الخراساني، العلّامة اليزدي، الآغا شريعت الأصفهاني عليهم الرحمة، ووصل إلى مرتبة الاجتهاد في العلوم العقليّة والنقليّة. وفي سنّ الثلاثين أصبح في رديف أساتذة الحوزة في النجف الأشرف.

وبعد عشر سنوات من الإقامة في العراق، رجع المرحوم البروجردي عام ١٣٢٨ق إلى بروجرد فعمل لمدّة ثلاثين سنة في التبليغ والتدريس والتأليف.

أصبح بعد مدّة من أبرز أساتذة الحوزة في قم إلّا أنّ الإقامة فيها لم تستمرّ طويلًا حيث رجع إلى موطنه.

في العام ١٣٦٣ق، مرض المرحوم البروجردي وعولج في مستشفى فيروز آبادي في مدينة ري، وبعد تحسّن وضعه الصحيّ اقترح عليه العلماء والأفاضل الإقامة في قم حيث أصبح على رأس أساتذة الحوزة العلميّة بعد وفاة آية الله الحائري، كان ذلك في العام ١٣٦٤ق.

أقام المرحوم البوجردي قرابة ١٦ سنة في قم، عمل فيها لخدمة الحوزة العلميّة والإرتقاء بها فوصل شعاعها إلى كافّة أنحاء العالم.

وفي أيّام المرحوم البروجردي، أصدر الشيخ شلتون رئيس جامعة الأزهر فتواه القاضية بالإعتراف بالمذهب الجعفريّ إلى جانب المذاهب الأربعة.

كتب المرحوم البروجردي ضمائم على الكتب الآتيّة: **فقه الصدّوق، التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي، الخصال والرجال والآمالي وعلل الشرائع**. وكتب حاشيّة على **كفآية الآخوند الخراساني** وحاشيّة على **نهآية الطوسي**، وترك دورة كاملة من الأبحاث الفقهيّة. وفي عهده، انتشرت الرسالة العمليّة لتوضيح المسائل بين المقلّدين وذلك بعد الاهتمام بها لناحية الأسلوب.

توفّي آية الله البروجردي في شوّال عام ١٣٨٠ق عن عمر تسعين سنة على أثر إصابته بعارض قلبيّ، ودفن إلى جانب المسجد الأعظم.

### ١١١. المرحوم ربّانيّ الشيرازي

ولد آية الله عبد الرحيم ربّانيّ الشيرازي، ابن الحاج مهدي عام١٣٠٢ش. درس بداية في الكتاتيب ثمّ انتقل إلى الحوزة العلميّة في شيراز. انتسب أيّام شبابه إلى حزب "الأخوّة" الذي كان يقوده آية الله السيّد نور الدين الحسينيّ والذي كان هدفه مواجهة المستعمرين الأجانب وعملائهم في الداخل. ثمّ انتقل إلى المدرسة العلميّة للآغا باباخان بهدف إكمال

معلوماته الدينيّة.

درس في قم عند آية الله السيّد البروجردي فكان حضوره واضحًا ولافتًا، بحيث كان الجميع يسأل عنه إذا لم يحضر. لا بل كان آية الله البروجردي يسأل عنه من بين باقي الطلّاب. أمّا سبب اهتمام أستاذه به فهو بسبب النقد العلميّ والدقيق الذي كان يوجهه له.

لم تكن قدرته العلميّة هي الأمر الوحيد اللافت في شخصيّته بل امتاز أيضًا بروحه الدينيّة وفكره العميق وتقواه الشديدة. وقد بلغ اهتمام الأستاذ به إلى مستوى أنّه يرسله في مهام إلى المدن الأخرى بعد تأسيس مركز فقهيّ جديد يهدف إلى إحياء وسائل الشيعة لجهة التصحيح والتعليق والطباعة، ثمّ افتتح المركز الذي حمل عنوان "فقه الحديث" واختير آية الله ربانيّ واحدًا من ثلاثة أشخاص عملوا في هذا المشروع. وبالإضافة إلى ذلك لعب دورًا هامًّا في تدوين كتاب **جامع الحديث**.

وبما أنّ آية الله ربّانيّ أبرز قوّة وعمقًا في تصحيح كتاب **وسائل الشيعة**، لذلك طُلب منه المساعدة في تصحيح كتاب **بحار الأنوار** حيث تمكّن من إنجاز ٤٠ مجلّدًا منه.

بدأت المواجهة بين آية الله ربانيّ الشيرازي ورضا شاه على أثر مؤامرة كشف الحجاب. قرّر آية الله ربانيّ استخراج كافّة الآيات والروايات التي تدلّ على لزوم الحجاب، ثمّ تمّ تدوين هذه الآيات والروايات ونصبت عند المعابر.

بعد وفاة آية الله البروجردي، اطّلع آية الله ربّانيّ على محاولة الشاه نقل المرجعيّة من إيران إلى العراق فأوقف البحث والدرس ودخل عالم النضال السياسيّ. وعندما طرح الإمام الخميني (قده) مسألة الحكومة الإسلاميّة عام ١٣٤٩هـ.ش.، بدأ آية الله ربّانيّ تنظيم العلماء وإرسالهم إلى مختلف المدن للتبليغ وإعداد الكوادر الضروريّة للحكومة القادمة.

وفي أجواء النضال السياسيّ، ارتبطت مجموعة أبو ذرّ بآية الله ربّانيّ



وقد اعتقل ستين من أعضاء المجموعة وأعدموا في الثلاثين من بهمن عام ١٣٥٢هـ.ش.، وعلى أثر ذلك، تمّت محاصرة منزل آية الله ربّانيّ في قم، ومن ثمّ اعتقاله أمام أعين عائلته.

لم يتمكّن السافاك من إجبار آية الله ربّانيّ على الاعتراف أو الحصول على مستمسك ضدّه لذلك نقلوه إلى سجن القصر فحكم عليه بالسجن لمدّة ثلاث سنوات وشهر.

وبما أنّ آية الله ربّانيّ لا يعرف مكانًا وزمانًا للنضال، ففور دخوله السجن، بدأ إقامة صلاة الجماعة. أدرك السافاك خطر ما يقوم به آية الله ربّاني بالأخصّ تشجيعه السجناء على إقامة صلاة الصبح في أوّل الوقت، لذلك تمّ نقله إلى السجن الانفراديّ.

لم يهدأ آية الله ربّانيّ بعد انتصار الثورة، أرسله الإمام الخميني (قده) عام ١٣٥٨ش لحلّ النزاعات الداخليّة التي حصلت في كردستان. ثمّ ذهب إلى آذربيجان لحلّ مسائل حزب الأمم المسلمة الذي قاده شريعتمداري.

ثمّ أصدر الإمام حكمًا بإرسال آية الله ربّانيّ إلى فارس لحلّ المشاكل التي نشبت فيها.

مثّل أهالي محافظة فارس في مجلس خبراء القيادة وعيّنه الإمام واحدًا من فقهاء مجلس صيانة الدستور.

امتاز بمواقفه الصلبة، فتربّص به الأعداء، وحاولوا اغتياله مرّات عديدة حيث أصيب عام ١٣٦٠ش برصاصة في رقبته.

أواخر العام ١٣٦٠هـ.ش. وأثناء انتقاله من شيراز إلى طهران للمشاركة في جلسات مجلس صيانة الدستور، انحرفت سيارته عن المسير في الطريق بين دليجان ومحلّات بسبب تمزّق الإطارات. نُقل آية الله ربّانيّ إلى المشفى إلّا أنّه لم يلبث أن فارق الحياة.

## ١١٢. المرحوم ربّانيّ آملشي

ولد آية الله ربّانيّ آملشي في النصف من شعبان عام ١٣١٣هـ.ش. والده أبو المكارم من أهالي قرية أملش في جيلان.

بعد انتهائه من تحصيل المقدّمات، انتقل إلى مدينة قم لمتابعة دراسته. درس عند مجموعة من الأساتذة من أبرزهم آية الله البروجردي والإمام الخميني (قده). عمل بشكل جاد بعد وفاة آية الله البروجردي على نشر وتوزيع رسالة الإمام (قده). وقد أجاز له الإمام نشر رسالة "**نجاة العباد**" التي قام مع بعض أصدقائه بإعدادها.

تعرّف أثناء سفره إلى كربلاء على الإمام القائد الخامنئي فنشأت بينهما صداقة قويّة استمرّت حتّى نهاية عمره. سافر إلى مدينة آملش للتبليغ عام ١٣٤٢هـ.ش. وصادف ذلك بروز حوادث ١٥خرداد ممّا حدا به إلى الحديث ضدّ النظام بشكل حاد. وعلى أثر ذلك اعتقله السافاك مع والده.

في الذكرى الأولى لحادثة ١٥خرداد، أرسله الإمام إلى كاشان حيث تحدّث في المناسبة وتهجّم على نظام الشاه الذي اعتبره شبيهًا بحكومة يزيد والشمر. عند ذلك، أسرع عناصر السافاك إلى محاصرة المجلس الذي كان يتحدّث فيه. اقترح عليه بعض أصدقائه تغيير ملابسه والخروج من المجلس إلّا أنّه رفض ذلك ممّا أدّى إلى اعتقاله. بقي في السجن حتّى ١٣مرداد ١٣٤٣هـ.ش..

أصبح أواسط العام ١٣٤٣هـ.ش. إمامًا لمسجد بازار طهران باقتراح الشيخ غلا محسين جعفري همداني. اعتُقل في شهر دي من العام نفسه بسبب الخطابات التي كان يلقيها بعد الصلاة. اعتقل مرّة أخرى عام ١٣٥١هـ.ش. مع الشيخ محمّد علي كرامي والشيخ محمّد يزدي وأحمد جنّتي بتهمة تهديدهم الأمن الوطنيّ.

عملت الحكومة البهلويّة في مرداد عام ١٣٥٢هـ.ش. على إبعاد ٣٠ من

العلماء، أتباع خط الإمام إلى المناطق البعيدة، فأُبعد آية الله ربّانيّ آملشي لمدّة ثلاث سنوات إلى شوشتر في خوزستان ثمّ أُبعد بعد ذلك إلى منطقة فردوسي في خراسان.

عمل آية الله ربّانيّ في خراسان على إقامة صلاة الجماعة، فارتفع عدد المصلّين من ٣٠ إلى ٣٠٠. رجع بعد انتهاء فترة الإبعاد إلى قم، فعاود نشاطه ضدّ النظام الظالم وذلك من خلال الخطابات الحادّة التي كان يتوجّه بها إلى النظام، وقد برز ذلك بشكل لافت أثناء شهادة السيّد مصطفى الخميني.

أقيم عام ١٣٥٨هـ.ش. في قم مراسم أربعين ابن الإمام، فانطلقت تظاهرة كبيرة في المدينة تؤيّد الإمام وتندّد بالشاه وتكرّرت المظاهرة بعد ظهر ذلك اليوم. في اليوم التالي، اعتقله السافاك بتهمة تحريضه على التظاهر فتمّ إبعاده إلى مدينة بابك في محافظة كرمان.

أدّى نشاطه المتزايد في المدينة إلى قيام رئيس السافاك في كرمان بالطلب من دائرة السافاك نقل آية الله ربّانيّ أملشي إلى مدينة أخرى، فتمّ نقله بتاريخ ١٩خرداد١٣٥٧هـ.ش. إلى مدينة جيرفت. استقبله الناس فيها استقبالاً منقطع النظير وأصبح منزله مكان إقامة الجماعة ومركز الوعظ والخطابة وتوزيع بيانات الإمام الخميني (قده). أُجبر النظام في الأيّام القريبة من انتصار الثورة على إلغاء الحكم الصادر بحقّه، فرجع آية الله ربّانيّ إلى قم.

بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، أرسله الإمام على رأس وفد إلى جيلان ومازندران للإطلاع على أمور الناس والمساعدة في حلّ مشكلاتهم. أصبح ممثّلًا لأهالي كيلان في مجلس خبراء القانون الدستوريّ، وعيّنه الإمام قدّس سرّه في العام ١٣٥٩هـ.ش. عضوًا في مجلس الثورة الثقافيّة.

وبعد شهادة آية الله بهشتي، تولّى منصب المدّعي العام ثمّ عضوًا في شورى القضاء العليا. وقبل ذلك شغل منصب رئيس الشعبة الأولى في

محكمة الثورة. عيّنه الإمام قدّس سرّه عام ١٣٦١هـ.ش. في مجلس صيانة الدستور كواحد من الفقهاء.

يُعتبر آية الله ربّانيّ آملشي من مؤسّسي جامعة المدرّسين في حوزة قم العلميّة. وانتخب عضوًا في مجلس خبراء القيادة في الدورتين الأولى والثانيّة حيث شغل في كلا الدورتين مركز النائب الثاني لرئيس المجلس. وكان من الأعضاء الفعّالين في حزب "جمهوريّ إسلاميّ". هاجم المنافقون منزله عام ١٣٦٠هـ.ش. إلّا أنّ العناية الإلهيّة أنقذته.

وبعد عمر مليء بالجهاد والنضال والعمل لرفع راية الإسلام والحكومة الإسلاميّة، توفّي آية الله ربّانيّ آملشي عام ١٣٦٤ش ودفن في حرم السيّدة المعصومة عليها السلام في قم.

## ١١٣. ملتقى المؤلفين

تأسّس ملتقى المؤلّفين في إيران أواسط الأربعينات بعد بحث وجدل واسع بين قسم من المفكّرين أصحاب الأقلام وذلك بالتعاون مع المجموعات والتجمعات الأدبيّة المتنوّعة. وعلى الرغم من الاختلافات الفكريّة والسياسيّة بين أعضاء الملتقى إلّا أنّ الجميع كان متّفقًا حول مسائل تتعلّق بالوقوف في مواجهة الرقابة والمطالبة بالحريّة والديمقراطيّة.

أواخر العام ١٣٤٦هـ.ش.، أصدر أفراد الملتقى بيانًا حرّموا فيه المشاركة في "المؤتمر الدوليّ للشعراء والمؤلّفين والمترجمين الإيرانيّين والأجانب" الذي كانت ترعاه فرح بهلوي. وكانت هذه المحاولة نقطة انعطاف في نشاطات الملتقى وإيذانًا ببدء العمل الجماعيّ. في العام ١٣٤٧هـ.ش.، أعلنت المجموعة عن وجودها الرسميّ من خلال بيان وزّعته على الإعلام.

توقّف الملتقى عن العمل عام ١٣٤٩هـ.ش. حيث امتنعت الحكومة عن إعطائه إجازة العمل، لا بل قامت باعتقال وسجن بعض الأعضاء الفعّالين فيه. بدأ الملتقى نشاطه من جديد أواخر العام ١٣٥٥ش. وبعد انتصار



الثورة الإسلاميّة، ظهر التعارض بين آراء وأفكار الملتقى وعقيدة الحكومة الدينيّة باعتبار أنّ الفكر الذي سيطر على أعضاء الملتقى عبارة عن الفكر الغربيّ والفكر الإيرانيّ السابق على الإسلام. من هنا، تحرّك هذا الملتقى بعد انتصار الثورة نحو تغيير الأجواء الدينيّة للمجتمع.

أغلق المكتب المركزيّ الملتقى عام ١٣٦٠هـ.ش. بسبب تصاعد الخلافات الداخليّة، فانتقل بعض الأعضاء الفاعلين إلى الخارج.

أواخر العام ١٣٦٩هـ.ش.، طالب بعض المؤلّفين والشعراء والمترجمين أثناء انعقاد المؤتمر غير الرسميّ للملتقى بتدوين مسودّة منشور ملتقى المؤلّفين في إيران، إلّا أنّه بقي مسكوتًا عنه بسبب الخلافات الداخليّة ومع ذلك استمرّت الصحف في البحث حول تجديد نشاط الملتقى.

بعد جلسات من البحث والمشاورة، أصدر أعضاء الملتقى مسودّة المنشور الجديد، وقد أعلن في نصّ الأصل الأوّل ما يلي: "إنّ حريّة الفكر والبيان والنشر في جميع مجالات الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، حقّ للجميع من دون حصر أو استثناء".

وبعد تولّي الحكومة الإصلاحيّة العمل، نشطت العلاقات بين أعضاء الملتقى وبعض الشخصيّات الإصلاحيّة أمثال عطاء الله مهاجراني، وزير الإرشاد آنذاك. بعد العام ١٣٨١هـ.ش.، لم يلتئم الملتقى حتّى أنّ أغلب أعضائه يعيشون في الخارج.

## سلسلة أدبيّات النهوض

| العنوان | المؤلف |
| --- | --- |
| ١١- العبادة والعبوديّة في الرؤيا والسلوك عند الإمام الخميني | حسن يحيى بدران |
| ٢- عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة | عليّ مهدي زيتون |
| ٣- الشعائر الحسينيّة من المظلوميّة إلى النهوض | شفيق جرادي |
| ٤- على ضفاف الفرات | إبراهيم أمين السيّد |
| ٥- مجتمع المقاومة | نعيم قاسم |
| ٦- الشيخ عبد الحميد بن باديس | إلياس جوادي |
| ٧- الثورة الإسلاميّة في إيران: ظروف النشأة والقيم القياديّة | منوشهر محمّدي |
| ٨- الخطاب عند السيّد حسن نصر الله | أحمد ماجد |
| ٩- الحداثة والمقاومة | طه عبد الرحمن |
| ١٠- الإمام ونهج الاقتدار | شفيق جرادي |
| ١١- قيم النهوض: الحرّيّة - العدالة - الاستقلال الوطنيّ | مرتضى مطهّري |
| ١٢- النهوض الحضاريّ في فكر الإمام موسى الصدر | غسّان فوزي طه |

| العنوان | المؤلف |
| --- | --- |
| ١٣- القدس في الوعي المقاوم | بلال حسن التل |
| ١٤- مباني إنتاج الآخر في العقل الإسرائيليّ | حسين سلامة |
| ١٥- الدولة والمقاومة في ظلّ الأوضاع الدوليّة الراهنة | مجموعة من الباحثين |
| ١٦- المقاومة: جدليّة الحقّ والقوّة | مجموعة من الباحثين |
| ١٧- الشورى ونظم الأمر | عليّ يوسف |
| ١٨- الحرب على غزّة | مجموعة من الباحثين |
| ١٩- المرجعيّة الدينيّة والمقاومة | عبد الساتر الموسوي |
| ٢٠- إشكاليّة الوعي والذاكرة العربيّة | بيان نويهض الحوت |
| ٢١- الرؤية العلميّة لدى الإمام الخامنئي | عبد الله زيعور |
| ٢٢- الفقه السياسيّ في فكر الإمام الخامنئي (حفظه الله) | مجموعة من الباحثين |
| ٢٣- السيادة الشعبيّة الدينيّة | مجموعة من الباحثين |
| ٢٤- الحاكميّة: دراسة في المفهوم وتشكّله | أحمد ماجد |
| ٢٥- صناعة الأمّة الإسلاميّة: الإمام الخامنئي (حفظه الله) | عبّاس نور الدين |
| ٢٦- وقيادة المشروع الإسلاميّ الاستنهاضيّ | منوجهر محمّدي |
| ٢٧- حقوق الإنسان من وجهة نظر الإمام الخامنئي | مجموعة من الباحثين |

| العنوان | المؤلف |
|---|---|
| ٢٨- الفكر السياسيّ عند الإمام الخامنئي | مجموعة من الباحثين |
| ٢٩- المسلمون بين المواطنة الدينيّة والمواطنة السياسيّة | علــيّ يــوســف |
| ٣٠- القدس: الموقعيّة والتاريخ | مجموعة من الباحثين |
| ٣١- المرأة في فكر الإمام الخامنئي | مجموعة من الباحثين |
| ٣٢- عاشوراء: الحدث والمعنى | محمّد مهدي الآصفي |
| ٣٣- السيادة الشعبيّة الدينيّة: إشكاليّة المفهوم | مجموعة من الباحثين |
| ٣٤- السيادة الشعبيّة الدينيّة: معالجات في التطبيق | مجموعة من الباحثين |
| ٣٥- الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي | إعداد مركز صهبا |

قد تكون الهواجس الثقافيّة والاهتمام بمسألة الثقافة حالة إحساس شخصيّ، وقد تكون ناشئةً من طبيعة النظر إلى الثقافة. إنّ الحساسيّة الشخصيّة والميول الفرديّة ليست ذات أهمّيّة. المهمّ هو أن نرى التأثير الذي تتركه الثقافة حقيقةً على مصير البلد، وأن ندرك أيّ دور يمكن أن يؤدّيه التعرّض لمسألة الثقافة، والتحسّس بشأنها، على المستقبل الذي نأمله جميعًا ونعمل لأجله.




بيروت - لبنان

العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي
تلفاكس: ٩٦١-١-٥٤٤٦٢٢ - Email: almaaref@shurouk.org

